د. أحمد أبا الصافي جعفري

الحركة الأدبية في أقاليم توات

من القرن 7 هـ حتى نهاية 13 هـ

الجزء الأول

منشورات الحضارة

د. أحمد أبا الصافي جعفري
الحركة الأدبية في أقاليم توات
منشورات الحضارة

الدكتور أحمد أبَّا الصَّافي جَعَفري

الحَرَكَةُ الأَدَبيّةُ في أقاليم تَوَاتَ

من القرن 7 هـ حتى نهاية القرن 13 هـ

أعلامها مواطنها ومساراتها مظاهرها وخصائصها الفنية

الجزء الأول

منشورات الحضارة

الطبعـــة الأولـــى 2009

الايداع القانوني: 764- 2009

ردمــك: 9- 71- 767- 9961- 978

منشورات الحضارة

ص ب 04 بئر التوتة الجزائر 16045

هاتف/فاكس: 41 34 44 (021)

صـدر هذا الكتاب بدعم من وزراة الثقافة

في إطار الصـندوق الوطني لترقية الفنون والآداب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهــداء

إلى الوَالــدَيْن الكَرِيمــَيْن... بـــــرّاً وَ إحْســَاناً

إلى الزَّوْجَة العَــزِيــزَة... تَقْدِيراً وَ امْتِنَاناً

إلى ولَدَيَّ مُحَمَّد مُحْي الدِّين وأُخْتِه آلاء... عَطــْفاً وَ حَنَاناً

إلى الإخْوَة شُــرَكَاء الرَّحِم... شُكْراً وَعِــرْفَاناً

المــؤلــف

مقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد.

لقد شكلت الأقاليم التواتية[1] (ولاية أدرار حديثا) عبر تاريخهـا الطويل، وبالنظر إلى موقعها الاستراتيجي الـذي توسـطت فيـه كبريات العواصم الثقافية عربيا وإسلاميا خيط تواصل وعطاء بين مختلف هذه الشعوب، ومن ثم انعكس الأمر إيجابـا علـى واقـع المنطقة، فعرف إنسانها كيف يسـتغل الظـرف ويسـتثمر هـذه العناصر، ليشارك بها القطبين، الشمالي وشمال الجزائر والمغرب

---

1. تقسم توات إلى ثلاثة أقاليم حيث يقع إقليم تيديكلت جنوب مقر الولايـة حاليـاً وهي من قصر فقارة الزوى بعين صالح حتى رقان، أما إقليم قورارة فهي إلى الشمال من قصر تبلكوزه شمالاً إلى قصر تسابيت جنوباً، وأما تـوات فهـي وسط بينهما. ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالـة السـعيدة مـن قصور ووثائق أخرى. ص02، المطبعة الملكية الربـاط،1381هـ،1962م، وسكان تدكيلت القدماء والاتكال على النفس. الحاج التومي سعيدان ص18 وما بعدها. ط01، 2005. دار هومة الجزائر، ومحاضرة الشيخ باي بلعالم، مكتبـة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار(د،ت). ينظر الشكل ص 336 فـي الملحق.

وتونس ومصر وليبيا، والجنوبي بعواصـــمه التاريخيـــة الكبـــرى كتمبكتو وكانو وشنقيط وغير ذلك.

كل هذا وغيره "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويـــل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عـــن طريـــق القوافـــل الذاهبة والآيبة، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثـــب علـــى التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عـــرب المشـــرق والمغرب. وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف"[2]. كما ذكر القاضي محمود كعـــت[3] أن كـــل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلمـــاء مـــن منطقة توات. ويضيف السعدي[4] أن قائمة العلماء المشهورين فـــي مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشـــكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف، ولهؤلاء جميعـــا مئـــات المخطوطات الموجودة حاليا في خزائن ومكتبات مالي و وموريتانيا و والنيجر وغانا ونيجيريا، و والمغرب وتونس، ومصر وغيرها.

---

2. إقليم توات خلال القرنين18-19م ص113 فرج محمود فرج .د.م.ج. الجزائر 1977م.
3. ينظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. ص15. تحقيـــق هوداس ودلافوس. مطبعة بردين. باريس1964.
4. ينظر: تاريخ السودان. تحقيق هوداس. مطبعة بردين1898م.

وُصفت منطقة توات على مــر التــاريخ بأنهــا أرض أمــان واطمئنان، كثر فيها الصالحون والزهاد جاءوها من كافة الأقطــار العربية والإسلامية واستوطنوا بها متأثرين ومؤثرين في من حولهم، نذكر من ذلك تمثيلا لاحصرا: الإمام المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ)، والقاضي العادل سيدي سالم العصموني (968هـ)، والفقيه الورع سيدي عبد الكريم بن أمحمد البكــراوي (1042هـ)، والعروضي البارع سيدي محمــد بــن أب المزمــري (1160هـ)، والمربي الحكيم سيدي أبي ألأنوار بن عبــد الكــريم (1168هـ)، والمفسر الشهير سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني(1189هـ)، والأديبين المفلحين سيدي محمد بكو الإداوعلي (ق12هـ)، وســيدي محمد بن المبروك الجعفري (1198هـ)، واللغوي الفذ سيدي محمد بن العالم الزجلاوي (1212هـ)، والمؤلف القدوة سيدي المختــار الكنتي (1226هـ) والفقيه الصوفي مثل سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي (1281هـ)، والمؤرخ المتقن سيدي محمد بــن عبــد الكريم بن عبد الحق (1374هـ) وغيرهم ومع مرور الأيــام ازداد التواصل وتوسع، وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري بين هــذه العناصر جميعها، ومن ثم انكبت النفوس على الطروس، وراحــت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر، وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا الغمر الزاخر من المؤلفين، والمؤلفات وفي شتى المعارف والعلوم من فقه وحــديث وتفســير ونحو وصرف وعروض وبلاغة وطب وفلك وتاريخ، واستودع كل

ذلك في زوايا ودور خاصة منتشرة في كل القطر التواتي انتشـار أصحابها ومريديها.

لكن كل هذا الموروث الثقافي في زخمه التاريخي والمعرفي، لم يكن ليشفع للمنطقة حديثا في تبوء بعض من مكانتها التاريخية بين كبريات العواصم الثقافية وطنيا على الأقل، بل ظل الحديث عنهـا وإلى وقت قريب جدا، عند كثير من الباحثين الجزائريين خصوصا حديثا خافتا وباهتا إن لم يكن حديث إشارة وإيماء.

والحقيقة أن منطقة توات وإن اشتركت عوامل تاريخية عدة في طمس كثير من معالمها التاريخية، وإبعاد ما تبقى عن عيون الكتاب والباحثين عموما، إلا أن المسؤولية الأساسية هنا تنطلق أولا مـن عتبات بعض القائمين على هذا الإرث في خزائنه أولا، لتمر عبـر بعض قنوات البحث التراثي المسدودة أصلا، ولتصل أخيـرا إلـى أبواب كثير من القائمين على مجال البحث محليا ووطنيـا، بمـا خلفوه وراءهم من رواسب ومعوقات في طريق البحث في تـاريخ المنطقة خصوصا.

وإيمانا منا بمساهمة الجميع في الحفاظ على الذاكرة الجماعيـة للأمة، وكسر جدار الصمت المضروب من حولهـا مـن جهـة، وانطلاقا من وقوفنا الشخصي على كثير من الآثار الأدبية التواتية في صراعها حول رحلة البقاء وما أصعبها من جهة أخرى. كانت لنا هاته المبادرة الأولية في تصفح بعض من هذه الرفـوف فـي محاولة لاستجلاء أهم رموز هذه الحركة في ما خلفوه مـن آثـار

وأعمال خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الهجري وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، ولنا في كل ما تبقى من آثار مخطوطة، ومعالم مرصوصة –على قلتها– كبير الأمل في الوصول إلى ما قد يشكل يوما بإذن الله منطلقا ونواة حقيقية لدراسات معمقة في هذا المجال، ولعل كل ذالك أخيرا يُخَفِّف من حدة بعض سهام الإعتقاد السائد والموجه ليس لأبناء المنطقة ولا الوطن الجزائر فحسب بل لكل أبناء المغرب العربي عموما في كون أن المنطقة ما هي إلا صورة مشرقية شاحبة، وأنّ حَركتها الأدبية لم تُوح بها عاطفة ولم ينبض بها إحساس، ولا أثر فيها للتجديد والابتكار[5].

وبالنظر إلى مكتبة البحث المعتمدة أساسا في مادتها العلمية على المؤلفات المخطوطة، وخلوها من أي دراسة متخصصة سابقة للموضوع بحسب علمي، فإنه لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع بداية بالأمر الهين بل جاء عصارة عشر سنوات(2006/1995) من البحث والتنقيب في خبايا ما يزيد عن سبعة وثلاثين(37) خزانة للمخطوطات بأقاليم الولاية. وهذا العدد من الخزائن على قلته من مجموع الخزائن الإثنين والخمسين(52) الظاهرة للأعين مكننا أولا – على الأقل– من الوقوف إجمالا على ما يزيد عن ألف وستمائة وثمانية وسبعين(1678) مخطوطا، وكانت استفادتنا المباشرة منها

5. ينظر: الحياة الأدبية والنقدية في الفسطاط ومسجدها الجامع (30هـ/355هـ) علي اليمني دريدير.ص1. رسالة دكتوراه. إشراف د عبد المنعم خفاجي. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر .مصر.

في ما يزيد عن التسعين(90) مخطوطا أثبتناها تحديدا في مسرد ثبت المصادر والمراجع.

وبهدف الإلمام بحيثيات الموضوع والوقوف عند أهم جوانبه كانت خطة البحث مرتكزة في أساسها على بابين اثنين ومدخل بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق المكملة للبحث. حيث تعرضنا في بداية المدخل إلى التعريف بمنطقة توات وبجوانب مهمة من تاريخها القديم، ثم انتقلنا بعد ذلك للحديث في الباب الأول للحركة الأدبية بالإقليم منذ القرن السابع الهجري وحتى نهاية القرن الحادي عشر وفيه فصلان: الأول للحديث عن لأعلام هذه الحركة وكذا مواطنها ومسارها، والثاني للحديث عن واقع هذه الحركة وكذا أهم مظاهرها خلال هذه الفترة.

وفي الباب الثاني من البحث تعرضنا فيه لواقع الحركة الأدبية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين باعتبارهما أهم حلقة ذهبية في تاريخ الإقليم. ولقد جاء هذا الباب هو الآخر مقسما إلى فصلين اثنين:

الأول للحديث عن أهم الأغراض الشعرية المتناولة عند شعراء الإقليم من دعاء، ومدح وفخر ورثاء وعتاب واعتذار وما إلى ذلك، بالإضافة إلى أهم الخصائص الفنية التي ميزت هذه الأنواع .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب كان التناول أولا لأهم الفنون النثرية الشائعة في المنطقة خلال هذه الفترة من وصية، وخطبة ورسالة وما إلى ذلك، ليتبع في نهايته بالوقوف عند أهم سماتها الفنية أيضا. وفي نهاية البحث وقفنا عند مجموعة من الملاحق المكملة.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع في استقرائنا لأهم النصوص خلال الفترتين التاريخيتين من عمر الإقليم وما قبلهما، كان منهجنا المتبع في الأعم الغالب من البحث قائماً على المنهجين الاستقرائي والوصفي أولاً، بهدف الوقوف عند أهم النصوص الأدبية وتفسيرها، وتحليلها للوصول إلى بعض التعميمات، أو الاستنتاجات التي ترتبط بجانب أو بآخرمن البحث. هذا كله مع الاستعانة بالمنهج التاريخي، لما له من دور أساسي في محاولة تفسير، وتعليل كثير من الظواهر الخاصة، أوالعامة التي لها علاقة مباشرة بتاريخ الحركة أو ببعض أعلامها.

و في الأخير لا يفوتني أن أتوجه بخالص التمنيات وأصدق التشكرات إلى كل الذين أناروا لنا درب هذا الموضوع، وفتحوا لنا شهية البحث، والعناية بموضوعات التراث، وفي مقدمتهم أولا: الأستاذ الدكتور محمد زمري، الذي استطاع بفضل توجيهاته ونصائحه السديدة أن يلفت نظرنا إلى أهمية البحث في تاريخ الحركة الأدبية في الجزائر، كما لا يفوتني أيضا أن أذكر بمساعدة كل من الصديقين: الأخ عبد الحميد بكري، والأخ الأستاذ الحاج

أحمد الصديق، بالإضافة إلى شيوخ الزوايا وأرباب الخـــزائن فـــي منطقة أدرار، الذين استقبلوني جميعا بحفاوة بالغة، وشجعوني على البحث والتنقيب. وأخص منهم بالذكر المرحومين الشيخ بن الوليـــد وليد بأدرار، والشيخ الحاج بومدين سلكة بتيميمون، والشيخ الحاج محمد إداوعلي بقصر أعباني طيب الله ثراهم وتغمدهم جميعا بواسع رحمته، بالإضافة إلى الشيخ الحاج الطيـــب شـــاري بكوســـــام، والشيخ الحاج أمحمد الكنتي بزاوية كنته، والشيخ محمد باي بالعالم بأولف، والصديقين محمد السالم بن عبد الكريم المشرف على خزانة والده المرحوم الحاج عبد القادر المغيلي، والأخ أبا سيدي جعفري المشرف على الخزانة الجعفرية بزاوية سيدي حيدة بقصر بـــودة أدرار وغيرهم.

فلهؤلاء جميعا، ولكل من أعانني على إخراج هذا العمـــل ولـــو بالكلمة الطيبة ألف تحية، وجزى الله الجميع عني كل خير.

أدرار. يـــوم: الثلاثـــاء07 شعبان1428هـــ.

المـــوافق لـــ 21 آوت/(08 غشت)2007م.

د : أحمد أبَّا الصَّافي جَعَفري

المـــدخـــل

إقليـم تـوات... الموقـع والتاريخ

☜ إقليـــم تـــوات... المـــوقـــع والتاريـــخ:

احتل الإقليم التواتي بموقعه المتميز وقصوره المتنـــاثرة مركـــزا وسطا لعواصم تاريخية كبرى على مر التاريخ مشـــكلا بـــذلك نقطـــة العبور الأساسية بين هذه الأقاليم، وفي ذلك يقول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم البكري عن الحدود القديمة للإقليم أن " بينه وبين سجلماسة مسافة ثلاثة عشر يوما... وغربا عشرين يوما لأول الســـودان، ومـــن غدامس عشرين يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحيـــة أولاد عيسى قدر أسبوع إسراعا لبلاد البيض ســـيدي الشـــيخ، وعـــدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصرا أوســـطها بـــودة وتيمـــي وتمنطيط"[6].

ولقد اختلف المؤرخـــون فـــي أصـــل التســـمية(توات)، وتـــاريخ اختطاطها، بل وحتى في رسم حدودها، فهناك من اعتبر أن "السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يُحكى أنه لما استفتح عقبة[7] بن نـــافع

---

6. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص3. الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم. خزانة تمنطيط أدرار. وينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص131 وما بعدها. الحاج محمد العالم.

7. هو عقبة بن نافـــع الفهري ولد في السنة الأولى قبل الهجرة على الأرجح، ولاه يزيد بن معاوية على إفريقيا سنة62هـــ وتوفي بضواحي بسكرة بالجزائر. (معجم مشاهير المغاربة. بوعمران الشيخ وآخرون. جامعة الجزائر1995م، ص(365-366).

الفهري بلاد المغرب، ووصل ساحله، ثم عـاد لـواد نـون ودرعـة وسجلماسة[8]، وصل خيله توات، ودخل بتاريخ62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعني توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل تـواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، ينزله بها أو يجلّيه بهـا، فأجـابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ علـى لسـان العامة لضرب من التخفيف"[9] وهو رأي انفرد به العـالم محمـد بـن عومر(ت.ق13هـ). في حيـن نراه يـورد إلى هذا رأياً آخـر أكثـر تداولاً وهـو الرأي الـذي أسهب في تفسيره وشـرحه الشـيخ سـيد البكري (ت. ق14هـ) حيث يقول: "في سنة 518 هـ حيـث غلـب المهـدي الشيعي سلطان الموحديـن على المغرب. بعث قائدَيـه علي بن الطيب والطاهـر بن عبـد المؤمن لأهل الصـحراء وأمرهمـا بقبض الأتوات، فعُـرف أهل هذا القطر بأهل الأتـوات، لأن السلطان قبلـه منه في المغرم"[10] ويرى البكـري (ت.ق14هـ) أن هذه الرواية

8. واد نون ودرعة وسجلماسة مدن تقع في المغرب الأقصى وتعد سجلماسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بإقليم توات. تأسست سنة140 هـ757 م. (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. ص62).
9. نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمد بن المبـروك الجعفري. ص04. مخطوط موجود بخزانة باعبد الله، وخزانة بودة أدرار.
10. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبـد الكـريم البكري. ص06 (مخطوط موجود بخزانة المطارفة أدرار).

"أصحّ ولهذا اللفظ مسند في العربية. قال في المصباح[11]": التوت هو الفاكهه والجمع أتوات"، فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه... فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف... وصار هذا الاسم على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزه إلى عين صالح"[12] وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين[13] واعتُبر الرأي الأرجح في المسألة على ما يذكر الرواة. في حين راح البعض[14] الآخر ينحي بالكلمة نحواً بعيداً عن كل هذا وذاك وفي كل يبقى الاختلاف الأساسي في أصل اشتقاق الكلمة نفسها

---

11. المصباح المنير. أحمد بن محمد الفيومي. ج1ص108 ط4. المطبعة الأميرية القاهرة1921.
12. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. محمد بن عبد الكريم البكري. ص06.
13. مثل المؤرخ محمد بن عمر في مخطوطه نقل الرواة ومولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات(المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار) والشيخ محمد باي بلعالم في محاضرته حول الإقليم.
14. ذكر السعدي أن أصل الكلمة تكرورية(لأن الإنسان الأول الذي تخلف هناك توجع في رجله، وتوطن هناك فسمي الموضع باسم تلك العلة) تاريخ السودان، عبد الرحمان السعدي. تحقيق هوداس،ص07،مطبعة بردين باريس، 1964م. أما العالم مولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات وإضافة إلى رأيه السابق يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي للعبادة. ينظر ص12.

هل هو من الفعل واتى يواتي، أو هو اسم للمغارم، أي الأتوات، أو هو غيـــر هـــذا وذاك، وإنما هو اسم أعجمي يحمل دلالات خاصـــة تبعـــاً للغته الأم، البربريـــة أو التكروريـــة[15] أو التارقـــية[16] أو العربيـــة. أوغيـــر ذلـــك[17].

يعد إقليم تـوات واحـدا مـن الأقـاليم الضـاربة فـي أعمـاق التـاريخ ويرجـع تاريخ عمارته إلى ما قبـل الإسلام[18] حيث كان يسمى بالصحراء القبليـــــة، ثـــــم كثـــــرت عمارتـــــه بعـــــد جفـــــاف نهـــــر

---

15. التكرورية لغة أهل تمبكتو بأرض مالي.
16. التارقية لغة الطوارق من سكان الصحراء.
17. ينظر: كتاب أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر. ص77 وما بعدها. بوسماحة أحمد. دار هومة. الجزائر2002م.
18. ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء(أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ106 هـ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حمال بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام 517م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد القصر). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية. كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد (BERNARD) في بحثه عن تاريخ الإقليم أن عمارة الإقليم بدأت قبل50 سنة قبل الميلاد. التسلسل الزمني لأحداث توات(معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).

قيــر[19] فــي غضـــون القـــرن الرابــع الهجـري ولا أدل عــلـى ذلـك مــن كثــرت الحـديــث عنـه فــي كتـــب الـمـؤرخـيــن والـرحـالــة الــعــرب والأعـاجـم عـلـى الـسـواء فــهـذا ابـــن خلـدون[20] (ت.808هـ) يتحدث عن الإقليم في مقدمة الباب الأول من كتابه العبر واصفا ما كان يتنعم فيه من خيرات الأرض ونعيمها قائلا: "...... وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"[21] ثم نراه يتحدث عنها في موضع آخر من الكتاب واصفا إياها بقوله: ".... وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المئين آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا

---

19. هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة. الرحلة العياشية ماء الموائد.ص18 الجزء الأول ط2. تحقيق محمد حاجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط (1397هــ- 1977م).
20. ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. مج 1/ج1ص93،مج6/ج11ص206،133،123،120.مج7/ج13ص119،118. دار الكتاب اللبناني1983م بيروت لبنان..
21. المصدر نفسه مج1/ج1 ص93.

العهد ومن بلد مالى إليه بينه "[22]. ورغم أن ابن خلدون لم ينزل بأرض توات في أصح الروايات إلا أن له في وصفها أمرا عجيبا نراه معه يتعرض إلى أدق تفاصيل الحياة الإجتماعية والعمرانية للإقليم كما في حديثه عن آلية استخراج المياه العجيبة في الإقليم والمعروفة محليا ب(الفقارة) وهي سلسلة من الآبار المائية المتصلة بعضها ببعض في طريقة تصاعدية عجيبة وطريقة توزيعية للمياه أعجب يقول ابن خلدون عن كل ذلك". وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى. وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعداً فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض وادياً.ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء.وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووارِكلا وريغ.والعالم أبو العجائب. والله الخلاق العليم"[23]. وقبل ابن خلدون وبعده نجد أحاديث كثيرة عن الإقليم التواتي في كتب الرحالة والمؤرخين كابن حوقل والحسن الوزان والكرخي واليعقوبي

---

22. المصدر نفسه مج6/ج11 ص 120.

23. تاريخ ابن خلدون مج7/ج13 ص 118 وما بعدها .

وابـن بطوطـة[24] (ت.779هـ) وأبــي سالــم العياشــي[25] (ت.ق11هـ) وعبـد الرحمـان السعـدي[26]، والقـاضي الفع محمـود كعـت[27] والرحالـة الجزائــري الحـاج بـن الـدين[28] الأغـواطي (ت.ق13 هـ) إضـافة إلـى الرحالـة الألمـاني جيـر هـارد رولـف (GERHARD ROLF)[29] والمـــؤرخين الفرنســـيين مارثـــان (MARTIN)[30] وبرنـــارد

24. ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول. ص20. وزار الإقليم خلال هــذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هــ.
25. ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ص699 و700. دار صادر بيروت.
26. ذكرها في كتابه تاريخ السودان. ص07 وما بعدها.
27. تناول بعض أعلام الإقليم في كتابه المشهور بــ: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص15، تحقيق: (هوداس) و (دلافوس)، مطبعة بردين، باريس1964.
28. ذكرها في رحلته التي كتبها سنة1242 هــ والتي زار من خلالهــا منــاطق داخل الوطن وخارجه، ومنها إقليم توات وتيميمون وقد ترجمت إلـــى لغــات عدة.../.../... ينظر كتاب تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هــ. أبو القاسم سعد الله. ج2 . ص401 ط2 الجزائر1985.
29. زار الإقليم سنة1864 م وتحدث عنها في كتاباته. المصدر السابق. ص64.
30. زار الإقليم سنة1904م. وكتب عنه في كتابه الشهير(أربعة قرون من تــاريخ المغرب1504 إلى 1902م) المصدر نفسه. ص45.

(BERNARD)[31]. أما من علماء الإقليم ورحالته المعروفين ، فقد كتب عنه الشيخ مولاي أحمد بن هاشم[32] (ت.ق12هـ) والشيخ سيدي عبد القادر بن عمر[33] (ت.1121هـ) بالإضافة إلى الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر[34] التنلاني(ت.1189 هـ) والشيخ محمد بن عبد الكريم[35] بن عبد الحق (ت.ق14هـ)، والشيخ مولاي أحمد الإدريسي[36] ألطاهري (ت.ق14هـ) والشيخ سيدي أحمد

---

31. ذكرها في كتابه التسلسل الزمني لأحداث توات(معالم عن التاريخ)، مركز البحث العلمي غرداية.
32. تحدث عنها في رحلته التي دونها سنة1113هـ.المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر(19م) وبداية القرن العشرين(20م)، بتوات وقورارة، وتديكلت. محاضرة للأستاذ مبروك مقدم.ج.أ.د.ت أدرار، الجزائر 1987م.
33. تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد القادر بن عمر. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.
34. تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد الرحمان بن باعومر، ص01 وما بعدها. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.
35. تحدث عنها في رحلته الشهيرة (درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام) ، ص06 وما بعدها.
36. تحدث عنها في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص12 وما بعدها.

النحوي[37]. ومع مرور الأيام ازداد التواصل وتوسع، وتكثفـت معـه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثم انكبـت النفـوس علـى الطـروس، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبر في دهشة وإعجـاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا العمـر الزاخـر بـالمؤلفين والمؤلفات، وفي شتى المعارف، والعلوم وأستخدمت جل هـذه العلـوم والدراسات في خدمة كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

---

37. تحدث عنها في كتابه. لذاذ الأقوات في من حضر وعبـر بـأرض تـوات. أخبرني بذلك الشيخ الحاج أمحمد الكنتي.

الباب الأول

الحركة الأدبية
في إقليم توات منذ نشأتها
حتى نهاية القرن 11هـ

الفصـــل الأول

الأعلام... الموطن والمسار

المبحث الأول

أعلام الحركة الأدبية بالإقليم من القرن07 هـ
وحتى نهاية القرن13 هـ

عُرف إقليم توات على مر التاريخ بأنه أرض أمان واطمئنان وهو ما جعله مقصد عدد كبير من العلماء[38] من كافة الأقطار العربية والإسلامية، على الرغم من كثرة جدبه، وقلة رزقه. إذ كان معروفا بأنه " ذات سباخ، كثيرة الرمال والرياح، لا تحيط بها جبال

38. مثل الشريف مولاي سليمان بن علي في القرن السادس الهجري والعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي وأبو بكر العصموني في القرن التاسع الهجري والعالم العبدلاوي بن الطيب المغربي في القرن العاشر الهجري والعالم سعيد قدورة الجزائري في القرن الحادي عشر الهجري وغيرهم . محاضرة الأستاذ مبروك مقدم حول تاريخ الإقليم. ص65-66. (م.ج.أ.د.ت. أدرار). وذكر محمد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأقلام، ص08 وما بعدها، أنه في سنة 890 هـ ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء، كل واحد منهم يحفظ خليل وبعض أصول المذهب ومتضلع في كتب بن الحاجب وعلم المعاني والبيان، وتبعهم علماء توات في رحلتهم داخل الإقليم.

ولا أشجـــار"[39].

وهو إلى هذا وصف بأنه "أضعف بلاد المغرب قاطبة. غالب أهله ضعفاء متضعفــون ولقلة ضعف أهله، وهضم قوة النفوس، كثر فيــه الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"[40]. وهذه كلهــا عوامــل شــكلت الشروط الأساسية والمواتية لقدوم العلمـــاء، والزهـــاد، واســـتقرارهم بالإقليم. ذلك أن الإقليم -كما يرى معظم المؤرخين- كان قبل الإســـلام أعجميا لا عرب فيه وعلى امتداد فترات المد الإسلامي تتابعت القبائـــل العربية نزوحها إلى الإقليم أفواجا أفواجا .ومعه أيضا تتابع دخـــول[41] العلماء والشخصيات البارزة حيث دخل في سنة (815هـــ) القاضي أبو يحي بن محمد قادما من المغرب، وفي سنة(845هـــ) جـــاء العلامـــة سيدي يحي بن يدير التدلســـي وعـــين قاضـــيا علـــى تـــوات، وفـــي سنة(862هـــ) جاء العالم سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني وســـكن في بني تامر أولا ثم انتقل بعد ذلك إلى تمنطيط. وبعد ثماني سنوات من هذا التاريخ لحق به الإمام المغيلي في أول قدومه للإقليم وكـــان ذلـــك تحديدا سنة(870هـــ) واتصل بالشيخ سيدي يحي بن يدير بتمنطيط وأخذ عنه ثم رحل عن الإقليم بعد ذلك لمدة تزيد عن العشر سنوات وتوغل

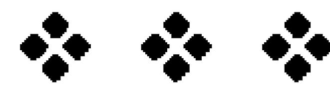
---

39. مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار تـــوات، ص12. مـــولاي أحمد الإدريسي الطاهري.
40. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. محمد بن عبـــد الكـــريم البكري. ص08.
41. ينظر مخطوط درة الأقلام. ص6 وما بعدها.

في أدغال إفريقيا حاملا رايته الإصلاحية والجهادية. ليعود بعد ذلك إلى الإقليم مجددا سنة(882هـ). وبعد هذا التاريخ وقبله لم تنقطع رحلات العلماء والقبائل إلى الإقليم وهذا مسرد بأسماء أهم من وقفنا عليهم من الأعلام:

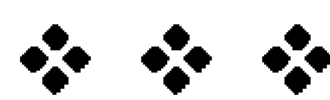
☜ أهم أعلام الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن07هـ وحتى القرن نهاية القرن13هـ

1. **الشيخ سيدي إبراهيم (ق10هـ).** بن أحمد الواجدي كان عالما أخذ عن الشيخ سيدي الحاج البلبالي.
ينظر الدرة الفاخرة ص10)



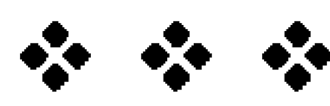
2. **الشيخ سيدي أبي الأنوار** (1168هـ) بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني، ولد سنة1077 بزاوية تنلان، وأخذ عن الشيخ سيدي محمد دين الله التطافي ثم سافر بعد ذلك إلى أرض التكرور، وتربع هناك على عرش التدريس والإفتاء فترة طويلة من الزمن. ولما رجع إلى تدكلت استقر في زاويته المشهورة التي تنسب إلى ولد ابنته مولاي هيبة وبهذه الزاوية توفي سنة (1168هـ) وقيل سنة (1158هـ)

(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. لحاج محمد بكراوي. ص25، ومخطوط الدرة الفاخرة ص03، وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص89 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات.ج1 .ص 35 وكتاب سلسلة النواة. ج01.ص100وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات ص80)



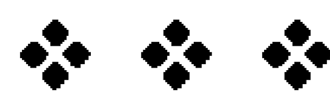
3. **الشيخ سيدي أحمد**(1175هـ) بن عبد الرحمان بن المبروك أخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان بن البركة، والشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني. توفي بأولاد ونقال سنة(1175هـ).

(ينظر: تقاييد مخطوطة بخزانة قصر باعبد الله والتاريخ الثقافي ص113).



4. **الشيخ سيدي أحمد**(1187هـ) بن محمد بن الونان المشهور بأبي الشمقمق هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الونان الحميري النسب التواتي الأصل. عاش في فاس مدة طويلة وبها تلقى عن شيوخ أجلاء. يقال أنه توفي بأرض بودة من أرض توات سنة(1187هـ) وبها دفن. من أشهر آثاره أرجوزته الشمقمقية.

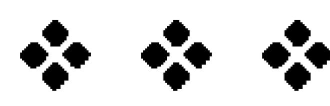
(ينظر: شرح الشمقمقية. ص03 وما بعدها. عبد الله كنون)



5. **الشيخ سيدي أحمد**(1078هـ) بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسين الونقالي دارا العثماني نسبا. ولد بقصر أولاد ونقال سنة(1002هـ) ثم انتقل إلى تنلان القديمة (رزق الله الواسع)في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة(1058هـ). حج مرات عديدة رافق في بعضها العالم سيدي عبد القادر بن عمر. تتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التمنطيطي. توفي سنة(1078هـ) من آثاره المخطوطة وصيته

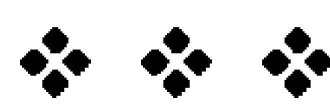
في تأسيس زاويته الشهيرة، بالإضافة إلى بعض التقايد المختلفة. كما ينسب له مخطوط في علم الأنساب بعنوان(التودد) وهو مخطوط مفقود.

(ينظر: مخطوط الدرة الفاخرة ص02 وما بعدها، وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص 85 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات.ج1. ص32 وما بعدها، وكتاب سلسلة النواة. ج02.ص85 وما بعدها. وكتاب الغصن الداني ص04، وكتاب قطف الزهرات. ص79 وما بعدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص81 وما بعدها).



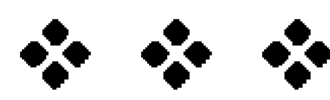
6. **الشيخ سيدي أحمد**(1245هـ) زروق بن صابر البداوي الجعفري وينتهي نسبه إلى السيد عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب. لقب بأبي العباس. أخذ عن الشيخ سيدي امحمد الونقالي وعن الشيخس يدي محمد بن احميد الزجلاوي. سافر لفاس وأخذ عن علماء أجلاء منهم الشيخ التاودي. تولى القضاء بفاس وبإقليم توات. توفي على الأرجح يوم الأربعاء السابعة عشر من شهر رمضان عام(1245 هـ) وقيل سنة (1244هـ).

(ينظر: مخطوط قصيدة في نسب آل جعفر بزاوية بودة أدرار. لسيدي أحمد الزروق، ومخطوط الدرة الفاخرة. ص05. ومخطوط الغنية. ص08. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص116 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01.ص114).



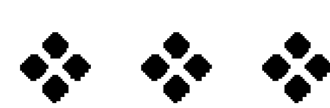
7. **الشيخ سيدي أمحمد**(1008هـ) بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون أخذ في فاس عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن مجير، وعن الشيخ سيدي محمد العدي وعن الشيخ سيدي يعقوب البدري. كان شيخ الحديث في وقته كثير الإطلاع وقد ساعده في ذلك قوة ذاكرته. تولى القضاء على البلاد الصحراوية فاعتذر عنه خوفا من تبعاته. توفي مقتولا ظلما في أرض أقدز من بلاد السودان ليلة الإثنين السابع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة(1008هـ)

(ينظر: مخطوط جوهرة المعاني. ص33، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص32، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص111. وما بعدها)



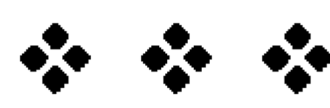
8. **الشيخ سيدي أمحمد**(1261هـ) بن أحمد البَدّاوي. ولد بتمنطيط ليلة السبت18 ذو الحجة سنة(1228هـ)، تعلم على يد والده الشيخ سيدي أحمد، ثم انتقل إلى ملوكة وبها أخذ عن الشيخ سيدي عبد العزيز بن سيدي الحاج. درس مع الشيخ سيدي محمد بن سيدي محمد الجزولي .من أهم آثاره ترتيب أبواب الشورى، توفي عن سن الثالثة والثلاثين، وهو في طريقه إلى الحج بين منطقتي غدامس وتدكلت من الصحراء الجزائرية سنة(1261هـ).

(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص39. وكتاب النبذة ص164).



9. **الشيخ سيدي أمحمد بن أحمد** وفي رواية (أحميدان) بن محمد بن أبي بكر بن القاسم بن علي الأنصاري الخزرجي، أخذ عن والده الشيخ سيدي أحمد، وعن جده سيدي أمحمد، كما أخذ عن الشيخ سيدي محمد الصالح بن عبد الكريم، وعن الشيخ سيدي عبد السلام البلبالي دفين قصر زاجلو، انتقل إلى المغرب الأقصى ودرس على يد الشيخ سيدي الجيلالي بن أحميد الحمياني، وعن الشيخ سيدي عبد الواحد القدوسي، والشيخ سيدي إبراهيم مليخاف، كما أخذ هناك أيضا عن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي. خلف ورائه ابنين هما من أبرز العلماء في عصرهما وهما الشيخان: سيدي محمد الزجلاوي عضو مجلس الشورى بتوات في وقته، وصاحب ألفية الغريب وشرحها، وسيدي عبد الرحمان صاحب المنظومة المطولة التي فاقت ألفين وسبعمائة بيت(2700 بيتا) وسماها شبكة القناص لما حوته درة الغواص في الألغاز الفقهية.

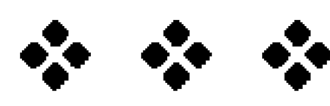
(ينظر: تقيدات مختلفة بخزانة الحاج محمد الشيخ أنزجمير، وبخزانة عبد القادر نيكلو أدرار).



10. **الشيخ سيدي أمحمد**(1163هـ) المعروف ب(أبي نعامة) بن عبد الرحمان القبلاوي، ويتصل نسبه إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع. كان يلقب بشيخ الركب النبوي. ولد سنة(1060هـ). يقال أنه هو أول من هيأ المراكب للحج وأحيا سنة الوفود إلى الحج في توات وبلاد التكرور بعد أن اندثرت لسنين طويلة قبله، وكانت له في ذلك

قصص مشهورة مع أعيان الإقليم منهم الشيخ سيدي محمد الإداوعلي. أسس زاوية بأقبلي سنة(1138هـ) وأنشأ بها خزانة كبيرة للكتب والمخطوطات وهي إلى الآن. توفي بزاويته سنة(1163هـ) من آثاره وصيته المطولة إلى تلميذه محمود بن الحاج أحمد. وبعض التقييدات المختلفة .

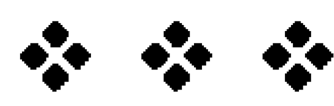
(ينظر: كتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص133 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج/02.ص44 وما بعدها).



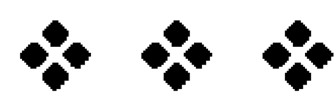
11. **الشيخ سيدي أمحمد**(1175هـ) بن عبد الله الونقالي. هو سيدي امحمد بن عبد الله بن امحمد بن الصالح بن الطيب بن موسى. الأدغاغي أصلا الساكن بقصر أولاد ونقال ضواحي مقر الولاية أدرار حاليا. ولد حوالي سنة(1140هـ) وقيل سنة(1142هـ) عاش حوالي ثلاثة وثلاثين سنة وقيل خمسة وثلاثين سنة. وخلف ابنين هما سيدي محمد عبد الرحمان وهو مقبور بأدغا والثاني سيدي محمد المقبور ببلاد دلدول. أخذ عنه الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي، وسيدي عمر بن عبد الرحمان المهداوي، وسيدي عبد الرحمان بن محمد العالم الزجلاوي وسيدي الحاج محمد بن عبد الكريم بن حسان البداوي. توفي عن عمر ناهز الخامسة والثلاثين سنة تقريبا في فجر يوم الجمعة الحادي والعشرين(21) من رمضان سنة(1175هـ).

(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات. ص27 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني. ص33 وما بعدها .وتقييد

مخطوط خاص في تعريف أجداد سيدي أمحمد الونقالي خزانة قصر باعبد الله . وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص112 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01. ص85 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات. ص73 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص83. وما بعدها).



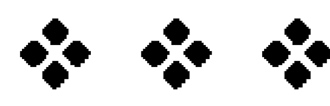
12. **الشيخ سيدي امحمد**(1305هـ) بن محمد الجزولي ولد بتمنطيط سنة (1227هـ) وتلقى تعليمه الأولي بها على يد والده، ثم أخذ بعدها عن الشيخ سيدي الشيخ سيدي عبد العزيز بن سيدي الحاج البلبالي .كانت له مدرسة خاصة للتعليم والفتوى. توفي سنة(1305هـ).
(ينظر. النبذة ص168 وما بعدها)



13. **الشيخ سيدي البكري**(1133هـ) بن عبد الكريم بن امحمد ولد في يوم12 من رمضان 1042هـ أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن علي النحوي الوقروتي، والشيخ سيدي سعيد بن ابراهيم قدورة الجزائري. وأخذ عنه أبناؤه الأربعة سيدي محمد الصالح، وسيدي عبد القادر، وسيدي محمد، وسيدي عبد لكريم. رحل إلى تونس في طريقه إلى الحج فأسس بها زاوية ومنها رحل إلى ليبيا فمصر وهناك اتصل بعلماء كبار منهم: سيدي أبي عبد الله الخرشي مفتي الديار المصرية وقتها، ومن مصر توجه إلى البقاع المقدسة حاجا. وبعد عودته إلى أرض الوطن

أسس زاوية أخرى بإقليم الزاب. ثم رحل بعد ذلك إلى تقرت ومكث فيها مطولا. ثم عاد بعدها إلى تمنطيط وتولى بها قضاء الجماعة بتوات سنة (1092هـ). توفي قرب الزوال من يوم الأحد الثاني من شهر ذي القعدة سنة(1133هـ).

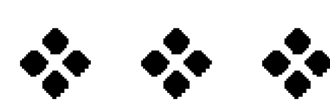
(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات ص15 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني ص20 وما بعدها. ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص53 وما بعدها. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص77 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات.ج01 ص59 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01. ص94 وما بعدها، وكتاب قطف الزهرات ص119 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص124 وما بعدها).



14. **الشيخ سيدي بلقاسم**(ق10هـ) المعروف ب(سيدي الحاج بلقاسم) هو سيدي الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر بن موسى بن الحسين بن يوسف، بن داوود، بن محمد، بن سلطان...، وينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان. ولد بقرية أوسيف حوالي واحد وعشرين وتسعمائة هجرية(921هـ). سافر عن بلدته و أخذ عن علماء أجلاء مثل سيدي علي بن ابراهيم وغيره. أخذ عنه الشيخ سيدي الحاج بو محمد بن أحمد بن بوبكر الجزولي المدفون ببلدة أولاد عياش والشيخ سيدي عباد بن أحمد المقبور قرب قرية تسفاوت(تيميمون)، وأحذ عنه أيضا الشيخ سيدي أحمد بن يوسف المعروف ببلدة ماسين(تيميمون).

والشيخ سيدي الحاج لحسن صاحب زاوية جنتور. سافر عن بلدته مــدة ولما رجع أسس مسجدا ومدرسة. ثم انتقل فترة إلى قصر بني مهــلال إماما ومدرسا. وبالقرب منها أسس زاويتة المشهورة التي تحمل اســمه إلى الآن. وذلك في المكان المعروف قديما بــ:(أزفافين). وبقــي فــي زاويته مدرسا وفتيا حتى وافته المنية. من آثاره: مخطوط بعنوان منهاج السالكين، بالإضافة إلى أزيد عشرة منظومات شــعرية فــي التوحيــد، والفقه، والسيرة النبوية، والمدح النبوي.

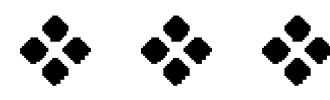
(ينظر: مخطوط الدرة الفاخرة ص18. ومخطــوط حــول علمــاء الدغامشة وفورارة ص02 وما بعدها، ومخطوط حول حيــاة ومناقــب سيدي الحاج بلقاسم لصاحبه محمد بن الحاج محمد بن الطالب امحمــد البولغيتي. قال إنه نقل ذلك عن أحفاد الشيخ الحاج بلقاسم. وينظر أيضا: كتاب سلسلة النواة ج02. ص12 وما بعدها. وكتاب قطــف الزهــرات ص145 وما بعدها).



15. **الشيخ سيدي الحسن**(1286هــ) بن ســعيد البكــري. ولــد سنة(1210هــ) وأخذ الفقه والنحو عن الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي وأجازه في العلم. كان فقيها متنقلا بين أرض توات وتمبكتو والمغــرب وأخذ عنه في مدرسته بالزاوية البكرية تلاميذ عدة منهم ابنــه ســيدي محمد والشيخ سيدي الحاج محمد عبد الرحمان وأخيه ســيدي البكــري والشيخ سيدي أحمد بن سيدي البكري، وسيدي البكري بن عبد الرحمان

وغيرهم. تميز رحمه الله بكثرة نسخه للكتب. توفي سنة(1286هـ) وقيل سنة (1292هـ).

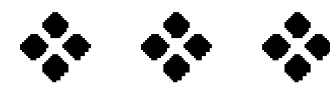
(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. ص48 وما بعدها. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص107 وما بعدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص171. وما بعدها) .



16. **الشيخ سيدي سالم**(968هـ) العصموني. هو بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن الحسن بن سيدي علي بن سيدي محمد... وينتهي نسبه إلى الشيخ سيدي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي(كرم الله وجهه) وابن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها). ولد سيدي سالم سنة(882هـ). تولى قضاء الجماعة سنة(914هـ) وكان من حكمته في قضائه أن يأمر المتخاصمَيْن أن يقفا معا على رأسه وأن يتلوَا قوله تعالى " تَكَ مَيّتٌ وإنّهُم مَيّتُونَ ثُمّ إنّكُم يومَ القيّامَة عنْدَ رَبّكُم تَخْتَصمُون". كان لا يخاف في الله لومة لائم وناله من ذلك ضرر عظيم بأن كمن له بعض المجرمين وأوقعوه ضربا مبرحا على ما يروى. توفي بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء السادس عشر من ذي القعدة سنة (968هـ).

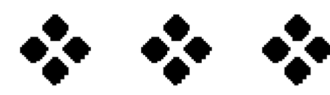
(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص07. ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص06. ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص31. ومقدمة سيدي البكري بن

سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد على مخطوط شرح التلمسانية في الميراث لعلي بن يحي بن صالح. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص76 وما بعدها).



17. **الشيخ سيدي السعدي**(1261هـ) بن الصالح بن البكري. أخذ عن والده الشيخ سيدي محمد الصالح بن البكري. كان عالما له من الآثار شرح على الأجرومية في النحو. ونسخ بخط يده العديد من المخطوطات. توفي بتمنطيط سنة(1261هـ).

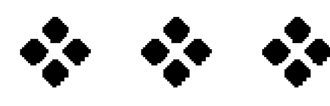
(ينظر بعض التقاييد في خزانة البكريين قصر تمنطيط أدرار)



18. **الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أبّ المُزَمّري**: ولد الشيخ كما أخبر والده يوم السبت السادس عشر(16) من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف(1128هـ). دعا له والده منذ ولادته بقوله: "أصلحه الله وجعله من حملة القرآن" وعلق سيدي ضيف الله على دعوة أبيه بقوله: " فقبل الله دعاءه... ولم يكتب مثل ذلك لأحد من أولاده" ويواصل الشيخ سيدي ضيف الله التعريف بنفسه في رحلته قائلا: " وكان والدي يباهي بي أولاده كثيرا في عيشتي، وشاورني في كثير من أموره مع صغر سني... وأشركني في كثير كتب حبَّسَها". من أبنائه الشيخ سيدي محمد الذي سماه باسم جده تبركا بالرسول محمد(ص) كما قال ووُلد له ثلث ليل يوم الجمعة الرابع من رمضان سنة ثمانية وخمسين ومائة وألف(1158هـ).

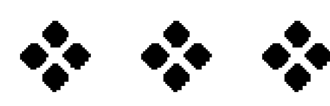
كان الشيخ سيدي ضيف الله كما وصفه أحد قضاة عصره أشعر من أبيه محمد بن أبّ، وله عديد القصائد الشعرية منها مرثيته في أبيه التي أشار إليها في رحلته ولم نقف إلا على أبيات ثلاثة منها.

(ينظر: مخطوط رحلة الشيخ سيدي ضيف الله. خزانة تمنطيط).



19. **الشيخ سيدي عباد**(ق10هـ) بن أحمد. أخذ عن الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر من آثاره بعض الخطب المنبرية الراقية.

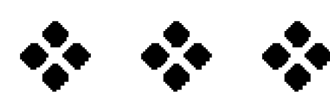
(ينظر بعض التقاييد الخاصة . خزانة زاوية الدباغ تنركوك)



20. **الشيخ سيدي عبد الحق**(1210هـ) بن عبد الكريم بن البكري أخذ عن والده وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر، والشيخ سيدي عمر بن المصطفى الرقادي والشيخ سيدي عبد الكريم بن الحاجب. تولى القضاء بعد وفاة والده بأمر من عمه الشيخ سيدي محمد بن البكري سنة (1174هـ). يقال أنه كان يجيد عدة لغات ولهجات محلية منها العربية والزناتية والترقية والبربرية. أخذ عنه سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد وابنه سيدي عبد الكريم بن عبد الحق وغيرهم. توفي وهو محرم في صلاة الصبح يوم الإثنين مطلع شهر ذي القعدة سنة(1210هـ) من آثاره مجموعة من القصائد الأدبية، وبعض الفتاوى المختلفة.

(ينظر ترجمته في: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص33 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني ص22 وما بعدها.

ومخطوط الدرة البهية ص101و127. ومخطوط الدرة الفاخرة ص05. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص80. وكتاب الرحلة العليـــة إلـــى منطقة توات.ج01. ص120 ومابعدها. وكتاب قطف الزهرات ص125 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ تـــوات وأعلامهـــا ص154. ومـــا بعدها).



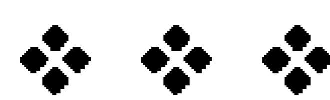
21. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(1160هـــ) بن أبي إسحاق ابراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الجنتوري القُرَاري. أصـــله مـــن قصر تطاف ثم انتقل أجداده لبلد عين صالح، ومنها انتقل جده إلى قصر جنتور. كان الشيخ معروفا بخديم الأشراف كما لقب نفسه، وكنيته أبـــو زيد، أخذ أولا عن والده ثم عن ابن عمه عبد العالي بن أحمد، ثم عـــن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني. ثم انتقل إلى فاس وهناك أخذ عن بعض علمائها أيضا. وصفه الشيخ ضيف الله بن محمد بن أب فـــي رحلته بقوله: " كان أحب علماء قورارة لوالدي وإني رأيته يوما أتـــى لوالدي في رحلتي حياتهما لتجرارين فاستأذن عليه فدخل وأغلق البـــاب فظل عنده النهار كله والله أعلم أنه كان مشتغلا بإصلاح قصائد لـــه... وكان الشيخ إذا أشكلت عليه مسألة فقهية سأله عنها". ومما جـــاء فـــي الرحلة عن وصفه أيضا ما قاله الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن عبـــد العزيز: " كان أعجوبة أهل زمانه رواية ودراية". توفي بقورارة ليلـــة الإثنين الخامس من جمادي الأولى سنة(1160هـــ) وهي الســـنة التـــي توفي بها عدد من علماء الإقليم، كسيدي محمـــد الصـــوفي البادريـــاني

(الخامسة والعشرين من جمادي الأولى) ومحمـــد بـــن أبّ المُزَمّـــري (العاشر من جمادي الأخيرة) إضافة إلى بعض الأعيـــان فـــي قصـــور الإقليم كقصر عريان الراس وغيرها وفي ذلك قال الشيخ سيدي ضيف الله في رثاء والده :

توفي الشيخ فيها عن قـــريب بأهـــون من جمادي بغير لبس
بيـــوم عاشـــــر منه بعـــــام من الـــسنين في تحقيق حدس
وفي ذا العام قد غارت عيون كـــصُوفي وجَـــنْتُوري بحس

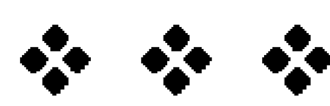
من آثاره ما ذكره له الشيخ سيدي ضيف الله فـــي رحلتـــه ومنـــه: منظومة في التوحيد، وشرحه عليها، وشرح على مختصر خليل، ولـــه نظم في الفرائض، ورجز في علم الكلام، وتآليف في التصـــوف، ومـــا لا يعد ولا يحصى من الرسائل والأجوبة ردا على قضاة وقتـــه، ولـــه طُرَرٌ كثيرة على جميع شُرّاح المختصر وغيره، وكذا حاشية مستقلة عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني، بالإضافة إلى قصائد شعرية لكنهـــا غيـــر واضحة من جراء ما أصابها من تلف. ونوازله التـــي جمعهـــا تلميـــذه الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري.

(ينظر: مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن عمر ص06 وما بعدها. ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم تـــوات ص23. ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتيـــة ص18، ومخطـــوط رحلة الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب ص80. وكتاب التـــاريخ الثقافي لإقليم توات ص66)



22. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(1181هـ) بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني. كان عالما في أصول الفقه والتفسير أخذ عن الشيخ سيدي محمد وعن الشيخ سيدي محمد بن احميد. سافر لفاس وأخذ عن سيدي عبد القادر بن شقرون. توفي في شهر جمادي الثانية سنة(1233هـ) من آثاره رحلته المشهورة إلى الجزائر العاصمة سنة(1231هـ) .

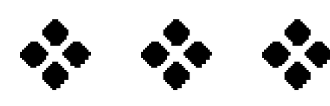
(ينظر ترجمته في: الدرة الفاخرة ص06. وكتاب الرحلة العلية ج1. ص36. وكتاب قطف الزهرات ص81).



23. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(1209هـ) بن الشيخ سيدي أمحمد بن أحمد وفي رواية(أحميدان) بن محمد بن أبي بكر بن القاسم بن علي الأنصاري الخزرجي. أخذ العلم عن أبيه، ثم عن أخيه سيدي محمد صاحب ألفية الغريب، كما أخذ أيضا عن الشيخ سيدي أحمد بيوسف، وعن الشيخ سيدي امحمد الونقالي. وفي مدة بقائه عند الشيخ الونقالي طلبه أهالي وأعيان قصر أنزجمير من شيخه ليفتح لهم مدرسة قرآنية عندهم، فقبل الشيخ الونقالي، وانتقل الشيخ سيدي عبد الرحمان إلى أنزجمير سنة(1169هـ)، وكان بذلك أول العائلة الأنصارية الخزرجية دخولا لقصر أنزجمير انتقل إليه من قصر زاجلو وأسس به مدرسته الدينية في القصر الفوقاني. عرف الشيخ سيدي عبد الرحمان بكثرة مطالعته للكتب ونسخها وينسب له في ذلك عشرات المخطوطات المنسوخة بخط يده منها: كتاب القاموس المحيط، وكتاب التسهيل،

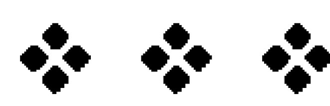
وكتاب الفريدة وشرحها، وكتاب الكافية وغيرها. وهي عوامـل كلهـا ساعدته على تأسيس خزانة للمخطوطات بقصر أنزجمير هي إلـى الآن من أكبر خزائن المخطوطات بالإقليم كمّا ونوعية .توفي الشيخ سـيدي عبد الرحمان عام (1209هـ) وخلف وراءه خمسة أبناء ذكور هـم: محمد، أحمد، أمحمد، عبد السلام، عبد القادر ومن هؤلاء يتفرع نسـل العائلة الأنصارية الحالية بقصر أنزجمير.

(ينظر: تقييدات مختلفة بخزانة الحاج محمد الشيخ أنزجمير، وخزانة السيد عبد القادر نيكلو أدرار).



24. **الشيخ سيدي عبد الرحمان بن سيدي سالم البلبالي،** أخذ عن الشيخ سيدي أبي العباس أحمد بن الحبيب بن سيدي محمد البلبالي كـان حريصا على جمع الكتب ونسخها. توفي بأولاد راشد وبها دفن.

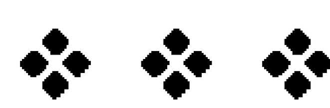
(ينظر: مخطوط حول علماء الدغامشة وقورارة ص05 وما بعدها، وكتاب سلسلة النواة ج02. ص19 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات. ص137 وما بعدها).



25. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(1189هـ) بن عمر التنلانـي. هـو سيدي عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن معـروف بـن يوسف بن أحمد... ويصل نسبه إلى ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان(رضي الله عنه) ولد في مسقط رأسه بتنلان وتنقل بين عواصم تاريخية كبـرى وأخذ بها عن شيوخ أجلاء ترجم لهم في مخطوط خاص منهم: الشـيخ

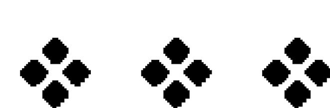
عمر بن عبد القادر، والشيخ محمد بن أبَّ المُزَمّري، وفي فاس أخذ عن الشيخ محمد العربي والشيخ سيدي أحمد السقاط وغيرهم. توفي بمصر أثناء عودته من الحج وكان ذلك تحديدا في اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة(1189هـ) ودفن بمقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي بمنطقة قايَتْبَايْ ضواحي القاهرة. من آثاره: مخطوط مختصر الدر المصون في إعراب الكتاب المبين. مخطوط تراجم شيوخه. مخطوط مختصر النوادر في الفقه. مخطوطات ثلاثة أرخ فيها لرحلاته إلى الحج، أو في طلب العلم. بالإضافة إلى تقيدات فقهية مختلفة وقصائد شعرية عدة.

(ينظر: مخطوط تراجم شيوخه. ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات ص29 وما بعدها، ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ص03. ومخطوط جوهرة المعاني ص23 وما بعدها. ومخطوطات رحلاته الثلاثة. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص87 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01. ج02. ص220 وما بعدها. وكتاب الغصن الداني في ترجمة وحياة عبد الرحمان بن عمر التنلاني. وكتاب قطف الزهرات .ص99 وما بعدها).



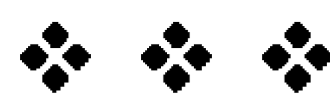
26. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(1251هـ) بن محمد بن عبد الرحمان بن باعومر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد... ولد بتنلان وتوفي بتيميمون سنة (1251هـ).

(ينظر: الرحلة العلية ج1 ص38).



27. **الشيخ سيدي عبد العزيز**(1261هـ) بن محمد عبد الرحمان البلبالي ولد سنة(1190هـ) بقصر ملوكة ضواحي مدينة أدرار أخذ عن والده الشيخ سيدي محمد، وعن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن التنلاني وأخذ عنه الشيخ سيدي أبي العباس سيدي أحمد الحبيب البلبالي والشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد بن عبد المالك البلبالي، والحسن بن سعيد البكري وغيرهم. كان مدرسا مفتيا. تولى قضاء الجماعة بتوات سنة(1244هـ) خلفا لأبيه في حياته وبأمر منه. توفي قرب طلوع شمس يوم الأحد السابع عشر من جمادي الأولى سنة(1261هـ).

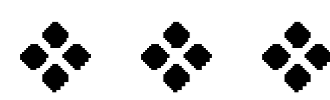
(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص44 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني ص25 وما بعدها، وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص103 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج1. ص58 وما بعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01. ص102 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات .ص55 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص89. وما بعدها).



28. **الشيخ سيدي عبد الكريم**(1042هـ) بن أمحمد التواتي ولد سنة (994هـ) أخذ عن علماء عدة منهم والده الشيخ سيدي أمحمد والشيخ سيدي عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجراري والشيخ سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي مَحَلّى السجلماسي، والشيخ سيدي سعيد بن لحاج إبراهيم المشهور بقدورة الجزائري، والشيخ سيدي علي الأجهوري المصري. والشيخ أحمد المقري التلمساني وغيرهم. وقد ألف

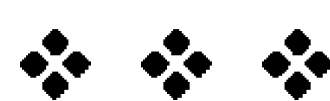
مخطوطا سماه الرحلة وعدد فيه شيوخه وإجازتهم له. كان إماما عالمــا تولى قضاء الجماعة بتوات، توفي ليلة الإثنين وقت صلاة المغرب(23) من شهر شوال سنة(1042هــ) من آثاره مخطوط الرحلة. ومخطــوط آخر شرح فيه مختصر الدماميني. وله أيضا مخطوط تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز. ومخطوط شقائق النعمان فــيمن جــاوز المائــة بزمان. وله أيضا شرح على جمل ابن المجراد سماه: غاية الأمل فــي إعراب الجمل وله في الميراث أبيات شعرية وشرح عليها وله قصــائد شعرية عدة أشهرها قصيدته المسماة سفينة النجاة لأهل المناجات.

(ينظر مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص12 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني. ص30 وما بعدها. ومخطــوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. ص07 وما بعدها. ومخطــوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. ص34 وما بعدها. ومخطــوط الــدرة الفاخرة. ص05. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص75 وما بعدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص114 وما بعدها).



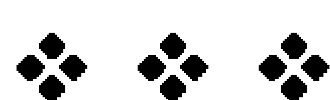
29. **الشيخ سيدي عبد الكــريم**(1298هـــ) بــن ســيدي أحمــد التمنطيطي أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن بــاعومر. وخلــف قصيدة مطولة في (1500بيت). توفي سنة(1298هــ).

(ينظر: تقاييد في الخزانة البكرية تمنطيط. والدرة الفاخرة ص07).



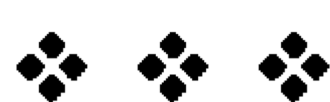
30. **الشيخ سيدي عبد الكـــريم**(1174هــــ) بـــن البكـــري ولـــد سنة(1096) ولد بتمنطيط وبها قرأ القرآن على يد الشيخ سيدي محمـــد بن ابراهيم، و أخذ الفقه والنحو عن والده، وعن الشـــيخ ســـيدي عبـــد الحق، وسيدي عبد الكريم الحاجب، وسيدي الحاج محمد بـــن ســـيدي الحاج عبد الله وغيرهم. تولى قضاء الجماعة بتوات بعد وفاة والده ولم يزل به حتى أنهكه المرض فتخلى عنه لإبنه بإشارة من أخيـــه ســـيدي محمد سنة 1174هــ). اشتغل بالتدريس مدة وأخذ عنه ابنه سيدي عبد الحق، وسيدي عبد الكريم الحاجب وسيدي الحاج محمد بن سيدي الحاج عبد الله وغيرهم. توفي وقت صلاة الجمعة الثامن عشر من ربيع الثاني سنة(1174هــ).

(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص26 وما بعدها. ومخطوط الدرة البهية ص125 وما بعـــدها. وكتـــاب التـــاريخ الثقافي لإقليم توات ص79. وكتاب قطف الزهرات ص121 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص151 ما بعدها).

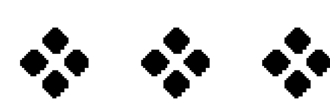


31. **الشيخ سيدي عبد الكريم**(1193هــ) بن الصالح بن البكـــري. أخذ عن والده الشيخ سيدي الصالح بن البكري، وعمه القاضي ســـيدي عبد الكريم بن البكري وأصبح متضلعا في العلوم توفي بتمنطيط ليلـــة الأحد السابع عشر من صفر سنة(1193هــ).

(ينظر: مخطوط جوهرة المعاني ص02. والتاريخ الثقافي ص79).

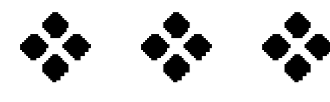


32. **الشيخ سيدي عبد الله**(1194هـ) بن أحمد الفلاني... ولد بتدكلت سنة(1113هـ) وختم القرآن وهو صغير. انتقل إلى قصر زاجلو واتصل بالشيخ سيدي عبد الرحمان بن العالم. ثم انتقل إلى تيمي ودرس على الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر. ثم انتقل بعد ذلك إلى الشيخ سيدي أمحمد بن عبد الله الونقالي. توفي بتدكلت سنة(1194هـ).
(ينظر التاريخ الثقافي ص135).



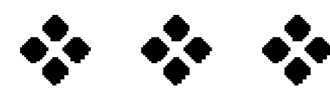
33. **الشيخ سيدي عبد الله بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن الحسن بن سيدي علي بن سيدي محمد بن سيدي لحسين بن سيدي محمد بن صالح، بن سعيد، بن أحمد بن عصنون...** وينتهي إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي(رضي الله عنه) وفاطمة الزهراء(رضي الله عنها) بنت رسول الله(ص). عرف بـ(العصنوني) نسبة إلى جده، ودخل إلى توات قادما من تلمسان رفقة أخيه سيدي محمد سنة(862هـ) وقيل(863هـ). كان إماما وفقيها بارعا تولى قضاء الجماعة بتوات سنة(877هـ). جمعته بالإمام المغيلي عديد القضايا والمسائل الفقهية من أشهرها نازلة يهود توات .وفيها راسل كل منهما علماء الجزائر والمغرب وتونس وغيرها .من آثاره مجموعة من المؤلفات المخطوطة منها مخطوط في شرح بعض آي القرآن.

(ينظر تقييد مخطوط حول نسب العصــنوني(خزانة باعبــد الله)، والمعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي ج2 ص219 وما بعــدها. دار الغرب الإسلامي. المملكة المغربية)



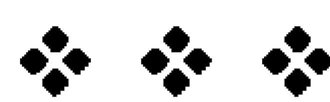
34. **الشيخ سيدي عبد الله**(1221هــ) بن سيدي عبد الرحمـــــان بـــن باعومر التنلاني كان عالما فقيها أخذ عن والده وعن الشيخ سيدي محمد بن أحميد، وكان ملازما للشيخ سيدي عمـــر بـــن الحـــاج عبـــد الرحمان المهداوي فيل سنة(1221هــ) ودفن بقصر باعبد الله ضواحي المدينة أدرار.

(ينظر: الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ص05 وما بعــدها. وكتاب الغصن الداني ص08).



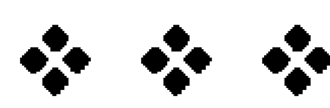
35. **الشيخ سيدي عبد الله**(1134هــ) بن سيدي محمد أخـــذ عـــن والده سيدي الحاج محمد، وعن عمه الشيخ سيدي البكري. توفي ســـنة (1134هــ) وقيل سنة(1133هــ) ودفن بمقبرة سيدي عثمان بتيميمون.

(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم تـــوات ص17. ومخطوط الدرة البهية ص70 وما بعدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص138).



36. **الشيخ سيدي عبد الله**(1261هـ) بن سيدي محمد عبد الله بن سيدي عبد الكريم الحاجب كان شيخا عارفا بالله متقنا لعلوم عدة. أخذ عن الشيخ سيدي الحاج محمد عبد الرحمان البلبالي، وبعد أربع سنوات من الاستماع لشيخه أذن له بالتدريس وأجازه في ذلك. قيل أن سبب انشغاله القوي بالتعليم يعود إلى امتحانه من طرف بعض العوام قصد إهانته. ولما عجز عن الجواب قال له أنت تنتسب للعلماء ولا تعرف الإجابة. توفي سنة(1261هـ) من آثاره: شرح على ابن جماعة، وحاشية على مختصر فقهي، إضافة إلى تقاييد مختلفة.

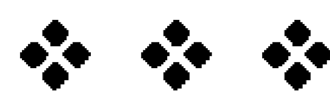
(ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات ص41 وما بعدها. ومخطوط جوهرة المعاني ص26 وما بعدها. ومخطوط الدرة الفاخرة ص08. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص82. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها. ص161 وما بعدها).



37. **الشيخ سيدي علي**(1115هـ) بن حنيني ولد في قصر زاجلو المرابطين وبها أخذ دروسه الأولى ثم انتقل إلى قصر أوقروت واتصل بالشيخين سيدي علي النحوي والشيخ سيدي عومر بن صالح الوقروتي كان صديقا للعالم الشيخ سيدي محمد بن البكري ودرسا معا على الشيخ سيدي محمد بن علي النحوي الوقروتي. وله قصة مشهورة في أصل تأسيس الزاوية البكرية والمعروفة في قصور توات بـ(زاوية سيدي البكري). كما كان للشيخ سيدي علي بن حنيني زاوية مشهورة بقصر زاجلو، وكانت من أجل وأكبر الزوايا في توات. كانت للشيخ سيدي

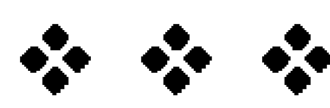
علي رحلة مشهورة إلى أرض السودان الكبير رافقه فيها صديقه الشيخ سيدي علي بـــن أحمد الكنتي وأثناء الرحلة وقعت بين الشيخين قصـــة مشهورة كانت سببا في تأسيسه لزاويته كما يقال. توفي الشـــيخ ســـيدي علي سنة (1115هـ).

(ينظر: مخطوط درة الأقلام ص44 وما بعدها. ومخطـــوط الـــدرة البهية في الشجرة البكرية ص61 وما بعدها. ومخطوط الدرة الفـــاخرة ص14. وتقاييد مختلفة عند أحفاده بزاجلو. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص126. وكتاب سلسلة النواة ج02. ص07 وما بعدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص92 وما بعدها).



38. **الشيخ سيدي علـــي**(1286هـ) بن عبد القادر بن البكري كان عالما فذا جمعته مع ابن عمه القاضي سيدي عبد الحق عدة مراسلات. كان بارعا في النحو توفي بتمنطيط سنة(1286هـ).

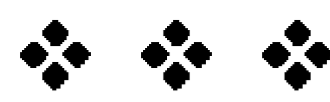
(ينظر: تقييدات مخطوطات. خزانة تمنطيط).



39. **الشيخ سيدي عمر**(1152هـ) بن سيدي الحاج عبـــد القـــادر التواتي ولد عام(1098هـ) و درس بفاس وأخذ عن الشيخ محمد بـــن أحمد المنساوي ومحمد بن عبد الله الفلالي، ومحمد بن ذكري الفاســـي. كان عالما فقيها ونحويا. تولى التدريس بجامع القرويين بفـــاس وانتقـــل منها عائدا إلى أرض توات سنة(1129هـ). وتولى قضـــاء الجماعـــة

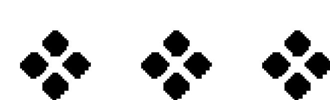
بتوات. أخذ عنه بتوات الشيخ الجنتوري، وأبو زيد التنلاني وغيــرهم. توفي عشية الأربعاء الثالث من ربيع الأول سنة(1152هــ).

(ينظر ترجمته في: مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن عمر ص01 وما بعدها، ومخطوط ترجمة وجيزة لبعض علمــاء إقلــيم تــوات ص19 وما بعدها. ومخطوط الدرة الفاخرة ص03. وومخطوط جــوهرة المعاني ص23. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص86 ومــا بعــدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01 ص35 وص52 وما بعــدها. وكتاب سلسلة النواة ج01ص102وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات ص83 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص82وما بعدها).



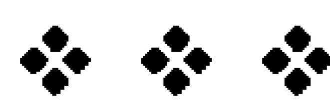
40. **الشيخ سيدي عمر**(1152هــ) بــن عبــد القــادر بن أحمــد بــن يوسف التنلاني المعروف بــ(عمر الأكبر). ولد سنة (1098هــ) تعلم ببلده ثم انتقل إلى فاس وهناك أخذ عن علماء كبار مــنهم: الشــيخ سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي، والشيخ سيدي محمــد بــن أحمــد المسناوي، والشيخ سيدي محمد بن زكري الفاسي. كان عالمــا بــالنحو والفقه والحديث. وأخذ عنه الشيخ سيدي عبــد الرحمــان الجنتــوري، والشيخ أبوزيد التنلاني. توفي بتنلان عشية الأربعاء الثالث مــن ربيــع الأول سنة(1152هــ).

(ينظر: مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ص04 ومخطوط جوهرة المعاني ص04 والتاريخ الثقافي ص86 والرحلة العلية ج01ص35).



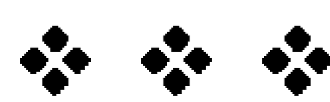
41. **الشيخ سيدي محمد الإداوعلي**(توفي قبل سنة1198هـ) هو محمد بَكُّ العَلوي بن محمد بن كل بن ثال بن يحي ويصل نسبه إلى الحسن المثنى بن علي(كرم الله وجهه) بن أبي طالب. ولد بشنقيط ثم انتقل منها لتوات وكان أول العلويين الشناقطة دخولا لأرض توات على ما يروى كان شاعرا فحلا له ديوان شعري ضخم ضمنه قصائد مختلفة في مدح الرسول(ص) حتى عرف بشاعر المديح النبوي. عاش متنقلا بين أرض شنقيط وتوات وعاصر في إقليم توات الشيخ سيدي بونعامة بتدكلت وكانت له معه قصة مشهورة أثناء سفره إلى الحج أرخ لها في قصيدة شعرية. استقر الشيخ الإداوعلي في أرض توات أولا في قصر تمنطيط واتصل بعالمها آنذاك الشيخ سيدي البكري. وبعدها انتقل إلى تفلالت بأرض المغرب واتصل بعالمها الشيخ سيدي الغازي. وبعد عودته من تفلالت استقر مدة في تمنطيط ثم انتقل بعدها إلى قصر اعباني وهناك أسس مسجده ومدرسته القرآنية، وانجب ابنه سيدي ابراهيم المدفون في قصر اعباني حاليا. وفي نهاية حياته انتقل الإداوعلي إلى أرض تمبكتو وبها توفي في القرن الثاني عشر، وصلى عليه جمع غفير في مقدمتهم الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي المتوفي سنة(1198هـ).

(ينظر: تقييد حول نسب الإداوعلي، وتقاييد أخرى عند أحفاده بقصر أعباني. وكتاب سلسلة النواة ج01 ص114 وما بعدها).



42. الشيخ سيدي محمد بلعالم الزجلاوي(1212هـ) ولد في قصر زاجلو المرابطين وبها نشأ على يد أبيه سيدي امحمد، ثم انتقل إلى قصر تنلان وتتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني. وبعدها رجع إلى مسقط رأسه وأسس مدرسته المشهورة التي تخرج منها شيوخ أجلاء منهم ابن عمه سيدي عبد الكريم، والشيخ سيدي محمد الصالح الذي درس في قصر بوانجي. كان الشيخ أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي، وهو ما أهله لجمع نوازل والده سيدي امحمد وترتيبها وأضاف لها نوازل سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني، ونوازل سيدي عبد الرحمان بن باعومر. تنقل الشيخ الزجلاوي إلى أرض التكرور معلما ومفتيا، وبعد عودته توفي بمسقط رأسه يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة(1212هـ). من آثاره مخطوط النوازل في الفقه. وألفية في غريب القرآن وشرحه عليها، وشرح مختصر خليل، وكتاب المباشر على ابن عاشر .بالإضافة إلى تقييدات مختلفة.

(ينظر: مخطوط تقاييد خاصة عند أحفاده بقصري زاجلو وأنزجمير. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص126 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01 ص128 ومابعدها. وكتاب سلسلة النواة ج02 ص09 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات ص123 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص93 وما بعدها).

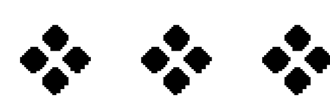


43. **الشيخ سيدي محمد**(1160هـ) بن أبّ المُزَمّري. هو أبو عبد الله سيدي محمد بن أبّ بن أحمد، وفي رواية بن احميد، بن عثمان، بن أبي بكر، المُزَمّري نسباً، التواتي مولداً وداراً. ولد سنة(1094هـ) بقرية أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف التابعة حالياً لبلدية تمقطن دائرة أولف ولاية أدرار. نشأ مُحمد بن أبّ المُزَمّري(ت 1160هـ) في مسقط رأسه بقصر أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف، وبها تلقى مبادئ علومه الأولى، توفي أبوه(أبّ)عنه في يوم الأربعاء الثامن والعشرين(28) من عام خمسة وعشرين ومائة وألف(1125هـ) فاتصل بعد ذلك بالشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت.ق12 هـ) وبعدها انتقل إلى قصر زاوية كنته، واتصل بالشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي(ت1157هـ)، ومكث بالزاوية طويلاً دارساً ومدرسا ومنها انتقل إلى مدينة تمنطيط التي درّس بها طويلاً. وعن أخلاقه وفضائله يقول ابنه سيدي ضيف الله عنه في رحلته: " كان خفيفا على النفس لا يحب الثقال، مداوما على الطهارة، أبيض الثياب... وكان يأمر بتعظيم الكتب وحفظها، وأن لا تجعل في التراب ولو كانت نقية ويقول من لم يعظمها لا ينتفع بها. على قدر التعظيم تأتي المنفعة، كما كان يَنْهَى أنْ يَبْرُزَ أحد إلى الناس وذكره (التسبيح) في يده... ومن مناقبه أيضا إنشاده الشعر بداهة...".

تنقل رحمه الله بين عدة مدن وأقطار عربية وإسلامية، واستقر به المطاف أخيراً بمدينة تيميمون شمال ولاية أدرار وبها تُوفي شهيدا. في ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة ألف ومائة وستين

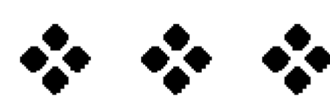
هجرية (ت1160 هـ) بعدما أصيب بمــرض الصــرع. مــن آثــاره المخطوطة أزيد من ثلاثين مخطوطا في مختلف العلوم.

(ينظر ترجمته في: مخطوط تراجم شيوخ عبد الرحمان بن باعومر، ص40 وما بعدها. عبد الرحمان بن باعومر. ومخطوط ترجمة وجيــزة لبعض علماء توات ص20 وما بعدها الشيخ الحــاج محمــد بكــراوي (المنيعة) ومخطوط جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثــاني، ص14. محمد بن عبد الكريم البكري. ومخطوط حول علماء الدغامشة وقورارة ص18 وما بعدها ،ومخطوط رحلة ضيف الله بن محمد بن أبّ، ص11 وما بعدها. ومخطوط العي المصروم شرح نظم ابن أبّ لآجروم ص01. محمد بن بادي الكنتاوي.ومخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص158. مولاي أحمد الإدريسي. و كتــاب الرحيــق المختوم لنزهة الحلوم، ص03 وما بعدها. الشيخ محمد باي بلعالم. مطبعة باتنه وكتاب الدر المنظوم شرح مقدمة بن آجــروم . مــولاي أحمــد الإدريسي ط1 ص16 و17 غرداية، وكتاب الرحلة العلية إلى منطقــة توات ج1 ص89 وما بعدها وكتاب سلسلة النواة ج01 ص105 ومــا بعدها، وكتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص111. سيدي عمر عبد العزيز. وكتاب إقليم توات خلال القرنين18 و19م، ص99 وما بعدها. فرج محمود فرج. وكتاب محمد بن أبّ المُزَمّري حياته وآثــاره ص59 وما بعدها. وكتاب مجموع المكنون في ثلاثة فنون ص03 و04. أبو القاسم بن عبد الرحمان عبد الجليل البادرياني).



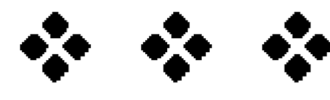
44. **الشيخ سيدي محمد بن بوبكر الزجلاوي**(1091هـ).
هو الشيخ سيدي محمد بن بوبكر بن بلقاسم، بن علي، بن موسى، بن خليل، أخذ عن أبيه سيدي أبي بكر وآخرين. توفي عام(1091هـ) من آثاره المخطوطة: منظومة رائية تحتوي على معرفة تعمير الجدول الخالي الوسط. انتهى من تأليفه سنة(1016هـ) في شهر ذي القعدة. توجد نسخ منه في زوايا الإقليم، كما توجد نسخة منه بمركز أحمد بابا بتمبكتو (مالي) تحت رقم6269.

(ينظر: تقييدات مختلفة في نسب الأنصار بتوات موجودة بخزانة الحاج محمد الشيخ أنزجمير، وخزانة السيد عبد القادر نيكلو أدرار، وفهارس مركز أحمد تمبكتو مالي. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص127).



45. **الشيخ سيدي محمد** (1188هـ) بن البكري بن عبد الكريم.
هو سيدي محمد بن سيدي البكري بن عبد الكريم بن امحمد بن محمد بن ميمون بن عمرو بن عمار البازي ولد سنة(1081هـ) بتمنطيط وبها درس على يد والده الشيخ سيدي محمد البكري، واخذ بعد ذلك على الشيخ سيدي محمد الصالح بن عبد الرحمان الميموني، والشيخ سيدي علي بن حنيني. خصه أبوه بالتصرف وإدارة شؤون زاويته المشهورة دون باقي إخوته فانتقل إليها الشيخ سيدي محمد سنة(1117هـ) واتخذها مسكنه النهائي حتى توفاه الله بها ليلة الإثنين عشرين من شهر صفر سنة(1188هـ).

(ينظر: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص92 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص143 وما بعدها).

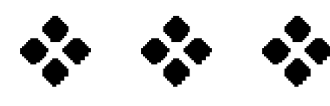


46. **الشيخ سيدي محمد**(909هـ) بن عبد الكريم المغيلي. هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس... ويصل نسبه من جهة أبيه إلى الحسن المثنى ابن فاطمة الزهراء(رضي الله عنها) إلى الرسول(ص) ولد الإمام بتلمسان ودرس بها فترة من الزمن ثم انتقل إلى الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة. ومنه إلى بجاية. ثم انتقل أخيرا إلى أرض توات التي حارب بها اليهود وهدم كنائسهم. ثم انتقل من هناك إلى أرض السودان واتصل بعدة أمراء وملوك لتكون عودته النهائية إلى أرض توات(ولاية أدرار) وبها توفي بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنتة سنة(909هـ).

(ينظر: مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات. خزانة بن الوليد أدرار. ومخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بالإقليم. ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص19. سيدي محمد بن عبد الكريم. خزانة كوسام. ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص147. الحاج محمد بلعالم. ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر العلماء التواتية ص13، وأسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي. تحقيق الأستاذ عبد القادر زبايدية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع.

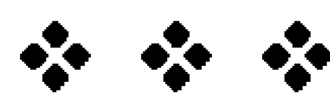
الجزائر سنة1974. وأعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. د. يحي بوعزيز ج2 ص143 وما بعدها .ط1، 1995م دار الغرب الإسلامي. والإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية ص92 مبروك مقدم ط1 1422 هـ2002م. مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان. والبشرى شرح المرقاة الكبرى ص104. عبد القادر الكسنمي. مطبعة المنار تونس وتاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ص15 وما بعدها. تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم بيروت سنة1415هـ1994م. وتاريخ الجزائر العام. عبد الرحمان شيبان ج3 ص71 وما بعدها، ط6 بيروت1403هـ،1983م. دار الثقافة بيروت لبنان، وتاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين .أ. د يحي بوعزيز. دار هومة. الجزائر 2001. والحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من400 هـ إلى 1100هـ. في عهد المماليك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن4هـ و11م ص107 أ.د. أبو بكر إسماعيل ميقا. مكتبة دار التوبة ط1، 1417هـ 1997م. والمجلة الجزائرية للمخطوطات. العدد الأول ربيع الثاني1424هـ جوان2003م في محاضرة بعنوان: (محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة) ص34 للأستاذ أحمد الحمدي. ومجلة رسالة المسجد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر. السنة الثالثة، العدد الثاني صفر1426/مارس/أفريل2005. موضوع(أضواء على حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي

أشهر تلامذة سيدي عبد الرحمان الثعالبي). للأستاذ الحسين يختار. ومصباح الأرواح في أصول الفلاح للإمام المغيلي ص09. تحقيق أ.رابح بونار. الشركة الجزائرية للنشر1968. الجزائر. ومعجم مشاهير المغاربة ص505. أبو عمران الشيخ وآخرون جامعة الجزائر1995م. والمعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي ص219/دار الغرب الإسلامي المملكة المغربية. ونيل الابتهاج بتطريز الديباج ص151. للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. دار الكتب العلمية بيروت).



47. **الشيخ سيدي محمد**(1192هـ) بن عبد الله بن محمد البكري. ولد في ربيع الثاني من سنة(1123هـ). أخذ عن الشيخ سيدي محمد الزجلاوي وعن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني، وكان كثير الإطلاع، وأحد شيوخ الشورى الأربعة في الإقليم توفي بتمنطيط في شهر محرم سنة(1192هـ).

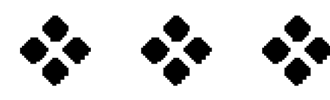
(ينظر: مخطوط جوهرة المعاني ص16. والتاريخ الثقافي ص81).



48. **الشيخ سيدي محمد**(1198هـ) بن المبروك البداوي الجعفري هو ابن سيدي أحمد بن محمد عبد الله بن محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن إسماعيل بن إدريس بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. أخذ عن الشيخ سيدي امحمد الونقالي وعن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني. توفي على الأرجح في الثامن عشر من

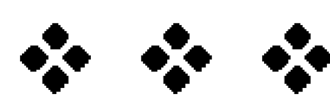
شهر شعبان سنة(1198هـ) وقيل (1195هـ) وقيل سنة (1196هـ). من آثاره ديوان شعري ضخم. بالإضافة إلى عديد القصائد الملحونة.

(ينظر: مخطوط الدرة الفاخرة ص07. وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات. ص115 وما بعدها. وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة تـوات ج1 ص122 ومابعدها. وكتاب سلسلة النواة ج01 ص109 وما بعدها).



49. **الشيخ سيدي محمد**(1241هـ) بن المختار الكنتـي. هـو الابـن الخامس للشيخ سيدي المختار الكنتي. ولد حوالي (1179هـ). درس على يد والده وتجول في عدة مناطق أفريقية خلفه أبوه بعد وفاته سنة(1226هـ) فكان نافعا مصلحا، شارك في فضّ عديد النزاعات بين القبائل والأفراد، واستمر على ذلك مدة خمسة عشرة سنة حتى تـوفي سنة(1241هـ).

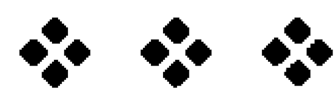
(ينظر: كتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص121. وكتـاب كنتـة الشرقيون. تأليف بول مارتي. تعريب محمد محمود ولد ودادي ص77 وما بعدها. مطبعة زيد بن ثابت دمشق .سوريا).



50. **الشيخ سيدي محمد التواتي**(ق09هـ) كانت له زاوية مشهورة ببجاية في القرن التاسع هـ(09هـ) وعُرف الرجل بشـعره السياسـي الذي حرض به أهل وهران على التصدي للغزو الأسباني، والدفاع عن مدينتهم.

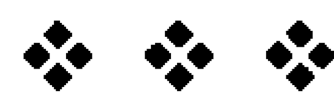
(ينظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. أبو القاسم سـعد الله ج01

ص173. ط3. 1990. دار الغرب بيروت لبنان، و موسوعة الشعر الجزائري، ص183/184 ج1. إنجاز: أ.د. الربعي بن سلامة وآخرون ط1. 2002. دار الهدى، عين مليلة، الجزائر).



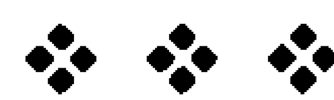
51. **الشيخ سيدي محمد الصالح**(1139هـ) بن البكري، أخذ عن والده الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم... توفي بتمنطيط الخامس من شهر رمضان سنة(1139هـ).

(ينظر: مخطوط جوهرة المعاني ص55. والتاريخ الثقافي ص78).



52. **الشيخ سيدي محمد الصوفي بن أبو امحمد بن أحمد بن أبي بكر البادرياني**، أسس الشيخ سيد الحاج محمد الصوفي زاويته المشهورة ببادريان في القرن الحادي عشر بتاريخ التاسع من شهر صفر عام ثلاثة وثلاثين وألف(1033هـ) وكان ذلك بنص وصية مشهورة ومعلومة.

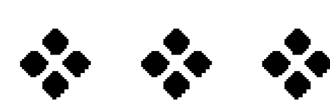
(ينظر وصيته. خزانة قصر بادريان أدرار).



53. **الشيخ سيدي المختار**(1226هـ) بن سيدي أحمد بن أبي بكر الكنتي ولد سنة(1142هـ) بإقليم أزَوَاد درس أولا على يدَي أخيه الأكبر وعلى جده لأمه ثم انتقل إلى مدينة تمبكتو وبعدها اتصل بشيخه سيدي علي بن النجيب وعنه أخذ معظم علومه، وعنه أيضا أخذ أوراد الطريقة القادرية. عاش حياته متنقلا في إقليم أزواد الواقعة بين شرق

موريتانيا وغرب النيجر وجنوب الجزائر. توفي يوم الأربعاء الخامس من شهر جمادي الأولى عام(1226هـ) عن عمر ناهز الرابعة والثمانين سنة. من آثاره عشرات المخطوطات في مختلف الفنون منها: ألفية في العربية، بلوغ الوسع في شرح الآيات التسع، تفسير البسملة، زوال الإلباس في طرد الوسواس الخناس، فتح الودود شرح المقصور والممدود، نضار الذهب في كل فن منتخب، وغيرها من المؤلفات وقد عدها بعضهم (314) مؤلفا. ويوجد حاليا بنيامي النيجرية مركز مخطوطات باسمه لمؤسسه أحمد دمة الكنتي وبه عشرات المخطوطات كما أخبرني مؤسسه.

(ينظر: مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد. الشيخ سيدي محمد بن المختار، وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات ص120 وما بعدها. وكتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص152 وما بعدها. وكتاب كنتة الشرقيون. تأليف بول مارتي. تعريب محمد محمود ولد ودادي ص39 وما بعدها. مطبعة زيد بن ثابت دمشق –سوريا. وكتاب المقصور والممدود ص09 وما بعدها).



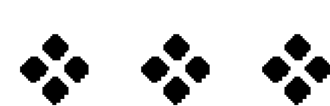
54. **الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي(670هـ)** هو أبو داوود سليمان بن مولاي علي الشريف الملقب بـ(أوشن) ينتهي نسبه إلى إلى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن سيدنا علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما. درس بفاس على يد الشيخ سيدي علي بن حرزهم وهو الذي أمره بالسفر والاستقرار بأرض توات وكان

ذلك تحديدا بعد صلاة الجمعة من شهر رجب سنة580هـ. و في خبر سفره إلى توات ونزوله ببعض قصورها روايات وأحاديث كثيرة. كان من أجل الناس قدرا في عصره، انتفع به خلق كثير من سكان الإقليم وهو ما جعل الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان(1139هـ) يرثيه بقوله:

سيدي سليمان نجل علي	**وفسيل ابن حرزهم في الطريقة**
فقت مجدا وسؤددا وكمالا	**وسلوكا شريعة وحقيقة**
قد حللت توات كالبدري يسري	**تهزم الظلمات منهم الشريقة**
وملكت أزمة العز والتصريف	**فيها مع الصفات الأنيقة**
وبسطت يديك بالجود تعطي	**كل ذي أمال ثيابا صفيقة**
ومنحت الزوار كل مرام	**دوحه سر بالغصون الوريقة**
وهديت من الخلائق جما	**للهدى بعد هونهم بسحيقة**

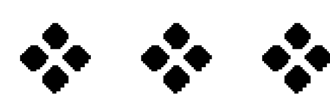
ويقال أيضا أنه أول شريف إدريسي نزل بأرض توات وفي رواية هو أول من أسس الزوايا بالإقليم التواتي. ولد بأرض المغرب الأقصى سنة546هـ وتوفي سنة670هـ.

(ينظر: تقييد رقم(01) مخطوط حول نسبه عند أحفاده بقصر أدغا، وتقييد رقم(02) مخطوط حول نسبه عند أحفاده بقصر أدغا وأولاد علي، ومخطوط درة الأقلام للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم ص35 وما بعدها).



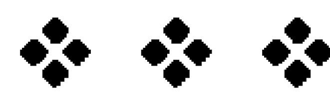
55. **الشيخ سيدي مولاي عبد الله الرقاني(1148هـ)** هو ابن سيدي مولاي علي بن سيدي مولاي الزين بن سيدي حمٌ بن الحاج الحسني، ولد بقرية تاوريرت سنة(1093هـ). نشأ عند أخواله بقرية تاوريرت من قرى رقان، ولما بلغ سن الثامن من عمره تكفل به ابن عمه مولاي عبد الله بأمر من الوالد سيدي مولاي علي. أخذ عن ابن خاله الشيخ محمد المصطفى مبادئ الفقه الأولى وبعد وفاة الشيخ انتقل إلى مجلس ابن عمه الشيخ سيدي أحمد الصوفي. كما أنه أخذ بعد كبره عن الشيخ سيدي محمد بن أبي زيان القندسي. كان الشيخ مولاي عبد الله واسع الإطلاع، عاش في الزاوية الكنتية فترة من الزمن ثم انتقل إلى جوار قبر الشيخ المغيلي بزاويته ومكث مدة من الزمن، ثم انتقل أخيرا إلى أرض رقان وهناك استقر به المقام وأسس مسجده وزاويته إلى أن توفي سنة(1148هـ) ودفن عند الضحى.

(ينظر: مخطوط الدرة الفاخرة ص11. وكتاب سلسلة النواة ج01 ص21 وما بعدها.ومحاضرة الحاج امحمد الكنتي حول حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني)



56. **الشيخ سيدي مولاي عبد المالك الرقاني(1207هـ)** هو ابن الشيخ سيدي مولاي عبد الله الرقاني بن سيدي مولاي علي بن سيدي مولاي الزين بن سيدي حمٌ بن الحاج الحسني. أخذ عن والده، وكان يمتاز بحسن صوته في قراءة القرآن توفي يوم السبت الثاني عشر أو الرابع عشر من شوال عام(1207هـ).

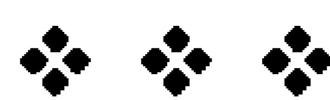
(ينظر: كتاب سلسلة النواة ج01 ص34 وما بعدها، وفتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. للبرتلي ص201، ومحاضرة الحاج امحمد الكنتي حول حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني).



57. **الشيخ سيدي مولاي علي**(ق12هـ) بن مولاي أمحمد الحاج

يعد أبوه مولاي امحمد الحاج من أكبر أبناء سيدي حمو بلحاج، حل بأرض زاوية كنتة في شهر شعبان(1064هـ). وهو جد شرفاء قصر زاوية كنتة وكثير من قصور الولاية أدرار، وله ذرية داخل الوطن وخارجه في نواقشط وتونس وفرنسا. توفي الشيخ مولاي أمحمد الحاج صبيحة الخامس من شهر رمضان(1101هـ). أما ابنه الشيخ مولاي علي فلم نعثر على شيء من ترجمته.

(ينظر: محاضرة أولاد أسي حمو بلحاج والتواجد بتوات. الأستاذ مولاي عبد الله سماعيلي ص05 وما بعدها).

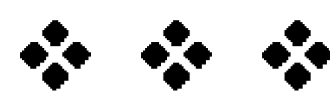


58. **الشيخ سيدي مولاي علي** (ق12هـ) بن سيدي مولاي الزين

بن سيدي حمو بلحاج. عرف بالتقوى والصلاح. دخل إقليم توات أولا تاجرا وتزوج في قرية تاوريرت برقان جنوب الولاية أدرار. وأنجب ابنا سُمّي مولاي عبد الله وهو أحد أولياء جهة رقان وله زاوية مشهورة بها إلى الآن. كان الشيخ مولاي علي متضلعا في علوم اللغة العربية. ولد أبو ه مولاي الزين في شهر ذي الحجة سنة(1031هـ) ودخل

تـــوات قادمـــا مـــن أرض المغـــرب فـــي منتصـــف شـــهر محـــرم سنة(1060هـ). توفـــي في شهر شعبان سنة(1100هـ).

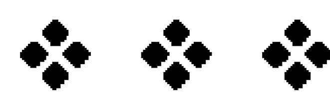
(ينظر بعض التقاييد عن العائلة الرقانية. خزانة قصـــر باعبـــد الله أدرار. ومحاضرة الأستاذ مولاي عبد الله سماعيلي: أولاد أسي حمـــو بلحاج والتواجد بتوات ص07 وما بعدها. ومحاضـــرة الحـــاج امحمـــد الكنتي عن الشيخ مولاي عبد الله).



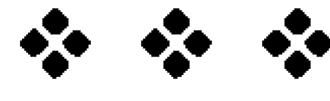
59. الشيخ سيدي يوسف بـــن سيـــدي عبد الحفيـــظ بـــن محمد بن عبد الحميد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف التنلانـــي.

عاش فـــي القرن الثالث عشر، وكان شاعرا فحلا.

(ينظر: كتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01 ص37. وكتـــاب قطف الزهرات ص81).



ومن أعلام الحركة الأدبية في إقليم توات أيضا الوارد ذكرهم في كتب ومخطوطات[42] علماء الإقليم، والذين لم نتمكن من الوقوف على تراجمهم، أو بعض من آثارهم الأدبية نذكر:

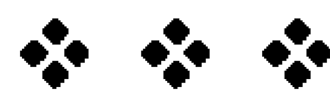


---

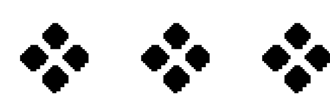
42. اعتمدنا في إثبات هذا التقييد على المصادر والمراجع التالية:

- مخطوط جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني. محمد بن عبد الكريم. خزانة المطارفة أدرار.
- مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. محمد بن عبد الكريم .خزانة المطارفة أدرار.
- تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني. خزانة باعبد الله أدرار.
- مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية. محمد بن عبد القادر بن عمر. خزانة كوسام أدرار.
- القول البسيط في أخبار تمنطيط. محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم. تحقيق فرج محمود فرج. د، م، ج الجزائر1977م.
- مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات. مولاي أحمد الإدريسي. خزانة كوسام.
- ما جاء مسجلاً في بعض التقييدات الخاصة بعلماء القرن12 هـ في كل من خزائن. كوسام، باعبد الله، المطارفة، أولف وتمنطيط.
- كتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات. سيدي عمر عبد العزيز. مطبعة دار هومة –2002 الجزائر.

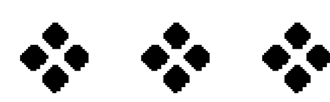
60. **الشيخ سيدي أحمد**(1157هـ) بن الحاج لمين القبلاوي.
أخذ عن الشيخ سيدي مصطفى الغلاوي توفي بتدكلت سنة(1157هـ)



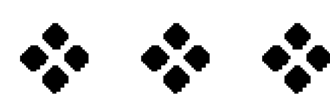
61. **الشيخ سيدي أحمد**(ق12هـ). بن محمد عبد الله الجعفري البحامدي.



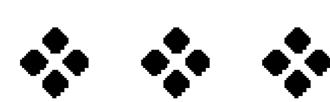
62. **الشيخ سيدي إدريس**(1182هـ) بن عمر بن عبد القادر، أخذ عن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر. توفي بتنلان سنة (1182هـ).



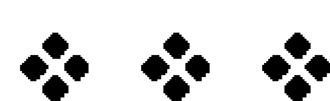
63. **الشيخ سيدي امحمد بن محمد بن يدّ الإقسطني.**



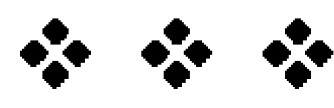
64. **الشيخ سيدي باحمو**(1184هـ) بن الحاج محمد بن الحسن.
أخذ عن الشيخ سيدي أمحمد بن عبد الله الونقالي. توفي بأولاد وشن. توات سنة(1184هـ).



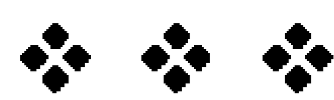
65. **الشيخ سيدي بلقاسم بن أحمد**، توفي بقصر ملوكة سنة(1125هـ).



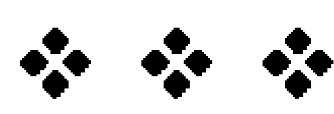
66. **الشيخ سيدي بلقاسم**(1161هـ) بن عبد الله بن أحمد البداوي. أخذ عن الشيخ سيدي الغماري. توفي سنة(1162هـ).



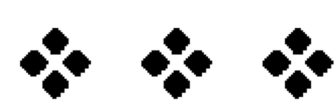
67. **الشيخ سيدي بوزيان**(1181هـ) بن عبد الرحمان، أخذ عن علماء فاس بالمغرب. توفي سنة(1181هـ).



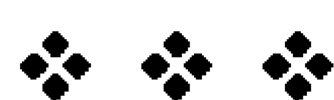
68. **الشيخ سيدي بومدين بن بوبكر بن الحاج محمد.** أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عبد الرحمان بن باعومر التنلاني. توفي سنة(1192هـ).



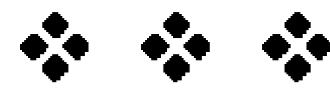
69. **الشيخ سيدي الحسن**(1169هـ) بن الصالح بن البكري. أخذ عن والده الشيخ سيدي الصالح بن البكري. توفي بتمنطيط سنة(1169هـ).



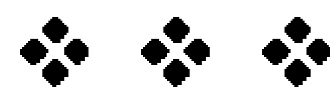
70. **الشيخ سيدي خالد**(1111هـ) بن عبد الرحمان بن عمر. توفي بأرض قورارة سنة(1111هـ).



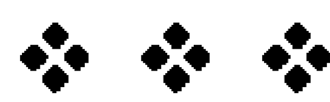
71. **الشيخ سيدي سعيد**(ت1196هـ) بن عومر، أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني، توفي بقورارة سنة(1196هـ).



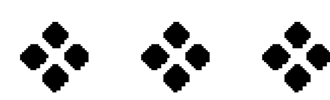
72. **الشيخ سيدي الشاذلي**(1173هـ) بن عومر بن عبد القادر. أخذ عن والده الشيخ سيدي عومر بن عبد القادر. توفي سنة(117هـ).



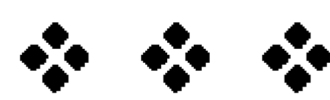
73. **الشيخ سيدي الصالح بن محمد الغماري**، توفي سنة1168هـ.



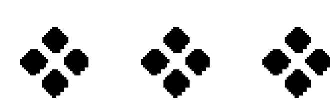
74. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(1160هـ) بن إبراهيم. أخذ عن الشيخ سيدي عبد العالي بن أحمد توفي بتوات سنة(1160هـ).



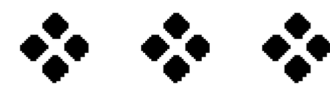
75. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(ق12هـ) بن علي التزلاغتي.



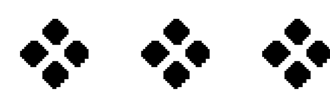
76. **الشيخ سيدي عبد الرحمان**(1148هـ) بن محمد الجوزي. أخذ عن والده الشيخ سيدي محمد الجوزي. توفي بقورارة سنة(1148هـ).



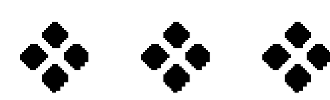
77. **الشيخ سيدي عبد الكريم**(1191هـ) بن الحسان. أخذ عن الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله الونقالي. توفي ببودة سنة(1191هـ).



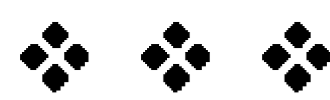
78. **الشيخ سيدي عبد القادر**(1140هـ) بن البكري بن عبد الكريم. أخذ عن والده الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم .خلف والده في القضاء في إقليم قورارة .توفي بتمنطيط سنة (1140هـ).



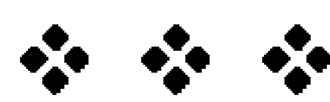
79. **الشيخ سيدي عبد القادر بن عمر**، توفي بمقر زاويته سنة(1121هـ).



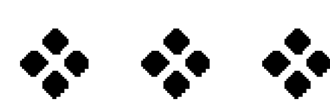
80. **الشيخ عبد الكريم بن صالح القراري**.



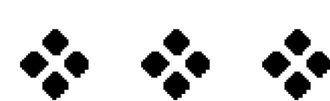
81. **الشيخ سيدي عبد الله** (1134هـ). بن محمد بن عبد الكريم.



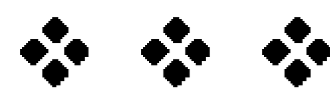
82. **الشيخ سيدي عبد المالك التجمعتي**.



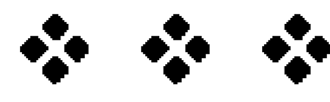
83. **الشيخ سيدي عمر**(ق13هـ) بن عبد الرحمان التنلاني



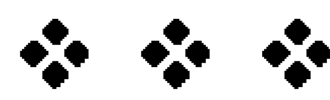
84. **الشيخ سيدي المامون**(1244هـ) بن سيدي مبارك البلبالي.



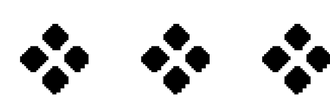
85. **الشيخ سيدي محمد**(ق12هـ) بن أحمد بن أبي بكر الودغاغي



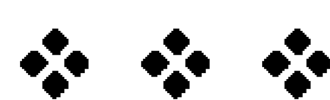
86. **الشيخ سيدي محمد**(1118هـ) بن دين الله التطافي. أخذ عن الشيخ سيدي محمد بوكليخة التلمساني. توفي سنة(1118هـ).



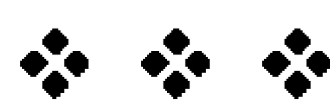
87. **الشيخ سيدي محمد**(1233هـ) بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني.



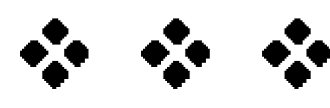
88. **الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي**. توفي سنة(1244هـ).



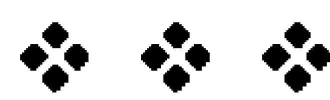
89. **الشيخ سيدي محمد**(1195هـ) بن عبد الكريم بن أحمد. أخذ عن والده الشيخ سيدي عبد الكريم. توفي بتمنطيط سنة(1195هـ).



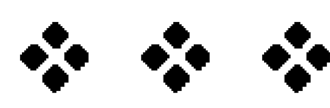
90. **الشيخ سيدي محمد بن عبد الله بن سيدي الحاج محمد (تيميمون).**



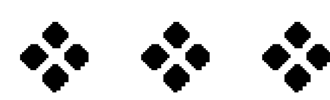
91. **الشيخ سيدي محمد**(1181هـ) بن عبد الوهاب. أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن ابراهيم الجنتوري. توفي بقورارة سنة(1181هـ)



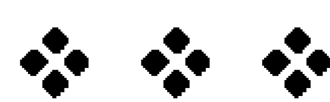
92. **الشيخ سيدي محمد**(1163هـ) بن علي. أخذ عن الشيخ محمد الصغير.



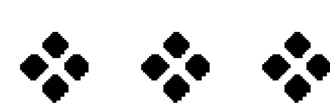
93. **الشيخ سيدي محمد**(1113هـ) بن عمر. توفي بقورارة.



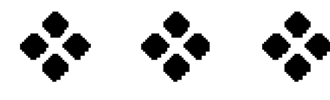
94. **الشيخ سيدي محمد**(1212هـ) بن عمر توفي بأولاد ونقال (توات).



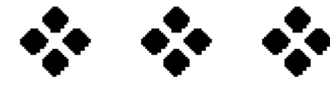
95. **الشيخ سيدي محمد**(1191هـ) بن محمد بن يدّ. أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر. توفي بأولاد سعيد قورارة سنة(1191هـ).



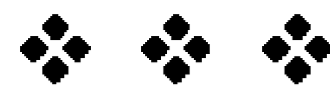
96. **الشيخ محمد بن يعقوب الوقروتي.**



97. **الشيخ سيدي محمود بن الحاج أحمد.**



98. **الشيخ سيدي مولاي أحمد بن الطاهر.**



ومع هؤلاء وغيرهم كان اللسان المحلي يتفصح ويتحلى بحلاوة العلم والمعرفة شيئا فشيئا. ومعهم أيضا أخذت علوم العربية قسطها الأوفر من العناية والدراسة، وتخصص فيها جملة من العلماء فألفوا في ذلك كتباً نحوية وصرفية وبلاغية وعروضية وغير ذلك. وبالمقابل فاضت مشاعر آخرين في أحضانها فكانت لنا هاته القيم الشعورية المترجمة في قيم تعبيرية راقية. ويعد القرنان الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، عصرين ذهبيين في تاريخ الإقليم بالنظر للعدد الهائل من العلماء والأدباء الذين نبغوا فيه "ذلك أن الإقليم لم يخضع للدولة العثمانية كما خضعت لها معظم البلدان العربية وسَلِمت اللغة العربية من مزاحمة اللغة التركية"[43].

---

43. إقليم توات خلال القرنين 18- 19 م. فرج محمود فرج ص 43.75

وإذا حاولنا أن نلقي نظرة عامة على أهم المؤلفات الأدبية في هـذا القرن، فإننا نجد أن جل إنتاج هذه المرحلة قد ضاع مما ضـاع مـن مخطوطات الإقليم، وذلك بفعل عوامل الطبيعة القاسية، أو بفعل عوامل الإنسان[44] نفسه ويكفي أن نشير أنه " قبل عملية النهب والضياع التـي تعرض لها المخطوط في الولاية، والتي بدأت قبل القـرن17 الميلادي كان يوجد سبعة وعشرون ألف مخطوط"[45]، وفي آخر إحصاء لجمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بولاية أدرار، والذي شـمل29 خزانـة، تبين أن هناك ثلاثة آلاف مخطوط شبه مفهرسة فقط من مجموع اثنـي عشرة ألف مخطوط تم إحصائها. ولقد مر هذا النشـاط الأدبـي فـي مسيرته التاريخية بالإقليم في مسار محدد ومعلـوم، وعبـر مـواطن ومحطات متعددة ومختلفة .

44. يذكر كثير من أصحاب الخزائن الذين تحدثنا إليهم أن السلطات الفرنسية أخذت معها العديد من هذه المؤلفات إبان الحقبة الاستعمارية كما هو الأمر مع خزانة زاقلو وزاوية كنته وأقبلي وملوكة وغيرهم. كما ذكر صاحب كتاب إقليم توات خلال القرنين18و19م. فرج محمود فرج. أسماء بعض هذه المخطوطات الموجودة حالياً بالمكتبة الوطنية بفرنسا.ينظر ص93 و101.
45. دليل ولاية أدرار 1999 م، ص17، مكتبة (ج.أ.د.ت. أدرار).

المبحث الثانـي

مواطـــن الـــدرس الأدبــــي ومســـــاره

أ) مواطـــن الـــدرس الأدبـــي:

لقد انقسم موطن علماء أقاليم توات في تعليمهم وتعلمهم إلى موطنين أساسيين، أولاً: الزوايا والمدارس القرآنية العامة المنتشرة في كل أقطار الإقليم والتي ساهمت كثيراً في توفير المأوى والمطعم وكل ما يحتاجـــه الزوار إلى هذه الديار، وفي ذلك يقول الشيخ مولاي أحمـــد الطـــاهري واصفاً الإقليم وزواياه: "ومن عادتهم إكرام الضيف، والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فإذا كـــان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للأضياف فإن المســـافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه هو ومن معه، فيجد حتى علف الدواب... وما أكثر هذه الزوايـــا فـــي ذلـــك القطـــر العزيـــز المبارك"[46]، وثانياً الخزانات الشعبية والدور الخاصة التي كان العلماء يترددون عليها ليشكلوا حلقة درسهم وتعلمهم، وهو ما يمكـــن اعتبـــاره جميعاً موطناً أساسياً من مواطن الدرس اللغوي والأدبي معا بـــالإقليم، ذلك أن علماء الإقليم وبعد تفرغهم من وقفات تدريسهم في موضوعاتهم اللغوية والأدبية المختلفة، يلجئون إلى تدوينها ونسخهـــــا، بـــل وإلـــى

46. مخطوط نسيم النفحات، ص34 مولاي أحمد الطاهري.

شرحها والتعليق عليها حتى يسهل فهمها ومتابعتها من الطلبة المتمدرسين من جهة، أو تورث للأجيال اللاحقة من جهة أخرى.

والزاوية اسم "يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني... عرفت في أوائل القرن(08هـ) وكانت تطلق على مكان معد للعبادة، كالمسجد، ويشتمل على المرافق للطلبة المجاورين بها، وإيوائها للواردين عليها وعابر السبيل، وقيل أنها عرفت في المغرب بعد القرن(05هـ)، وسميت في بادئ أمرها دار الكرامة ثم دار الضيافة"[47]، وهذه قائمة أسماء أهم الزوايا والمدارس القرآنية[48] التي احتضنت هذه الحركة في مجملها منذ نشأتها وحتى نهاية القرن(13هـ) وهي مرتبة بحسب تاريخ تأسيسها مع ذكر مؤسسها، ومكان تواجدها.

---

47. وايا العلم والقرآن بالجزائر، ص30 محمد نسيب. دار الفكر الجزائر.

48. يقصد بالزاوية عند أهل توات هي تلك الصدقات الجارية التي يحبسها الشخص في حياته وبعد وفاته من خلال نص موثق ومحدد، لينتفع بها عامة الخلق، ويحبس لها جملة من الأملاك ولها مكان وموقع خاص، ويشرف عليها الشخص المؤسس ذاته في حياته، وبعد وفاته يتعاقب عليها(مقدمين) على التوالي. وتنقسم الزوايا بذلك إلى ثلاثة أنواع : زاويا الضيافة، زوايا العلم، زوايا الضيافة والعلم معاً.

- جدول لأهم مواطن الدرس الأدبي بالإقليم قبل وبعد القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين

ب) مســـار الدرس الأدبـــي:

لقد شكل إقليم توات وعلى مر التاريخ دوراً تاريخياً هاماً فـــي مـــد جسور التواصل بين مدن الشـــمال والجنـــوب، أهلـــه لـــذلك موقعـــه الإستراتيجي الهام الذي يتوسط فيه كبريات العواصم التجارية والعلميـــة آنذاك، بالإضافـــة إلى نشاطه الاقتصـــادي الداخلي المميـــز "حتـــى أن كثيـــراً من الحجاج قديماً لما غلا صرف الذهب في تفلالـــت أخّـــروا الصرف إلى توات لأن الذهب بها أرخص، وكذلك سعر القـــوت مـــن الزرع والتمر، وهذه البلدة هي مجمع القوافـــل"[49]. ومع هذه الرحلات الخارجية والداخلية للتجار والعلماء تعبد مســـار الـــدرس اللغـــوي والأدبي معا على مر العصور، ورسم لنفسه طرقاً واتجاهـــات مختلفـــة ومتعـــددة.

وإذا حاولنا أن نتتبع هذا المسار في مسافاته المختلفـــة مـــن وإلـــى الإقليم، فإننا لا نجده يخرج عن طريق القوافل التجارية التي كانت تفـــد إلى الإقليم وترحل عنه باستمرار، وهذا بالنظر إلى طبيعـــة الصـــحراء وظروف التنقل فيها، وهو ما تحدث عنه كثير من العلمـــاء والرحالـــة الذين زاروا الإقليم[50]. فكانت القافلة التجارية تأتي إلى الإقلـــيم وفيهـــا الكثير من التجار والعبيد وبين جنباتهم كان يتسلل الكثير مـــن العلمـــاء

49. الرحلة العياشية. أبو سالم العياشي. الجزء الأول. ص21.

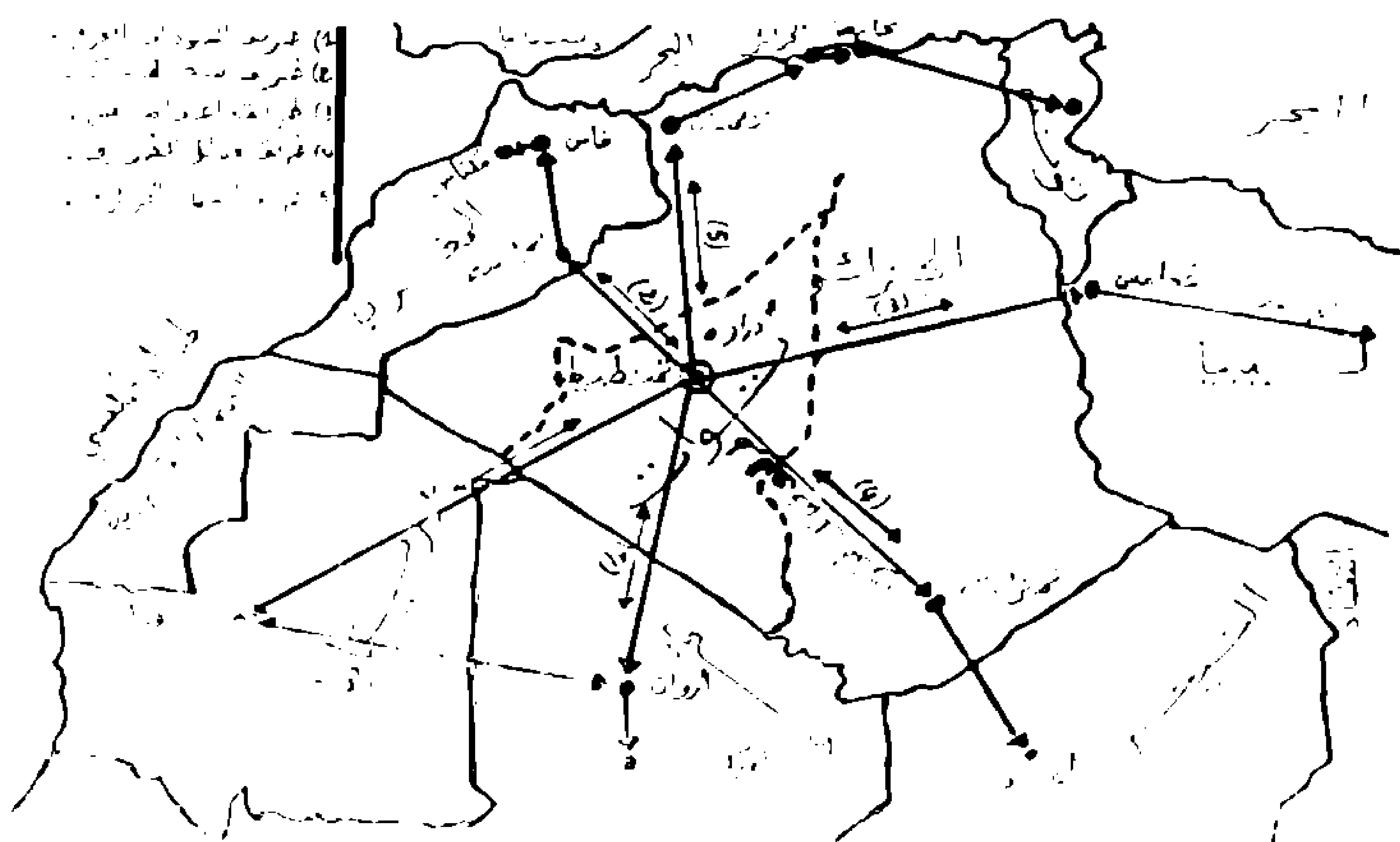
50. ينظر رحلة بن بطوطة، ص699. ورحلة العائلة الرقانية إلى الإقليم، ص02 وما بعدها. مخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

الداعين إلى الله أو الفارين من بطش العباد ، وكانت هذه القوافل التجارية للإقليم التواتي لا تكاد تخرج في مسارها عن محاور أساسية[51] هي:

1. طريق السودان الغربي الذي يربط الإقليم بمنطقة مالي وموريتانيا.
2. طريق سجلماسة وهو الذي يربط الإقليم بمنطقة المغرب الأقصى.
3. طريق أغدامس وهو الذي يربط الإقليم من جهة الشرق بليبيا ومصر.
4. طريق قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.
5. طريق الشمال الجزائري وهو الذي يربط الإقليم بمدن الشمال كتلمسان ووهران والجزائر وبجاية.

---

51. إقليم توات خلال القرنين18 و19م، فرج محمود فرج، ص70.
وينظر أيضا: مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط .أ.الماحي عبد الرحمان عمر. مجلة طريق القوافل ص65. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ2001.
وينظر خريطة طرق القوافل من وإلى الإقليم في الملحق.



أما في داخل الإقليم فإن مسار هذا الدرس قد رسمته وحددته كبريات العواصم العلمية فيه، انطلاقاً من مدينة تمنطيط العاصمة الثقافية آنذاك باتجاه الشمال أو الجنوب، شمالاً باتجاه الزاوية البكرية، ثم زاوية مهدية وتنلان، ثم مدرسة كوسام وبودة، ومنه إلى مدرسة المطارفة، ثم زاوية سيدي عومر، ثم دلدول، فالواجدة وزاوية الحاج بلقاسم بتيميمون، ثم زاوية بدريان وأولاد سعيد وأولاد عيسى، وأخيراً زاوية الدباغ بضاحية تينركوك. أما المسار الجنوبي انطلاقاً من العاصمة الثقافية دائماً فهو يقف أولاً عند زاوية سيدي عبد القادر بفنوغيل، ثم زاوية الكنتي بالجديد، فزاوية زاقلو وبوحامد، ثم إلى الزاوية الكنتيه ومنه إلى مدرسة الشيخ المغيلي ببوعلي، ثم مدرسة انزجمير ورقان، وأخيراً زاوية مولاي هيبة، وزاوية حينون وأقبلي بناحية تيدكلت[52].

ولقد جعلت هذه الطرق جميعها من الإقليم نقطة التقاء وتواصل بينها وبين جميع تلك الشعوب المجاورة، وهو ما انعكس إيجاباً على الحياة الثقافية بالداخل، واستفاد منه علماء الإقليم وأفادوا غيرهم في كثير من المسائل والقضايا المختلفة[53]، وعَرفت هذه الفترة قفزة نوعية انعكست

---

52. ينظر خارطة مواقع الزوايا والخزائن في الملحق.

53. ذكر الدكتور فرج محمود فرج في كتابه إقليم توات خلال القرنين18 و19م أن حضور علماء توات في العواصم العربية والإسلامية كان قوياً في هذا العصر ويذكر من جملة العلماء الذين خرجوا من الإقليم. الشيخ أبو القاسم التواتي الذي كان إماماً في جامع سنكري بتنبكتو، ومنهم الشيخ أبو الأنوار=

إيجاباً على نتاج هـؤلاء العلماء جميعاً. وأودع كـل ذلـك فـي دور وخزائن خاصة، لكن هذا الموروث الثقافي ومع مرور الأيام، وبـالنظر إلى الظروف البيئية القاسية التي يحياها الإقلـيم فـي حـرارة صـيفه الشديدة، وبرودة شتائه القارصة من جهة، وبالنظر إلى عامل الإنسـان نفسه وفي كثير من الأحيان بقصد أو بغير قصد، بالنظر إلى كل هذا لم يكن ليصمد طويلاً لولا كثرته من جهة ولولا وقوف بعـض الغيـورين على هذا الإرث من جهة أخرى، وفي مقدمتهم شيوخ وأرباب الزوايـا والخزائن بالإقليم.

= بـن عبد الكريم الذي عمل مفتياً لفترة طويلة بمدينة تمبكتو، ومنهم الشـيخ محمد بن أحمد، الإمام والمدرس ببلدة أزواد شمال تمبكتو، ومنهـم الأديـب الحسن بن محمد الذي كان يدرس في جنوب ليبيا، ومنهم الشيـخ عمـر بـن عبد القادر الذي كان أستاذاً بجامع القرويين بفاس، ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد التواتي الذي كان معلماً بمدرسة الباي أبي الحسن علي باشا بتونس، والذي يوجد له الآن مخطوطان لغويان بالمكتبـة الوطنيـة بتـونس الأول: (شرح شواهد العربية التي في كتاب سـيبويه) وهـو تحـت رقـم5428، والثاني: (شرح لامية الأفعال) وهو تحت رقم8955. إقلـيم تـوات ص114 ومـا بعدها.

الفصـــل الثانـــي

واقـع الحركـة الأدبيـة قبـل القرن 12هـ/18م

المبحث الأول

واقع الحركة الأدبية قبل القرن12هـ/18م:

لما كانت البيئة التواتية بيئة دينية صرفة بالنظر إلى طابع الإقليم وخصوصيتها في عدد زواياها ومدارسها القرآنية من جهة وفي تراكم مخزونها الإسلامي وكثرة مشايخها من جهة أخرى. ولما كان الأدب هو من أجل الفنون وأكثرها ترجمة للأحاسيس والمشاعر وأقصرها سبيلا للوصول إلى ذهن السامع فإن معظم علماء توات مالوا إلى هذا اللون واتخذوه وسيلة جادة لنقل مشاعرهم وخواطرهم اتجاه قضياهم المختلفة (مدحا، وصفا، تعليما، رثاء، زهدا، وما إلى ذلك) ويضاف إلى كل هذا وذاك بعض الفنون النثرية الأبلغ تأثيرا في السامع، والأقرب وصولا بالفكرة إلى الذهن، مثل فن الخطابة، والوصية وغير ذلك

والحديث بداية عن واقع الحركة الأدبية في منطقة توات حديث يعود بنا إلى قرون غابرة طويلة لا أحد أصبح الآن يقف تحديدا على بدايتها الحقيقية زمكانيا. ذلك أن الروايات التاريخية حول دخول العرب إلى الإقليم واستقرارهم به تبدوا شحيحة ومتضاربة أحيانا. غير أنني قابلت في المدة الأخيرة قبل سنة من الآن تقريبا واحدا من المهتمين[54] بمجال المخطوطات في منطقة نيامي بالنيجر. وأخبرني شخصيا بأنه وقف على مخطوطات وقصائد شعرية لأدباء عاشوا في قصر عزي جنوب

54. هو الشيخ كنته أبا احمد سيدي عمر دمة مدير مركز الشيخ سيدي المختار الكنتي للبحث والتوثيق بنيامي دولة النيجر.

الولاية أدرار حاليا وذلك في غضون القرون الأربعة الأولى ومن توات توجهوا إلى شنقيط. ومعلوم هنا أن هناك من المـؤرخين مـن ينسـب الإقليم في تسميته إلى الروايات العربية في هذا البـاب. وغيـر هـذه الرواية الشفهية لانكاد نعثر خلال هذه القرون الثمانية الهجرية الأولـى على ما يشفي الغليل أو ما يشكل سندا ودعما أساسيا لأي حكم في هـذا الباب رغم ما يتردد هنا وهناك على ألسنة الرواة.

ولعل أقدم نص أدبي وقفت عليه شخصيا في تاريخ الحركة الأدبيـة بمنطقة توات يعود إلى القرن السابع الهجري وما خطه الشيخ مـولاي سليمان بن علي(670هـ) في وصيته الشهيرة التي حبس فيها أمـلاك زاويته حيث قال[55]:" الحمد لله العظيم بجميع اللغات، الموصوف بأكرم الصفات المسبح في الأرض والسماوات. خالق الظلمـات والإشـراق، المكفل للعباد بالأرزاق، الجامع للخلائق يوم التلاق، الملك الذي لم تشمل عليه حدود ولا جهات ولا آفاق. ولم يغب عنه ما هـو فـي الخـواطر والأفكار الذي بيده باطن الأسرار وظاهر الإجهار. علم ما كـان ومـا يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكـون، وكـل شـيء عنـده بمقدارعلم كل شيء قبل كونه فجرى على قصـائده وقـدره. نحمـده ونشكره شكرا ننال ببركاته أعلا مقام، ونبلغ به أبلغ مـرام، ونسـتعينه ونستغفره من ذنوبنا والآثام. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نسكن بها في دار السلام ونتنعم بها إلى النظـر فـي وجـه ذي الجلال والإكرام، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه مـن

55. ينظر نص الوصية في خزانة أحفاده بأدغا وأولاد علي من قصور توات.

خلقه وخليله، صفوة الأصفياء ولبنة التمام ونخبة آل عدنان، المبعوث للأبيض والأحمر والأسود من الإنس والجان بالدين القويم القائم بالحق والهادي إلى الصراط المستقيم. نبي الرحمة، وهادي الأمة صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأهل بيته ما لاح نجم أو أفل وسكب مطر وهطل. اللهم احشرنا في زمرته وحزبه تحت لوائه وقربه مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين يا أرحم الراحمين يا رب العالمين باسمك اللهم ربي وباسم نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"[56].

وبعد أن جاء على مضمون نص الوصية الذي فصل فيه أمور زاويته من بعده خلص في النهاية إلى القول[57]: "اللهم يا رب وحد صفوفنا وكلمتنا وشملنا، بك نستعين وعليك نتوكل، اللهم يا رب لا تسلط علينا من لا يرحمنا ولا يخافك، لا تدخل في زاويتنا ريح ولا شكوك، وأن تقبل منا هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، وأن تجعلنا ومن أعاننا على ازدهار الزاوية التواتية في من وصفهم بقوله العظيم بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إن تُبدُوا الصدقات فنعما هي وإن تُخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾[58].

56. هذا النص جاء قبل نص الوصية في المخطوط مما يجعل فرضية نسبته للنساخ واردة أيضا.

57. ينظر نص المخطوط في خزانة أحفاده بأدغا وقال ناسخه أحمد اليماني بن علي أنه نقله حرفا بحرف في آخر ربيع الأول سنة ثلاثة وخمسين وألف(1053هـ).

58. سورة البقرة الآية271.

وبعد الشيخ مولاي سليمان بن علي في القرن السابع لم تذكر لنا كتب الرواة فيما نعلم أديبا آخر ذاع صيته وخلف لنا نصا أدبيا يمكن الرجوع إليه واستمر الأمر على حاله حتى نهاية القرن التاسع الهجري حيث بدأت هجرة العلماء التلمسانيين للإقليم ومعها نشطت الساحة المحلية من جديد بما أبدعته قرائح سيدي عبد الله العصموني الذي قدم إلى توات من تلمسان سنة(862هـ) ثم ابن أخيه الشيخ سيدي سالم بن سيدي محمد العصموني الذي ولد سنة(882هـ) وتولى قضاء الجماعة بتوات سنة(914هـ) وتوفي سنة(968هـ)[59]. وقبل هذا العالم وفي سنة (882هـ) على الأرجح نزل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي[60] أرض توات قادما من تلمسان وتوفي بالإقليم سنة(909هـ). ومع هؤلاء الأعلام الثلاثة خصوصا نشطت الساحة الأدبية بالإقليم وعكست لنا صور الحياة وما خلفته نازلة اليهود بها. وحول هذه النازلة تحديدا كان الأدب ترجمان الأفكار والآراء وكانت الرسائل والوصايا والقصائد المختلفة في وصف اليهود وكشف طباعهم. وغير هذا

---

59. ينظر تقييد مخطوط حول نسب الشيخ سيدي عبد الله العصنوني. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

60. ينظر المعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي ج2 ص219 وما بعدها. دار الغرب الإسلامي. المملكة المغربية. وكتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. الجزء الثاني حرف الميم ص151 وما بعدها. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. وتاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ص69 وما بعدها .أ. د يحي بوعزيز. دار هومة. الجزائر 2001.

الموضوع كانت للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي تحديدا وقفات أدبية رائعة نذكر من ذلك تمثيلا ميميته[61] المشهورة التي جاءت تحمل بين طياتها أربع أفكار أساسية من مجموع سبعة وعشرين بيتا كما في أرجح الروايات. حيث خاطب في الفقرة الأولى نفسه مهنئا إياه بهذا الحضور الكريم أمام الروضة الغراء والقبة الخضراء، وفي حضرة المختار عليه أفضل الصلاة والسلام وهو بالقرب من منبره وحجرته وصاحبيه أبي بكر الصديق وعمر الفاروق ومن حولهم جميعا الصحابة رضوان الله عليهم وهو الأمر الذي أنساه كل همومه وفتح شهيته للدعاء والتوسل حيث قال في مستهلها.

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَـذَا سَيِّدُ الأُمَمِ وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

وَهَـذِهِ الرَّوْضَةُ الْغَرَّاءُ ظَاهِـرَةٌ وَهَذِهِ الْقُبَّـةُ الْخَضْرَاءُ كَالْحَرَم

وَمِنْبَرُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَحُجْرَتُهُ وَصَحْبُـهُ وَبَقِيـعٌ دَائِـرٌ بِهِـم

فَطِبْ وَغِبْ عَنْ هُمُومٍ كُنتَ تَحْمِلُهَا وَسَلْ تَنَلْ كُلَّ مَا تَرْجُوهُ مِنْ كَرَم

61. ينظر مخطوط القصيدة عند أحفاده بزاوية الشيخ المغيلي. وقد طبعت القصيدة مرات عديدة. مع العلم أن الأستاذ عبد السلام شقور قد نسب القصيدة للقاضي عياض، وقال إن نسخة مخطوط القصيدة موجود بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم359 وأنها تتكون من خمسة وعشرين بيتا. ينظر: القاضي عياض الأديب. عبد السلام شقور ص221 ط 1983/01م. دار الفكر المغربي. المغرب.

وفي الفقرة الثانية راح يخاطب المصطفى(ص) طالبا ضيافته وأمنه، ومذكرا نفسه بفضائل المصطفى(ص) على عامة الخلق أملا في نيل شفاعته وجبر كسره. ثم توجه بعد ذلك كما هو شأن زائر الروضة الشريفة عادة بإسداء التحية لصاحبيه أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ومذكرا بأهمية زيارة هذه البقعة لطاهرة .

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي — فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي — يا من لقاصده أمن من النقم

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي — فبحر جودك مورد لكل ظم

يا سيد الرسل يا من ضيف ساحته — يبيت في الأمن في خير وفي نعم

يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل — يا أفضل الناس في ذات وفي شيم

يا أشرف الأنبياء يا من شفاعته — عمت على الخلق في الوجدان والكرم

يا صفوة الله يا مولى مكارمه — عمت على الخلق من طفل إلى هرم

يا صاحب الحوض يا بحر فضائله — عمت على الخلق من عرب ومن عجم

إني فقير إلى عفو ومرحمة — وأنت أدرى بما في القلب من ألم

وقد أتيتك أرجو منك مكرمة — وأنت أهل الرضى و الجود والكرم

والحال يغني عن الشكوى إليك وقد — عرفت حالي وإن لم أحكه بفم

فاشفع لعبدك واجبــر كسره فلقــد أودى به الكسر مما نال مـــن جرم

يا أحمد يا أبــا بكــر ويــا عمــر نــزيلكم في أمان غيــر منهـــزم

فقــد سعيت إلى أبــواب حجرتكم سعيا على الرأس لا سعيا على القدم

أتى من أم القرى يرجوا القرى كرما من سادة هم بحار لجــود والكــرم

فــإن قبلتــم فإنــي مفلــح بكـــم في زورة واعتــراف وافر القســم

يا مـــن أجلّ ملوك الأرض قاطبــة في باب أفضلهم مـــن أصغر الخــدم

فهل عسى نظرة منكــم لزائركــم يغني بها عــن جميــع الخلق كلهــم

محمــد وضجيــعــاه الذيــن بهم طبنا وغبنا عن الخســران والندم

في الأخير ختم نصه بالتضرع لله سبحانه وتعالى بأن يمـــن عليـــه بالعفو والرضا بجاه المصطفى وآله وأصحابه ما سار ركب لتلك الربوع الطاهرة على الإطلاق.

يا رب يا رب يا مولاي عبدك في باب الرجى يرتجي أمنا مـــن النقـــم

فجد عليه بما يرجوه مـــن كـــرم لقد توســل في الــدنيــا بحــقهــم

ثم الصلاة وتسليــم الإلــه علــى هذا النبــي رفيــع القــدر والشيــم

محمد المصطفى والآل ثــم علــى أصحابه ما سرى ركب بــربعهــم

كما نذكر له أيضا قوله في رسالته[62] التي بعثها للحاج محمد الأسقيا:

إذا قرب السلطـــان أشرار قومه وأعـــرض عن أخيارهم فهو طالح

وإن قرب السلطان أخيار قــومه و أعرض عن أشرارهم فهو صالح

وكـــل امرئ ينبئك عنه قرينـــه وذلك أمـــر في البـــريـــة واضـــح

فهو قد اخذ معنى هذه الأبيات وبخاصة الأخير منها من معنى بيت قول الشاعـــر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقـــارن يقـــتـــدي[63]

وله أيضا في باب النصح والإرشاد هذه الميمية[64]:

ولا تقهـــقـــه أبدا فإنـــــما يقـــهقـــه الأعـــمى ويزداد عمـــــى

---

62. ينظر: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من400هـــ إلى 1100هـــ. في عهد المماليك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامـــت في غرب إفريقيا بين القرن4هـــ و11م أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبـــة دار التوبة ط1417.1هـــ 1997م. ورسالة في اليهود. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ص 55. تقديم وتحقيق. عبد الرحيم بنحـــادة وعمـــر بنميـــرة ط1/ 2005. دار أبي رقراق للطباعة والنشر. الرباط المغرب.
63. ديوان طرفة بن العبـــد. ص44 دار بيـــروت للطباعـــة والنشـــر بيـــروت 1982/1402م.
64. ينظر: الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية. مبـــروك مقـــدم ص92.ط1.

وكن على الصمت حريصا دائما فقلما يسلم من تكلما

وإن يكن لا بدّ فاختر مُحكما واخفض من الصوت لئلا تندما

كما ضمن رسالته((فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار)) أرجوزة[65] وقف فيها على أوضاع أنصار اليهود في منطقة توات في موقفهم من قضاياهم وعلاقتهم باليهود. حيث بدأها بقوله:

برئت للرب الودود من شر أنصار اليهود

وختمها بالدعاء عليهم مستثنيا في ذلك منهم المستغفرين من الذنب المبينين لحدود الله حيث قال:

صب البلا من فوقهم والحق بقايا رزقهم

وافتح لهم من محقهم بابا إلى النار الوقود

إلا الذين استغفروا و جبروا ما كسروا

وبينوا ما ستروا حتى استقامت الحدود

---

65. توجد نسخة منه مخطوطة بمكتبة دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. رقم الحفظ: تصوف عربي/920. رقم الميكروفيلم 37425/. وهناك نسخ أخرى في عديدة بعض خزانات توات الجزائر. وقد قام بتحقيقه وتقديمه تحت عنوان(رسالة في اليهود) عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة. ط2005/1. دار أبي رقراق الرباط المغرب.

فـــاغــفــر لهم مــا قــد مضى واكتـــب لـــهـــم مـــنك الـــرضى

وعـــجــلن بــــمــن قـــضـــى مــنهــم لــجــنـــات الخـــلـــود

وله أيضا في باب الشعر على الطويل مناظرته[66] الشـــهيرة مـــع الشيخ عبد الرحمان السيوطي حول علم المنطق:

سمعت بأمر ما سمعت بمثلــــه وكل حديث حكمه حكــم أصلــه

أيمكــن للمرء في العلم حجة وينهى عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعني إلا عبــــارة عن الحق أو تحقيقـــه حين جهله

معانيه في كل الكلام فهل تـــرى دليلا صحيحا لا يـــرد لشـــكلـــه

أرني هـــداك الله منـــه قضيــــة على غير هـــذا تنفها عـــن محله

ودع عنك ما أبـــدى كفور وذمه رجال وإن أثبـــت صحـــة نقـــلـــه

---

66. ينظر: مخطوط القصيدة خزانة باعبد الله أدرار. وكتاب أعلام الفكر والثقافـــة في الجزائر المحروســـة. د يحـــي بـــوعزيز. ج2 ص153. ط1995/1م دار الغرب الإسلامي. نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بـــن بابـــا التنبكتي. الجزء الثاني/ حرف الميم ص151 وما بعدها. دار الكتـــب العلميـــة بيروت لبنان. ومصباح الأرواح في أصول الفلاح. محمد بـــن عبـــد الكـــريم المغيلي ص11 وما بعدها. تحقيق رابح بونار. اكتوبر1968. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم دليــلا على شخص بمذهب مثله

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن بــه لا بهم إذ هــم هداة لأجلـه

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عالم بالشــرع باح بفضلــه

كما تذكر كتب التاريخ أن لمنطقة توات على مر التــاريخ علمــاء أجلاء تربعوا على عرش الإفتاء والتدريس في مناطق عدة داخل الوطن وخارجه، منهم تمثيلا سيدي امحمد التواتي الذي أسس زاوية مشــهورة ببجاية في القرن التاسع هــ(09هــ) وعُرف الرجل بشعره السياســي الذي حرض به أهل وهران على التصدي للغزو الأسباني، والدفاع عن مدينتهم كما يقول في مطلع هذه القصيدة[67]:

يا أهل وهران انظروا نظر شفقة لبلدتــكم مــن قــبل أن تردت

وقبل مجيء المنشئات ببحرهــا وأي قــلوب عــندها مستقرة

ولا تكلُــوها غــيركم ولئــن يكن فما غائــب مثل القــيم ببــلدة

إلى أن يقــول:

فجودوا بفضل المال في حفظ كله وأهل وجيران وشيخ وصــبية

---

67. ينظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. أبو القاســم ســعد الله ج1 ص173 ط1990، 3. دار الغــرب بيــروت لبنــان، وموســوعة الشــعر الجزائــري ص184، 183، ج1. إنجاز أد الربعي بن ســلامة وآخــرون ط2002/1. دار الهدى عين مليلة الجزائر.

وما يغني عنكم مالكم إن أتاكــم　　　عــدو بليل بســدفة سحــرة

وقد عظم الله الديار خـــروجها　　　فحــذرتكــم والله يــعلم نــيتي

فإن لم يكن في الغرب أكبر غيرة　　　وفي الأندلس فجعة أي فجعــة

إلى أن قال:

فلا تهملوا أمر الأعادي فإنهــم　　　بحال اجتــماع واتفاق وشــدة

وقد قطعوا قطعا فإن ظفروا بكم　　　فقد ظفروا وطرا بأهل الجزيــرة

وقد كانت بلاد الغرب تحمي ديارهم　　　وتنجدهم بالعون في كل وجهــة

وأخير عاد إلى ضرورة التأكيد على رجال أهل الجزيرة بالنظر إلى خبرتهم الحربية في حمايــة المرسى وعــدم التفريط فيه لأن ضياعــه – كمــا قال– هو ضياع للبلاد الإسلامية شرقا ومغربا.

وإن ضاع مرساكُم فإن ضياعَــه　　　ضياعُ بلاد الله شــــرقا وقبلــة

ولا يَحم مرساكُم ضعافُ رجالكم　　　ولا البدوُ بل تحميه أهلُ الجزيرة

فإن لهم بالطعن والضرب خبــرةً　　　وكم فتكوا بالكــفر أكبرَ فتــكة

أإخواننا في الله ألقوا مسامــعاً　　　ولا تُهملوا مــا أبرَزَتهُ قريحتي

والشاعر سيدي محمد التواتي في صرخته وغيرته يذكرنا بالشـــاعر العربي لقيط بن يعمر الأيادي في ندائه المستعجل لقبيلته أيــاد ينــبههم

فيها من غدر الملك كسرى حين قال:

أبلـــغ إيادا وخلل في ســـراتهـــم إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا

وغير الشيخ سيدي محمد التـــواتي فقد برز الشيخ سيدي سالـــم بن سيدي محمد العصموني(968هـــ) بقصيدته[68] الشعرية في التفكر فـــي أحوال الموت والقبر جاء فيها:

الحـــمد لله الحكيم القـــــــــادر العـــــدل بالمـــوت الفظيع القاهر

مـــدبر الأمـــر بوفـــق عـــــلمه ولا معـــــقب لـــه في حكــــمه

كتب فـــي الذكر المـــبين بالفنا على الـــورى الســـعيد والذي عنا

وهـــــم كمــــا قـــدره قسمـــان إمـــــا لنــــاره أو الجــــنـــان

والقصيدة طويلة جدا وهي في عشرة فصول تقريبا في كل فصل تحدث عن موضوع من مواضيع الموت والجنة أو النار.

وفي نهاية هذه الفترة نجد الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر دفين زاويته المشهورة بتيميمون، وتلميذه سيدي عباد بن أحمد المقبور قرب قصر تاسفاوت. ومع هذين الرجلين نشطت الساحة الأدبية من

---

68. مخطوط القصيدة فيه حذف لفصول عدة، وهو غير كامل أخره فصل فـــي فتنة أهل القبر. خزانة باعبد الله أدرار.

جديد، فكان أن كتب الشيخ الحاج بلقاسم قصائد مختلفة في مدح الرسول(ص) وفي بعض الموضوعات التعليمية نذكر من ذلك تمثيلا:

* منظومته في الإسراء والمعراج
* منظومته في مناسك الحج .
* منظومة في معجزات النبي(ص)
* منظومة في المعرفة والتوصل .
* أربع منظومات في مدح الرسول(ص).

وله أيضا هذه القصيدة[69] المدحية في حق المصطفى(ص) يقول في مطلعها:

أتيت إلى رب البرية مفردا وأثني بحمد الله شكرا مؤيدا

ثم الصلاة على خير الورى أحمد مدحت حبيب الله مدحا ممجدا

نبي أتى علم الغيوب ....

إلى أن قال في ختامها:

أتيت إلى مدح رسول الله مبادرا لعل الله لزلاتي وحوبتي ساترا

شكيت إليك رب على ذنب قادرا فما لي من حبيب سواك ميسرا

على جود كمالك تعمدت ملجإ

وهي قصيدة مخمسة بلغت أزيد من ستين مخمسا(60 مخ) على إيقاع الطويل، وجاءت متعددة القوافي، حيث انتهج فيها الشيخ الحاج

69. ينظر مخطوط القصيدة عند أحفاده في الزاوية.

بلقاسم نهج بعض القصائد[70] المدحية المخمسة في حق المصطفى(ص) فجاءت المقدمة في تعداد أهم أسباب المدح النبوي ليصل بعد ذلك إلـــى الحديث عن أهم المحطات التي طبعت السيرة العطرة وبين هـــذا وذاك كان الشيخ يغتنم فرصة قربه الروحي من المصطفى(ص) ليكون حبـــل نجاته ووسيلته إلى ربه.

وله أيضا قصيدة[71] في مدح الرسول الكريم جاءت عنده هذه المرة في شكل المربعات وبلغت أزيد من مائة وأربعين مربعا(140مر) حيث قسم الشاعر كل بيت من أبيات القصيدة إلى أربعة أقسام ثلاثـــة منهـــا على سجع واحد والرابع يوافق القافية العامة والموحدة في كل الأجزاء الأخيرة للقصيدة، وهو ما يعرف عند علماء البديع بمحسن التسميط[72] يقول الشيخ الحاج بلقاسم في مطلعها :

بســـم الله وبـــالله بدأت بذكر الله في مدح رسول الله الهادي محمد

نحـــمده جـــل الله بدوام لك الله وأثنـــي بشكر الله لبعـــث محمـــد

إلى أن قال في ختامها:

هذا نظم بو القاسم بن الحسين لا وصف لنا بالتمام كيف اعرج محمد

ولعل من أشهر قصائده تداولا وحضورا في ذهن الكثير من ســـكان

---

70. ينظر: فن المديح النبوي في العصر المملوكي. غـــازي شـــبيب. ص126. المكتبة العصرية. صيدا بيروت ط1418/1هـــ/1998م.

71. ينظر مخطوط القصيدة في خزانة زاوية الحاج بلقاسم.

72. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. صفي الدين الحلـــي ص.196.

الإقليم لاميته[73] المربعة في التوحيد و التي يقول فيها:

نستفتح باسم الله وبالنبي ا الأواه لا إلــه إلا الله القــديم الأزلـــــي

أعوذ برب الناس من نزاغة الوسواس يلقي في قلوب الناس ما لا يرضاه العالي

بسم الله قل ابتديت وبالمنزول اهتديت وبالرســل اقتديت وإن جهلــت فاسألي

اعلم وافهم يا لبيب إن الحكم يا صاحب ينحصر فــي الواجب والجائز المحالي

فالــواجب هو الله والجائز خلق الله والمحال لا تنساه لا يصــور في البالي

فالواجــب للــعلام الوجود والـــقدم والبــقاء بالــدوام لنفســه متعـــالي

إلى أن يقول في ختامها:

سألتك يارب الأرباب لا تغلق في وجه باب وكذا جملة الأحباب يا عليم بحالي

بحرمــة الأنبيا وحرمة الأوليــــا تغفر لي خطايا بفضلك يا عــالي

الصلاة والسلام على شفيع الأنــام أهل المجد والكرام النبي المرسل

وغير بعيد عن الشيخ الحاج بلقاسم نجد تلميذه الشيخ سـيدي عبـاد (ق10هـ) في هذين النموذجين من إنتاجه الأدبي ممثلين في خطبتـين شهيرتين ومعلومتين عند العام والخاص في الإقليم لما لفّ حولهما مـن حكايات وكرامات تنسب للشيخ سيدي الحاج بلقاسم فـي علاقتـه مـع مريديه. ذلك أن نص الخطبة كما تذكر الروايات جـاء مـرتجلا ودون

---

3. ينظر مخطوط القصيدة عند أحفاده في الزاوية.

تحضير مسبق، وافتتح الشيخ سيدي عباد خطبته[74] الأولى بقوله:

"الحمد لله الذي خلق الخلق فأبدع، وقسم الأرزاق فضيق على من شاء وعلى من شاء وسع، فالبرق بأمره قد لمع، فتجلى لعظمته فتدكدك من هيبته وتصدع، من ذا الذي يعطي إذا هو منع، ومن ذا الذي يمنع إذا هو أعطى ووسع، من ذا الذي يضر أحدا والله له قد نفع، كل ذلك في سره وعلمه مودع، ليس لمخلوق فيه أمر ولو ملك الدنيا بأجمع، إنما هو عبد من عبيده حقير ذليل يدار عليه كأس المنايا فيكرع، فلماذا يا ضعيف اليقين تذل لغير الله فتخضع، وهو الله المنفرد بالبقاء له الأمر كله يعطي ويمنع. نحمده سبحانه على هيبة الإيمان فهي أشرف المواهب، وأشكره مناقبة الإسلام فهي أسنى المناقب. واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، كلمه البعير وشكا إليه وتخضع، والماء من بين أصابعه الشريفة ينبع، والجذع حن لفراقه وتوجع...".

إلى أن يقول في ختامها:

"يوم يشتد على الخلائق العرق، ويعتريهم الدهش والقلق. طوبى لمن قدم زاده للسفر، فرضي بما به الله أمر. وجانب العصيان والخطايا والغضب عنه دفع، وجاء ممن أهمل نفسه وضيع، ويأتي إلى الله بذنوبه يقرع ويتضرع. ولقوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:﴿ونَضَعُ المَوَازِينَ القسْط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل

74. ينظر مخطوط القصيدة في خزانة زاوية الحاج بلقاسم..

أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[75] نفعني الله وإياكم بالقرءان العظيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم. واستغفر الله العظيم الحليم لي ولكم ولسائر المسلمين أجمعين فاستغفروه من كل ذنب يغفر لكم سبحانه هو الغفور الرحيم، هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين".

وقال في خطبته[76] الثانية:

"الحمد لله المنفرد بالأزلية والقدم، الموصوف بالفضل والجود الكرم، الذي ستر المعصية على العاصي واحلم، ولم يغلق عليه باب التوبة إذا رجع وندم، فأوجد الخلائق بقدرته بعد العدم، وجعلها فريقين كما قدر وقسم...".

وقال في ختامها:

" اللهم انصر من قلدته أمور عبادك المسلمين نصرا عزيزا تعز به الدين، وتذل به رقاب أعدائك الكافرين، اللهم انصره وانصر عساكره، وكن اللهم مؤيدا له وحافظه وناصره، وامحق اللهم بسيفه رقاب الطائفة الكافرة".

وغير بعيد عن الإقليم القوراري نجد في قصر الواجدة عالما آخر ذاع صيته وانتشر في كل البقاع وكانت له زاوية مشهورة في هذا الإقليم ألا وهو الشيخ سيدي ابراهيم بن أحمد الواجدي(ق10هـ)، وقد ذكر المؤرخون له هذه القصيدة التي بعث بها كما هو ظاهر في متنها

---

75. سورة الأنبياء. آية47.

76. ينظر مخطوط القصيدة في خزانة زاوية الحاج بلقاسم.

إلى أبي القاسم عبّاد ولعله الشيخ سيدي عباد تلميذ الشيخ سيدي الحاج بلقاسم المذكورين سابقا.

وفي هذه القصيدة وصف عام لأحوال الزمان ومتغيراته آنذاك بالإضافة إلى دعوته الصريحة للمحافظة على روابط الصداقة والمحبة بينهما لأن المرء مع من أحب كما قال نقلا عن رسول الله(ص) والقصيدة[77] جاءت في أزيد من(30بيتا) وبروي الدال حيث يقول فيها الشيخ سيدي ابراهيم:

إلى سادتي الأخيار نعم الموارد وأحبابنا في الله والله شاهد

أبو القاسم ابن الفضل الأمجد السّرى عبّاد نجل الثاني لكل...... ورد

من المذنب العبد الفقير عليكم سلام له من ريح ماسك تزايد

يعمكم والأهل من كل جانب ومن هو يقظان ومن هو راقد

وذا الخير فيكم والمحبة ثم ليس فيكم يخاف اللوم لو لام حاسد

وبعد فإن المرء مع من أحبه والحديث بذا عن ذي الشفاعة وارد

فليس لي غير الحب يعصر بيننا وبينكم فاني إلى الله حامد

لعل إله العرش يجمعنا غدا بكم حيث كان عابد ومجاهد

---

77. القصيدة مخطوطة في04 ص وعليها عبارة(هذه قصيدة سيدي ابراهيم بن أحمد الوجداوي والله أعلم).

مع المصطفى المبعوث للخلق جملة إذا فهناك يُلفى عمرو وخالد

وهذا الزمان ضاق عن حال أهله فأين الفرار أين أين المساعد

لقد قست لقلوب وانضم ضغنها وزاد فليس فيها إلا المفاسد

فلو كنت أبدي النصح أوجئت واحدا بوعظ لأبى مدبرا وهو شارد

ولو كنت أسعى الخير في طلب الرضى لقيل أجل الطمع أضحى يكابد

وهل يسمع الصم الدعاء وهل يرى الضرير طريقا وهو للغنى قاصد

وهل يحصد المحروث أو يوجد الكلا بأرض سباخ ماؤها عنها حائد

إلى أن يقول في ختامها:

وصل على المختار والآل بعدهم وأصحابه كل على الخير قاصد

وناظمها (أب)ثم (راهيم) بعده هو المذنب من المساكين واحد

فمنه عليكم دائما متواصلا سلام كريم ذو التكرر عائد

ويسألكم بوقت نيل إجابة دعاء بخير منه يصلح فاسد

ويجبر كسر ذي انكسار وعثرة ويلفي به ابتياع ما هو كاسد

وإذا انتقلنا بالحديث عن تاريخ هذه الحركة في القرن(11هـ) وجدنا أدباء أجلاء يقودون المسيرة، يتصدرهم الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد التواتي(1042هـ) عالم توات كما كان يلقب. وقبله كان

الشيخ سيدي أمحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمــون(1008 هـــــ) الذي يقول عنه الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التواتي(1042هــ) أن سيدي أمحمد بن أبي محمد بن ميمون(1008 هــ) كتب لهم ورقـــة من السودان وقال احفظوها ونص أبياتها[78]:

تنح عن الدنـــــيا وصحبـــــة أهلها — وباينهـــم مادمت في الدهر باقيا

فما منــــــــهم إلا حسود وشامــت — تراه بأقـــــوال النميمة غـــاديا

إذا نلت خيرا أظـــــــهروا لك ودهم — وأبدو سرورا كلما كنت واليـــا

وإن خانك الدهر الخؤون بصـــرفــه — بدا منهم الشيء الذي كان خافيا

فصار الصديق المظهر الود والرضا — يجر سيفا للعــــداوة ماضــيا

فما في بني الدنيا الدنيـــــة صاحب — يدوم على عـــهد إذا كنت نائيا

فشمر إلى الـــتقى ودع كل حاســد — وراع حقوق الله إن كنت راعيا

فما الخير إلا في الخمول مع التقى — وما الغنم إلا أن تقــــوم اللياليا

وفيها أيضا قوله:

ما في زمـــانـــك هــذا من تخالطه — ولا صديق إذا خان الزمان صفا

فعش فريـــدا ولا تـــركن إلى أحــد — إني نصحتك فيما قد جرى وكفى

وفيها أيضا:

إذا شئت أن يبقـــى عدوك راغــما — وتحرقـــه همــــا وتقتله غما

فسام العلا وازدد مـــن العلم إنـــه — من ازداد علما زاد حاسده هما

---

78. ينظر كتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن9 إلى القرن14 هـــــ. عبد الحميد بكري. دار الهدى. عين مليلة الجزائر ص112.

ومما وقفنا عليه من إنتاج الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمـــد التـــواتي (1042هــ) الأدبي هذه القصيدة[79] التي يقول في مطلعها:

بحمد الإله والصـــــلاة على النـــبي محمد المختار بدءُ قصـــيدتي

ومُزنُ الرضى على الصحابة كلهـــم عموما وبالخصوص أهلا لمزية

أبـــو بكر الصديق مع عمر الرضى وعثمان مع علي هم في النقية

إلى أن يقول فيها:

وعجل تفرجـــي وأجبــر تعــرجي وأجزل تــبرجي بكل مليحـــتـــي

ومتن تمنعــــــي وزين تقـــنعـــي وصـــف توشعي بديباج نـــصرتي

وصعد توهـــجي ويســـر تهــنجي وكمل تبهـــجي بزورة طيـــبتـــي

وأذهـــب تفجعي وأطــنب تمـــنعي وقرب تطوعـــي بـــكل مليحـــتي

إلى أن يقول في ختامها:

إليك بسطت كفـــــي راج وخائف بفضلك يا مـــولاي مُـــنّ بتوبـــتي

وثبت على الإيمان عقدي ومنطقـــي وصني يا حفيـــظ من كـــل فتنتي

وهـــب لـــي يا إلهي عفوا ورحمة ولا تكشفن للخلق يارب سوءتي

---

79. القصيدة مخطوطة وهي في117 بيتا. وينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص35 وما بعدها، الحاج محمد بكراوي وكتاب النبـــذة فـــي تاريخ توات وأعلامها ص121).

وخاتمة حسنـــــى تبشـــر بالـــهنا	**عبيدك يا كريـــم في حـــال رحلتي**
وفي جملة الفردوس فاجمع بشملنا	**مـــع الوالدين و الشيوخ الأحبـــتي**
وسهـــــل عـــلي كل خير أردتـــه	**وجد واعف عني واستجب لي بفرحتي**
بجاه إمام الرسل واسطـــة الـــمنـــا	**محمد المحمود في كـــل خصلـــتي**
عليه الصلاة والســـلام مطـــــيب	**يدومان ماهام الحبيب بلـــوعـــتـــي**
صلاة بها قبري يكـــون مـــنـــورا	**وأعطى بها في الخلد أكرم روضتي**
وأكفى بها الأهوال و السعد مقبـــل	**بإقبال أيام الصـــفا و الـــمســـرتي**
وريح المنى هبت وسحت رعودها	**وطير إلهنا غـــنت ورنـــت بأيكتي**

وتعتبر قصيدة المناجاة هاته من أشهر القصائد التي تـــردد داخـــل المساجد في الإقليم و بخاصة بقصر تمنطيط ومـــا جاورهـــا. كمـــا أن للرجل مجموعة أخرى من، الرسائل، والتراجم الأدبيـــة، والـــرحلات العلمية من ذلك تمثيلا رحلته(80) الشهيرة التي جـــاءت – كمـــا قـــال– استجابة لطلب من عدّ امتثال أمره فرضا، وإن لم يسميه باسمه، وجاءت هذه الرحلة مبوبة بحسب حروف العربية، ولكل باب فصول، وضـــمن كل فصل تراجم وأحداثا بالإضافة إلى الكثير مـــن المســـاعل اللغويـــة

80. جاءت الرحلة في34 صفحة بمعدل33 سطر في الصفحة وفيها العديد مـــن المقطوعات الشعرية والقصائد المختلفة وجاءت مخطوط الرحلة مبتورا.

والأدبية المختلفة. يقول الشيخ في مقدمة الرحلة: " الحمد لله الذي بين الأرواح والأشباح، وأقام شهادة الكائنات على توحيده بالألسن والأحوال الفصاح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة من شرب من كأس التحقيق على بساط الجميل والتوفيق. واشهد أن مولانا محمد صلى الله عليه وسلم رسوله المصطفى من خيرته، المبعوث إلى أفضل بريته، وعلى ءاله وأصحابه المصطفين الأخيار، صلاة وسلاما نستحق بهما الدخول في حماهم المنيع في الدارين، والافتخار مما جاب عابر سبيل مسلكا وعرا وسهلا، وما تمايست الأشجار لتغريد البلابل طربا وجزلا، ونسأله تعالى أن يوفقنا لاتباع ءاثارهم، وأن يفيض علينا من أنوارهم، وأن يجعل أفعالنا وأقوالنا لوجهه، وأن يسبل علينا في الدارين الستر بمنه وطوله إنه ولي ذلك والقادر عليه، نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبي ونعم الوكيل البصير. وبعد فقد سألني من أعد امتثال أمره فرضا، وأرى إجابة طلبه ربحا محضا، أن أبيض له من رحلتي القصيرة، وأذكر له ما سهل من الفوائد الأثيرة. فأجبته إلى ذلك مع أني لست من فرسان تلك المسالك...".

إلى أن قال:

" والعذر أيها الناظر مذكور، وهو لدى الأحرار مقبول من أول الظهور، وقالوا كل إناء بما فيه يرشح، والإغضاء أجمل من كل موشح. وها أنا أرتب ذلك على الحر".

ومما جاء فيها من الأبيات الشعرية قوله في باب الياء المثناة من

تحت – كما سماه–: (ولما اختصرت لشيخنا سيدي سعيد قدورة[81] (1066هـ) العيون الغامزة على خفايا الرامزة على الخزرجية... كتبت بعد تمام الاختصار ما نصه من الكامل:

يا قاريا هذا المفيد جد على واش الحروف بدعوة بالمغفرة

عبد الكريم سماه نجل محمد يرجو الكريم بفضله أن يستره

وبأن يكون عبد مولاه خالصا فتصير نسبته بذاك محررة

ثم الصلاة على النبي و ءاله فهي عليهم بالدوام مقررة

فكتب تحتها سيدي سعيد ما نصه:

يا رب فضلك واسع فاغفر له ثم أجزه عنا بما قد سطره

ويواصل الشيخ سيدي امحمد حديثه عن علاقاته مع علماء عصره وما دار بينهم من مراسلات قائلا:

" وكما اختصرت العيون الغامزة على خفايا الرامزة على الخزرجية وضع الدماميني عليها. اختصرته لرفيقي سيدي محمد العربي. قال لي سيدي سعيد ما تسمي هذا المختصر، سمه الأرميني في اختصار

81- و سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الشهير بقدورة. أخذ عن الشيخ محمد بن أبي القاسم المطماطي بالجزائر العاصمة، ثم سافر إلى تلمسان وأخذ الشيخ سعيد المقري .كانت له علاقات وطيدة مع بعض علماء منطقة توات مثل الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد التواتي توفي سنة 1066هـ

الدماميني – كأنه أراد أن يختبرني– فجعل يبتسم. فقلت له بـــل أســـميه النشر الداريني في اختصار الدماميني. والنشر هـــي الـــريح الطيبـــة، ودارين موضع بحلب منه المسك الأطيب..."(82)

ولم يكتفي الشيخ بعرض تجاربه الشعرية وما دار بينه وبين بعـــض علماء عصره من مراسلات، بل تعداه إلى ذكر كثير مـــن النصـــوص الشعرية لشعراء من الإقليم عاصروه، أو كانوا قبله كما جاء عنه فـــي أول باب الفاء حين قال:

" أنشدني صاحبنا سيدي الحاج عبد الكـــريم بـــن الشـــيخ صـــالح الجراري قال: أنشدني الأديب سيدي محمد بن يعقوب الوجروتي[83] مـــا نصـه:

فقلت لظبي ارتـــع حول ربــــرب	**أنت أخـــو ليـــلى فقـــال يقـــال**
فقلـــت بنعمـــان الأراك مـــقيلـــة	**يقـــال بـــه حقـــا فقال يقـــال**
فقلت لـــه أيستقال أخوى الهـــوى	**إذا مسه ضـــر فقال يقال "(84)**

ويعلق الشيخ سيدي عبد الكريم(1042هـــ) على هذه الأبيات بقوله: "أقول هذا من التجنيس عند أهل البديع. فالأول من القول، والثاني مـــن

82. ينظر مخطوط الرحلة.

83. أوجروت أو أوقروت هي منطقة تابعة لإقليم قورارة ، وهي تقع إلى الشمال من مقر الولاية أدرار حاليا.

84. ينظر مخطوط الرحلة.

القائلة، والثالث من الإقالة. وإن شئت قلت الأول كلام، والثاني ظـــلام، والثالث بيع وهو المرام. وإن شئت قلت: الأول مجاز، والثاني كالحقيقة للمجتاز، والثالث كالتجاهل وقد جاز"[85].

ومما جاء في هذه الرحلة أيضا في (الباب الخـــامس بـــاب الخـــاء المعجمة) سؤال في شكل قصيدة توجه به للشيخ سيدي محمد بن أحمـــد بـــن أبي بكر الأدغاغي[86] كما قال ونص السؤال:

خليلي هل بالدار من ماجد يسبق ... أم إلا رسوم كالحروف إذا تلـــقـــي

تعقبها الأشراب في كل ضـــحوة ... ويحسبها الظمآن ماء من الضيـــق

ترحل أهل الود عنهـــا و خـــلفوا ... فتاهم على شفا تجدي لـــدى ربـــق

ولم يدر أي وجهة يمـــموا لـــها ... ولا من خبير يشتفي منه بالنـــطق

إلى أن يقول في ختامها:

جـــزاه إلاه العالمـــين بفضلـــه ... وأيده بالروح في الغرب و الشـــرق

ويسّر مـــن يرعاه قصد سؤلنا ... يحي به من الأصول علـــى طبْـــق

وأزكى السلام ينزوي لمقامـــه ... يضيء إضاءة الغزالة في الأفق[87]

---

85. ينظر مخطوط الرحلة .

86. لم نعثر على ترجمته.

87. ينظر مخطوط الرحلة .

فأجابه سيدي محمد بن أحمد بن أبي بكـــر الودغـــاغي(ق11هـــــ) بقصيدة[88] من نفس الروي في ثلاثين بيتا جاء فيها:

بدأت ببسم الله صونا إلى اللّبْــق	وأثني بحمد الله عونا على السبــق
وثلثـــن...... بالصلاة على الذي	هـــدانا بإذن ربـــنا أرشـــد الطـــرق
وأصحابـــه الغـــر الكرام و آلـــه	بها ننجو من الضـــنك و الـــحـــرق
وسلم سلـــيم ذي جناحي هدايـــة	ورشد بطير للسـعـــادة كالـــبـــرق
على سيد تقـــف عليهم سمـــيدع	رضي سيدي عبد الكريم أخي الأفق
يقـــوم مقامي في العناق له وفي	بشـــارته بالاجـــتمـــاع بـــلا فـــرق
ينيل الهنا مع الهنا وحيـــاه مـــن	يقيم عماد الفضل والعـــدل والحـــق
بحول الله فاستهل وادع و استقم	ولا تتـــبع نـهج الضغام أول العوق
وبعـــد فدونك الجـــواب بقدر ما	فهمت بأ صغري المهـــول بالرتق
فإن جا مطابقا فتوفـــيق ربـــنـــا	و إلا فجهدي قد بذلـــت ولـــم أبـــق

إلى أن يقول في ختامها:

فإن قرين السوء كالكيـــر شبهـــه	يصيب الجليس بالدخـــان وبالحـــرق

88. ينظر مخطوط الرحلة.

ولا تعتمد إلا على الله وحـــده ولا تستشر إلا على الله في الـــرزق

فدونكها ...... مـــن خـــرائد تمشي على استحيا تميل من الشـــوق

وأنت لها كفؤا كـــريم فخـــلها قرى حلل الاعضا والستر والـــومــق

ولله حمدا والصلاة كما ابـــتدى على المصطفى المبعوث باليسر والرفق[89]

وعموما فإن هذه الرحلة قد حملت بين طياتها الكثير من الرســـائل والمقطوعات الشعرية بعضها من نظم الشاعر وبعضها الآخر من نظم معاصريه من أبناء الإقليم غير أن هذه النســـخة المعتمـــدة فـــي هـــذا الاستشهاد جاءت مبتورة وإن كانت تقف على آخر حرفين الواو والياء.

ولما أسس الشيخ سيد الحاج محمد الصوفي بن أبو محمد بن أحمـــد بـــن أبي بكر البادرياني زاويته المشهورة ببادريان في القرن الحـــادي عشر بتاريخ التاسع من شهر صفر عام ثلاثة وثلاثين وألف(1033هـــ) أوصى[90] أولاده وأحفاده وجميع من وكل أمر الزاوية بوصية مشهورة لا تزال خزانة الزاوية تحتفظ بنسخة مخطوطة منها لناسخها عبد المالك بن محمد عبد الرحمان بن الحاج محمد السالم بن محمد عبد الرحمـــان البادرياني، قال إنه نقلها من النسخة الأصلية من غير زيادة ولا نقصان، وكان الفراغ من نسخها عند زوال يوم الإثنين ثلاثين من شهر شـــوال

---

89. ينظر مخطوط الرحلة.

90. ينظر مخطوط الوصية. عند أحفاده بزاوية بادريان بتيميمون.

عام أربعة وأربعمائة وألف(1404هـ). غير أن هذه النسخة جاءت مبتورة الأول وما جاء منها في البداية هو قول الواصي:

"... ولا مانع نص، وعلى ولي الزاوية بالشفقة والحنانة على الحاج أحمد بن أبي القاسم، وأولاده بعده كأولادنا في المحبة والإعانة والشفقة تقبل الله، وإصلاح ما انهدم من الصور والزرب على ساكني الزاوية جملة، فإن سبب تحصين الزاوية من إقامتها، وسبب خرابها من التفريط في إصلاحها".

وبعد أن قنن لنظام سير الزاوية وكذا سبل تقسيم ريعها وخيراتها ختم وصيته بقوله:

"... وأهلي وإخواني وأحبائي وبلدي و... وجيراني كلهم في يد الله، وهم وديعة وهو الذي لا تضيع بيده الودائع، وحصنتهم بألف ألف لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو الصاحب في سفرنا، والخليف في أهلنا. اللهم اجعلنا وإياهم في عياذك، وجوارك وأمانك، و... من كل شيطان رجيم، وسلطان وإنس، وجن، وباغ وحاسد، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم. اللهم يا خالق كل شيء اغفر لي كل شيء، ولا تسألني عن شيء إنك مالك كل شيء. اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا انت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك جواد كريم غفور رحيم. إني استغفر الله من جميع الخطايا والذنوب. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. اشهد علي يا هذا القرطاس بأني استودعت فيك هذه الشهادة ليوم البعث والنشور، وهذه الوصية من عمل بمقتضاها نجح

إن شاء الله في الدنيا والآخرة، والزاوية إن قضى الله بموتنا تبقى في يدي سيدي عبد السلام. وبه من شهد على نفسه أوائل صفر التاسع منه عام ثلاثة وثلاثين وألف محمد الصوفي بن أبو محمد بن أحمد بن أبي بكر البادرياني لطف الله به آمين"[91].

وفي نهاية هذا القرن أيضا برز الشيخ سيدي أحمد بن يوسف (1078هـ) كواحد من أبرز الشخصيات الدينية والأدبية بما خلفه من آثار مادية ومعنوية بعد وفاته يأتي في مقدمتها زاويته المشهورة بتنلان التي حبَّسَها بنص وصية[92] مشهورة فاقت العشرين ورقة قال في مطلعها:

"بسم الله الرحمان الرحيم وبه يستفتح المستفتحون وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وبه يستغيث المستغيثون وعلى آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين، عونك يا معين وبه نستعين أما بعد: فهذا كتاب صدقة العبد الفقير إلى الغني القدير الحاج أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسين الونقالي دارا العثماني نسبا المالكي مذهبا شفاه الله من داء العيون وسقاه من دلو الغيوب..."

91. ينظر مخطوط الوصية.

92. جاء في ختام المخطوطة أنها بخط حفيده محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد عز الدين بن عبد المومن بن الحاج أحمد بن يوسف التنلاني. قال أنه نسخها أواسط ربيع الأول سنة (1245هـ). خزانة باعبد الله أدرار.

وقد تحدث الشيخ في وصيته عن أهمية الصدقة في سبيل الله وما ورد فيها من آيات وآحاديث نبوية وما إلى ذلك. وغير هذه الوصية فقد وقفنا على قصيد[93] شعرية مخطوطة للرجل خصها لموضوع الربا في المعاملات وما جاء فيه، والقصيدة أخذت طابع التنبيه والتحذير من الظاهرة ولذلك جاءت تعليمية على وزن الرجز وسماها: إنارة البصائر في علم ما تفعله السماسر. حيث يقول في مطلعها:

يقول عبد ربه العلي	**أحمد نجل يوسف النقلي**
ثم الصلاة والسلام أمدا	**على الرسول العربي أحمد**
و آله وصحبه الأعلام	**ذوي الندى والهدى والإسلام**
وأستعين الله في منظومة	**مفيدة جليلة عظيمة**
جامعة مسائل السمسار	**بأوضح الألفاظ و العيار**
سميتها إنارة البصائر	**في علم ما تفعله السماسر**
والله ربي أطلب التوفيقا	**والفهم في العلوم والتحقيقا**

إلى أن يقول في ختامها:

وما قصدت جمعه قد انقضى	**مشتملا على مهم يرتضى**
فالحمد لله الذي ولانا	**من العلوم ما به أحيانا**
ثم صلاة الله تترى و السلام	**على الرسول المصطفى بدر التمام**
وآله وصحبه الأطهار	**ورضي الله عن الأخيار**

93. ينظر مخطوط القصيدة. خزانة باعبد الله أدرار.

وعموما فإن ما ذكرناه في هذا الجزء من جملة ما وقفنا عليه من إنتاج الحركة الأدبية بعد نشأتها وحتى نهاية القرن الحادي عشر لايشكل إلا القليل مما وصل إلى أيدينا ويبقى الكثير الكثير رهين عشرات المخطوطات المهملة وآلاف النسخ الضائعة. كما أن جل إنتاج هذه المرحلة مما وصلنا كان لا يخرج عن الأغراض التقليدية بكل خصائصها الفنية تقريبا وكان فيه التجديد غالبا عند شعراء الإقليم على مستوى المضمون أما اللغة فلم تخرج في غالبها عن السهولة في اللفظ والبساطة في التركيب والدقة في الموضوع. وبهذا كله شكلت هذه المرحلة الممتدة من نهاية القرن التاسع الهجري وحتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري بدايات حقيقية وروافد أساسية لبعث الحركة الثقافية عامة والأدبية خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ليكون بذلك من أزهى الفترات وأزكاها نشاطا في تاريخ الحركة العلمية في الإقليم على مر العصور.

البـاب الـثـانـي

الحـــركـــة الأدبيـــة

فـــي أقـــاليـــم تـــوات خـــلال

القرنيـــن 13/12الهجـــرييـــن

الفصل الأول

الشعر وخصائصه الفنية

المبحث الأول

الأغراض الشعرية

يعد الشعر من أقدم الآثار الأدبية ظهورا لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع. لكن المتتبع لمسيرته عند العرب فإنه لن يجدها قديمة جدا مقارنة مع أمم أخرى "فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتين عام"[(94)]. ورغم أنه من الصعب الوقوف على بداية حقيقية لهذا الفن" ولاتستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية الشعر"[(95)] إلا أن هذا اللون كان ولا يزال من أكثر الفنون الأدبية حضورا في الذاكرة التاريخية للعرب وغيرهم.

ولقد كثرت الآراء وتباينت في ضبط مفهوم الشعر وتحديد ماهيته[(96)] فرأى البعض إمكانية ضبط وتحديد مفهومه كما فعل قدامة

---

94. الحيوان للجاحظ المجلد الأول ج01 ص51. تحقيق د يحي الشامي. ط03/ 1990. دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان.
95. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان ص104 ترجمه .أ. د محمود فهمي حجازي وآخرون. الهيئة المصرية العامة للكتاب1993م.
96. ينظر: من تاريخ الأدب العربي. طه حسين مج01 ص61 وما بعدها. ط 04 سبتمبر1981م. دار العلم للملايين بيروت. وكتاب آراء حول قديم الشعر وجديده. موضوع: الشعر... ما هو...؟ طلال سالم الحديثي. ص95. من سلسلة كتاب العرب. مجلة العربي. الكتاب13.15 أكتوبر1986م.

بن جعفر حين وصفه بأنه" قول موزون مقفى يدل على معنى"[97] وتبعه فـــي ذلك كثيرون ممن جاءوا بعده، محاولين شرح المفهوم وتوضيحه أكثر. فذهب أبو هلال العسكري(395هـ) إلى "أنك إذا أردت أن تعمل شعرا فاحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبـــك، واطلب لها وزنا يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها"[98] وقـــال المظفـــر بن الفضل العلوي(656هـ)" إن الشعر عبارة عن ألفاظ منظومة تـــدل على معاني مفهومة، وإن شئت قلت: الشعر عبارة عن ألفاظ منضـــودة تدل على معان مقصودة"[99] وتعدّاه الدكتور محمد مندور[100] حديثا إلى ضبط وتحديد مقاييس ثلاثة للشعر هي الموســـيقى، وأســـلوب التعبيـــر الشعري، وأخيرا المضمون الشعري والملكات النفسية التي يصدر عنها هذا المضمون. وهذا الاختلاف في تحديد مفهوم الشعر لم يكـــن وليـــد العصر الحديث فحسب "بل هو طبيعي لازم للتطور الفني مـــن حيـــث هو... وسيظل هذا الاختلاف بين الشعراء في معنى الشعر مـــن حيـــث

---

97. نقد الشعر. قدامة بن جعفر ص17. تحقيق كمال مصطفى. الطبعـــة الثالثـــة مكتبة الخانجي بالقاهرة 1979.

98. كتاب الصناعتين ص157 تحقيق د. مفيد قمحة ط2،1409هــــ/1989م. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.

99. نضرة الأغريض في نصرة القريض ص10. المظفر بن الفضـــل العلـــوي. تحقيق د نهى عارف الحسن. مطبعة طربين. دمشق1396هـ/1976م.

100. الأدب وفنونه. محمد مندور ص30. دار نهضة مصـــر للطبـــع والنشـــر. الفجالة القاهرة 1980.

لفظه وأغراضه قائما ما قام هؤلاء الشعراء أنفسهم"[101] وهـو الأمـر الذي دفع الدكتور طلال سالم الحديثي بأن يرى في هذه التعريفات جميعا وغيرها "محاولة لتحديد شيء ليس مـن خاصـيته ولا مـن طبيعتـه التحديد"[102].

وللشعر العربي أغراض وفنون مختلفة وقد تباينت الآراء أيضا في تحديدها ومن أوائلمن أشار إلى تلك التقسيمات أبو تمام(232هـ) فـي موضوعات حماسته[103] التي فاقت العشرة، أما أبو هـلال العسـكري (395هـ) فحددها في ستة أقسام قائلا: "وإنما كانت أقسام الشـعر فـي الجاهلية خمسة: المديح، والهجاء، والوصف، والتشبيب، والمراثي حتى زاد النابغة فيه قسما سادسا وهو الاعتذار، فأحسن فيه "[104] ولقد واكبت هذه الأغراض جميعها تقريبا مسيرة الشعر العربي عبر القـرون مـع شيء من التفاوت في درجة طغيان غرض على آخر في عصـر مـا نتيجة لأوضاع ذلك العصر، من جهة ومع ما عرفه العرب مـن فنون

---

101. من تاريخ الأدب العربي. طه حسين ص62.
102. الشعر... ما هو؟ ص95.
103. ينظر: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. أبو العلاء المعري. تحقيق. د.حسين محمد نقشة1411هـ/1991م. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنـان. وينظـر أيضا: الأدب الجاهلي. قضاياه أغراضه أعلامه فنونـه .د. غـازي طليمـات ص73 ط01. شوال1422هـ يناير2002م. دار الفكر دمشق سوريا.
104. ديوان المعاني أو معاني الشعر نقلا عن. الأدب الجاهلي قضاياه أغراضـه أعلامه فنونه.

مستحدثة كالموشحات والأزجال وغير ذلك.

ولما كان الشعر هو من أجل فنون الأدب وأكثرها ترجمة للأحاسيس والمشاعر وأقصرها سبيلا للوصول إلى ذهن السامع هرع معظم أدباء توات إلى هذا اللون واتخذوه وسيلة جادة لنقل مشاعرهم وخواطرهم اتجاه قضياهم المختلفة وبخاصة ما تعلق منها بالمدح، أو الوصف، أو التعليم، أو الرثاء، أو الزهد وما إلى ذلك.

والمتأمل للخريطة الشعرية داخل الإقليم التواتي يجدها غير بعيدة عن هذا الوصف العام، حيث كانت الأغراض التقليدية المعروفة حاضرة بقوة مع التركيز على غرضي التوسل والمديح النبوي بالنظر إلى الخصوصية الدينية التي طبعت الإقليم لقرون. وهو ما جعلنا نقف أولا عنده وما جادت به قريحة التواتين في هذا الباب.

1. غرض التوسل والدعاء:

- **لغة**: جاء في لسان العرب (الوسيلة: المنزلة.. والدرجة .. والقربة. ووسّل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه. وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل. وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تُعطفه عليه)[105].

أما الدعاء فقد تعددت معانيه اللغوية ومن أشهرها: " الاستغاثة.. والعبادة.. والرغبة إلى الله"[106] والدعاء لله هو على ثلاثة أوجه كما

105. لسان العرب. ابن منظور مج11 حرف اللام ص724. دار صادر بيروت.

106. المصدر نفسه مج14. حرفا الواو والياء ص257 وما بعدها.

جاءت عند ابن منظور: "ضرب منها توحيده والثناء عليه...، والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منــه... والضــرب الثالــث مسألة الحظ من الدنيا كقولك اللهم ارزقني مالا وولدا. وإنما سمي هــذا جميعه دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله، يارب، يــا رحمان، فلذلك سمي دعاء"[107].

- **اصطلاحا:** لم يخرج اللفظان كثيرا عن أصل معناهمــا اللغــوي حيث يعتبر التوسل والدعاء من الأغراض الأدبية الجديــدة فــي الأدب العربي التي صاحبت الدعوة المحمدية في رحلتها خصوصا والذي جاء في أجل أسبابه "لرفع المعاناة وتصريفا للبلوى في الدنيا وتكفيــرا عــن الذنوب ومحو الأخطاء وطمعا بالجنة في الآخرة"[108]

وفي هذا المعنى دارت معظم توسلات وأدعية شعراء الإقليم. كمــا أن الغرض كان حاضرا وبقوة في معظم دواوين الشعراء، ولــو بالقصــيدة أوالقصيدتين، كما نجد ذلك عند الشاعر سيدي علي بن حنيني(0004هــ) في دعائه للزاوية البكرية ومؤسسها سيدي البكري حيث قال:[109]

الحمد لله العظيــــم الأحــــد الواجد الحي العزيز الصــمد

107. المصدر نفسه.

108. فن المديح النبوي في العصــر المملــوكي. ص36. غــازي شــبيب ط01 1418، 1998. المكتبة العصرية .بيروت.لبنان .

109. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص52. وكتاب النبذة ص145.

ثم الصلاة والسـلام أبـدا على النبـي العربـي أحمـد

وءاله وصحبـه الأخيـار من المهاجريـن و الأنـصـار

وبعد فالدعا مخ العـبـاده فمن به جـد نـال المـراده

لاسيما الدعاء في الإنـشـاد فواظب عليـه باجتهـاد

وقصـدنا بهـذه الأبـيـات توسـل بالـذكـر و الآيـات

و بالـنبـي سـيد الأنـام و ءالـه وصحـبه الأعـلام

ياربنا انزل بهـذي الزاويـة سترا ولطـفا ودوام العافيـة

زاوية بكـريـة قديمـة عـلوية شريفـة كريمـة

بحرمة اسمك العظيـم الأعظـم وبرسولـك الـنبي الأكـرم

وءاله وصـحبه و التـابعيـن والانبيا والأوليا والصـالحيـن

وبجميع كتـب الـرحمـان وبجميـع السر فـي القـرءان

وسيـلتي إلـيك يا مـولانـا لقد دعـونا فاستجب دعـانـا

أسبل بفضـلك على بـلدتنـا سترا جمـيـلا دائما يعـمنـا

جميعنا صغيـرنا كبيـرنـا عبـيدنا إناثنا ذكـورنـا

اردد جميـع كيده في نحـره واجعل له التدمير في تدميـره

وبين الفضـل في الانتظـار ياربـنا بالسادة الأسـرار

ورد من قد رام بالســـادات مــــــضرة و حرق العــدات

وحرق الا كباد منهم و الـــحشا من كل راكب وكل مـــن مشى

يسعى على الرجلين للفـــساد ظلما وعـــــدوانا الى الـــعباد

ياحي يا قـــيــوم يـــا جــبار يا باقــــــي يا حكيم يا قهـــار

ويا مجيب يا وكيل يا قـــدير منتقم مقتــــدر مع النـــصيـــر

اهلك جميع من طـــغى عـــلينا اقطــــفه قبل ان يصل إلينا

واجعله عيره لنا يا كــــافـــي بــــــحق يسين وحـــق قاف

واختم لنا بالخــــير يا إلهنـــا بجـــاه سيد الورى شــفيعنا

محمد ذا الشـــــرف الأصيل صـــلى عليه الله من رســـول

وآله وصحــبــــه وســـلـــما مـــشرفـــا لـــه عليه منـــعما

وفي هذه القصيدة ينطلق الشاعر سيدي علي من الحديث عن أهمية الدعاء وفضله على العبد وما ذكر في ذلك في الأثر، ليصل بعد ذلـــك إلى تبيين هدفه وقصده من نظمه ودعائه الذي جاء منه كما قال توســـلا بالذكر والآيات وبالنبي(ص) وآله وصحبه. وبعد جملة مـــن الأدعيـــة والأذكار المختلفة خلص الشاعر في نهاية النص إلـــى الـــدعاء علـــى المفسدين الرامين إلى أذى ومضرة العباد والسادة الأخيار، طالبا من الله هلاكهم وتشتيت شملهم ليكونوا عبرة لغيرهم.

ولعل من أشهر الشعراء البارزين في باب الدعاء والتوسل الشاعر محمد بن أب المزمري(1160هـ). بما خلفه في ذلك من قصائد ومقطوعات أولا وبما أضافه إلى شكل بناء قصائده، كما هو الحال مع هذه القصيدة التي انطلق فيها من الحروف الأربعة عشر للآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[110]. ليجعلها مفاتيح أساسية في مطالع أبيات قصائده حيث قال في مستهلها[111].

الله ربـي لا إلــه ســواه	ما خاب مضْطـر دعـا مـولاه
دعواي مهما برحت بي كربـة	الله لـي حيـث الكـروب الله
عـودت إلحاحا بـذلك لهـجتي	فظللت مـا عمـرت لا أنسـاه
وإليه أمري في الحوادث كلهـا	فوضـت جـزما أننـي أكفـاه
نلت المنى وكفيت ما أخشاه مذ	نـاديـت واربـاه و اغـوثـاه
يا عمدتي يا عدتي في شدتـي	يـا محسنا عـم الأنـام رحماه
الطف بعبـد قد دعاك تضرعـا	وارحمه في هـذي وفي أخراه
ساءت نتائج فعله لـولا الرجـا	ورداء ستـر منك قـد غشـاه
تب واعف واختم بـالسعـادة	والهدى فضلا ووفقنا لما ترضاه

---

110. سورة غافر، آية60، والآية كاملة هي: ﴿وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي اسْتَجِب لَكُم إِنَّ الذِين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صدق الله العظيم.

111. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

جد واستجب فلقد أجبــت تفضلا   أيوب حيــن دعــاك من بلــواه

بلغ مرادي عاجلا من كـــل مـــا   أرجـــوه مـــن ليـــس لـــي إلاه

لك ضارعا وجهت وجهي سائلا   منـــك الرضى يا رب فارزقنـــاه

كن ذا الجلال مصلياً أبداً على   خيـــر الورى وعلى ذوي قرباه

ما لاح بدر اليسر في ليل الأسى   فـــأزاح عن ذي غمة غمـــاه

والشاعر ابن أبّ المُزَمّري(1160هـ) في هــذه القصــيدة أبــرز استغاثته واضطراره لله سبحانه وتعالى، رافعا أكف دعاء عبد ســاءت نتائج فعله كما قال، فلم يجد بدا من تفويض أمره لله راجيا حسن الختام عليه بالسعادة والهدى، والرحمة والعفو في هــذه الــدنيا وتلــك، كمــا استجاب من قبل هذا وذاك لسيدنا أيوب عليه السلام حين ألمّ به الضر.

وغير بعيد عن هذه المعاني كتب الشاعر سيدي المختار بن ســيدي بابا احمد الكنتي(1226هـ) قصيدة (112) توسلية لله سبحانه وتعالــى (في أزيد من85 بيتا) استنجد فيها الشاعر سيدي محمد من ظلم ألم بــه مــن مجموعة من الناس ولم يجد ناصرا له غير الله سبحانه وتعــالى، فجعل يدعو عليهم متوسلا بحق القــرآن الكــريم أولا وبجــاه رســول الله(ص) وصحابته البررة الطاهرين من أهل بدر وجميع الخيرة.

---

112. مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالــد. الشــيخ سيدي محمد بن سيدي المختار.ص593 وما بعدها. خزانة زاوية كنتة. أدرار.

الحـــمد لله الذي بفضـــلــــــه		منّ علـــى عبـــــاده بـــرسله
وصل يارب علـــى من أرســـلا		مبينا لــــــشرعــــــه مســــهلا
محمد وءالــه الأطـــهـــــــــار		والأهل والأزواج و الأصــــــهار
وبعــد إنــــي ســــائل فــقيـــــر		مـــعول علـــــيك يا نـــصيـــر
لما رأيــــــت كــثرة الأعــداء		من جــملة الرجال والــنســـاء
ولم أجد منهم نصيــــرا نـــافـــعا		ولا مساعــدا قـــــويا دافعـــا
دعوت غوثــــــا يـــا عــباد الله		مـــــــن كــل مخـــبــت... أواه
يا ربـــنا بســــــــورة الأنفـــال		والآل والأصـــحاب و الموالـــي
والطيبـــين الطـــاهرين البـــررة		من أهل بـــدر وجـــميع الخيرة
أقـول غوثـا يا حمـاة الـديــــن		يا ملجأ الضــعيف والمسكيـــن

ويسترسل في دعوة الآل والصحب وكل من توسم فيه قبول الدعوة بأن يريه ما يحب في أعدائه إلى ان يقول في ختامهـــا طالبـــا مـــن الله تسليط أشد عذاب عليهم بأن يجعل بأسهم بينهم شديدا، وأن يلبسهم لباس الذل والهوان:

ظفر بـــــــهم أظافر الأعـــداء		والبســــهم الذلة في البأســـاء
واجعل إلهي بأســــهم شديدا		بينــــــهم وخـــــــيرهم بعيدا
واكفناهم يا كـــافي أجمعين		كما كـــفـــيت المـــــستهزئين
فطالما فرجـــت كربا قد ألم		وطالـــما شفيت غيظا قد أهم
يا حي يا قيـــوم ذا المحال		أزل شكــــــيتي وأجبر حالي
واشف صدور قوم مومنينا		بقصـــم الاعــــــداء المنافقينا
بحاتم الرسل ختام النظـــم		أجرنا من هضم العدا والوصم

صلـــى علـــيه ربنا وسلما والآل والأصحاب ما لفظ سما[113]

وقد تعرض الشيخ سيدي المختار بن سيدي بابـا أحمد الكنتي (1226هـ) إلى ظلم آخر من جراء مقالات الزور التي تناقلها الأعداء حوله وساهمت إلى حد بعيد في تأليب كثير من القبائل عليه ولم يكن ذلك إلا حسدا منهم لضيق منه، وقد كان هذا أيضا سببا كافيا للتوجه معه إلى الله سبحانه وتعالى بهذه الرائية:[114]

تناصرت الأعداء من كل جانـب علي فحسبي من له الخلق والأمـر

تعاطـوا مـقال الزور في وألبـوا قبائلهم تـلك السفاهة والـغدر

فما منـهم إلا حسـود مـكابر كذوب تعـاطى ما يضيق به الصدر

فكـيدوا جميعا ثم لا تنـظروني فركني شدا البطش من نصره النصر

أو اصـبر حـتى يحكم الله بيننا وإن يعف عنكم كان موعدنا الحشر

وأن ينتـقم ذاك السـبيل وسنة مضت ما لها حصر ولا دونها ستر

فدعـوة مظـلوم وإن كان كافرا تجاب فـكيف المخبت الطاهر الحر

إلى أن قال في ختامها مشبها حاله معهم كحال سيدنا يوسف مع إخوته حين كادوا له الشر فحاق بهم الشر - وأتم الله عليه نعمته بأن أقروا له بالفضل عليهم كما قال- وهو الأمر الذي يأمله في الله سبحانه وتعـالى مع أعدائه بعدما ألم به الضيم منهم.

وإني وإيـاكم كإخـوة يوسـف أرادوا به شرا فحـاق بهم شـر

فتمت عـليه نعمت الله بعدهـم فسيقوا إلـيه بعدما ملكت مصـر

---

113. مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد. ص596.

114. المصدر نفسه ص612 وما بعدها.

أقـــروا لـه بالفضل بعد ظهـــوره عـــليهم فأغضى انه السيد الحر

كذلك صـــنع الله في كل ماجـــد تكون لـه العقبى وإن مسه الضر

حنانيك لا تحسد على الفضل أهله وسل من نوال من براحته الخير

وصل على المختار ما هبت الصبا وما ناح قمري وما سبح الطير[115]

ولما نشبت عداوة وفتنة بين الرقاقدة[116] قوم الشاعر الشيخ سـيدي محمد بن سيدي المختار الكنتي(1241هـ) ابن الشيخ سيدي المختـار وبين قوم آخرين من القبائل المجاورة، لم يأبه الشاعر وقومه لرد هـذه الفتنة والتصدي لها وذلك لأمرين اثنين كما قال: (أحدهما الاتكال علـى الله تعالى لأن القوم إنما قصدوا هتك حرماته... فأمهلناهم ليجـري الله فيهم سنته في من خلا من قبلهم)[117].

ومعلوم أن من يتكل على الله حق الاتكال فهو حسبه، وهـو الأمـر الذي لا يغيب على شيخ ورع تقي في مقام الشيخ سيدي محمـد الـذي أشهر سلاحه الفتاك في وجه الأعداء وتضرع لله سبحانه وتعالى بحـق أسمائه الحسنى وبحق كل نعت أو اسم ذي كمال أسنى كما قال طالبـا نصرته وعونه في هذه الأرجوزة[118]:

حمدا لمن له الأسامي الحسنى وكل نعت ذي كمـال أسـنى

---

115. مخطوط الطرائف والتلائد ص614./615.

116. الرقاقدة نسبة إلى الشيخ سيدي محمد الرقاد.

117. مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالـد. سـيدي محمد بن المختار ص628.

118. المصدر نفسه. ص229 وما بعدها.

وجل قـــدوس الـــثنا و عـــز فما يضام من به اســــتـعـــز

أيد من صـــلى عليه الدهـــرا بمعجزات باهـــرات بـــهـــرا

ثم على عترتـــــه الأنجـــاد وصحبه الخيـــرة الأمـــجـــاد

هذا وإني عـــبدك الضـــعيف وأنت ذو العـــناية اللطيـــف

ما لي إلى ســـواك من معـــول بل أنت مولاي وأنت لي الولـــي

وقد تظاهر العـــدى وكـــادوا فكدهمُ ومـــن تكـــد يُكـــاد

فارمهم يارب إذ راموا الحمى فللـــعدى رومك أضحى مفحمـــا

ظفر بهم أظـــافر الأعـــداء و اعقـــلهم بعـــقلات الـــداء

وخـــذهم أخذ عزيز ذي غـــلب بالقتل والسبي المهين والسَّلـــب

وازرع بحبات القلوب بـــغضـــا لهم وصير نجـــمهم منفضـــا

إلى أن قـــال:

يا مـــن إذا ما بائس مضطـــر قد مســـه مـــن الزمان ضـــر

دعاه لبـــى وأجـــاب طلبته وحقق الظن وســـنى رغبتـــه

أدعوك بالذات ونعت العظمـــة وبصفاتـــك العـــلى المعظمـــة

بغر الأســـماء الحسان بالسنا بما بـــه ناجـــاك عبد حسنـــا

بما عـــلى الطور به تـــجلى جلالك البـــاهي الحلي وجـــلا

ذُكّ العدى بنـــورك الجـــلال وعـــزك الحـــري بالإجـــلال

فلا تُرى لمن بغى من باقيـــة ولا له من النكـــال واقـــية[119]

119. مخطوط الطرائف والتلائد. ص229 وما بعدها.

ثم يخرج من التضرع لله تعالى والدعاء على أعدائه إلـــى التوســـل بالنبي المصطفى(ص) وأصحابه الأكرمين إلحاحا في الدعاء ورغبة في الإجابة حيث يقول:

غوثا عباد الله غـــوثا جزمـــــا	**يحل من صرف الزمان الأزما**
يا مـــصطفى الله مـــن الأكوان	**غوثا أبا القاسم في الأوانـــــي**
يا عصـــــبة الآل الكرام الخيرة	**والخــــلفاء الراشدين البررة**
يا أهـــــل بيعة الرضى والعقبة	**وأهل بـــــدر شيبهم والشببة**
يا أهــل أحــد يا رجال الصفة	**من كل نـــدب ذي صفا وعفة**
يا كاتبي الوحي لأزكى الرســـل	**يا صاحـــب الطهور ثم النعل**[120]

إلى أن يقول في ختامهـــا:

والمجد والرضوان والتشريف	**والعز والتكريـــــم والتشنيـــف**
على إمام الرســـــل والختـــام	**ومـــــن بـــه تأنـــــق اختتـــام**
وءاله وصـــحـــبه الأطـــهـــار	**والأهل والأصحاب والأصهـــار**
ما قيـــض اللـــه بذكرهم فرج	**لتـــائه ســـدت تجاهه الفُـــرَج**[121]

ولأن الله سبحانه وتعالى يحب الإلحاح في الدعاء ويكره التعجل في الإجابة فقد أردف الشاعر سيدي محمد قصيدته الأولى بنونية[122] أخرى في أزيد من ثلاثين بيتا(30 بيتا) في نفس المناسبة والغرض، وإن كانت أقل من ذلك عددا أيضا حيث قال:

---

120. مخطوط الطرائف والتلائد. ص229 وما بعدها.

121. مخطوط الطرائف والتلائد. ص634.

122. المصدر نفسه.

ضاق الخناق وساءت الأظنـــان يا بر يا حـــــنان يا مـــنـــان
خذل المساعد والمعانـــد سامنـــا خسفا وأنت الساعد المــعوان
نصب العدو لنا حبائـــل مـــكره فامكر به يا عـــدل يا ديـــان
وطوى على شحنائه كشحا طوى ما نشره العــــدوان والعصيان

إلى أن قال في ختامها:

سلم بحفظـــك يا سلام جموعنا بحـــماك حــــرز مانع وأمان
وانظر بعيـــن الحفظ منا جانبا بعنايـــة التـــبجيل منك يصـــان
وارع الذمــــام ولا تـــغير نعمة أسبغـــــتها يا بـــر يا حـــنان
فرج كـــــروبا قد توالى وقعها فإليــــك ربي يلتجي الشجوان
فاغفر وتب واسمح بعتق رقابنا فالحلم نـــعتك ربي و الغفـــران
وعلى رسولك من صلاتك خيرها ومن السلام الغض والرضـــوان
وعلى الصحـــابة والأفاضل ءاله ما حققت للـــمرتـــجى أظنـــان[123]

ولم يكتف الشاعر في الحادثة بالقصيدتين السابقتين بـــل أعقبهمـــا بقصيدة[124] ثالثة مبديا ثقته وشدة اتكاله على الله سبحانه وتعالى حيـــث قـــال:

أشكو إليك ولا أشكو إلى النـــاس فقري وذلي وتقصيري وإفلاسي
أشكو إليك مع التسليم مبتـــهلا فأنت من لجراح الملتجي ءاسي
فالطف بنا في مجاري مـــا تقدره يا من مقاديره تجري بقسطاس
واجعل لنا فرجا من أمرنا وقنـــا صرف الزمان وشر الجن والناس

123. مخطوط الطرائف والتلائد ص634.

124. مخطوط الطرائف والتلائد ص636 وما بعدها.

ولا تكلني إلى تدبـــير أنفســـنـــا واجعل هداك مـــحجـــتي ونبراس

واصحب بلطفك في الحالات يا صمد واجعل بذكرك ربي طيـــب أنفاسي

وخذ بنا للنجاة مســلكا أمـــــنا ينجي من الهلك والبأساء والباسي

إلى أن قال في ختامها بعد كثير الدعاء بالهلاك والفناء على أعدائه:

و ارجمهم بحـــجارة الــوبال فلا يشذ منهم عن المرمى أخو باســـي

و عافنـــا واعف عنا يا عفو وجد بالنـــصر يا ناصرا سلطانـــه راس

و لا تغـــير علـــينا نعمة سبغت يا من يـــمن بـــلا حـــد ومقيـــاس

و صل أزكى صلاة بالســـلام على ......وصـــــفو جـــزم إليـــاس

و الآل والصحب ما وافى أخوكرب يشكو إليك ولا يشكو إلى الناس[125]

وقد تحقق وعد الله للشاعر ســـيدي محمـــد بـــن ســـيدي المختـــار (1241هـــ) وقبيلته سريعا وأجاب فيهم دعوته وحقق فيهم ظنه ورغبته كما قال: (فقد آل أمرهم ولله الحمد والمنة علينا وعلى المســـلمين إلـــى الدمار، وإخلاء الديار والرجم بالمذلة والصغار)[126].

ولما كانت البيئة الصحراوية حيث كان الشاعر يقيم آنذاك بيئة قائمة أساسا على كثرة الفتن والحروب فقد تعرضت قبيلة الشاعر إلى كثير من هذه المحن والعداوات ولم يكن أمام الشاعر من خيار أولي فيما يبدو غير الاتكال على الله سبحانه وتعالى والتضرع له لدفع المحن والمصائب وهـــو ما عبر عنه الشاعر في كثير من قصائده الشعرية كما هو حاله في هذه القصيدة التوسلية التي جاءت – كما قال– أيام فتنة فرقة من هذه الفرق التي نعتها بالبائرة وارتجل فيهم هذه القصيدة

125. مخطوط الطرائف والتلائد ص637.

126. المصدر نفسه ص628.

الميمية[127] المطولة(أزيد من100 بيت) وهي لا تختلف مضمونا عن بقية توسلاته وأدعيته المتعددة حيث قال:

ما لنا عصمة سوى من تحامى … أن يرام حميه أو يضاما

ذو الجلال وذو القوى وتعالى … أن يرى من لجا إليه مضاما

عز مجدا فما ينازع في عز … وفي كبريائه لن يساما

إلى أن قال:

ذا الدعاء ومنك ربي رجونا … ان تجيب الدعا وتقضي المراما

وتزيح الكروب عنا فيكفى … كل هم أهدى شجى واغتماما

يا شديد المحال ياحي ياذا … البطش من عزه المقدس داما

اشددن على العدى وطأة القهر … وبدد جموعهم و..........

وأمد بالنصر والظفر حزبا … أذعنوا لك خشية واحتراما

بالجلال وبالجمال وبالذات … وملك أحكمته إحكاما

بالصفات وبالأسامي التي كا … نت ولما تزل حسانا عظاما[128]

وقال في ختامها:

يا لرسل الإله يا لرجال … عظموا حرمة وجلوا مقاما

لبغاة بغوا علينا وجاروا … واستحلوا منا ذماما حراما

غارة الله غارة الله جدي … واستجيشي نصر الولي والذماما

وانصبي للعدو حربا عوانا … مفنيا جمعهم فئاما فئاما

خببوا سبل الرفاق وعاثوا … في البلاد حرابة واحتراما

وجلالك ربي أعددت رمحا … في نحور العدى وغضبا حساما

---

127. مخطوط الطرائف والتلائد ص622.

128. مخطوط الطرائف والتلائد ص622.

فاكفيناهم بمـــا كفيــت عـــــداه أحمد المصطفى الإمـــام الـــختاما

صلوات الإلـــه هـــــدي إلـيـــه وثـــنــــــاء مـــجـــددا وســـلامـــا

وعلى ءالـــه الكـــرام وصحـــب وبنيـــه وحزبـــه والنـــدامـــا[129]

وللشيخ سيدي محمد عديد القصائد في باب التوسل والدعاء تحـــدث عن بعضها في مخطوطه الطرائـــف والتلائـــد وذكـــر بعضــــها فـــي مخطوطاته الأخرى، ومن أهم القصائد المسجلة في مخطوط الطرائـــف – أهم وأكبر المخطوطات التي خلفها الشاعر– هذه القصيدة التي أنشأها الشاعر – كما قال[130]– تأسيسا على قصيدة أنشدها له والـــده وشـــيخه سيدي المختار ومطلعها:

غير مقـــتنع بنـــصر المـــجيـــد من ثنـــــى ليتـــــه لنصر العبيد

فأسس الشاعر سيدي محمد على هذه القصيدة قصيدة[131] أخرى تربـــو على العشرين بيتا وبنفس الوزن والقافية والروي حيث قال في مطلعها:

لطفه بالعـــبيد يجـــري دوامــــــا مـــن غوي في ســــــعده ورشيد

يمـــــــهل الظالم المريد ولـــكـــن مكـــره قاصـــــم لظهـــر المريد

وقال في ختامها:

بجمـــال الأعيان حـــيا وميـــــتا ووسيط العقـــود بيت القصـــيد

وبطه الأمين مـــــن لان في الله وأرغم فيـــه أنـــف الـــــعبـــيد

صـــلـــوات الإلـــه تتـــرى عليه ما كُفي كـــــيد ظالـــم ومـــريد

---

129. مخطوط الطرائف والتلائد ص622.

130. المصدر نفسه ص 626.

131. مخطوط الطرائف والتلائد ص626.

وعلى ءالــه وصحـــــب كــرام نصروا دينه بضرب الهنود[132]

ولقد علق الشيخ سيدي محمد بن المختار (1241هـ) علـــى هـــذه الأدعية جميعا في توسلاته المختلفة قائلا:(ولقد أجاب الله تعالى، والرجاء فيه أن يجيب كل من دعا بها في نائب نابه، أو مكروه أصابه)[133].

وقد نظم الشيخ سيدي أحمد زروق. بن سيدي محمـــد بـــن صـــابر البداوي الجعفري(1244هـ) قصيدة[134] مطولة علـــى وزن الطويـــل مطلعها توسل فيها لله عز وجل بأسماء رسوله الحبيب(ص) بأن ينجيـــه وقومه من مرض الطاعون الذي انتشر في وقته – كما قال– ثم جـــاء فيها على الدعاء له ولأشياخه بالجود والغنى وطول السلامة مع عفـــو ورحمة تلازمانه في حياته وبعد الممات حيث قال:

إلهي لك الحمد المؤزر بالشكـــر وكل الثنايا يامالك الخلق والأمر

تباركت رحمانا رحيما مهيمنـــا لطيفا خفي اللطف في آزم الدهر

وصل على هذا الحبيب الذي به مننت على الكونين منا بلا حصر

وءاله من دين الفـــؤاد ودادهم وأصحابه من حبهم خير ما ذخر

بأسمـــاء خير العـــالمين محمد سألناك تأييد.....علـــى الخســـر

بأحمد خيـــر الحامدين لـــربه وأولهم حمدا بحامدي ذي القـــدر

---

132. المصدر نفسه.

133. مخطوط الطرائف والتلائد ص627.

134. مخطوط القصيدة ورد في نسختين مختلفتين واحدة منهما منسوخة من خـــط المؤلف كما قال ناسخها وهي في(81 بيتا) في النسختين. خزانة بودة. أدرار.

أحيد ومحمـــود بكـــل محـــامد وحيد المقام في الجلالـــة والفخر

وبعد أن جاء الشاعر على ذكر وتعداد أسمائه(ص) محمد، والمحمـــود، وأحمد والماحي، والحاشر، وطه، وياسين، والطاهر، والمطهر، والنذير، والبشير، والسراج، والنور والأمين وما إلى ذلك. خلص في الختام إلى التضرع والدعاء متوسلا بجـــاه المصطفـــى(ص) وبأسمائه، طالبا آمانا لا ارتياع بعده، وغنى يؤدي حق شكره بإنفاقه في أوجه الخير. كما أنه لم ينسى حضور أشياخه ووالديه في دعائه حيث طلب لهم من الله أحسن الجزاء في الحياة وفي النشر. وفي الأخير ختم دعوته لله عز وجل بأن يمن عليه بزيارة المصطفى(ص) بزاد حلال، وأن يختم عليـــه بـــالخير والسعادة، حيث قال:

بأسمائه أدعوك مولاي ضارعـــا فجد لي بما أضمرت يا رب في صدر

فقد قلت إرشادا لخلقك فابتغـــوا فجئت بها أبغي التوسل فـــي شعـــر

أجب ربنا سؤلي وأبلغ وسيلتـــي بخير الورى الهادي وأسمائه الزهـــر

وسلم من الطاعون يارب مهجتي وأهلي وقومي يا سلام بـــلا ذعـــر

وهب لي أمانا منك باسمك مومن لكلي من الأسواء والوخز و الضـــر

وأمنن علي بالغـــنـــا وبشكـــره وإنفاقه يارب فـــي أوجـــه الـــخيـــر

وجد يا عظيم الجود بالعفو رحمة وفضلا فلا أرتـــاع من كثرة الـــوزر

وعافية جـــد يا كريم بفضـــلهـــا تلازمني دار البقـــاء وفـــــي عمـــر

وثبت جناني مع لساني على الذي رضيته دينا عند مـــوتي وفي قبـــر

وكن لي بليلة المبيـــت فإننـــي لعفوك أرجـــوا لا لشـــيء من البـــر

وجد لي بعلم مـــن لدنك مـــزينا بتقوى وألبـــسني رداء من الشكـــر

وجازي بفعل من لدنك مشايخي كذا الوالدين في الحياة وفي النشر

ولا تحرمني حج بيتك و أمـــنـــا بزاد حلال واختمـــن بالهـــدى سير

بحضـــرة طـــه.... فـــي بقيعها على خير حال كامل الزيـــن ذا وفر

بخاتـــم رسل الله صل عليه من رحم الكونين في النشـــــر والحشر

وءاله أهــل البيت أشرف خلقه وأصحابه والتابعين علـــى الأثر[135]

وقد يخرج الشاعر التواتي في دعائه وتوسله لله سبحانه وتعالى من التوسل بكلام الله عز وجل وأسمائه الحسنى ومن التوسل بجاه المصطفى وآله الكرام إلى التوسل بصحابته وبخاصة منهم من شهدوا غزوة بدر الكبرى لما جاء عن رسول الله في فضلهم في حديث الصحابي حاطب بن أبي بلتعة حين خاطب الرسول(ص) عمر بن الخطاب (ض) قائلا: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أوقد غفرت لكم)[136] وفي هذا الإطار نظم الشيخ سيدي عبد الرحمان بـــن سيدي سالم البلبالي(ق12هـــ) قصيدة رائية[137] طلب فيها العفو والغفران من الله بحق أسماء معظم هؤلاء ممن ورد ذكرهم في صحيح

135. مخطوط القصيدة ورد في نسختين مختلفتين واحدة منهما منسوخة من خـــط المؤلف كما قال ناسخها وهي في(81 بيتا) في النسختين. خزانة بودة. أدرار.

136. صحيح البخاري المجلد الثاني. الجزء الخامس. باب فضل من شـــهد بـــدر. ص09 وما بعدها. شركة الشهاب الجزائر 1991م.

137. قطف الزهرات من أخبار علماء توات. محمد عبد العزيـــز ســـيدي عمـــر ص137 وما بعدها ط2002/02. دار هومة الجزائر.

البخاري[138] – كما قال– يتقدمهم سيدنا رسول(ص) وخلفائه الأربعة ثم بقية الصحبة وفي ذلك يقول:

عليك ارتزاقي سيدي مبـدأ الفخـر   وأرجوك غفرانا بجاه ذوي بـــدر
لأنـك يارب دنــوت إليـهـــم   فقلت اعملوا ما شئتم قد قضى أمـري
بغفـرانـه لـكـم وإني حبكــم   برخصكم أنفاكم لـي سوى غيـري
روينا حديثا عن شافعنا أنّ مــن   دعا عند ذكرهم يجاب بلا حـصـر
فعدتهـم كعـدة الـرسل للـورى   وعدة طالوت لمن جـاوز الـنـهـر
و قد ذكر البخـاري منهم أكابـرا   نظمتهم نظما يجازنـي بـالـذخـر
فأولـهـم نبينـا و رسـولنـا   وأبو بكر الصديق ثـم أبـو عـمـر
عثمـان علـي ثم أيـس البكـري   فحمزة مع بـلال مـولى أبـي بكـر
فحاطب مع صديقه نجـل عتـبـة   وحارثة حبيـب المرتـدي الـصـبر
خنيـس رفـاعة كـذا ابن لبابـة   زبير أبن العوام القرشـي ذوي الفخر
أبو طلحة الأنصاري سعد بن مالـك   وزيـد بن سهل قل أبا زيد الزهـري
وسعد بن خولة زهير بن رافـع   أخوه عبيـد الله عينـة ذو الـقـدر
سعيد بن زيد وأبن عوف مـعهمـا   عبيـدة مـع عبـادة عـقـبة الكـر
وعمرو بن عوف عامر بن ربيعـة   فعاصم الأنصاري عـوام الـفهـري
عثمان بن مالك قدامـة مسـطـح   قتادة مع معاذ نجـل أبـي عـمـرو

138. صحيح البخاري ص21 وما بعدها.

أبو الجموح قل معاذ بـــن عفـــراء   كذاك أخوه الفارسان أولوا الـــصدر
تحامل كالصقرين فانتهيـــا إلـــــي   أبي جهل اللعين قد بـــاء بـــالـــشـــر
فأثخناه بالسيف والرمـــح ساقطـــا   على الأرض زقا حل عنـــه بـــلا وفر
أبو أسد مع مالك بـــــن ربيعـــة   مرارة نجــل للـــربيـــع ذوي الـــسر
ومقداد نجل عمرو معد بن عـــــادي   وآخرهم هلال فاشـــف بهـــم صدري
توسلت يارب إليك بجـــاهـــهـــم   أنلني شفاعة لـــدى موقـــف الحشر
مع الختم بالحسنى بتـــلك وهـــــذه   بجـــاه النبي المصطفى قابل العـــذر
وأمن بلادا نحن فيها يـــا ربـــنـــا   وق أهلهـــا من كـــل لـــص وغـــادر
بجاه أسانيد الـــبخاري جميـــعهـــم   وكـــل ولي صالـــح البر والبـــحـــر
عبيد إلى الرحمان يدعى بسالـــــم   بلبالي ينمـــى إذا نـــودي بـــالجهـــر
ومن أنصار النبي ســـاكن يثـــرب   عليـــه صلاة مع ســـلام مـــدا الدهر

وإلى هذا كله قد يتجنب الشاعر التواتي الوساطة في دعائه وتوسله، ويتوجه لله سبحانه وتعالى وحده رافعا أكف التضرع والدعاء مباشـــرة ومرددا عبارة الدعاء المشهورة ياربنا وهو ما نجده عند الشاعر الشيخ سيدي عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان البلبالي(1261هـ) الذي استغاث من ظلم بعض الناس وتعديهم على بستانه والإستلاء على ثماره وفواكه فشكا كل ذلك لله وحده وقال في مستهل رائيته[139]:

139. مخطوط القصيدة في خزانة كوسام.

يــا ربنــا إنا ظلمنا يا قــديــر فخــذ لنا بثأرنا نعم النصيـــر

يا ربنا إنا غلــبنــا فانتــصــر فخذ لنا بحقــنا يا مــقــتـــدر

يــا ربنــا سيــدنــا القـــهــار فخذ لنا ممــن بــغوا وجــاروا

يــا ربنــا إنــا رفعنــا كفنــا فلا تــردهــا بخيــب ربــنـــا

يا ربنا إنــا بســطنــا كفنــا فــاردد أذاهــمُ عــنا وكفــنــا

إلى أن قــال:

يا ربنا أيا شديــد البــطــش يــا قاهرا كل عنيــد الطــيـــش

اقطع وصاله و فــك شمــلـــه وبــردنّ جــمــعــه وأهــلـــه

يا ربنا أمطــر عليهــم مطــرا بحيــث لا يبــقي مــنـــهم أثــرا

يا ربنا اقض لنا منهم وطـــرا ولتهدمــن حــجــرا ومــدرا[140]

إلى أن قال في ختامــهـــا:

يا رب من ال به كــرموسه عجل له بدفــنـــه رمــوســـــه

يا رب من نال به رمـــانــة عجل له من حيــنــه هــوانـــه

يا رب من أكل منه ثمــره فاجعلا ربنا عليه جــمـــــرة[141]

وبالرغم من حديث الشاعر عن الظلم والقهر الذي عاناه من بعــض أقرانه إلا أن النص لا يعكس لنا حقيقة التعايش الاجتماعي بين الأفــراد وما كان فيه الناس من طمأنينة واستقرار في عموم الإقليم، رغم ما كان يسجل أحيانا هنا وهناك بخلاف ذلك كما هو الأمر مع الشاعر الذي نراه قد تأثر كثيرا لما حل ببستانه وهو ما جعله يكون حادا في دعائــه إلـــى

140. مخطوط القصيدة في خزانة كوسام.

141. مخطوط القصيدة.

الحد الذي رأينا.

وعموما فإن غرض الدعاء والتوسل عند الشاعر التواتي لم يخرج عن إطاره التقليدي في شكله العام أما من حيث المضمون فهو أيضا لم يتجاوز المعاني الثلاثة للدعاء التوحيد والثناء على الله لذاته، أو طلب العفو والمغفرة منه مباشرة أو التوسل إليه بأحب الأمور إليه، وأخيرا الدعاء بالتوفيق والنيل من حظوظ الدنيا.

2. غرض المدح النبوي:

- **المدح لغة:** عرفه ابن منظور بأنه " نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء... وهو المديح أيضا والجمع المدائح"[142]

- **اصطلاحا:** عرفه الدكتور غازي شبيب بأنه: "وسيلة يتقرب بها الشاعر من الله ليفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، بعد أن يشفع له الرسول أمام العزة الإلهية لأنه صاحب الشفاعة"[143] فهو وإن جاء بعد وفاة النبي الكريم بقرون إلا أنه يعد مدحا اعتبارا من أن الرسول(ص) موصول بالحياة وهو يخاطب كما يخاطب الحي. وهذا بخلاف الشعر الذي قيل فيه بعيد وفاته مباشرة فهو رثاء[144].

والمديح النبوي هو غرض من أغراض الشعر العربي يعنى بتعداد صفات وفضائل الممدوح، وهو من الفنون الأدبية القديمة في الشعر

---

142. لسان العرب لابن منظور. باب الحاء، فصل الميم، مادة مدح ج02. ص589 دار صادر بيروت.

143. فن المديح النبوي في العصر المملوكي ص36.

144. ينظر: المصدر نفسه.

العربي وقد تعددت أسباب ظهوره وتنوعت تعدد و تنوع أشكاله وأنماطه فكان منه(145) مديح العزة الإلهية الذي نبغت فيه رابعة العدوية(180هـ) والحلاج(309هـ) وابن الفارض(630هـ). ثم المديح الديني والسياسي الذي ظهر في أثر الحركات الدينية والسياسية في العهد الأول من تاريخ الإسلام. وأخيرا المدح النبوي الذي يرتكز على شخصية المصطفى(ص). ولقد اختلف الباحثون في تصنيف هذا النوع من الشعر الذي أريد له أن يكون مدحا بعد وفاة النبي(ص)، فذهب فريق إلى وسمه بغرض الاستغاثة والتوسل، وذهب آخرون إلى اعتباره مدحا وإن جاء بعد وفاة الرسول(ص).

ولما كان الشعر الديني وخصوصا المدائح النبوية من أقدم وأكثر الأغراض الشعرية التي طرقها شعراء الجزائر عامة(146) وتوات خاصة طفح ميزان فن المديح النبوي ليرسم سمة بارزة على محيا التواتين في هذه المرحلة، و ليؤسس عتبة أساسية لكل بناء شعري عند شعراء المرحلة ومن جاءوا بعدهم وهو ما يعكس إخلاصهم لعقيدتهم الإسلامية وحبهم لرسول الله صلى الله عليه[147].

145. ينظر: المصدر نفسه ص34.

146. ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي ج2 ص245 وما بعدها.د.أبو القاسم سعد الله ط1، 1998. دار الغرب الإسلامي.

147. ينظر: الأدب الصومالي المعاصر. علي الشيخ عبد الله يلحو. ص33. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1408هـ.

والبداية في هذا اللون وفي هذه المرحلة هي مع أقدم شاعر عثرنا له على نماذج شعرية وأعني به الشاعر محمد بن أبّ المُزَمّري[148] (1160هـ) الذي خلف لنا كما هائلا من المخطوطات، وبخاصة جانب النظم الذي تناول فيه موضوعات علمية مختلفة نحوية وصرفية، وعروضية، وغير ذلك، بالإضافة إلى قصائد شعرية في مختلف الأغراض، كالدعاء والتوسل، والمدح وغير ذلك، وقد عبر الشاعر صراحة عن براعته وتفوقه في الشعر دون سواه حيث قال:

إذا ساد بالإقدام عمرو و بالذكا ... تفرّد إيّاس وبالجود حاتم

فإن شِعاري صَنعة الشعرفالذي ... ينازعني فيها فذلك ظالم*

والشاعر ابن أب وإن لم يركز كثيرا على هذا اللون كغيره من الشعراء، إلا أن له قصيدة مشهورة خلدها بأن منحها باكورة تفوقه في علم العروض، بإبداعه لبحر جديد أضافه إلى الأوزان التقليدية لمعروفة[149] والذي سماه المضطرب واختار له غرض المديح النبوي

---

148. ينظر: ترجمته في الملحق ص322 من هذا البحث.

*. البيت مأخوذ في معناه من قول أبي تمام مادحاً:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

149. المقصود بها الأوزان الخليلية الستة عشرة، ثم البحور الستة المهملة التي أحدثها المولدون وهي: (المستطيل، الممتد، المتوفر، المتئد، المتسرد، المطرد) ينظر: علم العروض ص77. فاطمي أبو سلهام. تحقيق عميار سيد علي. منشورات الشهاب1996 الجزائر.

كموضوع عام للقصيدة[150] حيث قال في مطلعها:

صلّ يا إلهي ثم سلّم — دائماً على خير الأنام

ما دعاك أو لبّاك محرمْ — قاصداً إلى البيت الحرام

أحمد رسول الله أحمد — سيد الورى طه الممجد

فضله مبين ليس يجحد — إذ حوى المعالي بالتمامي

فهو في ضروب الفخر أوحد — غير أن فيه القول نام

بالنبي لذ ترحم و تسلم — من جميع ما تخشى وتكرم

وانظم القوافي فيه واعلم — أن مدحه خير النظام

وختمها بقوله:

لا إله إلا الله حقا — اشهد بها عقدا ونطقا

كي ينيلني الرحمان عتقا — من لظى غداة الازدحام

هل موحد يرجوه يشقى — لا ولو تراءى ذا احترام

يا إلهنا حمدا وشكرا — إذ هديتنا سرا وجهرا

لامتداح خير الخلق طرّا — سيد الورى النور التهامي

يا محمد لازلت تقرا — من إلهنا أزكى السلام

---

150. المخطوط ورد في نسختين(ا) (ب) وهو موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وأوراقه متآكلة. والقصيدة على الوزن الآتي:

صلّ يا إلهي ثم سلم *** دائماً على خير الأنام

/0//0 /0/ 0/ 0/ 0//0/0 *** /0 /0/ /0// /0// / 0 / 0 / 0 / /0/ 0

فاعلن فعولن فاعلا تن *** فاعلن فعو لن فاعلا تن

والقصيدة جاءت في أزيد من ثمانين(80) بيتا. بيّــن من خلالها الشاعر سيدي محمد بـــن أب فضل رسول الله(ص) الذي حوى جميع ضروب الفخر والمعالي، فأصبح بذلك ملاذ الخائفين المذنبين من أمثال الشاعر وغيره، ينظمون فيه أبدع المعاني وأمتع القوافي. وفي الأخير خلص إلى التركيز على كلمة التوحيد ليجعلها ختام مدحه، آملا بذلك أن تكون مسك ختامه قبل رحيله من الدنيا الفانية.

ولقد أثر الشاعر سيدي محمد بن أب في ابنــه سـيدي ضـيف الله (ق12هــ) تأثيرا واضحا فسار الابن على نهج أبيه فـي كثيـر مـن الأغراض الشعرية وبخاصة شعر المدح النبوي الذي ترعرع على حبه الشاعر منذ نعومة أظافره كما قال وخلف فيه عديد القصـائد الشـعرية والأقوال المأثورة طمعا في شفاعته(ص) كما صرح بذلك الشاعر فـي رحلته مقدما لقصيدة شعرية من قصائده العديدة في الموضـوع حيـث قال: (وهذه القصيدة لصاحب الرحلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيها بعض المعجزات لتكون سببا للنجاة لقول صـاحب الشـفاعة (من مدحني ببيت واحد كنت له شفيعا يوم القيامة) تقبل الله منــه بمنــه ورزقه شفاعة نبيه آمين)[151].

وبعد هذا التقديم شرع الشاعر سـيدي ضـيف الله فـي عـرض قصيدته[152] حيث قال على إيقاع الكامل:

151. مخطوط رحلة سيدي ضيف الله ص106.

152. المصدر نفسه.

هجر الحبـيب وهاجت الأحـــزان وبنا الزمان فبانت الأشجـــان
وتهـــاونت.... أسباب الـــردى فمتى البقاء وماتت الأخـــوان
وتعاظمت من عظم ذنبي حســرة من أجل ذاك تكاثر الخــسـران
فسألت عن طب الطبي فقال لـــي دبر لـــنفســك إنني حيـــران
بل قال من طب الطــبيــب لدائــه فاقصده فهــو الواحد الحنــان
ففزعت باب الله طالب حاجــتــي من خير شخص جــده عدنــان
ذاك النبي المصطفى مـــن هاشـــم فلذا له مـــن ربــه ســريـــان
وهو الذي ما شكــا أحــد لـــــه أشكاه حين أصابه النقــصـان
فلقد شكا أعمى فأبــرأه نـــعـــم لم لا يكون وقد شـــكت غــزلان
أي ظبية هتفت بـــه مـــشــــدودة بوثاق صيـــاد لـــها..... فان
فانظر تمام كلامها بـــمــحلــه فهو العجاب لمــن لـــه إيــمان
ومن الخوارق ظللته سحابــــــة كالعنكبوت وأخــمدت نـــيــران
والضب كلمه بمجلس صحـــبـــه وشكا البعير له حكى السرحــان
وتفــجر المـــاء الــزلال بكــفـــه كرما له وتصــدع الإيـــــوان
وأنا اعترفت بأن عجزت وكم لـــه مـــن معجزات لا يفـــي ديـــوان

ولعل أهم ما يشدُّ السامع إلى هذا النص هو براعة الاستهلال الـــذي افتتح به الشاعر مدحه، حيث صور لنا بداية ما آل إليه قلبه من أحزان وهموم بموت كثير من الإخوان وهو ما جعله يبحث عند طبيب لحالتـــه المرضية، ولما أعياه البحث لجأ إلى الحنّان المنّان وطبيب كل إنســـان ففزع إلى بابه عز وجل يطلب حاجته بحق شفاعة خير أبنـــاء عـــدنان سيدنا محمد(ص) الذي شكاه الضب والغزلان. وظهـــرت علـــى يديـــه

خوارق حسان بدءا بالسحابة ثم العنكبوت، ومــرورا بحــديث الضــب والبعير، ووصولا إلى تفجير ينابيع المياه من بين أصابعه عليه السلام. وفي كل هي معجزات يعجز الشاعر- كما قال- عن عدها ولو خصص لها ديوانا بأكمله. وفي الأخير كان منه الختام مسكا بالــدعاء أولا ثــم الصلاة والسلام على خير الأنام حيث قال:

يارب إنــي قــد دعــوت بجاهه والقلــب منــي خــائف سهران

فافرج يامن منك ما ضــاقــت بــه حيل فمنــك المــن والغــفــران

صــلى عــليه الله ما علــم بـــدا وســرى لنحــو تهامــة الركبان

والآل والصحــب الكــرام جميعهم والتــابعــيــن ومــن له إحسان

وإذا ختمت لنا بأحسن خـــتمـــة فرجــاءنا أن يثــقــل الميزان[153]

وغير الشاعر ضيف الله ووالده محمد بن أب الذي تفوق وتحدى في شعره فإن هناك من الشعراء التواتيين الذين لم يؤثر عنهم إلا القليل من الشعر، ومع ذلك فقد خصصوه للمدح النبوي، وقد يكون عندهم الغرض هدفا في حد ذاته لقرض الشعر كما هو حال الشاعر الشيخ سيدي محمد بن البكري بن عبد الكريم(1188هــ) الذي نظم هذه القصيدة[154] ومزج فيها بين مدح الرسول(ص) وبين التوسل به إلى الله عز وجــل حيــث يقول في مطلعها:

---

153. مخطوط رحلة سيدي ضيف الله ص106.

154. مخطوط القصيدة ورد في أربعة وثلاثين بيتا. خزانة قصر تمنطيط. وينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص94. و كتاب النبــذة فــي تاريخ توات وأعلامها .ص146

بسم الإله الذي بالحق يقـــــول وحبـله لذوي التوفيق موصـــول
بسم الإله الذي يعز ناصـــــره نصرا عزيزا بسيف الحق مسلــول
بسم السميع العليم ذي الفـضائـل والإحسان والجود والأفضال و النول
الحمد لله حـمدا لا نـفـاد لـه على الدوام بلا حـد و تحصيـل
حمدا وشكرا لرب العرش ما طلعـت شمس على فرها في العرض والطول
ثم الصلاة على الـمختار من مضـر وءاله و الصحـابـة الافاضـيل
محمد الهاشمي المستجـار بـه كأنما شرعه في الليـل قنديـل
هو ا لكريم على الله الكريم ومـن شرفه من لـه ذكر و تهليـل
صلى عليه إله العرش ما هطـلـت مـزن و ما غـرد الطير الأبابيـل
من نوره قد بدا من قبل نشأتـه و مدحـه قـد أتـت بـه الأناجيـل
فلذ به واستغث ان كنت ذا وجـل وادخل حماه فان الهـم يـزول
وناجه باسمه جهرا بـلا خجـل والهج به فبه للصعـب تسهيـل
فيا محمد يا محمـد آه أغـث من لم يزل في ظلام الجهل مكـبول
فيا محمد يا محمـد آه أغـث ففيض فضلك مـورد و منهـول
فيا محمد يا محمـد آه أغـث عبدا أحاطـت بـه القوم الأباطيـل
فيا محمد يا محمـد آه أغـث من يتقي بك صولـة الأضـالـيل
نزيل بابك يرجو رحمة وسـعـت وليس للعبد عن مولاه تحويـل
بحرمة المصطفى بلغ مـقاصدنـا وتمتحي حوبتي والهـم يـزول
غاض الوفاء وعيل الصبر وانفجرت مسافة البين واللسان يـقـول

والشاعر في هذا الجزء الأول من القصيدة بدأ بالبسملة والحمدلة لله جل ثناؤه أولا، ثم ثنى بالصلاة على المصطفى(ص) ليشرع بعد ذلك في تعداد فضائل الرسول الأكرم(ص)، فهو الهاشمي المستجار به من ظلام الليالي الحالكات، وهو الكريم الشريف الذي مدحته كتب السماء قبل ميلاده. يستحق بذلك كله أن يكون مستغاث وملاذ الواجلين يناجونه باسمه جهرا وبلا خجل.

وبعد هذه المقدمة الوصفية شرع الشاعر في استغاثته المباشرة والمكررة في عدد من الأبيات لمحمد(ص) طالبا بذلك رحمة الله عز وجل، وبلوغ المقاصد، وإزالة الهم والكرب بحرمة المصطفى(ص).

وفي الجزء الثاني من النص شرع الشاعر في تبيين أهم ما جاءت به الدعوة المحمدية من معان سامية ونبيلة، من مثل معاني الشفاعة، والرحمة، وحب الخير وما إلى ذلك، ليعود بعدها إلى موضوع مدحه النبوي وما تفرد به المصطفى(ص) من خلال الوحي السماوي الذي أعجز به أرباب البلاغة والفصاحة. وفي الأخير ختم قصيده بالدعاء والتوسل بجاه المصطفى(ص) وءاله الكرام لينال بذلك شفاعته وتقضى جميع حاجاته:

يا من تحنث في الغار وحل به   أن جاءه بكريم الوحي جبريل

وقال اقرأ ولم يفهم لنحوته   وغثه جهرا وذاك تبجيل

فأكمل الله دينه وفضله   فمذ أتى زال به القال و القيل

وبعد فالقول ما قال الرسول لنا   قال اشفعوا توجروا وذلك منقول

والراحمون لمن في الارض يرحمهم	**رب السـماء بلا روع وتهويل**
من يزرع الخير يحصد في تجارته	**عزا ونصرا وإكـراما و تجليل**
كذلك الضد من يزرعه يـلق بـه	**نـدامة لا تحدها الأقـاويل**
شريعة المجتبى بذاك تخـبـرنـا	**كأنما شـرعه في الليل قنديل**
المصطفى أحمد المختار من ظهرت	**أنواره فوق أنـوار الافـاضيل**
ءاباؤه نجب أبنـاؤه عجـب	**في فـمه شـنب عـند الأقـاويل**
أعجز بالوحي أرباب الـبلاغة في	**أمر ونهي وتحـريم وتحليـل**
عز لناصـره ذل لشانئـه	**بحر لقاصـده وذلـك تـمثـيـل**
بجاههم ربنا تقضي بأوبتـنـا	**وجـاه اشفع تشفع أنت مقبـول**
محمـد أحمد ماح بملتـه	**كـفران كل كـفور ذي الأباطيـل**
ثم الصـلاة علـى المختار من مضر	**وءاله والصاحبة الافاضـيـل**[155]

والحديث عن المدح النبوي عند شعراء توات في هذه المرحلة يقودنا إلى الشاعر سيدي محمد الإداوعلي(ق12هـ) الشاعر الذي ارتبط اسمه بهذا الغرض خصوصا بما خلفه فيه من قصائد طويلة ومتنوعة لا زالت إلى الآن حديث المدارس الدينية والزوايا بالإقليم في شـتى المناسـبات الدينية وبخاصة ذكرى ميلاده عليه الصلاة والسلام.

155. ينظر: مخطوط القصيدة. خزانة قصر تمنطيط. وينظـر أيضـا: مخطـوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص94. وكتاب النبـذة فـي تـاريخ تـوات وأعلامها ص146.

ولعل من أشهر القصائد النبوية وأطولها مدحا عند الشاعر سيدي محمد الإداوعلي قصيدته النوننية المعروفة -محليا- بالورشان[156]، والتي أنشأها على وزن البسيط وأكملها في أزيد من مائة وثلاثين بيتا(130) من الشعر، وتحدث فيها مطولا عن جوانب عدة من السيرة النبوية العطرة، بالإضافة إلى مكنون صدره من حب وشوق لشخص المصطفى عليه السلام.

والشاعر سيدي محمد يفتتح قصيدته النونية[157] بالوقوف على الأطلال على عادة الجاهليين لينتقل بعدها للحديث عن نار شوقه للرسول الأكرم(ص) والتي أحرقت قلبه ومنعت نومه، وجننت وجده وجنونه كما قال في مطلعها:

أكفف دموعك إن الجفن عَبران ... بربع دار وما بالدار عُمران

تبكي عليها وما في ربعها أحد ... من الأناس وأهل الربع قد بانوا

فزارني منهم طيف فقلت له ... والقلب مني على الأحباب ولهان

أهلا بطيف عرا ليلا فأيقظني ... من المنام وجفنُ الليل وسنان

---

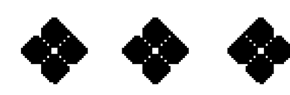
156. الورشان: طائر شبه الحمامة وجمعه ورشان بكسر الواو تسكين الراء. لسان العرب لابن منظور ج06 ص372 وقد ورد ذكره في القصيدة في البيت ما قبل الأخير.

157. مخطوط القصيدة ورد في نسختين مختلفتين بعض الشيء. نسخت الأولى منهما عشية يوم الثلاثاء03 ربيع الأول1368هـ وهي في(132بيت). أما الثانية فهي ناقصة(112بيت)، ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. خزانة قصر اعباني أدرار.

وأرثَ الوجدُ في الأحشاء نار جوى ما فارق النارَ في الفـؤاد دخانُ
ينام ليلي وعيني لا تنــام جـــوى فـهل يفـيق مـن الغرام هيمان
لما تذكــرت أيامَ الوصـــال التــي مضت وشطت بمن أهواه أوطان
جنت جنوني إذ جُن الجنون بهــا وجن وجدي وللمجنون طغيــان
إن المجانــين تــرجى إفــاقتُهــم إلا أنــا إنني بالشــوق نشــوان
كم أضرم الحبُ نارَ الشوق في كبدي وناظر القلب بالتذكـــار لهفــان

وبعد هذا التقديم ينتقل الشاعر تدريجيا في مدحه للنبــي(ص) إلــى الوقوف على ديار طيبة راجلا حافي القدمين، ليسائلها عن أناس كــان يعرفهم منذ سالف الأزمان. وترد عليه الديار في صمتها المبين لتخبره عن حالها وحال ساكنيها، وبين هذا وذاك راح الشاعر يبرز مجددا حبه وشوقه وتقديره العظيم لشخص المصطفى(ص) خير الأنام:

لما وقفــتُ بدار كنتُ أعــهَدُ مــن أحب فيها وهُــم في الدار جــيران
سألــتُّها عــن أنــاس كنتُ أعرفُهُم وقد مَضَت لهُم في الــدار أزمــان
ولم تُبــين جــوابي تُــربَ دارهــمُ إذ لم تَجد مَخــرجا للنُطق تُربــان
والدار تَنــطق نُطقا وَ هي صامــتةٌ سُكوتُها لذوي الألــباب تبــيــان
ما زال فيها لسان الحــال يُخبرُنــي أن الأحبــة فــيهَــا مُــدَةَ كَانُــوا



مهما بدت روضة المختار و ارتفعت من طية وبــدا النخــيل والبـــان
انزل على الرجل إجلال لمن خضعت لعز عز عُلاه الإنــسُ والـــجــان
واخلع نعالك وامش غيــر منتــعــل لهيبة المصطفى والرأسُ عريـــان
وقبــل التــرب تعظيمــا لتربتـــه وقرب الدمــعَ إن الدمــعَ قُربَـــان

وسر على الرأس إن وجدت ذاك بها واضرع لمــولاك إن الله حنـــــان
واخضَع لربك كي تُحظى بمنتـــــه فإن رب العلى بالفضـــل منـــــان
وابلغـــه حالـــة باك مـــن تذكـــره كما بكى لـــزوال الملك نُعمـــــان
كما بكت صخرَها الخنساءُ من أسف وما بكت لفراق الخـــدن أخـــدان

بعد هذا ينتقل الشاعر في مقطعه الثاني من القصيدة ليبدي هيامــه الشديد بالمصطفى(ص)، معددا في الوقت نفسه أهــم معجزاتــه عليــه الصلاة والسلام التي بانت بمولده، من إخماد نيران الفـــرس، وغـــيض للنهر، إلى إشراق النور، وسقوط الأوثان ومخاطبة الصخور والغزلان وما إلى ذلك. وهي كلها أسباب كافية-في نظر الشاعر- ليقدمها حجـــة في وجه المشككين في جدوى حبه وهيامه لهذا النبي الكريم، فجاء الرد منه في صيغة الاستفهام التعجبي حيث يقول:

أهيمُ بالمصطفى والوجــد خامرنـــي كمـــا بميـــة قبـــل هـــام غيـــلان
لما لا أهيمُ بأفضل الـــــورى نسبـــا ودمعُ عيني له ســـح و تهتـــَـــان!
أهيمُ بالمصطفى إذ شَـــط منـــزلُـــه وقد شجتني من الفـــراق أحـــــزان
لما لا أهيمُ به وهو الذي خـــمـــدت بنور مولـــده للفـــرس نـــيـــــران!
وغـــاض نهـــرُهم بـــه ومـــاؤُهـــمُ والنهـــرُ قـــبل حبـــــيب الله ملآن
وأشرقت بالسنـــا في نـــور مولـــده من السرور بخيـــر الرسل بلـــدان
فعمهـــا نـــورُه والأرضُ مشرقـــــة وقد أضاءت به بُصـــرى وكنعـــان
لما لا أهيمُ به وهو الذي سقـــطـــت بيُمن مولده الميمــــون أوثـــــان
لما لا أهيمُ به وهـــو الذي شهـــدت بأنـــه خـــيـــرُ خـــلق الله رهبـــان!
لما لا أهيمُ به وهو الذي هتـــفـــت بصدق لهجته جـــــنّ وكهـــــــان!

لما لا أهيمُ به وهو الذي فرحت | بحسن غرته حور وولدان!
لما لا أهيمُ بمن سما لمنزلة | ما حلها قبل خير الرسل إنسان!
لما لا أهيمُ بمن ضلت صوارمه | بها تشق من الكفار أبدان!
وظل كسرى ضليلا يوم مولده | وانقض منزلُه وارتج إيوان
وزال عنه جلال الملك وانصدعت | من بيت كسرى بخير الرسل بنيان
هو الذي نطقت بصدق بعثته | صمُ الصخور وخاطبته غزلان
هو الذي قد دعا لنهج ملته | قوم وهُم عن طريق الحق عميان
عجبت من كفرهم به وقد علمت | كهولُهم صدقَه حقا و شبان
كم كذبوه وحادوا عن طريقته | وكم أتاهم على التصديق برهان
كم جادلوه وكم مالت بأنفسهم | عن الهدى لطريق الإفك صُلبان
يا صاح دع كفرَهم بدين سيدنا | وقل يمدُك بالتوفيق ديان
الحمد لله ما زالت تصدقُه | منا النفوسُ وفي القلوب إيمان
لعل تصديقنا بصدق ملته | به يسددنا في القبر رَومان

وبعد جولة الشاعر المطولة في رحاب السيرة النبوية العطرة والتي كانت محط إعجابه وعبر عن ذلك صراحة – كما رأينا – يصل في ختام قصيدته إلى الدعاء والتضرع متوسلا بجاه المصطفى(ص) طمعا في أن يسأل له من ربه حسن الخاتمة، والفوز بجواره في جنة الحور، و الغرف والقصور، وفي الأخير عاد من حيث بدأ وختم نصه بالصلاة والسلام على خير الأنام:

يا خير من زارت الأملاك تربته | وسربلت جسمَه في القبر أكفان
سل لي من الله ربي حسن خاتمة | ليَمحقَ الذنبَ من مولاك غفران

وارحَم عُبــيدا جوارا منك مطلبُــه — في جنة سُــورهــا در وعقبــان

فيــها من الحُــور أتراب كواعبُهــا — نجــلُ العيون كــأنهــن غُــزلان

قُصُورُهُن قُصُــور فوقهــا غُــرف — فيها من المسك والكافور كُثبــان

يرفُلن في حــلل بيــن الخيام وقــد — تــلألأت من وميضهــن جــدران

يا صَاح قُــل مَدحَه وازدَد تــرَددُه — واحسن يُوافيك من مَولاك إحسان

يا رب صل على المختار ما سجعت — بحسن سجع على الركوب ورشان

وما شدَا هــائمٌ بالهــاشمي هوى — اكفُف دمُوعَك إن الجَفنَ عبــران

وما يقال عن الشاعر سيدي محمد الإداوعلي في تفرده في غــرض المديح النبوي وتركيزه عليه، يقال أيضا عن معاصره و صـــديقه(158) الشاعر سيدي محمد بن المبروك(1195هـــ) الجعفري البداوي. ذلك أن الشاعر وخلال مسيرته الشعرية كتب العشرات من القصائد الفصــيحة والملحونة، وجاءت عنده بأشكال مختلفة ومتنوعة إلا أنه حــافظ فيهــا على إطاره العام لموضوعه الذي حدده لنفسه واستحق به صفة شــاعر الرسول(ص) هو الآخر. والبداية مع هذا الشــاعر تمثــيلا هــي مــن داليته(159) الشهيرة التي افتتحها بالمطلع الغزلي على غرار كثيــر مــن

158. تذكر بعض الروايات الشفهية أنه كانت بين الشاعرين صداقة متينة، وربما يكونان التقيا أولا في حلقة الدرس في مدينة تمنطيط بالإقليم أو مدينة تمبكتــو بمالي. ويقال أيضا أن الشاعر الإداوعلي لما مات صلى عليه الشــيخ ســيدي محمد بن المبروك. ينظر: سلسلة النواة ج/01 ص114 وما بعدها.

159. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(أ) و(ب) وفي45 بيتا. نسخة(أ) بخزانــة بودة أدرار. ونسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

قصائده، وعدد فيها صفاته وفضائله عليه الصلاة والسلام حيث يقـــول فـــي مطلعها من الوافـــر:

وقفــتُ بـــربــع سلماك البعيــد　　قــطعــتُ دُوينــَـه كــم من بريــد

فــقلت لـــه مقـــالة من يـنـــاجي　　ودمـــع العـــين يجـــري بالخـــدود

ألا يـــا ربـــــعُ حيُك أين ســـار　　بأنـــس الصـــب كـــاعبة النـــهود

وبعد هذا التقديم يشرع الشاعر في تعداد فضائله(ص) التي شـــرف بها أمته خاصة لتكون خير أمة أخرجت للناس، وشرف بها البشـــرية جمعاء لتكون الدعوة عالمية، فكانت كل هذه الخيرات والعطايا الربانية لخلقه إكراما لشخصه(ص) كما يقول الشاعر:

فما فـــي العالميـــن مثـــل طـــــه　　رســـول الله منبع كـــــل جــــود

تمنى الأنبيــــــاء بـــأن يكـــونـــوا　　مـــن أمته لدى المولـــى المجيــد

عظيم القدر منبـــــع كـــل خـــيـــر　　كريم الأصل محتـــــرم الجـــدود

فلولا المصطفـــى مـــا كـــان رزق　　ولا مـــاء تـــدفـــق للــــــــورود

ولا دنيا ولا أخـــــرى ولا مـــــن　　يعمـــر ذي وتـــلك مـــن العبيــد

وفي ختام قصيدته يصل على عادة شعراء المديح إلى الدعاء والتوسل بجاه المصطفى(ص) ليتقبل منه الرحمان عز وجل قوله ونظمه وما أسداه فكره من مديح أولا وآخرا، وأن يرزقه الجنان ويطفئ عنه لهيب النيران.

مـــدحتك يـــا رسول الله عـــذرا　　وأسأل منك عونا فـــي المزيــــد

وإن يتقبل الرحمـــان قـــولـــي　　وما أســـداه فكري من قصيـــــدي

ومن بيت ومـــن حـــرف يـــدور　　إلى مـــدح قـــديـــم أو جـــديــــد

ويرزقنا الجنـــان وكـــل خـــير　　ويطفئ في غد ذات الـــوقـــــــود

صلاة الله يتبـــعــهـــا الســـلام على خير الورى قطـــب الوجود

وجمع الآل ثـــم الصـــحب طرا وتابعهـــم إلـــى يـــوم الخلـــود

وبالرجوع إلى الشيخ سيدي محمد الإداوعلي(ق12هـ) نجد له كما ذكرنا عشرات القصائد المدحية[160] في حق المصطفى(ص) وهي وإن اختلفت وزنا وقافية وشكلا واتحدت موضوعا وغرضا، إلا أن لها مـــا يميزها عند الشاعر وهو قالبه المتجدد الممزوج بالغطـــاء القصصـــي والذي جعل من موضوع قصائده قديما جديدا كل مرة. كما هو الحـــال مع هذه القصيدة[161] التي يفتتحها بمطلع غزلي يحكي فيه قصة حمـــام شدا أمام عينيه فأثار جواه وجوى الغراب الحاضر معه، وذكره أحبتـــه عامة ورسول الله(ص) أكرم الخلق وأشرفهم وأقواهم وأرحمهم خاصـــة كما يقول من الوافـــر:

بربـــع الحي بـــدر اليمـــــن لاحـــا فـــأولانـــا بطـــلـــعتـــــه فلاحـــا

وغـــنى فيـــه قـــمــــــري غـــنـــاء أثـــار جـــوى الغـــراب فصاحــــا

إلى أن يقـــول:

وذكـــرنـــي بـــه شـــدو القمــــــاري على الأغصـــان أحبابـــا ملاحــــا

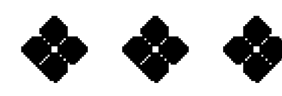
ولـــي فيهـــم أشـــد النـــاس بأســـا وأشجعهم وأمضاهـــم ســـلاحــــا

---

160. نسعى جاهدين في المستقبل القريب بإذن الله إلى جمع بقية أجـــزاء ديـــوان الشاعر وتحقيقه ضمن سلسلتنا الموسوعية(رجال في الذاكرة). التـــي نتـــرجم فيها لأزيد من أربعين شاعرا.

161. مخطوط القصيدة ورد في نسختين (ا) (ب) وفـــي (40 بيتـــا). النســـخة(ا) خزانة أعباني أدرار. والنسخة (ب) خزانة باعبد الله أدرار.

وأكثرهم وأكرمهم عطاء وأشرفهم وأقومهم رماحا
وأرحم من جميع الرسل قلبا وهم رُحَما وأزكاهم صلاحا



مديحك يا أجل الناس قدرا تركت به الملاهي والمزاحا
فلو بلغ الذي أهواه نظمي لأفنيت القريظ لك امتداحا
عليك صلاة رب العرش يامن يسح بحبه دمعي سحاحا
عليك صلاة ربك ما تغنى حمام فوق أيكته و ناحا
وما سجع الحمام على هديل وبالغ في البكا وغدا وراحا
وما قال المتيم خلف عيسى بربع الحي بدر اليمن لاحا

وللشيخ الإدوعلي أيضا هذه القصيدة[162] الرائعة التي يقدم لها بعد الصلاة على الرسول الكريم بحوار دار بينه وبين صاحب له، بعدما رأى صبره ينفد، وعبرات عينه تجري بعد مغادرة ركاب الأحبة في اتجاهها لزيارة قبر المصطفى(ص)، حيث يقول من الوافر أيضا:

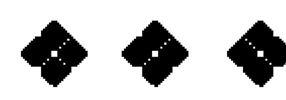
عليك صلاة ربك ما أراقت رعودُ سحائب ماءً زُلالا
وما قال المشوقُ وراءَ نوق ركابُ أحبتي قصدَت إلالا
ركابُ أحبتي قصدَت إلالا فأضحى الصبرُ بعدَهم محالا
فقلتُ لصاحبي لما تولت تمسك بالسلو فقال لا لا
فكيف الصبرُ عنهُم والتسلي ولم أر في الكرَى منهم خيالا

162. مخطوط القصيدة ورد في نسختين.النسخة(ا) في(51 بيتا) خزانة قصر باعبد الله أدرار، والنسخة (ب) في (49بيتا). خزانة أعباني أدرار.

ولــم أر في منـــازلهـــم أنيســـا وذكـــرني ارتحالهـــــم غـــــزالا
تـــوطـــن فـــي الحَشا وله محـــل رفـــيعٌ فـــي الجوانـــح لم يـــزالا
فأجرى ذكـــرُه عـــبرَات عينـــي وقـــلبي فـــي رياض الحب جـــالا

وبعد هذه المقدمة يدخل الشاعر في سرد أوضاعه ووصف حاله بعد طول معاناة وشدة شوق للمحبوب وأي محبوب. فالـــدمع منـــه منهمـــل انهمالا، والعقل منه كاد أن يختل اختلالا، وهو في كل هذا وذاك يصبر نفسه بحب خير من وطئ الرمالا. محمد(ص) أفضل المخلوقات طـــرا وأعلاها قدرا وأنماها كمالا، وأحسنها نوالا، وأنجحها سؤالا، وأرفعهـــا محلا وأصدقها مقالا كما يقول:

فأتحَـلني الجـوى والـدمعُ مـني لأجـل الـبين يـنهمـلُ انهمـالا
وذابَ بـحـب مـن أهـواه لحمي فليـتَ الصبـر أولانـي وصـالا
فلـولا أنـنـي جَـلـدٌ صَـبور لطاش العـقلُ واخـتل اخـتلالا
ولـكـني أسَـكـنُ بـثَ قـلبي بحب خـيار من وطـئَ الرمـالا



محمـدُ أفضـلُ الأرسـال طُـرا وأسـنى مـن جميعـهم جمـالا
وأعـلى مـن جميع الخلق قـدرا وأنماهُـم لـدى المـولى كمـالا
وأكـرمُ الأكـرمين من البـرايـا وأحسنُـهـم وأكثـرُهم نـوالا
وأزكـى المرسلـين غـداة حَشر لدى المـولى وأنجـحُهم سـؤالا
وأرفعُـهم لـدى البـاري مَحَـلا وأجـملُـهـم وأصـدُقهم مقـالا

وفي الختام – وكما جرت عادته في معظم قصائده– يصل الشـــاعر إلى الدعاء والتوسل بجاه المصطفى– بما ناله من كثرة اشتغاله بربه–،

ليسأل له من ربه رزقا حلالا، وسرا مصونا وغفرانا للذنوب والخطايا، ولا ينسى هذه المرة أن يشرك في دعائه أباه وأمه وأحبته جميعا:

ألا يـا واسـع الأرسـال جـاهـا وأكـثرهـم بخـالقـه اشتـغـالا
ويـا مـن لم يـزل بـرا رحيمـا سـل الـرحمـان لي رزقا حـلالا
وسـل لي من إله العـرش سـرا مـصونـا لا أخـاف لـه زوالا
وسـل لي مـنه غـفران الخطايا وسـل لـي مـن مـواهـبه نوالا
وسـل لأبـي وأمـيَ مـنه سترا وغـفرانـا وجـنـبنـي الضـلالا
وسـل لأحبتـي عفـوا جميـلا مع الغفـران يتصـل اتصـالا
وكن لي ناصرا مـا دمـت حيـا علـى الأعـداء واصلـح لي منالا
وسل لي مـن إلهـي طول عمر وسـهل لـي لـزورتـك ارتـحالا
لكي تـُمحى المآثـم والمعـاصي وامتـثـل التـقـى فيـك امتثـالا
وسل لي حسن خاتمـة وجـد لي بوصـل لا أخـاف بـه انعـزالا
وكـن يـا خير خلـق الله طـرا شفيعـا وجنبـنـي الـوبـالا
لأنـي في الهوى أفنيت عمـري ولاح الشـيب واشتعـل اشتعـالا
عليـك صـلاة ربـك مـا أراقت رعـود سـحـائب مـاء زلالا
ومـا قـال المشوق وراء نـوق ركـاب أحبـتي قـصـدت إلالا

وعموما فإن الشيخ سيدي محمد الإداوعلي قد خلف عشرات القصائد في موضوع المدح النبوي ولا يسعنا المقام لتتبع مضامينها جميعا ولذلك سنكتفي بذكر بعضها وأشهرها من ذلك تمثيلا:

- **داليته**[163] على وزن الكامل التي يقول في مطلعها:

أمحــمــدُ أمحــمــدُ أمــحــمــدُ ... يــا أحــمدُ يــا أحمدُ يــا أحمــدُ
يا دارَ خلاصي من كُــروب ضيقت ... عرض الفضا والقبُ منــها مُكمــد
تُغــني الفقــيرَ وأنتَ خيرُ مُرسَل ... ديــناً وذاتــاً أنــتَ نعـــمَ السيد
ثبــتت سيــادتُك العَلية في العُــلا ... والأرض أنــتَ للشفاعــة مُفــرد

- **داليته الثانية**[164] والمعروفة محليا بالغوثية والتي جاءت على وزن الطويل ومطلعها:

ألا مُقــلَتي باتَت كــمُــقلَــة أرمــَد ... وحــالي مــما نابهــا حــالُ مُكمَد
تجودُ وقــد ضــاقت علي مذاهبــي ... بــدمع كمنظــوم النفيــس المُبــدد
وقــد غاب أقوامٌ ألفــتُ جــوَارهُم ... فنــومي مــن الأحزان نومُ مُسَهــد
تــُراني ونابَتني عــن القــوم غيرة ... كــأني لأشــتّات الخُطوب بمُــرصد

ويقول في ختامهــا:

أحبائي مهمــا اشتــاق قلبي إليكــم ... وغيبكم عن ناظــري كــل فــدفــد
وغبتم وغابت فكــرتي في هواكــم ... وعانيت بحــرا للهــوى أي مزبــد
تنشقت زهرا قد بدى من فروعكــم ... حياتي وطيب الفرع عن طيب محتد
عليكم من الله الرضى مــا تعاقبــت ... سحائب إفضــال علــى كل مهتدي

---

163. مخطوط القصيدة في نسخة واحدة وهي في(20 بيتا) الوجه الأول منها واضح، والثاني فيه محو لأواخر أعجاز الأبيات. النسخة بخزانة. قصر أعباني أدرار.
164. مخطوط القصيدة في نسخة واحدة وهي في(55 بيتا). النسخة بخزانة. قصر أعباني أدرار.

- **داليته الثالثة**[165] على وزن البسيط والتي استهلها بقوله:

أيــا محمــدُ سامحــني وخُذ بيــدي   واحلُل بجَاهك عــند المشتكى عُقدي

أيــا محمدُ مــالي غــيرُ جاهــكُــمُ   بادر خديمك يا ذا الفــضل والمــدد

أيــا مــحمدُ مــالي من ألــوذُ بــه   إذا رمَــى مَوجُ بحر الذنــب بالــزند

أيــا محــمدُ دَارك بالشفاعــة مــن   أتاك يشكُو من أجل الذنب هولَ غــد

أيــا محمــد أنــت المستغيــث بــه   فكيــف أدلــو بأوطــاري إلــى أحد

ويقول في ختامهــا:

أيــا محمــد أبيات القصيــدة فــي   يوم العــروبة صغتهــا بــلا عمد

أيــا محمــد صغتهــا إليــك ولــم   تحتج إلــى سبب ولا إلــى وقــد

أيا محمد أبتــغي رضــاك بــهــا   هب الــذي ابتغي يا معدن الرشــد

أيا محمــد مدحي فيك يــا أملــي   تبــارك الله لم أكسبــه بالرصــــد

أيــا محمد يا مأوى الغريب الــذي   أعياه طول انتظار الفتح والمـــــدد

أيا محمــد صن بصون حفظك لــي   وبالعناية يا حامي الحمى بــلــدي

بجــاه أحمـــــد بــارك الإله لنــا   في الأهل والمال والأحباب و الولد

صلى الإله عليك ما شدوت هــوى   أيا محمد سامحني وخــذ بــيــدي

---

165. مخطوط القصيدة في نسخة واحدة وهي في(37 بيتا). النسخة بخزانة. قصر أعباني أدرار.

– **داليته الرابعة**[166] التي نظمها على وزن الكامل: وجاءت مرتبة على عدد حروف الهجاء حيث قال في مطلعها:

ألــفُ ابتــداء الكائنــات مُحمــد ... نــورُ الوجود بنــوره يتــوقــد
بــاءٌ بــمولــده تزايــد بشــرُنا ... والوجدُ من شوقي لــهُ متزيــد
تــاءٌ تبارك من دَعــاه لحضرة ... فيهــا الحبيبُ على الأنام مســود
ثــاءٌ ثوابي عــنده يــومَ اللقــا ... عفــوٌ وتــاجٌ دُرهُ مُتَــوقــد

ويقول في ختامها:

واو وشاحــي مــن مديح محمــد ... فيه الجمــال ولــؤلــؤ وزبــرجــد
يــاء يواقيــت المــديح تنظمــت ... في السلك والمرجان فيه وعسجــد
صلى عليــك الله يا خير الــورى ... ما مــاس غصــن في ....
وعلى الصحابة ما شدا صب لنــا ... ألف ابتداء الكــائنــات محمــد

* **وله ميمية**[167] أخرى مطولة وتعرف –محليا– بالمترنم جــاء بهــا على وزن الكامل وقال في مطلعها:

صلى عليــه الله مــا نفــح الكبــا ... وشــذا علــى أوكــاره متــرنــم
هل ما كتمت عــن الحواسد يعلــم ... أم كل مــا أودعــت سُلمــى يكتــم

---

166. مخطوط القصيدة في نسخة واحدة وهي في(30 بيتا). وبها محو في بدايــة عدد من الأبيات. النسخة بخزانة. قصر أعباني أدرار.

167. مخطوط القصيدة في نسخة واحدة وهي في(143بيتــا). النســخة بخزانــة. قصر باعبد الله أدرار.

ثم يشرع بعد مقدمة طويلة في مدح المصطفى(ص) فيقول:

هو الكريمُ المصطفى والمُنتقى ... هو الحليمُ وغيرُه يتحلم
هو الذي ما راق قط طرفهُ ... من زينة الدنيا الدنية درهم
هو الذي تُغني مواهبُ كفه ... من هو مُحتاج ومن هو معدم
فاطنٌ لبيبٌ واهبٌ متأدب ... بحرُ العطايا باسطُ اليُمن مُنعم

إلى أن يقول:

لا تعجبوا من سلك نظمي إنه ... رزق على قدر المحبة يقسم
يا سائلين عن المحبة في الحشا ... إن المحبة قدرُها لا يُعلَم
لكن لها في العاشقين أدلةٌ ... تبدو فيَعرفُ بعضَها متوسمُ
عينٌ مُسهدَةٌ وجسمٌ ناحلٌ ... وخواطرٌ في بحر شوق عوم
وتذللٌ وتواضعٌ وتحزُنٌ ... ورضًى عن المحبوب فيها يَحكُم
وتدبرٌ وتفكرٌ في كل ما ... يَبني به سُورَ السلُو ويَهدم
وبُكًى ودمعٌ بالتذكُر سائلٌ ... طورا وطورا في الجوانح يسجُم
اسمَع علامَات الهوى واعمَل بها ... من مُخبر في القول لا يتلعثمُ
واعلم بأني ذقتُها و خبرتُها ... في حب مَن يُولي الجميلَ ويُنعمُ
ولقيتُ ما لم يَلقَ قيسٌ مثلَها ... قبلي ولا لقاه قط مُتَيم

ولقد سلك الشاعر سيدي محمد بن المبروك الجعفري البداوي (0084هـ) هو الآخر نهج صديقه الشيخ سيدي محمد الإداوعلي في تخصيص نظمه للمصطفى(ص) وخلف في ذلك عشرات القصائد المبثوثة هنا وهناك ومن جملة ما وقفنا

عـــليه:[168] في هذا الموضوع نذكر:

- **قصيدته البائية**[169] التي سار فيها على طريقة الشيخ الإداوعلي[170] في لاميته السالفة الذكر حيث انطلق من المقدمة الغزلية التـــي اســـتعار فيها اسم سلمى ليكون دليله ومرشده في مدح أحمد المحمود كمـــا قـــال على وزن الرمل:

سلبـــت سلـــمـــاك ألبـــابُ اللبابُ ورمتـــني يـــومَ بـــانـــت بشهاب

خلفتنـــي فـــي معـــان الحـــي لا أسمعـــن صوتا سوى نعي غراب

في رســـوم عفـــيـــت آثـــارهـــا بجَنُـــوب ونـــدى صـــب سحـــاب

ويستمر الشاعر مع سلماه إلى أن يقول:

فمتـــى قلـــت لهـــا مخـــتبـــرا أين سار الحي صامت لا جـــواب

بل أجابت بلســـان الحـــال مـــا بـــال هـــذا يخطب القفر اليبـــاب

سلني عن معشـــر حبـــهـــم مثل ظـــل زائـــل أو كســـراب

---

168. نسعى جاهدين في المستقبل القريب بإذن الله إلى جمع بقية أجـــزاء ديـــوان الشاعر وتحقيقه ضمن سلسلتنا الموسوعية(رجال في الذاكرة). التي نترجم فيها بحول لأزيد من أربعين شاعرا.

169. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي41 بيتا. نسخة(ا) بخزانـــة بودة أدرار. ونسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

170. لقد أدى تشابه الشاعرين سيدي محمد الإداوعلي وسيدي محمد بن المبروك في تخصيص نظمها للمديح النبوي وفي اشتراكهما في كثيـــر مـــن المعـــاني المدحية عند بعض نساخ المخطوطات بالإقليم قديما وحديث إلى نسبة بعـــض قصائد الشيخ الإداوعلي للشيخ سيدي محمد بن المبروك.

فلو افنى دهره فـــي مـــدح مـــن خاتم الرسل جميعـــا لأصـــــاب

وبعد المقدمة الغزلية يستعرض نسبه عليه الصلاة والسلام من جهة أبيه بدء بالسيد عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وصولا إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو الحد الــذي أوصـــى عليـــه السلام بالوقوف عنده وما فوق ذلك فهو ريب كما يقول الشاعر:

أحمد المحمود في الدنيـــا وفـــي ظلمت القبر وفي يوم الحســـاب

ابن عبد الله عبـــد المـــطـــلـــب جده أعطي من فصل الخطـــاب

هاشم عبـــد مـــنـــاف بـــعـــده وقصـــي يقـــتـــفيـــه وكـــــلاب

مرة كـــعـــب لـــــؤي غـــالـــب بعد فهر مالـــك نـــلت الثـــــواب

ثمت النضر كنـــانـــة بـــعـــده وخزيمة مدركة حزت للصـــواب

ثـــم إليـــاس يلـــيـــه مـــضـــر ونـــزار ومـــعـــــد لا ارتيـــــاب

أصلهم عدنان مع من بعـــده فيهم الريب بذا تم النـــصـــــاب

وبعد أن جاء الشاعر على نسبه(ص) من جهة أبيه أشار إلى نســـبه الشريف أيضا من جهة أمه، لينتقل بعدها للحديث عن صحابته رضوان الله عليهم ممثلين في شخص سيدنا أبي بكر الصديق صديق رسول الله، وسادتنا عمر وبلال وعلي وزيد والسيدة خديجة وبقية العشرة الأخيـــار والصحبة الأبرار. وبهم جميعا يتوسل لله عز وجل طامعـــا فـــي أمنـــه وستره ومغفرة ذنوبه إذ يقول:

أبتغي أمنا ومنا فـــي الـــــدنـــا ولدى الموت وفي معنى التبـــاب

لا أرى بأســـا ولا يـــأســـا و لا للعدى جنسا ولا بخس المئـــــاب

واستر الله عيـــوبـــي كلـــهـــا واغفر الذنب الذي يدني العـــذاب

وتحمـــل تبعـــاتـــي كلهــا لذويها وتجاوز فـــي الحــســاب

وتداركني بــلطــف مــنــك يا ربنا عبدك في الإســلام شـــاب

سمع الوعد الذي جــاء بـــه مرسل كلمــه خــير الضبـــاب

صل يا رب على المختار مـــا تُلي الحمــد وتنــزيــل الكتــاب

وقد يتخذ الشاعر سيدي محمد بن المبروك الجعفري(1195هـ) من حادثة وفاة متصورة وما يصاحبها من خشوع وحضور للقلب مناسبة لعرض أفكاره المدحية وما يخالج صدره اتجاه الرسول(ص) كما هو الحال مع هذه القصيدة[171] التي يتصور فيها حاله وسط بيت سليمى ،وقومها حوله يبكون، الأمر الذي أبكاه وجعل يصيح صياحهم، ثم بعد عرضه لمشاهد الدفن وما أعقبه من وعظ وإرشاد تنبه من سكرته -كما قال- وراح يتمسك بحب الحبيب محمد(ص) حبه الدائم والثابت ويعرض علينا خصاله وفضائله وهو ما سكن من روعه وطمأن قلبه كما يقول على إيقاع المتقارب:

قصَــدتُ سُلــيمَى لمـنــــزلها وجدتُ به قــومــها مُنــكريــنا

يصيحــون وهـــي مســجــيــة ظننت بــذلك كــل الظــنــونــا

جعلــت أصيــح صيــاحهـــــم لأعــرف ما للبــكا من شجــون

فلما جلســـت لـنـــاديــهـــم تبدى لعينـــي مـــاء ســخـــون

وأثـــواب قطن تخـــاط لـــهــا عــرفت بأن قــد نعاها المنـــون

171. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي51 بيتا. نسخة(ا) بخزانة بودة أدرار. ونسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار وهي مشكولة. وهما معا في وضع جيد.

فــزاد بكائي مـــن فــقـــدهــا   غشانـــي من الوجد لمس جنون
ظللت صــريعا شبـيهـا بـهــا   فلا أستطـيـع رفــع جــفون
وللقوم شــغــل بتجــهيــزهــا   وإن أقــبروها فــلا يغــفلــون
فمـــذ فــرغوا رفـــعــوا نعشها   وســـاروا إلى رمســـها مهطعين
فهاب قــسيمـــهم دفـــنــهــا   وإن يجــعلــوها مـــع المـــيتين
فـــوعّـــظهـــم حبـــرهـــم و بكوا   فمــا دفنـــوها إلـــى بعــد حيــن
فبــاءوا إلـــي و هـــم خشــع   لوعظ نقيــبهــم يسمـــعـــون
فقـــال أيـــا صــاح قـــم راجعا   لمن أمره بيـــن كـــاف ونـــون
لو أبصــرت لهبـــان نـــار لظى   لما نظــرت في النساء عــيــون
ولو لفــحت عيــنك الحطـــمـــة   لــزدت فــرارا تلتــه شجـــون
ولوسمعــت أذنـــك الــزفــرات   لذاب الجســيم كــمـــاء مهيــن
ولو شمم الأنـــف نتـــن الحمـــيم   لصـــار دمـــاغك منـــه عضيــن
وفي الموت وعظ و في القــبرلا   تفوتهما لـــو حيــيت ســنيــن
وســـؤل نكيــر و صـــاحــبــه   يكـــون عذابا علـــى الكـــافريــن
وفي ذكـــر مـــا فـــات من عمـــر   لـــوعظ مبين لهجــم اليـــقيــن
فإن كـــنـــت عـــن هـــذه غافـــلا   فـــأنت صـــلود لئيـــم لجـــون

وبعد هذه المقدمة القصصية المشوقة التي أدخلت الشاعر فـــي غيبوبـــة طويلة -كما قال- يستفيق الشاعر مجددا على وقـــع نصـــيحة أخ لـــه بضرورة التمسك بنهج الأمين محمد(ص) حبيب الإله وشفيع الورى:

تنبهـــت مـــن سكـــرتـــي قـــائلا   لـــه يـــرحم الله عبـــدا يعيــن
علـــى طـــاعـــة الله يـــرشـــدنا   ويفصـــد عـــن كـــل داء دفين

فـقــال أخَــــيّ علـيــــك إذا أردت النــجــاة بنــهج الأميــن
حبـيــب الإلـــه ونــخبـتـــه ورحمتــه خــاتــم المــرسلــين
وسيــدهــم وشفيـــع الـــورى وقدوتهــم قاتــل المشــركيــن
بشيــر نــذيــر مبــشــرنـــا رحيم عطوف علــى المومنين

ويستمر الشاعر طويلا في تعــداد صـــفات ومعجــزات ممدوحـــه المصطفى(ص) من انشقاق للقمر، وتصدع لبناء كسرى، وإطفاء لنـــار الفرس، وحنان جذع النخلة إليه، وتكليمه الضب وما إلـــى ذلــك مـــن المعجزات الكثيرة. ليصل في الختام ليعلن عن عجزه التـــام عـــن عــد معجزاته جميعها وإيفاء الممدوح حقه كاملا ولو بعد حين، وهو ما دفعه للاعتذار عن تقصيره أولا والتمسك بحبل الله المتين ثانيا وتسليم كـــل ذلك لمن يقول لأمره كن فيكون:

ذكــرت قليلا مـــــن المعجــزات ولــم أصلن مــدى المكثــريــن
لعلـــمــيَ أنــيَ لســـــت أفـــي بها فـــي حياتي ولـــو بعد حيــن
فـــلا ينـــزح البـــحر غب حمـــام فعجزي عن ذاك حـــق مبيـــــن
لو أفنيــت عمـــريَ فـــي مـــدحه لفزت وصرت من المـــفلـــحين
ولكــــن قضـــى ربـنـــا أمـــره وقدره فـــبـــه أســـتـعيــــن
وفعلــــي أقبـــح مـــمـــا يـــرى يصاحب جسمي فبيس القريــن
وذنبـــي عـــظـــيـــم يثـــبطـــنـــي إن أعجبني عمـــل المصلحيــن
فيا نفـــس لا تختشـــي من كـــرب فإن مع العســـر يســـرا تهون
أسلم أمـــري وعـــــذري لـــمــــن يقول لأمـــره كـــن فيـــكـــون
ولســـت أبـــالي بـــذنـــب فـــقــد تمســـك قلبي بحبـــل متيـــن

صلاتـــك ربـــي على المصطفى وءاله والصحب والتـــابعيـــن

وغير هذه القصيدة فقد نظم الشيخ ســيدي محمـــد بـــن لمبـــروك البداوي(1195هـــ) دالية أخرى في نفس الموضوع وخرج بهـــا هـــذه المرة من حب سلمى إلى حب سعاد معارضا[172] في ذلك الشاعر كعب بن زهير في لاميته المشهورة(بانت سعاد) فكانت القصيدة[173] في نفس الموضوع والوزن وعلى نفس المطلع الغزلي أيضا حيث يقول:

بانت سُعاد وبان الشيبُ في جسدي وأضرمَت جذوة الجحيم في كبد
قد كنت ذا شغــف بهـــا أعاهــدها وأطرقتها بذي الأسباب والوتد
وطالما لطمت خــدي ذوائـــبـــها وقبلتنـــي بما يفتر عـــن بـــرد
عظيمة العـــجز بضّـــة وكـــاعبـــة بأربـــع تقبلن إن مددت يـــدي

وسعاد الشاعر هنا هي روح القلب الموقظ من سكرات الحب الذي يفنى إلى حب الواحد الذي لا يفنى تاركا بذلك أيام التصابي بلا رجعـــة ومشمرا ذيوله عن أيام اللهو والمتعة. وهو في كل هذا يختـــار ســـبيل رسول الله(ص) في تشييع محاسنه كأنجع طريق للظفر بالمراد:

---

172. لقد أثرت لامية كعب بن زهير كثيرا في ازدهار فن المعارضات الشـــعرية خصوصا في العصر المملوكي وما جاء بعده إذ افتتن بها العديد من الشـــعراء وتأثروا بها كثيرا خصوصا على مستوى الموضوع والوزن، ينظر: فن المديح النبوي في العصر المملوكي ص83 وما بعدها.

173. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي44 بيتا. النســـخة(ا)بخزانة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

إليك عني فأيام الصبى ذهبت   ولست آنس بالمشيب للأبد
فالوصل من مثلنا آل ببلقعة   تظنه الري إن طلبت لم تجد
فشمر الذيل عن ذكرى تغزلنا   وعامل الله بالإخلاص واجتهد
دع التصابي لا تسلك محجته   إن المعاصي نهج الكفر والوفد
وتب لمن نور الورى بقدرته   رب العباد الإله الواحد الصمد
يقضي بحكم سوي لامرد لما   قضاه يفعل ما يشاء إن يرد
ولا تغرنك الدنيا وزهرتها   لأنه خلق الإنسان في كبد
واسلك سبيل الله قدوتنا   ودم على دينه القويم لاتحد
شيع محاسنه تظفر بفائدة   يفدى بها من جنى من....القود
أختاره الله من أعلا الورى نسبا   لوحيه آية جلت عن العدد
منها حنين الجذيع حين بدى له   بمنبر صنعت النجار من عمد
وكلمة الضب في نادي صحابته   وظبية الصيد إذ حنت إلى الولد
وقصة الجمل الذي استغاث به   من اليهود عليهم لعنة الأحد

وبعد عرض مفصل لمعجزاته عليه الصلاة والسلام يصل في الحديث أخيرا إلى تجربة صحابته معه عليه السلام وما نالوه من فضل وكرم وما مواضع تبوك وبدر وأحد ومكة وغيرها إلا مواقع شاهدة لهم كما قال:

أنصاره المرتضين حل أرضهم   ءاووه بالسيف والترحيب في الوفد
وجاء من هاجر الكفار نحوهم   فصار بعضهم للبعض كالعضد
قاموا بأمر النبي لنصر ملته   وجاهدوا الكفار حتى باعوا بالجسد
فسل تبوك وبدرا عن قتالهم   وسل حنينا ويوم الفتح مع أحد

ينبيك عن ما جرى ببذل أنفسهم نحو الجهاد بلا حد ولا أمد

وأظهروا الدين واستوت قواعده وخلفوا سربهم في عيشة الرغد

يا رب صل على محمد وعلى ءاله والصحب والأتباع والولد

ومن سعاد ينتقل الشاعر محمد بن المبروك إلى ليلى هذه المرة ليتخذها مفتاحا وطريقا للوصول إلى مدح المصطفى(ص) بعدما ظل يطلبها ويطرقها ليلا –وهو في حذر وخوف من أهلها– حتى احترق قلبه لأجلها بعد أن عدمها ولم يبق له في مدحه خيار ولا مطمعة غير الاتجاه به صوب من محا الله به كفر الضلالة والغي، وأمد به جذور الهدى والرشاد سيدنا محمد(ص) خير مبعوث للعباد.

ولقد حاول الشاعر أن يخرج بهذه القصيدة[174] من نطاق شكلها العام وما يحكم القصيدة العربية عامة من قيود الوزن والقافية إلى إطار جديد تفنن فيه الشاعر وتفرد بجمعه للموضوع والقصيدة معا في وزنين مختلفين من الأوزان الخليلية المشهورة، حيث يقول الشاعر على وزن المنسرح أولا:

عدمتَ ليلى وقلبُك احترقا من أجل فُرقتها وما سبقا

عاهدتها في الدجى بقبتها وكنت تطرقها إذا اتسقا

تهدى بند وعود مجمرها يسبي الحشا زندها إذا عبقا

وأنت من أهلها على حذر مؤله القلب خائفا قلقا

من دونها الأسد في الوجار ومن يحمي حما حيها قد اتفقا

---

174. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي29 بيتا. النسخة(ا) بخزانة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

على أذى مــن يــروم حلتهــا   إن جنه ليلــه إذا وسـقـــا
فلا أر لـــك ثـــمّ مطـمــعة   فالخير في مدح من محــا طرقا

وبعد هذا الاستدراج العاطفي يجد الشاعر نفسه مجددا على أبــواب المدح المحمدي الذي يقدم فيه جوانب نيرة من هديه صـــلى الله عليـــه وسلم حيث يقول:

فــلا أر لك ثــم مــطمــعـــة   فالخير في مدح من محا طرقــا
وأســس الدين بعــد ضيــعتــه   فيــا لـه مــن صــباح انفلقــا
وجـــاءه جــبرائيل مــكــرمــة   فســد عــند نــزولــه الأفقــا
مهما أتـــاه بــوحــي خــالقــه   تصبب المصطــفى به عــرقــا
تــراه مــن حرم إلــى حـــرم   أسرى به في لُوَيلـَـة ورقـــا
إلى عُلا المنتهى وســدرتـــــه   فكلما مــن حــجــاب انخرقــا
هناك كلــمه الإلــه عــلــــــى   فــرائض حدها لـــه نسـقــا

وبعد الذهاب مطولا في رحاب هذه السيرة العطرة عارضا مجمل ما جاءت به كتب السيرة من حوادث كبار يصل الشاعر أخيرا إلى بـــاب الختام ليقف مجددا كعادته داعيا ومتضرعا لله ســبحانه وتعـــالى بجـــاه المصطفى(ص):

يا أحمد المصطفــى مديحك مـــا   يبغي به زخــرفــا و لا ورقـــا
حــلـــت به عــلل تــشــيعـــه   لــرمســه من غــرابــه نعقـــا
فما له ملجــأ ســـواك فـــلا   تترك نزيل الحمـــى وإن سرقا
لكنــــــه رام مـــا يــدوم لـــه   فانه فـــي ذنـــوبه غـــرقـــا
وخاف من حر نـــار خـــالقه   وغيظها ذاك زاده فــرقـــا

صلـــى علـــيك الإله ما طلعـــــــت　　　شمـــس وما عم نورها الورقـــــا

وءالك الغـــر والصـــحابة مــــــا　　　رأى بصيـــر عينه الشــفـــقـــــا

ثم نجد الشاعر مرة أخـــرى - كمـــا ذكرنـــا- يعيـــد نســـج هـــذه القصيدة[175] في قافيتها وموضوعها لكن على وزن البسيط هذه المـــرة وذلك بأن عمد إلى زيادة كلمة واحدة في كل جزء من البيت بما لا يدع مجالا للتغيير الجذري في المعنى من جهة وبما يمكنه من السباحة فـــي بحر زحافات وعلل الوزنين:

عدمتَ ليـــلى(أخي) وقلبك احتـــرقـــا　　　من أجل فُرقتها(العظمى) وما سبقـــا

عاهدتها في الدجى (ليلا) بـــقبتهـــا　　　وكنت تطرقها (به) إذا اتـــســـقـــــا

تهدى بند وعود(عرف) مجمرهــــــا　　　يسبي الحشا(نفخ) زنـــدها إذا عبقـــا

وأنت من(جرم) أهلها علـــى حـــــذر　　　مؤله القلب(صبا) خـــائـــفا قـــلقـــا

من دونها الأسد في الوجار(تبغي) ومن　　　يحمي حما حيـــها(جمعا) قد اتفقـــا

ويقول في ختامها:

فما له ملجـــأ(يرجى) ســـواك فـــلا　　　تترك نزيل الحمى(يشقى) وإن سرقا

لكنـــه رام(منك) ما يـــدوم لـــــه　　　فإنه (حار) في ذنـــوبه غـــرقـــــا

وخاف مــــــن(قرب)حر نار خالقـــه　　　وغيظها ذاك (ياه) زاده فـــرقـــــا

صلى علـــيك الإله(النور) ما طلعـــت　　　شمس وما عم(ضوء) نورها الورقا

وءالك الغـــر(طرا)والصـــحابة مـــا　　　رأى بصير(بضوء) عينه الشفـــــقا

---

175. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي29 بيتا. النسخة(ا) بخزانـــة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

وله من المنسرح هذه الهائية[176] التي وقف فيها على المقدمة الغزلية المعروفة عنده، ثم انتقل لمضمون موضوعه حيث قال:

سل ربع مية مذ جوانبها عن حيها ثم عن أقاربها

ينبيك عن بضة مهفهفة سبا قليبك حسن حاجيها

إلى أن يقول في ختامها:

صلى عليه إلاه الخلق ما طلعت شمس وما سح من سحاب ثائبها

وما مطوقة الحمى به سجعت وصوتها ازداد لحا من قباقبها

وما تلى منشد ذكرا بلهجته سل ربع تحضى مذ جوائبها

وبعد حديث الشاعر سيدي محمد بن المبروك(1195هـ) المتكرر عن ليلى وسلمى وسعاد ومية ونظيراتهن يكون منه الهجر مطلقا لهن هذه المرة، ويتشبث بمدح الرسول الكريم بعيدا عن أنواع التغزل بالنساء ويسجل ذلك صراحة على نفسه، وفي رسم محدد وموثق أمام قاض الحق عز وجل وشهود ه من الملائكة الكرام حيث يقول على وزن المتقارب في هذه الدالية[177]:

هجرت تغزل ذكر الخرود ومدحي لذكر النبي يعود

---

176. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي52 بيتا. النسخة(ا) بخزانة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

177. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب). النسخة(ا) في(45 بيتا). خزانة قصر بودة أدرار. والنسخة(ب) في(42 بيتا). خزانة قصر باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

كتـــبت رسيـــم طـــلاق الـــغـنـــا بتسجـــيل قاض ووضع شهـــود

وبعد أن يأتي في نصه على كثير من الأدعية التي يعلن ويوثق بهـــا توبته يصل إلى غرضه الأساسي وهو مدح المصطفى(ص) ذاكرا مـــن جديد فضله على البشرية، بالإضافة إلى جزء غير يسير من حياته عليه الصلاة والسلام.

وقد لا يحتاج الشاعر سيدي محمد بن المبروك الجعفري(1195هـــ) إلى طول مقدمات ليمهد لعرض شوقه وحبه للمصطفى(ص) بل قد نجده يشرع مباشرة في قصيده بعد الصلاة والسلام على الرسول الكريم فـــي طرح أفكاره ومعانيه المدحية كما في هذه القصيدة الرائيـــة[178] التـــي اختار لها وزن الخفيف حيث يقول في مطلعها:

صلـــواتُ الإلـــه تـــترى على مـــن اســمُـــهُ أحمــدُ البــشيُر النـــذير

وســـلامٌ مـــا هبـــت الريـــحُ لـــيلا ونــــهـــاراً ومـــا يـــفُـــوحُ عـــبير

برســـول الإلـــه جئتُ شَـــفـــيعـــا لا يـــخيـــبُ الـــذي بـــه يستجـــير

إننـــا ضعـــــفـــاء يـــارب لكــــن أحمـــد سنـــد وركـــــن كـــبـــيـــر

خاتـــم الرسل ســـيد الكون طـــرا شـــافـــع الخلـــق مـــهتـــد وبشير

ويقول في معجزاته:

وأتته الظبـــاءُ والضَب تســـعـــى واشتكـــى ربه إليـــه البـــعيـــــر

---

178. مخطوط القصيدة ورد في نســختين(ا) و(ب) وفـــي24 بيتـــا. النســـخة(ا). خـــزانة قصر بودة أدرار. والنسخة(ب). خزانـــة قصـــر باعبـــد الله أدرار. وهـــما معا فـــي وضع جيد.

والحصى سبحت بكف حبيبي ... وبدا للأقوام ماء نمير

وبصاع طعام ألفُ جياع ... شَبَعُوا كُلهم وذاك يسير

هزمَ الجيشَ بالحصَى إذ رمَاهم ... يومَ بدر بها وربٌ قدير

واتتهُ الأشجار حين دعاها ... ليتني لو حضرت حين تسير

واستجيب له الدعاء بغيث ... بعد مَحل والمحل أمر عسير

والغمامة لا تفارقه ما ... دامت الشمس في السماء تدور

ويقول في ختامها:

يا حبيب الإله رمت أمانا ... من عواقب دهري إني فقير

وسل الله أن يجود بغيث ... تخضر الأرض بالكلا و تنور

ربنا أستجب بجاهه عزما ... أنت نعم المولى ونعم النصير

دمر الظالمين يارب واهدم ... كيدهم وبنيانهم يا خبير

رب بالمصطفى النبي محمد ... قطب جمع الورى السراج المنير

وبناله والصحابة طرا ... أستجب أستجب لنا يا صبور

وللشاعر سيدي محمد بن المبروك قصائد أخرى عديدة في باب المدح النبوي منها:

- **داليته**(179) على وزن الطويل افتتحها بقوله:

أبت نفسيَ الأمارة الردّ عن الهوى ... وما رجعت عن الرذائل و الردا

---

179. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي35 بيتا. النسخة(ا) بخزانة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

وختمها بقولـــه:

صلاة وتسلـــيم ورحمـــة ربنـــا   على المصطفى خير البرية أحمدا
وءاله والأصحـاب مـــا در شارق   وما ردد القمري صوتا وغــردا

- **بائيته**[180] على وزن السريع والتي جاءت في أزيد من(44 بيتا) وقال في مطلعها:

وَدّع سُليـمَـاك وكُـــن كـارها   لحـيَها واذكُـر خصـالَ الحبيب
الطــاهر الطيــب مَــن جَـاءنا   بـمُـعجزَات ما نقـاهـا مُريب
وبـكـتــاب الله ءايــاتـــه   قد نسخت إنجـيل عيسى القريب
زبـــور داوود وتـــوراة مــن   أيده الله بـكـم مـن نـقـيـب
كلـمـه الله علـــى طـــوره   حينا فخـر صـعقـا في مغيب

ومن حديثه عن الأنبياء الذين سبقوا المصطفى(ص) وكتبهم السماوية التي نسخها القرءان يصل الشاعر بعد هذا التمهيد إلى الحديث عن الحبيب(ص) وأمته التي تمنى النبي موسى عليه السلام أن يكون فردا منها، ليختم حديثه في النهاية على عادته بالدعاء والصلاة والسلام على خير الأنام:

صلــى عليـك الله يـا طـيـب   مـا جادت النخل برطب يطـيب
صلــى علـيك الله يـا سـيـد   مـا حملـت كرم بحب الزبـيب
صلــى علـيك الله يـا مـقتفـي   مـا ذكر النـاس بوعظ خطيب
والآل والصـحب وأتـباعهــم   وكل زوج منـتهـى و القريب

180. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي44 بيتا. النسخة(ا) بخزانـة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

- **قصيدته السينية**[181] على وزن الوافر التي صدرها بقوله:

ألا يـــا قـــومَـــنا قد بـــت أمـــــس   أكـــابـــدُ في سَواد الليـــل رمـــس

وختمها قائـــلا:

صـــلاة الله مـــا عنـــى هـــــــزار   على الأغصان في غيضات بقس

عليـــه وءالـــه والصـــحب طرا   ومن ولاه من جـــــن وإنـــــس

- **بائيته**[182] على وزن البسيط التي يقول في مطلعها:

جفـــاك دَهـــرُك ما ظـــفرتَ بالأرَب   قـــطعتَهُ في سَبيل الغي والطرب

ســبَـــتكَ مَـــية مُـــذ طرَقتَ حلتها   لحُسن صُـــورتها اشرئب كل صَب

وقال في ختامهـــا:

صلاتـــك الله تترى والسلام عـــلى   مولى المديـــنة خير راكب النجب

- **تائية**[183] مطولة على وزن الخفيف على عدد وبدايات حـــروف الهجاء مرتبة بحسب كل حرف مغربي وما يقابله فـــي الترتيـــب عنـــد المشارقة يقول في مطلعها:

أ رتجـــي فضـــل من دنـــى فتدلى   وأعـــد جـــدالا للـــمـــعضـــــلات

---

181. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي28 بيتا. النسخة(ا) بخزانـــة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

182. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب) وفي46 بيتا. النســـخة(ا)بخزانة بودة أدرار. والنسخة(ب) بخزانة باعبد الله أدرار. وهما معا في وضع جيد.

183. مخطوط القصيدة ورد فـــي نســـختين(ا) و(ب). النســـخة(ا) كاملـــة وهـــي في(122 بيتا). خزانة بودة أدرار. والنسخة(ب) ناقصة وهي في(58بيتا) فقط. خزانة باعبد الله أدرار.

أستوى راكبا بظهـر البــــراق مسجــد الأقصى منتهى الخطوات
يــــات يختـــرق الطباق دنا عن قـــاب قــوســين جاء بالصلوات
يـــالعشا بعد الظـــهر والعصر و المـــغرب تتبــعها صـــلاة الغداة

ويقول في ختامهـــا:

يـــا إلهـــي بهـــم سألتــك يا الله وبالخـــلفـــاء أقـــل عثــــراتـــي
يـــوم موتي وفي حياتـــي وحشر وأجـــوز الصـــراط كالعـــاصفات
صل يا رب ثـــم سلـــم علـــى من هو بين الورى بديع الصـــفاتـــي

- **قصيدة جيمية**(184) على وزن الرمل مطلعها:

أركـــب الهـــوجـــاء ذات الـــهدج واشـــددن كـــورك فـــوق الثـــبج

وقـــال في ختامهـــا:

صـــل يـــا رب علـــى المختار مـــا نفحـــت ريـــح الصـــبا بالمسهج
وعلـــى ءال النبـــي مـــا صفـــحت تلكـــم الـــريح غصتين السنــــج
وعلـــى أصـــحـــابه مـــا تـــليـــت أركـــب الهـــوجاء ذات الهــــدج

- **قصيدة البائية**(185) على وزن الوافر مطلعها:

نأيـــت وضج نضـــوي في اغتراب وعج لمــــا ألفيــــه ركــــاب
تراكمت الهمـــوم وضـــقت ذرعـــا وصرت من الهوى مثل المصاب

---

184. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب). وهي في(30 بيتا). النسخة(ا). خزانة بودة أدرار. والنسخة(ب). خزانة باعبد الله أدرار.

185. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب). وهي في(37 بيتا). النسخة(ا). خزانة بودة أدرار. والنسخة(ب). خزانة باعبد الله أدرار.

أجوب القفر في ظل النـــهـــــار وءاوي في المبيت إلى الضـــراب

إلى أن يقــول:

وأن فراق مـــن أهـــواه يـــأتـــي سريعـــا عاجلا فـــدع التصـــــابي

وب الـــغانـــيـــات فإنـــهـــــن ذوات الكيـــد حـــقـــا والخـــــلاب

وشمـــر ذيـــل جـــدك لاتـــبـــاع شفيع الخلـــق فـــي يوم الحســـاب

رسول الله أفضل مـــن تنـــبـــا وخير الواطئيـــن علـــى التـــراب

ويختمها بقولـــــه:

فهـــذي خريـــدة سمحاء جـــاءت تميس وزانها طيـــب الخطـــــاب

وحُـــلـــي رائـــــق وعـــقـــود در وديباج ممـــهـــدة الـــــــــزراب

صـــلاة الله تتـــرى والســـــــلام ورحمـــتـــه علـــيـــك بلا حســـاب

وءالـــك والصحابـــة يـــا محمـــد فأنت وسيـــلتي يـــوم انقـــــلاب

– **وله من الطويل أيضا هذه الرائية**(186) المدحية التـــي أرخ لنظمهـــا بحساب الجمل بقوله:(في رجب في عام أفقش) وهـــو مايســـاوي(187): الهمزة01، لفاء80، القاف100، الشين1000 أي شهر رجب عام واحد وثمانين ومائة وألف(1181هــ) والتي يقول في مطلعها:

186. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب). وهي في(63 بيتا). النسخة(ا). خزانة بودة أدرار. وهي في وضع جيد. أما النسخة(ب) فبهـــا تلـــف لـــبعض أجزاء أبياتها. خزانة باعبد الله أدرار.

187. ينظر: المساعد على بحث التخرج. الأستاذ الدكتور مختار بوعناني. ص100 وما بعدها ط02. ربيع الأول1419هــ/جويلية1998م وهران. الجزائر.

تبــاعد ريعــان الشبــاب الغــزير وجاء المشــيب أيــن عنه أطير

وختمها بقوله:

ففي رجب في عام(أفقش) مدحت من عليــه جــزاء جنــة وقصــور

على صاحب اللواء أزكى تــحيــــة وأزكى صــلاة يقتفيــها نشــور

– ومما نظمه الشاعر في ذات الغرض هذه القصيدة الرائية[188] التي جاء بها على وزن الكامل وجعل مضمون أعجاز أبياتها جميعا تقريبــا على كلمة واحدة وهي الصلاة على الرسول الكريم(ص) ليقابلــه فــي صدر كل بيت بمثال ما يرصد فيه أويقارب نظير ذلك عددا حيث يقول في مطلعها أولا:

يا ويح من تبع الهوى وغــروره وابتاع دنــياه بعــقبــى الــــدار

لا يعــبأ المــولى به و بفــعلــه مرصاده يعــتاده فــي الــنــار

إلا إذا مــا تاب منه خالــــصــا متــمســكــا بطريقة المخــتــار

ماحي الذنوب الهاشمي محــمــد قطب الوجود ونخبة الأخــــيــار

ثم يشرع بعد ذلك في الصلاة والسلام على رسول الله(ص):

صلى علــيــه الله جــل جــلالــه ما دارت الأفــلاك بــــالأقــــدار

صلى علــيــه الله جــل جلالــــه مــا جود القرءان صــوت القــار

صلى علــيــه الله جــل جــلالــه مــا سار ركــب راكــب الأكــوار

188. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب). وهي في(37 بيتا). النسخة(ا). خزانة بودة أدرار. و هي في وضع جيد. أما النسخة(ب) فبها تلــف لــبعض أجزاء أبياتها. خزانة باعبد الله أدرار

صلى علـيـه الله جـل جـلالـه	مـا غرد القمري فـي الأوكـار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما فاح زهر الطيب في الأشجـار
صلـى علـيـه الله جل جـلالـه	ما اهتز عـرش الله لـلأذكـار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما عـم نور الشمس فـي الأقفار
صلـى عليـه الله جـل جـلالـه	عـدد الحصى والـرمل والأمطار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	عدد النفوس وقطر كـل بحـار
صلـى علـيـه الله جل جـلالـه	عدد الغنى واليـسر والإقـتـار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	عدد الرجا والخـوف في الأعمـار
صلـى علـيـه الله جل جـلالـه	فـي كـل ليـل دامـس ونـهار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما مالت الركـاب للأنـصـار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما صاحت الأديـاك في الأسحـار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما خاض بحر سائـح و جـوار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما راح ظبـي قـاصدا وجـوار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	مـا قـلـدت وزرا ذوي الأوزار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما انـهـل و بل الديمة المـدرار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما دامت العبـدان لـلأحـرار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما هـاج مـوج فـي ظهور بحار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما دام يـذكـر في حديث الغـار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما مسهـر غنـى ومـا كهـزار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما سار ليلا في المهابـة سـار
صلـى علـيه الله جـل جـلالـه	ما جـاءت الكفـار بالـزنـار

صلـــى علـــيه الله جـــل جـــلالـــه ما دام ملك الـــواحـــد القـــهـــــار

صلـــى علـــيه الله جـــل جـــلالـــه ما دام حمل الـــدين لـــلأحبـــــار

صلـــى علـــيه الله جـــل جـــلالـــه مـــا راق.... حنيـــــن عشـــــار

صلـــى علـــيه الله جـــل جـــلالـــه ما جاءت السا عـــة بـــالأخبـــار

صلـــى علـــيه الله جـــل جـــلالـــه عـــدد المقيـــل وعـــدد الإفطـــار

يارب صـــل على النبـــي محـــمـــد أصـــل الـــوجود ومعدن الأسرار

صلـــى علـــيه الله جـــل جـــلالـــه ما فاح في البستان زهر بهـــــار

ومن الوقوف على صدر الأبيات المكرر كمحور للبناء الشعري في هذا الفن ينتقل الشاعر سيدي محمد بن المبروك إلى أعجاز الأبيات هذه المرة ليرتكز عليها في بنائه الشعري صانعا مـــن مضـــاعفة كلماتهـــا عـــددا لا متناهيا لشوقه وحبه. إذ يقول في مستهل بائيته[189] على وزن بحر الوافـــر:

ألا صـــلوا علـــى الهادي تنـــالوا ثـــــوابـــا فـــي ثواب في ثـــواب

فمن صلى عليـــه يُـــذاد عنـــــه عذابا في عذاب فـــي عـــــــذاب

يبرقعـــه الإلـــه بكـــــل ستـــــر حجابا في حجاب في حجـــــــاب

إلى أن يقول في ختامها:

ومـــن يمنـــاه جاش الماء تحكي عبـــابـــا فـــي عباب في عبـــاب

---

189. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(ا) و(ب). وهي في(26 بيتـــا). النســـخة (ا). خزانة بودة أدرار. وهي في وضع جيد. أما النسخة(ب) فهي أقل وضوحا وهي بخزانة باعبد الله أدرار.

صلاة الله عليــك يــــا مــحمد وءالك يا مطهر و الأصحـــــــاب

ولعل آخر نموذج نستشهد به في موضوع المديح النبوي عند شعراء توات خلال هذه الفترة هو للشاعر سيدي محمد بن سيدي المختار الكنتي (1241هــ1836م) الذي مدح الرسول(ص) بمقطوعة شــعرية(190) من ستة (06) أبيات عبر فيها عن أشواقه وحبه له حيث قال على إيقاع البسيط:

أشواق خير الورى في داخل الخلد نار الجحيم لهــا نوع من البــرد

لــذاك ذابــت ذوات الهــائمين به فالجسم في سهد والروح في وقــد

فهم نشاوى سلاف الحب نــادمهم ستر الحبيب بخان القرب و المــدد

فكان شوقهم عوضا يــلازمهـــم فالشوق في قربه كالشوق في البعد

فمن به رقة ذابــت زجــــاجتـــه ولا يــذوب قــوي الشكل ذو الجلد

ترى الجبال بعين الرأس تحسبهـــا في المر جامدة والسيــر في الجمد

لقد كان للشعراء التواتين في سيرة الرسول(ص) وأصــحابه نمــط لسلوكهم بما تتضمنه من نماذج في الزهد والنسك والتي لا تختلف مــن حيث التعبد والتقوى عن المظاهر التي اتصف بهــا فيمــا بعــد أهــل التصوف[191] وكان بذلك(الدين والموروث أعظم مصدر لهذه الصـــور

190. ينظر: مخطوط الطرائف والتلائد من كرامات الشــيخين الوالــدة والوالــد. سيدي محمد بن المختار ص290.

191. ينظر: فك الإسار في شعر الهزار تحليل بلاغي وأســلوبي لمقطوعــة يــا هزاري لمحمد العيد. محمد الصغير بناني. الجزائر1996م.

النفسية لأنه يمس أصفى المشاعر وأرقها وأطهرها وأبسطها)[192]، كما أن مجمل هذه النماذج قد جاءت في مضمونها وموضوعاتها بالإضافة إلى أبعادها الجمالية والإبداعية (ذات الاتصال المكين في النفوس وخاصة في نفوس أولئك الشعراء الذين شدوا بها لأن مشاعرهم كانت أكثر شفافية من غيرهم، لأنها كانت تتعامل مع الروح بعد أن تطهرت من كل أدران الحياة)[193] وبهذا كله خرج شعراء توات بقصائدهم النبوية ومدحهم للمصطفى(ص) من الفضائل الجسمية والنواحي المادية في وصف المحبوب إلى النواحي المعنوية الخُلقية.

3. غرض المدح العام:

يعد غرض المدح من الأغراض الشعرية القديمة عند العرب وهو يقوم أساسا "على فن الثناء وتعداد مناقب الإنسان الحي وإظهار آلائه، وإشاعة محامده وفعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة أو التي اكتسبها اكتسابا والتي يتوهمها الشاعر فيه"[194]. ولذلك اعتبرت العرب الشاعر المادح خياطا يقطع الثياب على مقادير الأجسام، وينتقي لمهنته أحسن الوسائل وأدقها كما جاء في وصية أبي تمام لنظيره البحتري حين خاطبه قائلا: "إذا أخذت مدح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وابن معالمه،

---

192. فن المديح النبوي في العصر المملوكي.غازي شبيب ص166. ط01 (1418هـ1998م). المكتبة العصرية بيروت.

193. فن المديح النبوي في العصر المملوكي. غازي شبيب ص166.

194. الأدب الجاهلي. قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه ص200.

وشرف مقامه، وتقاض المعاني، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام"[195]. وحول هذه المعاني السامية لغرض المدح دارت معظم موضوعات التواتيين المدحية، فجاءت تهدف في معظمها إلى الثناء على الممدوح، وإظهار فضائله وخصاله الحميدة، وكانت بين الشعراء في شتى المناسبات والأعياد على سبيل التهنئة أو التقريظ، فكانت بذلك قريبة من فن المسجلات الأدبية منه إلى فن المديح. كما هو حال الشاعر سيدي البكري بن عبد الكريم(1133هـ) حين خاطب صديقه الشيخ سيدي محمد الإداوعلي(ق12هـ) بأبيات[196] ثلاثة قائلا على وزن البسيط:

بسمل وأحمد مهللا وصل على خير النبيئين بذا تبلغ الأملا

باب الرضى لك مفتوح فكن شاكرا أوزعك الله شكرا من صفا عملا

ودعوة الأخ للأخ في غيبته مقبولة بحديث عنه قد نقلا

فرد عليه الشيخ سيدي محمد الإداوعلي(ق01هـ) بقصيدة[197] مدحية على نفس الوزن(البسيط) والقافية، وفيها تعرض الشيخ إلى جملة من خصاله ومحاسنه التي يتقاصر نظم الشاعر عن عدها -كما قال- من تبحر

---

195. العمدة. ابن رشيق القيرواني الجزء الثاني صفحة135. تحقيق: د،عبد الحميد هنداوي.1424هـ،2004م .المكتبة العصرية. صيدا. بيروت لبنان.

196. ينظر مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد العالم ص54، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن8هـ إلى القرن03هـ ص018.

197. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص97، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص65، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص129 وما بعدها.

في العلم، وحب للعلماء، وعدل في القضاء، وما إلى ذلك. وهي كلها بعض من كل وقف عليه الشاعر بنفسه، أوسمعه من صدوق فأثبته في نصه جملا جملا. بعدها انتقل من الحديث عن ممدوحه إلى الحديث عن بنيه مبلغا إياهم سلامه الطيب العطر، معمما شذاه على السهل والجبلا. وفي الأخير انتهى الشاعر إلى الدعاء والتوسل لله سبحانه وتعالى سائلا منه له ولهم جميعا ظلا ظليلا متصلا بظله عز وجل. حيث يقول:

زر من هويت ولا تصبو لمن عــدلا	على هواه وســـــــق لربعه الإبلا
وحط للسيد البكري ركــاب مــنــى	تجد من العلم عنــد بابــه الأمــلا
واذكر كريما قصاه للعلــــى خــلق	عذب وفـــاز بسؤل مــن به نزلا
وحي مني حبيبا طال ما فتـــحت	مفاتح العــلم مــنه للــنهى سبــلا
ومن تجلت له العلوم وانكشــــفت	له رموز علوم الســــادات الفضلا
ومن به خاض بحر العلم نور حجــى	ومن أجال في بحر المنطق المقــلا
ومن حوى من فنون العلــم مرتبــة	ما حلها قبله في الفقه من دخــلا
ومن جنت تمر سر الحرف راحــته	فنال من سر سر شهـــده عســلا
ومن متى ما سلوت عن زيارتــــه	عجبت من شأن قلبي كيف عنه ســلا
ومن تحلى من الصبر الجميل ومــن	مكارم حاز قدرها الـــــمدى حللا
ومن تقاصر نظمي عن مــناقــبــه	وجاوز الذكر منه للعلى زحــــــلا
ومن أبان هواه من جوانــحــنــا	قصيدة نظمها يروق من عقـــــلا
لعل من نسجت له يُهــذ بــهـــا	إذ هو قرم يداوي جهل من جهــلا
هو الذي لم يزل إحسان فطنـــته	من القريض المريض يصلح العلــلا
هو الذي إن عجزتُ عن زيارتـــه	عجزا صراخا وخاب سعي من نجلا

زارته بكر من الأشعار ناظمها   عن شيخه قد كساه عجزه الحللا
هو الذي لم تزل تفري أنامله   بخطها من ذوي الضلالة الحيلا
قاض متى ما نظرت في علامته   بحسنها عاد جفن العين مكتحلا
قاض متى ما نما وجدي به وزكى   أعملت عيسى الهوى إليه مرتحلا
قاض قضى الله أني من أحبته   بحكمه فرضيت منه ما فعلا
جواهر السر عنده خزانتها   حاشاه من رد مبتغيه منه بلا
هذا الذي قد سمعتُ من مناقبه   عن الصدوق هنا أثبته جملا
وابلغ بنيه سلاما طيبا عطرا   يعم عرف شذاه السهل و الجبلا
وخذ قريض عبيد جاء مبتهلا   عذرا إليه من الأكابر النبلا
وقل لهم إن قلبي مذ هويتهم   مازال في حبهم في الله مشتغلا
أنا الذي أبتغي ما يبتغيه الذي   من الإله وربي خير من وصلا
مازلت أطلبه في كل ءاونة   ولا يرد كريم كف من سألا
مازلت أسأل من مولاي لي و لهم   ظلا ظليلا بظل العرش متصلا
ولم أزل أسأل الرحمان لي ولهم   سترا جميلا على الغفران مشتملا

ولقد بلغ الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم(1133هـ) مكانة مرموقة في العلم والتفقه في الدين، الشيء الذي أهله من بين أقرانه ليتربع على عرش القضاء التواتي لفترات طويلة، فكان بذلك قبلة مجموعة كبيرة من الشعراء الذين راحوا يعددون من خصاله وفضائله، وينوهون بدوره البارز في إرساء قواعد العدل بين عموم الرعية. كما هو حال الشاعر الشيخ سيدي محمد عبد الله بن سيدي الحاج محمد الذي مدحه بهذه

البائيـــة[198] على وزن الطويـــل:

من الشوق عبد الله يسكـــب دمعة	**وبالذل قال قـــولا جـــاء مصـــوبا**
أيا قابل الأعـــذار جـــد بــــمكارم	**على من قصته عن دياركم الصبا**
أتاك يريد منـــــــك تقـــبل عذره	**وحاشاك أن تـــرد مثلـــي خـــائبا**
وأنت لذي الأوزار نـــور مرونـــق	**تزيل الصدا حقـــا وتجلى غـــياهبا**
وقد ملأ الأكوان نـــــورك بهجة	**وعلمك عم الارض شرقا ومغربا**
ثميل غريب إننى فيك شـــــائـــق	**أجـــر ذيول الذل جئتـــــك راغبا**
أكفكف دمعا بالنـــدامـــة حســـرة	**لمـــا فاتني بقصدكـــم بت طـــالبا**
واسكب وجدا أدمعي مـــــتأســـفا	**وفي بابكم أمرغ الخدشـــا حبـــا**
واصطحب بكل صوت مـــن البـــكا	**عويلا زفيرا أو الدموع تصببـــــا**
أعيناي نوحا واسمحـــا بتـــدفـــق	**على دوحة الفقه الكريمة واندبـــا**
أرى مقلتي تهمى على ما يفوتها	**دموع غرار قطـــــره قد تـــسكبا**
وتهوى من الشيخ المهذب دعوة	**تنال بها رشدا ومـــــثوى مقربا**

وبعد أن قدم الشاعر عذره الأولي في تأخره، وطول زيارته للشيخ سيدي البكري رغم شوقه المفرط، راح يتوجه رويدا رويدا نحو عتبـــة بابه مكفكفا دموعه حسرة وندامة لما فاته. ومستحضـــرا جملـــة مـــن خصال الشيخ الحميدة. وفي الأخير عاد من جديد ليطلق تؤهات تأســـفه

198. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص98 وما بعدها. ومخطوط ترجمـــة وجيـــزة لبعض علماء إقليم توات. للشيخ الحاج محمد بكـــراوي ص17 ومـــا بعـــدها، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص70 وما بعدها، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص133 وما بعدها.

على كل ما فاته ومكررا عذره للشيخ إلحاحا منه في كرم عفـــوه بجـــاه وحق مجالس علمـــه الـــدائرة عليـــه صـــباح مســـاء، وبحـــق وجـــاه المصطفى(ص) منقذ البشرية ومغيثهـــا:

إمام التـــقى في كل علم له يـــد **حليم زكي كـــان في العلم مذهبا**
تراه حماما في النوازل مـــذ رأى **حفيظا أديبا في الـــعلوم مرغبـــا**
فصيح وفي علم القريـــض مقـــدم **فضيل مـــحدث به قد تـــأدبـــا**
مهاب ومحمي الحـــريم وأهـــلـــه **أعزة أهل مـــن رآهم له الحبـــا**
وهيهات أن يرام غـــيرك منـــــزلا **هوالغابة بها يرى الجدب معشـــبا**
أحن إليها كالـــــحمام تشوقـــــا **أراني كئيبا بالغـــرام مطـــربـــــا**
أضاهي قلوصا حيز عنها فصيلهـــا **أضاهي حمامة تنوح عـــلى الربـــا**
فئاه على شـــوقي إليها وإننـــــي **دنيف بشـــوق لا أزال مواظبـــــا**
وقد مسني من قبل ضر ببعــــــدها **لعلي بوصـــلها أنال مئـــــاربـــــا**
حزينا كئيــــبا من حيـــاء ببابكـــم **أياسيدي البكري أتيتك تائبـــــــا**
أغفر خدي فاقبل العـــذر ســـيدي **بحق نبي بالرســـــالة مجتبـــــــا**
أغفر خـــدي فابتـــدر بتعـــــــطف **وحلم على عبد ولاتك مغضبـــــــا**
أغفر خدي أنت بالصفح والوفـــــا **تكافيء عبدا قد أساء وأذنبـــــــا**
على وجناتي بالبكاء خواتـــــم **لفقري إليك لا تردني خـــائبـــــــا**
بحق الكتاب والنبيئيـــن سيـــــدي **تقبل على من جاء للدار راغبـــــا**
بما نلت من علم شريف مشـــــرف **بكل ولي في الطـــــريق تقطـــــبا**
بحق مجالس العلوم التـــى غـــدت **عليك تدور كـــل يـــــوم تأدبـــــا**

بحق النبي المصطفى كاشف الردى مغيث العباد عندما ينزل الـــوبـا
عليه صلاة الله ما نــــام شائق على قبره من الغرام ليثربـــا[199]

ومثل الشيخ سيدي محمد عبد الله فقد نظم الشاعران الشيخ مـولاي أحمد بن الطاهر، والشيخ سيدي عبد المالـك التجمعتـي مقطوعتـان شعريتان مدحا فيهما الشيخ سيد البكـري(1133هـ) ونوهـا بخصـاله ومكارمه حيث قال الشيخ مولاي أحمد أولا في مطلع قصيدته[200] على وزن الطويل:

فيا درة الأخيار ياواقد الفـكـر ويا نخبة الأخيار سيدي البكـري
ويا من له قدر علي وهـمـة سماوية فوق السماكين و النـسر
ويا من له سيف صقيل مـهند لفتك دعاوي الماطلين ذو المكـر
ومن بيده رمح حـق مسـدد لنحر شرود بالأمانة ذي غـدر
إليك التجأنا عصب حـكم محكـم في أمر وطال ما تلجلج في الصدر

199. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص98 ومـا بعـدها. ومخطـوط ترجمـة وجيـزة لبعـض علماء إقليـم توات. للشيخ الحاج محمد بكـراوي ص17 ومـا بعـدها، ومخطـوط الـدرة البهيـة فـي الشجـرة البكريـة ص70 ومـا بعـدها، وكتاب النبـذة فـي تاريـخ تـوات وأعلامهـا ص133 ومـا بعدهـا.

200. ينظر: مخطوط درة الأقـلام. ص48 ومخطـوط الـدرة البهيـة فـي الشجـرة البكرية ص 75 وكتاب النبـذة في تـاريخ تـوات وأعلامـها ص131.

وقال أيضا الشيخ سيدي عبد المالك التجمعتي في رائيته[201] علـــى وزن البسيط:

إلى وجود الذي تهوى الأنـام بــــه　　أزكى سلاما وتاليــه مــا ذكــرا
وبعد رحم ما ينــفي اللـــقاء فــلا　　تلم حبيبا حبيت المكرمات تـــرا
وشى إذ اخرق الثوب الوشاة ومــا　　حبل الوداد إذا ما اشتد فانفطــرا
يانجل عبد الكــريم ذا المكارم هــا　　نبراسك اليوم في العوم مشتهــرا
حفظك الله في حل وفــي ســفـــر　　وحيث ما كنت آمرا بما ذكـــرا

ولما التقى الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني(ت.1207هـ) بالشـــيخ محمد بن أبّ المُزَمّري طلب الأول من الثاني قصيدة يجمع لـــه فيهـــا أشياخه وسلسلته في الطريقة، وطلب منه أن يستخير الله في ذلك ليراهم ويعرفهم واحدا واحدا. وبالفعل فقد تحقق للشيخ بن أب ما طلبـــه منـــه الشيخ الرقاني، وشرع في مدح صديقه الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني منوها بحسبه ونسبه الشريف أولا، وبقدره وولايته في العلـــم والـــدين حيث قال في مستهلها[202]:

---

201. ينظر: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص76 وكتاب النبذة فـــي تاريخ توات وأعلامها .عبد الحميد بكري ص131.

202. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وجاء في مخطوط نسيم النفحات أن الشيخ محمد بن أُبّ نظم أشياخ الفقيه الرقاني بطلب منه، وفي ذلـــك دارت بينهما رواية طويلة تعكس في مجملها أهمية ومكانة الرجلين. مخطوط نســيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ص35. مولاي احمد الطاهري.

الحمـــد لله مجـيـب السائـــــل إذا دعــــــي بــأعظـــم الوسائـــــل

ثم الصـــلاة والســـلام معـــهـــا على الـــذي حــوى العلا أجمعهـــا

وء اله وصحبـــه وكـــل مـــــن نال الهدى بهديهم طول الـــزمـــن

وبعـــد فـــارفع حاجة للبـــاري بمـــن حـــوت سلسلـــة الأنـــــور

من جملة الأقطاب والأشـــــراف والعلمـــا السنيــــة الأوصـــــاف

وأصدقـــن لهـــا بحســـن الأدب تلقى الذي ترجو من أسنى الرتـــب

وقـــل إذا ســـألـــت بســـم اللـــه يـــا رب إنـــي سائـــــل بجـــــاه

وليـــك الـــذي أنلتـــه الشـــرف والعلم والجود وفضـــل من سلـــف

مـــولاي عبـــد المالك الرقانـــــي صالح هذا الوقـــت بـــالعيـــــان

وشيخه والـــده الـــذي ظـــهـــر لكـــل داع بالتوســـل اشتهـــــــر

الصالح الولي ذي القدر العلـــي مولاي عبـــد الله ذاك بن علــــي

وهـــو الـــذي دعاه بالرقانـــــي هاتـــف مـــدح شـــاد بالبـــيـــان

إشارة منـــه إلى ما قد حصـــــل لـــه مـــن الســـر بـــذالك المحـــل

والشاعر في القصيدة انطلق من باب التوسل بجاه الـــولي الصـــالح الشيخ سيدي مولاي عبد المالك الرقاني وكافة أشياخه الأقطـــاب فـــي سلسلة الأنوار المعروضة، ليكون ذلك منفذا له في الوصول إلى مـــدح الشيخ وكافة السلسلة في الطريقة، وليكون بذلك قد جمع بين الغرضـــين في آن واحد.

وبعد حديثه عن ممدوحه الشيخ الرقاني وما ناله من صلاح وتقوى، وتفرد في العلم والجود، انتقل الشاعر للحديث عن شيخه المباشر الأول والده الشيخ مولاي عبد الله بن على الرقاني (1148هـ) الولي الصـــالح

صاحب الكرامات العديدة والمشهورة ككرامة الهاتف[203] الذي ناداه باسمه وبكنيته وهو بأرض المغرب بعيدا عن أرض رقان. لينتقل بعدها إلى حديثه عن بقية الأشياخ الستة وثلاثين في السلسلة مفردا لكل واحد منهم - تقريبا- حديثا خاصا في كل بيت. انطلاقا من الشيخ الأول والده مولاي عبد الله الرقاني(1148هـ) ووصولا إلى سيدنا رسول الله(ص). وفي الأخير ختم نصه كما بدأ ذكرا ودعاء وصلاة وتسليما على النبي الكريم(ص).

وشيخه العارف ذي الإحسان	**شيخ الشيوخ بن أ بي زياني**
وشيخه أي سيدي مبارك	**ذاك الذي مولاي فيه بارك**
وشيخه بن ناصر الدرعي	**حامي حريم السنة المرعي**
وشيخه سيدي عبد الله	**نجل حسين الصالح الأواه**
وشيخه أحمد وهو بن علي	**من جعل الإله قدره علي**
وشيخه المشهور بين الناس	**بسيدي الغازي بلا التباس**
وشيخه الذي له فضل جلي	**اعني ابن عبد الله واسمه علي**
وشيخه المعروف في الأزمان	**بأحمد بن يوسف الملياني**
وشيخه زروق ذي التقدم	**وشيخه أحمد اعني الحضرمي**
وشيخه الفرد العلي المرتضى	**وشيخه الصدر القرافي الراضى**

203. وقفنا على قصة هذه الحادثة مخطوطة ضمن مخطوطات خاصة بالعائلة الرقانية. والقصة حدثت بعد وفاة والد الشيخ مولاي علي وذهاب ابنه مولاي عبد الله لإخوته في المغرب. وهناك ناداه الهاتف قائلا يامولاي عبد الله يالرقاني وهمس له بأحاديث خاصة لم تنقلها الرواية.

وشيخه الـــذي دعي بيـــن الأمـــم   بابن عطاء الله صاحـــب الحـــكـــم
وشيخه القطـــب الإمـــام المرسي   من حاذ شهرة كمثل الشـــمـــــس
وشيخـــه العارف ذي الهدي الحسن   أعني الإمام الشاذلي أبي الحســـن
وشيخه حـــاوي المقـــام الأكبـــر   عبد السلام ابن مشيـــش الأكبـــر
وشيخه الولي جـــار المصـــطفى   وشيخه شعيب المبـــدي الخفـــى
وشيخـــه علـــي ابـــن حرزهـــم   وشيخه الأرضى أبي يعزى الفهم
وشيخه مـــولاي عبـــــد القـــادر   شيخ الشيوخ القطب ذي المـــآثـــر
وشيخــــــه الـــذي لديـــه يسمـــي   بابن هواري القـــرشي الأسمـــى
وشيـــخه بـــدر الـــدجا أبي الفـــرج   وشيخه نجـــل تميم ذي الـــدرج
وشيخه الشبـــلـــــي ذي المراتـــب   وشيخه الجنيـــــدي ذي المناقب
وشيـــــخـــه ســـري السقـــــطي   وشيخـــه مـــعـــروف الكرخـــي
وشيخــــــه داوود الطـــــــائـــي   وشيـــخـــه حبيـــب العجمـــــي
وشيخه البـــصـــــري أعني حسنـــا   ذاك الذي حاز المقام الحـــسنـــا
عـــن شيخـــه سيدنـــــا عـــلـــي   ابـــن أبـــي طالـــب الـــقـــرشـــي
عن ســـــيد الوجود أهدنـــا إلـــى   حضرة فـــاطر السماوات الـــعـــلا
سيدنـــا محمـــــــد خيـــر الـــورى   صلى عليـــه الله مـــا بدر ســـرى
يـــا ربنـــا بجـــــاه هـــــؤلاء   عنـــــدك نجنـــا مـــن البـــلاء
وكف عنا كـــــف مـــن يـــروم   جنبنـــــا وهـــــو لنـــا ظلـــوم
وكـــن بعونـــــــك لنـــا نصيـــرا   واجعل حسابنـــا غـــدا يسيـــرا
وامنن علينا بقضـــــاء الوطـــــر   ونجنا من هول يـــوم المحشـــر
واسلك بنـــا مسالك الـــسلامـــة   في الدين والدنيا وفـــي القيامـــة
بجاه أحمـــــــد الوجيه المصطفى   من جاهه على الأنـــام قـــد ضفا

صل الــه الأرض والســـــمـــاء عليـــه في الصبـــاح والمســـاء
والآل والصحب الكــرام ما دعــــا داعي الهي بحبيبك اشفعــا[204]

وللشيخ محمد بن أبّ المُزَمّري أبيات[205] مدحية في حــق أحــب الناس إليه في منطقة قورارة على حد وصف ابنه ضيف الله ألا وهــو الشيخ سيدي عبد الرحمان بن ابراهيم الجنتوري كتبها له الشــيخ فــي معرض تقريظه له على كتابه في شرحه علـــى الشــيخ عبــد البــاقي الزرقاني حيث قال ابن أب:

بشرى فقد صار سيف الحق مصقولا وعاد طعم مذاق العلم مـــعســولا
إن العلوم ابــن إبراهيم أعــطيهــا عفوا فــحاز بها عزا و تــفضيــلا
العــالم الفــرد لا حبــر يناظـــره إن خاض في العلم معقولا و منقولا
أكــرم بـــه علما به توات حـــوت على القـــرى كلها فخرا وتبجــيــلا
أبدى جواهر من فـــن الفروع بهـــا قد جمّل العقل من ذي الفن تجميــلا
من كـــان لله كـــان الله مظـــفـــره بما يحــــاول تسهيلا و تحصــيلا
لكن ســــألت فقالوا أمره عجـــب إن الفــتى نـــال للتــأليف تأهيــلا
ما فيـــه عيب سوى ما كان صيـــره من قبل عن خطة التأليف مشغــولا
فنــــالني عجــب من ذاك أذهلنـــي حــتى نطقــت ببيت فــيه تمثيــلا
إني لأعجب مـــــن سيــفه ذلــق ماض وليس يرى في الخطب مسلولا

---

204. ينظر مخطوط القصيدة. خزانة باعبد الله أدرار.
205. ينظر مخطوط رحلة الشيخ سيدي ضيف الله بــن محمــد بــن أب ص81. خزانة تمنطيط.

ولما أتم الشيخ محمد بن أبّ المُزمّري(1160هـ) نظم متن الآجرومية المسمى((نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم))[206] كتب له تلميذه الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني(1189هـ) هذه المقطوعة مادحا:[207] على إيقاع الطويل:

إذا رمت نظما يزري بالدر في سلك   فلازم ذرا الشيخ ابن أب أخ النسك

بدا فيه فردا بين أعلام عصره   وحاز به سبقا وفضلا بلا شك

فما انفك مذ أزمان يبدي عجائبا   يصوغ قريضا محكم النظم والسبك

وفي نزهة من المحاسن ما ترى   يقربها المصغي إليها ومن يحكي

فقد حوت مع إيجازها لب أصلها   أدام بها نفعا إلهي و مالكي

وأولي الذي أبداها خير آلائه   فقد سهل الصعب الذي كنا نشتكي

وفي سنة(1183هـ) لما ألف الشيخ سيدي محمد بالعالم الزجلاوي (1212هـ) ألفيته الشهيرة في غريب القرآن واطلع عليها صديقه وزميله الشيخ سيدي عبد الكريم بن بابا حيدا التمنطيطي(1298) قرظها بمقطوعة شعرية[208] أبرز من خلالها أهمية المنظومة أولا، وليصل منها إلى أهمية من يقف ورائها ثانيا حيث قال على بحر الطويل.

---

206. المخطوط ورد في نسختين (ا) و(ب). وهو في وضع جيد. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

207. الغصن الداني ص207.57.

208. وضع الشيخ سيدي عبد الكريم على المنظومة المذكورة حاشية ثم مدحها بتلك القصيدة. ينظر كتاب النبذة. عبد الحميد بكري ص94.

إذا رمت ذوقا كالمعسـل حلاوة عليك بنظم كالجواهر رصـعا
وهذا على التقريب والحق أنـه من الشهد والياقوت قدبان أنفعا
وكيف وقد أبداه فكر ابن عالـم بالشرح فبين لبه بشرح تبرعـا
وقد استمال اللب إلى صنيعـه بألفية الغريب لا زلت مولعـا
فلله دره وعليـه أجـره وبـالله أرفـيه لعـافية أودعا

ومن الشعراء الذين اشتهروا بغـرض المديـح أيضـا الشاعـر أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان المعروف بأبي الشمقمق(1187هـ) وهو لقب عرف به أبوه(محمد) تشبيها لـه بالشاعـر العباسـي[209] (أبو الشمقمق) ثم انتقل اللقب إليه بعد ذلك.

وللشاعر ابن الونان قصيدة[210] مطولة ومشهورة أخذت اسمها من لقب شهرة الشاعر فصارت تعرف بالشمقمقية. والقصيدة جـاءت فـي بنائها على طريقة الجاهليين حيث ضمت أغراض عدة ووقف الشـاعر في مطلعها على الأطلال ليعرج بعدها على التغزل بالأحبـة ووصـف الإبل التي حملتهم، ثم مر بعد ذلك إلى باب الافتخار بنفسه وبشـجاعته في تخليص الأحبة والظفر برضاهم، إلى أن وصل إلى مدح السـلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الذي أكرمه ووالده من قبل. ومما

209. هو مروان بن محمد لقب بذلك لطوله الفارع. كانت له أخبـار مـع بشـار وأبي العتاهية (ت200هـ) المعجم المفصل في الأدب .د محمد التـونجي ج1 ص27. دار الكتب العلمية بيروت ط1(1413هـ1993م).

210. ينظر شرح الشمقمقية. عبد الله كنون الحسني. المغرب.

قاله فـــي هذه القصيدة الرجزية:

مهــلا على رسلك حادي الأينــق ولا تكلفهــا بمــا لــم تطـــق

فطــالمــا كلفتهــا وســقتهـــا سوق فتى من حالها لم يشــفق

وبعد ضروب الغزل والنسيب والفخر والحماسة ومدح الشعر جـــاء إلى مدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الـــذي أكـــرم والده وشبهه بالشاعر العباسي أبي الشمقمق. كما قال:

وإن أردت أن تكــون شــاعــرا فحلا فكن مثل أبــي الشمقمق

ما خلت في العصرله من مثــــل غير أبي في مغــرب و مشــرق

لذاك كـــــناه بـــه سيـــــدنـــــا السلطان عز الدين تاج المفــرق

محمد سبـــط النبـــي خيـــر مـــن ساد بحســـــن خلقـــه والخُلُـــق

أعني أمير المؤمنيـــن ابـــن أمـــ ـــير المؤمنين ابن الأمير المتقـــي

خير ملوك العرب من أســرتـــه وغيرهم على العمـــوم المطلـــق

ودوحة المجد التي أغصـــانهـــا بهـــا الأرامـــل ذوو تـــعـــلــــق

له محيا ضاء فـــي أوج الدجـــا سنـــاه مثـــل القمـــر المتســـق

وراحة تغار مـــن سيــولـــهـــا يول ودق وركام مـــطبـــق[211]

فاق الرشيد وابنه فـــي حلـــمـــه وعلمـــه ورأيـــه المـــوفـــق

---

211. الودق هو المطر. والركام السحاب المتراكم بعضه على بعض. والمطبـــق المغطى الساتر لوجه الأرض. شرح الشمقمقية ص96.

وساد كعبا وابن سعدى وابن جـد ... عان وحاتما ببذل الـــورق[212]

ولم يدع معنـــى لمعن في النـدى ... ولم يكن كمثله في الخلـق[213]

مذ كان طفـلا والسمـاح دأبـه ... وغيـــر مأخذ الثنا لـم يعشق

نشأ في حجـر الخـلافة ومـذ ... شب فتى بغيـــرها لم يعلـق

وأعطيت قوس العلا من قد بـرى ... أعوادهـا رعـاية لـلأليـق

فصار فـيء العـدل في زمانـه ... منتشرا مثـل انتشـار الشرق

وشاد ركن الـدين بالسيف وقـد ... حاز بتقـواه رضـى الموفـق

وقد رقى في مـلكه مـعارجـا ... لـم يك غيره إليها يرتقـــي

ورد أرواح الـمـكـارم إلـــى ... أجسادهـــا بعد ذهـاب الرمق

والسعد قـد ألقى عصى تسيـاره ... بقصـــره وخصـه بمعشـق

يا ملكا ألويـة النـصر علـــى ... نظيره فـي غـربنا لم تخفـق

طاب القريـض فيكم وازدان لـي ... وجـاش صدري بالفريد المونق

لـــولاك كنـت للمديح تاركـا ... لعـــدم البـــاعث والمـشوق

ترك الغـــزال ظلـه وواصـــل ... للـراء وابن تولب للملـق[214]

---

212. كعب هو ابن مامة الأيادي. وابن سعدى هو أوس ابن حارثة الطائي. وابـن جدعان هو عبد الله بن جدعان القرشي ابن عم أبي بكر الصديق. وكـل هؤلاء يضرب بهم المثل في الجود. شرح الشمقمقية ص97.

213. معن هو ابن زائدة الشيباني الجواد المشهور. شرح الشمقمقية ص97.

214. واصل هو ابن عطاء شيخ المعتزلة وخطيبهم وكان يلثغ بالراء، فكان يتخلص منها. وأما ابن تولب فهو النمر ابن تولب كان من الشعراء المخضرمين غير أنه لم يمدح ولم يهج أحدا ترفعا وتأدبا. شرح الشمقمقية ص0 /0.

وكنت في تــركي له كابن أبـــي ربيعة النــاذر الهُـنبُــق[215]

ومذ بك الرحمان مــن لم يـــزل فكري في بحــر الثناذا غـــرق

لازلت بدرا في بروج السع تــنــ ـــسخ بنورك الظـــلام الغســق

ولا برحت بالأماني ظــافـــــرا ومدركا لمــا تشــا مــــن أنــق

بجاه جدك الرسول المــصطفــى خير الأنــام الصــادق المصــدق

وسورة الفتح وطـــه والضحـــى وآية الكرسي وآي الفــلــق[216]

ومن مدحه الشاعر للسلطان انتقل إلى مدح الشعر ذاته معتبرا إيـــاه كمال للفتى، ونجاد لسيفه، وعقد فوق عنقه وهذا كله شريطة أن لا يكون من المرء وسيلة للتكسب وطلب الرزق. ومن هنا رأى الشاعر ضرورة الإكثار منه تبعا لفوائده الكثيرة، ولما ورد في فضله من أحاديث نبويـــة شريفة من جهة، ولما دار بين الرسول الكـــريم(ص) وبـــين صـــحابته الأخيار من قصص وأحاديث من جهة أخرى. والخلاصة – كمـــا قـــال الشاعر – أنه لو لم يكن للشعر من فضل عند من مضى لما علقوه على أستار الكعبة، وأن تنزيه الرسول الكريم(ص) عنه ما هو إلا تحقق فـــي إعجازه عليه السلام.

واعن بقول الشعر فالشـــعر كمـــا ل للفـــتى إن بـــه لـــم يـــرتـــزق

والشعر للمجد نجـــاد ســـيفـــه وللعـــلا كالعقـــد فـــوق الـــعنـــق

---

215. بن أبي ربيعة هو الشاعر عمر بن أبي ربيعة الذي تنسك في آخر عمـــره، وترك الشعر وحلف ألا يعود إليه لكنه عاد. والهنبق: الغلام شرح الشـــمقمقية ص103.

216. ينظر شرح الشمقمقية. عبد الله كنون الحسني. المغرب.

فقله غيـــر مكثـــــــر منــــــه ولا تعبــأ بقـــــول جــاهل أو أحمق
ما عابــــــه إلا عيـــــي مفــحــــــم لعرفــه الذكــي لم يستــنشــق
كم حاجــة يســرها وكم قــضــى بفك عــــان وأسيــار مــوثــق
وكم أديــب عــاد كالنطف عــنــي وكان أفقــر مــن المــذلــق[217]
وكــم حــديث جــاءنا بفضلــه عــن سيد عن الهوى لم ينطــق
وقد تمثــل بــــه وكــان مـــن أصحابــه يســمعه فــي الحلــق
وقد بنى المنبــر لابـــن ثابــت فكان للإنشـــاد فيــــه يرتقــي
وقال لابن اهتـــم فــي مــدحــه وذمــــه للـــزبرقان الأسمــق
مقالــة ختمــهـــا بــقـــولــه إن من الشـــعر لحــكمة تقــي
وعنــدمــــا سمـــع من قتيلــة رثـــى قتــيلها الذي لم يعتــق
رد لهـــا سلبــــه وقـــد بكــى شفقــة بــدمعه المنطـــلق[218]
وقد حبا كعبا غـــداة مدحــــه ببردة ومائـــــة مــــن أيــنــق
وبشـــر الجـــعدي وابن ثابــت بجنة جــزاء شــعر عُنسُــق[219]

217. النطف: رجل من بني يربوع كان سقاء فقيرا، فأغار على قافلة وأصاب مالا كثيرا، فضرب به المثل في الغنى. والمزلق: الرجل الفقير الذي لايملك قوت ليلته. يقال أفلس من المزلق. شرح الشمقمقية ص86.

218. قتيلة هنا هي بنت النضر بن الحارث، أو أخته وكان الحارث قد أمر الرسول بقتله في غزوة بدر. فقالت فيه أبياتا سمعها الرسول فقال: لو كنت سمعت ذلك قبل أن أقتله لعفوت عنه. شرح الشمقمقية ص88.

219. الجعدي هو النابغة الجعدي، وابن ثابت هو حسان. والعنسق: الحسن. شــرح الشمقمقية ص89.

كـــم خـامل سما به الى العـلا	بيت مـديح من بليغ ذلـق[220]
مثل بنـي الأنـف ومثـل هـرم	وكـالـذي يعرف بالمحلـق[221]
وكم وكم حط الهـجا من ماجـد	ذي رتبة قـعسا وقـدر سمـق
مثل الربيع وبنـي العجـلان مـع	بني نميـر جـمرات الـحـرق
لو لم يكن للشعرعند من مـضـى	فضـل علـى الكعبة لم يعلـق
لو لـم يكن فيـه بـيان آيـة	ما فسرت مسائل ابـن الأزرق[222]
ما هو إلا كـالكتـابة و مـا	فضلهـمـا إلـا كشمس الأفـق
وإنمـا نـزه عنهمـا النـبـي	ليـدرك الإعجـاز بالتحـقـق
فهـم بـه فإنـه لاشـك عـنـ	ـوان الحجا والفضل و التحذلـق
وهو إكسـير و تدبيـر لـمـن	رام اصـطياد ورق بـورق
من غير تقطير وتصعيـد وتـكـ	ـليـس وتـرطيب وقتل زئبـق
وإن تكـن منه عقيـم فكـرة	فاعـن بجمع شملـه المفتـرق
وكن لـه روايـة كالأصمعـي	والجهل أولى بالذي لم يصـدق[223]

---

220. الـذلـق: الفصيح

221. بنـو الأنف هم بنو جعفر بن قريع كانوا يلقبون ببني أنف الناقة. وكانوا يستحيون من ذلك فمدحهم الحطيئة وأعلى من شأنهم. أما هرم فهو ابن سنان كان أخوه أسود منه لكنه بمدح زهير له غطى عليه. وأما المحلق فهو الذي مدح بناته الأعشى. فتزوجن. شرح الشمقمقية ص90.

222. ابـن الأزرق هو نافع الحنفي رئيس فرقة الخوارج المعروفة بالأزارقة ومسائله هي كلمات من القرآن سأل ابن عباس عنها ففسرها له من الشعر. شرح الشمقمقية ص92.

223. ينظر شرح الشمقمقية. عبد الله كنون الحسني. المغرب.

ومن حديث الشاعر العام عن الشعر وفضله يصل إلى الحديث الخاص عن أرجوزته الشمقمقية وما يراه فيها من فضل وامتياز فاقت به نظيراتها في الشعر. فهي الدر واليواقيت المضيئة التي لم يسبق للشاعر جرير أو جميل –تمثيلا– أو أي أديب آخر في القرى الأندلسية نظم مثلها. بل إن الأصمعي لو رأى هذه الأرجوزة لأعاد كتابتها من جديد كي يستفيد منها، وأن الفتح بن خاقان الأديب الأندلسي المشهور وصاحب كتاب (قلائد العقيان) لو فتح عينه عليها – كما يرى الشاعر – لمزق كتابه القلائد، ولو أن الأرجوزة وصلت للمغني المشهور إسحاق بن إبراهيم الموصلي لما غنى بغيرها، ولو أنها وصلت للأديب الأندلسي ابن بسام لتدارك كتابه الذخيرة وألحقها به وبسرعة فائقة. وبهذا كله كانت الأرجوزة فريدة وجوهرة لا يمكن ان تتكرر من غير الشاعر ومن رام ذلك رام من القربة رشح العرق وهو محال.

إليكهـــا أرجـــوزة حسانـــــة	**لمثـــلهـــا ذو أدب لم يسبــــــق**
كأنهـــــا أســــــلاك در ويــــوا	**قيت تضيء كالبارق المؤتلــــق**
أعز من بيض الأنوق ومن الــعــ	**نقا ومن فحل عقوق أبلـــــق[224]**
ما روضـــة فينـــانـــة غناء قـــد	**جادت لها السحب بماء غـــــدق**
فابتسمت أغصـــانها عن أبيـــض	**وأحمــــــر وأصـــفــــر وأزرق**
يوما بأبهـــى للعيـــون منـــظــــرا	**منهـــا ولا من لفظها المرونـــق**
ما لجــــرير وجميـــل مثلـــهـــــا	**في غزل وفي نسيـــب مـــونـــق**

224. أعز من بيض الأنوق: مثل يضرب للشيء البعيد المنال. والأنوق طائر لا يبيض إلا في أعالي الجبال. العقوق من صفات الفرس الأنثى. والأبلق من صفاة الفرس الذكر. شرح الشمقمقية ص103.

ولا أديـب فـي قرى أنـدلـس   جـرت بها أقلامه في مهـرق

فلو رآها الأصمعي خـطـهـا   كي يستـفيـد بسواد الحـدق

أو فتـح الـفتح عليهـا عـينـه   سـام قلائـده بـالـتمـزق

أو وصلت للموصلي فيما مـضـى   عنـد الغـنا بغيرها لـم ينطـق

أو ابـن بسـام رآهـا لـتـدار   رك الـذخيـرة بها عـن قلـق

من كان يرجوا من سواي مثلهـا   رجا من القـربة رشح الـعـرق

حصنتهـا بسـورة النجـم إذا   هوى من المنتحل المسـتـرق

فالحمـد لله الـذي صيـرهـا   إثمـد عين المنصف الموفـق

والحمـد لله الـذي جعـلـهـا   قـذى بعين الحاسد الحفلـق[225]

ثم الصـلاة والسـلام ما تـغـنـ   ـت أم مهدي بـروض مـورق

علـى النبي وآلـه وصـحـبـه   وتابيعم من مضى ومن بقـي[226]

ولـمـا راسـل الـشـيـخ سـيـدي عـبـد الله بـن سيـدي عـبـد الـرحمـان بـن عمـر التنلاني (1221هـ) ابن عمه الشيـخ سيـدي عمر بـن عبد الرحمان التنلانـي[227](1221هـ) برسـالته[228]

---

225. الحفلـق: الضيف الأحمق.

226. ينظر شرح الشمقمقية. عبد الله كنون الحسني. المغرب.

227. هو أبو حفص سيدي عمر بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن سيدي يوسف التنلاني، أخذ عن الشيخ سيدي امحمد بن عبد الله الونقالي. وهـو مـن أسس الزوية المهدية. توفي يوم15جمادي الأولى سنة1221هـ. ينظر: قطف الزهرات ص89 وما بعدها.

228. ينظر نص الرسالة ضمن هذا الغرض ص252. من هذا البحث.

الإعتذارية ضمنها قصيدة[229] مدحية مطولة على وزن الطويل جاء فيها:

سلام يدوم ما تلذذ بالرقص — مغنّ وما رنت بلابل في قفص
ويعقب ذاك السلام برحمة — مع البركات تُستزاد بلا نقص
على الألمعي الأوزعي ابن عمنا — حلاحلنا الأسنى الذكي أبي حفص
تشيعه مني إليك قصيدة — قليلة في الألفاظ رائعة النص
تنوه بالإجلال إجلال قدركم — ولا غرو إن كنتم بمنزلة الفصّ
وإلا فأنتم قمـّة الطود والورى — سواكم كوجه الأرض إن قاس ذو خُرص
رقيت إلى جل المكارم مرتقى — توعّر نهجه على كل مقتص
لقد صنت نور العلم بالدرس والتقى — كما صنته بالفم والوقف والفحص
وصنت فنون الجود بالبذل مسبلا — قراك لذي فقر ودَين و للّص
وعدت على الأيتام منه تفضلا — وأنفقت جما في الغلاء وفي الرخص
فلا زلت للإخوان والقربى ملجئا — يلجأ له لدى الخوف و الخص
بنيت لهم حصنا يُلاذ بظله — فلا هو يبنى بالصخور ولا الجص
تأسسه بالحلم والعلم والوفا — وبالاحتمال والتأني وبالحرص
على كل خير والتجاوز والجـَدا — وحسن التصافي والتجرع للغص
ففي عشرة للمكارم جمّعت — بأكملها في ذا السرّي أبي حفص
سليل أبي زيد الرضى عمر الذي — تقاصر عن إيصاله كل ما استخص

وبعد أن خص الشاعر ممدوحه بخصال عشرة شرع يطلب عفوه بحق شفاعة آبائه وسلفه الصالح ليحظى بصفح على ما بدر منه من

229. ينظر قطف الزهرات ص95،96.

قبح، وما جناه من نقص. ويبدو من خلال النص أن الشاعر قد أساء الأدب في مخاطبة ابن عمه وهو ما أغضبه وأزعج الشاعر إلى درجة الإقرار وطلب العفو. فكانت منه هذه القصيدة المدحية وسيلة للاعتذار.

فلتعلم –أبيت اللعنة – أن ابن عمكم   تشفع بالآباء والسلف المحص
لتسبل ستر الصفح عن قبح صنعه   وتعفو عما قد جناه من النقص
فإني وإن أقررت بالذنب لم أوفه   بقول قبيح في الجناب ولم أعص
ولكن أسأت في التأدب مخطئا   فهب هفوتي لمدحي واغفرن قرص
عليك سلام من مليكك مرسل   يوافك ما عنت بلابل في قفص[230]

وفي مدح الأصدقاء دائما أنشأ العلامة الفقيه سيدي محمد عبد العزيز بن الشيخ سيدي محمد بن محمد عبد الرحمان البلبالي(1261هـ) قصيدة[231] مدح فيها صديقه في الدراسة الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي عبد الله بن سيدي عبد الكريم بن الحاجب(1261هـ)وذلك حين هم بالانتقال إلى بلده في آخر يوم من شهر رمضان سنة(1238هـ) بعد إذن شيخه سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي حيث قال على وزن البسيط:

كيف اصطباري على خل شغفت به   قد كان بالفضل والتقوى قد اتصفا

230. ينظر قطف الزهرات ص95،96.

231. مخطوط القصيدة ورد في نسختين الأولى في ثمانية وأربعين بيتا. والثانية في خمسة وأربعين بيتا. خزانة تمنطيط. وينظر أيضا: مخطوط جوهرة المعاني للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم ص26 وما بعدها. ومخطوط درة الأقلام ص63 وما بعدها، وكتاب قطف الزهرات ص58 وما بعدها، وكتاب النبذة ص162 وما بعدها.

أبو محـــمـــد عبد الله من آل مَـــن في العلم قد نشئوا في ما مضى سلفـــا
أجلهـــم ســـيـــد البكري ووالده عبد الكـــريـــم وجد كلـــهـــم عرفـــــا
قد اقـــتـــــدى بهمُ فـــــنال منفعة كما عـــدي لحـــاتم أبيـــــه قـــفـــــا
رام الرجـــــوع إلى محله فدهـــــا ني منه داهية للّب قد خـــطـــفـــا
فـــــلا العـــويـــل يـــرده إلـــي ولا بالصبر يـــرفع ذا الجوى الذي أســـفا
كأنـــنـــي قـــــط لم أكن أفـــــارقه فيما مضى من زمانيَ الذي ســـلـــفـــا
لعـــــل ذلك من عهـــد قـــد أورده الحديث عن أحمد حسبي به و كفـــى
فإن الأرواح حقا في الورى خلقـــت جـــــنداً مجنـــدة لـــذلك ائـــــتلفا
منـــــها الموافق ثم ما تـــناكـــــر منـــها يا أخي كـــذلـــك اختـــــلفـــا
فكيف لا وهـــو خـــــل من محبتـــه نرجوا بـــها الظل في اليوم الذي أزفـــا
نال المعـــــالي والـــعلوم أفضلهـــا فقـــها ونـــحوا وتفســـيرا بها تحفـــا
أصـــــــولها وبيانها فرائضهـــــا فاعجب به مـــن شباب تـــاركاً جنفـــا
في نحـــو أربعة من السنين حـــوى هـــذا المـــقـــام مـــن ربـــه به لطفـــا
فسرٌ ربي في صـــدق مـــن الطلـــب إذ لم يـــــكن بســـواه دائمـــــا شغُفا
قد صان سره عن لغـــو وعن طرب وسمعـــــــه عـــن حكايـــة لما هتفـــا
فمذ أتى كـــان دأبـــــــه قراءتـــه شـــيئا فشيئاً عن الشيخ الذي شرُفـــا
بالعلم والفضل والخمول مع ضعة لنفـــسه حسبما مـــن أمـــره عرفـــا
أبي وشيـــــخي وسيدي ومعتمـــدي محـــمد بـــن أبي زيـــد عـــلا شرفـــا
بلبالي نسبته تـــــــوات منشؤه مـــلوك بـــــــلـــدته آبـــاؤه حُنّـــفـــا
أنصاري الأصـــل قد أتانا عـــن نبـــا من الآباء وغيـــرهم ممـــن طـــــرفا
عن العليم الولـــي كـــان مـــأخـــذه قطب الوجـــود ومن بحاره اغـــترفـــا
فكم له من عجـــائب ومـــن خـــارق لعـــادة عُـــهـــدت إذ بالـــوفـــاء وفى
وكم له في مقـــام الوصل من حلـــل ومن حـــلى قـــد أذرى بالذي صرفـــا

وبعد أن جاء في القصيدة على سنوات تدريسه وما ظهـرت علـى يديه من كرامات أولا، ثم ذكر أسانيده وشيوخه في العلم وصل أخيـرا في ختام القصيدة إلى الترحم والدعاء والصلاة والسلام على رسول الله موقعا كل ذلك أخيرا بذكر اسمه ونسبه وتاريخ نظمه الذي كان في عام (حل رش)[232] حيث قـال:

والله أرجـو بفضـل منه يرحمنـا والمسلمين جميـعا وهو أهل الوفـا

وفـي أعـالي الجنان رب يجمعنـا بجـاههم وبـجاه سيـد الـشرفـا

خير البرايا وسيـد الأنـام ومن لـه المقام الذي لـم يعطـه الحُنفـا

صلى عليه الإلـه كلـما طلعت شمـس ومـا سار سائر أو انحرفـا

في عام (حل) بعيد(رش) أنشـأها عبد العزيز محمد يرجو الخـلفـا

وفي مدح زوج المصطفى(ص) أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وما نالته من فخار بصحبتها للمصطفى(ص) وبما خصها الله بـه دون بقية نسائه عليه الصلاة والسلام يقول الشاعر سيدي أحمـد زروق بـن سيدي صابر البداوي الجعفري(1244هـ) متحدثا على لسنها رضي الله عنها ومترجما عن قولها وما روته عن نفسها حيـث يقـول فـي مطلع قصيدته[233] على إيقاع الكامل:

مـا شـأه أم المـؤمنـين وشاه هـدي المـحب لهـا وضل الشاني

---

232. الحاء: 8/اللام 30/الراء:200/الشين:1000/والمجموع: ثمانيـة وثلاثـين ومائتين وألف(1238هـ) المساعد على بحث التخرج ص100/99. د.مختـار بوعناني.

233. ينظر مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله أدرار.

إني أقــــول مبيـــــنا عــن فضلها ومتـــــرجمـــا عــن قولها بلساني
يا مبغضـــي لا تـــأت قبــــر محمد فالبـــيت بـــيتـــي والمكـــان مكانـــي
إني خصصـــت علـــى نساء محمـــد بصفات بـــر تحتـــهـــن مـــعانـــي
وسبقتهن علـــى الفضـــائل كلهـــا فالسبـــق سبقي و العنان عنـــانـــي
مـــرض النبي ومات بين تر ائبـــي فاليـــوم يومـــي والزمـــان زمـــاني
زوجي رسول الله لـــم أر غيـــره الله زوجـــني بـــــه وحـــبـــانــــي
وأتاه جبريل الأميـــن بصـــــورتي وأحـــبنـــي المختـــــار حين رآنـــي
أنـــــا بكــــــره العـــذراء عند... وضجيعه فـــــي مـــنزلـــي قمـــران
وتكلـــم الله الـــــعظـــيم بحجتـــي وبراءتي فـــــي محـــكـــم القرءاني
والله خيـــــرنـــــي وعظم حرمتي وعلـــى لســـان نبيــــه بـــرانـــــي
والله في القـــرءان قـــد لعـــن الذي بعد البراءة بالـــقبيــــح رمـــــاني
والله وبـــخ مـــن أراد تنـــاقصـــي إفكا وسبــــح شـــــأنه فـــي شاني

والقصيدة وردت في أزيد من خمسين(50 بيتا) وعلى وزن الطويل ولم يكتف فيها الشاعر بعدّ مفاخر أم المؤمنين رضي الله عنها كما ورد على لسانها، بل تعداه إلى الحديث عنها وعن فضلها مـــن جهـــة أبيهـــا الصديق رضي الله عنه حيث يقول على لسانها دائما:

وأخـــذت عـــن أبـــوي ديـــن محمد فالنصل نصلـــي والسنان ســـنـــــان
والفخر فخـــري والخلافة في أبـــي حسبي بـــهـــذا بفـــخر أو كفانــــي
وأنا ابنة الصديق صاحب أحـــمد وحبيبه في البســـــر و الإعـــلان
نصـــر النبـــي بمـــاله وفعـــاله وخروجه معـــه مـــن الأوطـــان
وهبا العنـــــا حتــــى تخلل..... زهـــدا وأذعـــن أيمـــا إذعـــان

وتخللـــــت معــــه مــلائكة السما وأتته بشــر الله بـــالـــــرضـوان

وهو الذي لــم يخــش لومة لائـــم في قتل أهــل البغـــي و العــدوان

قتل الأولى منعــوا الزكاة بكفرهـــم وأذل أهل الإفـــك والطـــغيان

سبق الصــــحابة والقــرابة للهدى وهو شيخهم في الفضل والإحسان[234]

إلى أن قال في ختامهـــا:

يامن يلــوذ بنــــال بـــيت محمد يرجــو بذلك رحمـــة الرحمان

صل أمهات المؤمــنين ولا تـــحل عنا فتسـلب حلـــة الأيمـــان

.... والـــذي ذلــت لـــه الثقــلان

خذها إليك فإنـــما هـــي روضة محفوفة بالــروح والــريحــان

صلى الإله على النبـــي وءالـــه فبهــم تشمر أزهــر البستـــان[235]

ولقد بلغ الشاعر أبو العباس سيدي أحمد زروق بن صابر البـــداوي الجعفري(1244هـ) في العلم مكانة مرموقة في عصره، وهو ما أهلـــه لإجازة العديد من أقرانه في مروياته وما أجيز فيه من أشياخه الفاسيين والمكناسيين وغيرهم. وفي هذا الصدد أنشأ الشاعر الشيخ سيدي محمد عبد العزيز بن سيدي محمد عبد الرحمان البلبالي(1261هـ) قصيدة[236] مدحية ضمنها مطلبه الأساسي في الإجازة، والإذن في التحدث بجميـــع مرويات الشيخ البداوي كما قال على وزن الطويل:

---

234. ينظر مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله أدرار.

235. ينظر مخطوط القصيدة.

236. مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله. وينظر أيضا: قطف الزهـــرات ص55.

إليك أبا العباس أنحو و أذهب   ومنك أروم الوصل إذ هو أوجب
سلكت طريقاً واضحا تطلب العلا   فنلت مقاما شامخ الصرح أرحب
وصرت معينا سلسبيلا لذوقها   لذاذة طعم رائق و هو أشنب
رحيق و لا غول فيها غير أنها   يهز لها قلب اللبيب و يطرب
ثمار لها زهر يفوح لفتقه   ....أحلى مذاقا وأطيب
ولكنها المرقى إليها لفضلها   شديد ولم يصعده من هو...
فهرول له تحظى بفضل شرابه   لشيخ صبا في العدل والآن أشيب
تصير بحزب من سما بسموهم   مريدا إلى الإسناد نظما يهذب
وتحسب في أعدادهم عند عدهم   وتنظم في الإسناد عنهم وتكتب
أجزني جميع ما رويت عن النهى   وما قد رواه مالك ثم أشهب
وما قد أجزت من كتب عديدة   بلا حصرها إذ ذاك أولى وأصوب
وأطلب منك بعدُ صالح دعوة   بوقت به المولى يجيب ويرغب
ليصلح ما قد حل بي من معائب   وما خطه الأملاك عني يذهب
ويختم لي بأحسن القول عندما   يحل بي الموت الذي هو أقرب
أنا وجميع الوالدين وأولادي...   ومن له من قربي حظيظ ومنصب
وقد قاله عبد العزيز محمد   ببلبالي يدعى إذا كان ينسب
وأنصار خير الخلق طرا جميعهم   بهم جده الأعلى الكريم المهذب
فصل على الرسل الكرام الهنا   ومن له من فخر المحبة مشرب
وآله والأصحاب طرا وزوجه   ومن يقتدي بهديه حين يرغب

فأجابه الشيخ سيدي أحمد زروق(1244) ببائية[237] مثلها وزنا

237. مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله. أدرار. وينظر قطف الزهرات ص56 وما بعدها.

وقافية أعرب له فيها عن خالص امتنانه لما بدر منه مــن تمجيــد وحسن ثناء والذي جاء ليترجم سمو أخلاق الشاعر وحسن فهمه السديد، وتقديره للعلم والعلماء. غير أن الشيخ سيدي أحمد – لتواضــعه – رأى في كل تلك الصفات تجاوز وتبجح بما ليس فيــه، وأن الإجــازة فــوق طاقته، لكنه مع هذا لم يشأ أن يخيب ظنه فيه، فأجازه –بعد اعتــذار– إجازة عبد خائف يترقب نتائجها في كل آن. وهي إجازة أجــازه إياهــا شيوخه بأسرهم، وتدور على المنقول عن رسول الله(ص) أولا، وعــن المعقول المنسوب لأشياخه في السلسلة. وفي الختام أوصاه بالإكثار من تلاوة سورة (العصر) والعمل بما جاء في فضلها، وفي الأخيــر دعــاه مشاركته وإحضاره في كل أدعيته، عسى الله أن يجمعهما معا يوم لا ينفع مــال ولا بنون:

أجيبــك يـــا عبــد العزيز وأطنب   **تحيــة ذي ود من المــسك أطيب**

أتاني قريض منــك يا خير فاضــل   **بأخلاقك الحســنى يــروق ويعذب**

يترجم عــن علــم تحملت صفــوه   **وينبــىء عن فهــم سديد ويعرب**

ولكنه قــد جــاوز الحد فــي الثنــا   **وبجحتموني بالــذي لســت أكسب**

وإني بسن العنــس والقوس عالــم   **وفي مبهمات العــلم جهلي مركب**

ولكــن أهــل الود دام ارتقــاؤهم   **تغالوا وظنوا والمظــنة تــكــذب**

نســبت المعــلى للمعالي وما حوى   **سهــام المعالي بل لغفــل يدبــدب**

سألتــم مـــن هذا العبيد إجــازة   **وأني بهــا فــي غير حبلي أحطب**

ورب مــريد قــال فــوق مــراده   **ومختلج من دون ما كــان يطلــب**

وها أنا ذا بــعد اعتذار أجــزتكم   **إجازة عبد خـــائف يــتـــرقــب**

تدور على المنقول عن سيد الورى　　وما هو معقول للأعلام ينسب
بما قد أجازني شيوخي بأسرهم　　سقى عهدهم من هاطل المزن صيب
بشرط اتقاء الله في كل حالة　　وفي كل قول تلفظنه فيكتب
وكن تاليا (والعصر) واعمل بحكمها　　فلله قوم بالكتاب تأدبوا
متى ما التقى الإثنان من صحب أحمد　　تواصوا بها عهد لديهم ومذهب
ولا تحرمني من دعائك دائما　　بعفو وغفران وما قد يجنب
وكن داعياً لي بالخلاص ورحمة　　من الله في نعمائها أتقلب
عسى يا أخي يوم اللقاء تكون لي　　خليلا تقيا لا أراع وأرهب
وجود كريم ارتجيه لزلتي　　وأعظم ما يرجوه من هو مذنب
وجاه رسول الله أفضل شافع　　ورحمة توسعني تغلب
عليه الصلاة والسلام متابعا　　لروح وريحان وخير يصوب

ومن الشيخ سيدي أحمد زروق الجعفري البداوي توجه الشيخ سيدي محمد عبد العزيز بن محمد عبد الرحمان البلبالي(1261هـ) بشعره ومدحه هذه المرة إلى الشيخ الحاج امحمد بن محمد بن يدّ الأقسطني(238) (ق13هـ) لما سمعه من ثناء بعض الإخوان عليه في سفرهما للحج -كما قال- معترفا بأنه تردد كثيرا في وضعها لقصور حاله، لكن ظهر له بعد حين أن لابد من ذلك فمدحه بقصيدة(239) مطولة على وزن

---

238. الأقسطني نسبة إلى قصر إقسطن من قصور تيميمون. أدرار. ينظر ترجمته في الملحق. الصفحة331 من هذا البحث.

239. مخطوط القصيدة جاء في أربعين بيتا. وهو بخط واضح. خزانة البلباليين قصر ملوكة. أدرار.

الطويل. وانتهى الشاعر من نظمها كما ذكر في نهايتها في آخر شهر جمادي الأولى عام واحد وثلاثين ومائتين وألف(1231هـ) حيث يقول في مطلعها:

أيا راكبا جرد القطيع المراصد يطير بها إلى سناء المقاصد
سوى سري لا نظير لمثله يشابه عند التقاء الأماجد
سرى سره في سر من جاء قاصدا زيارته يبغي ارتقاء المصاعد
ونار بنور الله إذ كان دأبه وحرفته ذكر الكريم الفوائد
فلازمه في كل وقت وموطن بأفضل تسبيح وخير المحامد

إلى أن قال في ختامها:

عبيد العزيز ناظم لمآثر يروم بها شرح الفؤاد وساعد
واختم قوله بالصلاة على الذي به نال كل الرسل أعلى المحامد
محمد الآتي إلى الناس رحمة وغوثا وبشرى هاتكا ستر جاحد
فبلغه ربي مني ألف تحية صلاة وتسليما لأبيض ماجد
وءاله ما حن..... إلى الصبا وما رميت قوس لصيد الأوابد
وأصحابه الأسود إن لاقوا العدى وأمته الغراء بيض السواعد[240]

وكما مدح الشيخ سيدي عبد العزيز بن سيدي الحاج البلبالي (1261هـ) جملة من أصدقائه وشيوخه، تلقى هو الآخر قصائد مدحية من بعض تلاميذه وأصدقائه ومنهم الشيخ سيدي لحسن بن سعيد البكري (1286) الذي انطلق في مدحه[241] من المقدمة الغزلية على عادة

---

240. ينظر مخطوط القصيدة. خزانة البلباليين قصر ملوكة .أدرار.

241. ينظر كتاب النبذة ص171 وما بعدها.

الشعراء القدامى، ثم شرع بعدها في التعبير عن مشاعره اتجاه ممدوحه، وكذا أهم خصاله وفضائله التـي تعـرف عليهـا بمحـض الصـحبة والملازمة، حيث يقول على إيقاع الطويل:

ولما غدت سلماي تر شق بالقـنـا — فـؤادي لـم أسـل بهند وزينـب
ولعت طفلا في هواها فهـا أنـا — حليف الأسى والحزن والواشي يرقـب
ترى مبسما إن فاها فالدر منطـق — لها إن بـدا في الليل لم ير غيهـب
وأحلى من الحلواء صرفة ريقهـا — فما الشهد فالصرفاء بل هي أعـذب
أراني للجـاشي المعـذب رائطـا — سوى عن هواكم بالمفاخر يعـرب
ووجدي يكلفـني بما لا أطيقـه — فمن صلي نار منه.... اللب يحجـب
ولولاك مـا كان العروض مـطرزا — ولازال يـسمـو للمعال و يقـرب
ولولاك ما كان المحب مـهلكـا — وقتا وعبدا لم يرا بك يسهـب
ولولاك لم أدر الصبابة والهـوى — وفي صنعة الأشـعار لـم أر أطنب
وقد عيل صبري في الغرام فلا أرى — طبيبا لأمراض الشجـي بك يعجـب
سوى جامع الأشياء بعد شتـاتـها — بوصل وتنعيم بمـا هو أصـعب
فتسبيك عقلا إن نزلت بأرضهـا — وإن شمت ربعا منها حسك يذهـب
بلاد بها شرخ الشباب صـرفـته — فـلا تاتلـينـي عنهـا أم ولا أب
وأعني بذا الحبر الإمام محمـدا — عبـيد العزيز القرم من ءال يعـرب
سلام عليكم دائما وتحيـة — ويحدوا بها عني نسيم ويـطرب
سليل لآل البكري يدعى محـمدا — ويتلـوه حاء وسين بالنون تصحـب

والملاحظ على القصيدة المدحية عند شعراء توات بوجه عام أنها لم تخرج عن إطار سابقاتها العربية، فجاءت في مضمونها تعدادا لجملـة

من خصال وفضائل الممدوح من جهة، وتبيان لمكانته عند محبيه عامة، والشاعر خاصة من جهة أخرى. كما أنها جاءت بين الشعراء في شكل رسائل متبادلة بين الأصدقاء أحيانا وبين الشيوخ وتلاميذهم أحيانا أخرى. واكتفى أصحابها في تعبيرهم أحيانا بالبيتين والثلاثة، وتعدوه في أحايين كثيرة إلى قصائد طوال.

4. غرض الفخر والحماسة:

- **لغة:** جاء في لسان العرب: "الفخْر والفَخَرُ والفَخْر: التمدح بالخصال والإفتخار وعدُّ القديم)[242]. أما (الحماسة: الشجاعة"[243].

وفي **الاصطلاح:** لم يخرج اللفظان عن معانيهما اللغوية فكان قريبا من غرض المدح ولا يختلف عنه إلا في تحديد الممدوح، حيث يقول ابن رشيق: "الافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار"[244]. ولقد شكل غرض الفخر والحماسة عند العرب" بابا واسعا من أبواب شعرهم يعبر عن ميلهم الطبيعي إلى الأنفة، والعزة... وأكثر ما تناول الفخر الشجاعة والنجدة والبأس والقوة وإجارة الجار ومنع الحريم، وإكرام الضيف وإيواء الطارقين"[245].

242. لسان العرب. باب الراء، فصل الفاء. مادة فخر ج5 ص48.

243. المصدر نفسه ج6 ص58.

244. العمدة ج2 ص162.

245. حياة العرب الأدبية. الشعر الجاهلي. ص120 وما بعدها. عروة عمر دار مدني2004. الجزائر.

وهي المعاني التي فرضت نفسها بشدة علـــى الشـــاعر ابـــن الونـــان (1187هـ) في شمقمقيته[246] الشهيرة وراح يتحدث أولا عـــن بطولتـــه وشجاعته أمام محبوبه قائلا:

والله لــو حلت ديار قــومهــا   واحتجبت عني بباب مغلــق
لزرتهــا والليل جــون حالــك   وجفنها لــم يكتحل بـــأرق[247]
مــع ثلاثــة تــقي صــاحبهــا   ما لم تكن نون الوقاية تــقي
سيف كصمصامة عمـــرو باتـــر   لا يتــقــي بــيــلــب ودرق[248]
وبيـــن جنبي فؤاد ابن أبـــــي   صفرة قاطع قرا ابـــن الأزرق[249]

ومن الحديث عن بطولته وشجاعته التي طاول فيها عمرو بن معـــد في صمصامه، وابن أبي صفرة في قوته وشدة صـــبره والتـــي كانـــت سلاحه في الوصول إلى بيت محبوبه وسط ديار قومها، انتقل للحـــديث

246. شرح الشمقمقية ص34 وما بعدها.
247. لجون: الأسود
248. الصمصامة: سيف عمرو بن معد بن يكرب، من أصحاب الرسول .سيفه يضرب به المثل في حسن المضاء وكرم الجوهر. اليلب: الدروع. والدرق: الترس. المرجع نفسه.
249. ابن أبي صفرة هو المهلب القائد في أيام بني أمية. وابن الأزرق هو نافـــع بـــن الأزرق الخارجي رأس الأزارقة ظهر أمره في أيام ابن الزبير واستمر إلى أيام عبد الملك بن مروان. كان كلما سار إليه جيش رده مهزوما إلى أن جاء المهلب وصمد له، وتغلب عليه بعد عشرين سنة فصار مضربا للمثل. شرح الشمقمقية ص35.

عن وصف فرسه وسلاحه في الوصول إلى المحبوب. فيخبرنا بأنه فرس يشبه فرس قيس ابن زهير المعروف بداحس والذي يضرب به المثل في الشؤم، لما جرى بسببه من حرب طويلة بين ذبيان وعبس. أما لاحق فهو اسم فرس معاوية بن أبي سفيان المشهور في رهان المسابقة بين الخيول. وهو إذا سار في خببه وطلقه تقدح حوافره النيران من شدة سرعته التي تشابه سرعة الريح في هبوبها والذئب في وثوبه والمها في خفتها ونشاطها. وهي كلها صفات قوة وشدة أهلت الفرس ليكون وسيلة كافية يطل من خلالها الشاعر على ديار المحبوب ثم يعود لوقتها وبسرعة البرق.

وفرس كداحس أو لاحق يوم الرهان شأوه لم يلحق

تقدح نيران الحباحب حوا فره عند خبب وطلق[250]

كالريح في هبوبه والسمع في وثوبه وكالمها في فشق[251]

به أجوس في خلال دارها وأنثنى كالبارق المؤتلق

ورغم إلحاح الشاعر في الوصول إلى المحبوب حتى ولو تحصنت في حصن السموأل المعروف بالأبلق، أو في قصر الخورنق قصر النعمان ملك الحيرة إلا أننا نجده إلى هذا أشد الناس حرصا عليها وعلى حماية عرضها إن ظفر بها، وإن كانت الثانية فإنه يعود إلى حربه

---

250. الحباحب: ذبابة تطير بالليل ويرى في طرف جناحها شعاع كالسراج. والخبب نوع من العدو. والطلق جري الفرس لا يحتبس إلى غاية. المرجع نفسه ص36.

251. السمع هو ولد الذئب من الضبع. الفشق: النشاط والخفة.

الشعواء ضد كل من يحاول حمايتها متقدما في ذلك جيشا جرارا من خيار قبيلة بني ملوك أسرة الشاعر:

لابد لي منها وإن تحصنت بالأبلق الفرد و بالخورنق
لابد لي منها وإن عثرت في ذيل الحسام والسنان الأزرق
فإن ظفرت بالمنى من وصلها بالغت في صيانة العرض النقي
وإن بقيت مثل ما كنت فلا زلت بَغيض مضجعي و نُمرُقي
أشن كل غارة شعوا على من يحمها في مقنب و فيلق[252]
وفي خميس من خيار يعرب ذوي رماح وخيول سبق
من أسرتي بني ملوك فهم أطوع لي من ساعدي ومرفقي

ومن الافتخار ببطولاته الحربية وشجاعته في الوصول إلى ديار المحبوب، ينتقل الشاعر إلى الإفتخار بأسرته بني ملوك، القبيلة العربية الحميرية الضاربة في التاريخ اليمني القديم، ويمكن للمشكك في ذلك – كما يقول الشاعر– أن يسأل المؤرخ ابن خلدون وما جاء عنه في تاريخه، أو سليمان بن موسى الكلاعي صاحب كتاب الإكتفا في سيرة المصطفى، وما تضمنته سيرته من أخبار عن صمود قبيلته يوم خيبر، والخندق ويوم بدر، وحنين وتبوك، وغزوتي بني السويق وبني المنطلق وما إلى ذلك:

سل ابن خلدون علينا فلنا بيمن مآثر لم تمحق
وسل سليمان الكلاعي كم لنا من خبر بخيبر وخندق

252. المقنب جماعة من الخيل تجتمع للغارة، والفيلق: الجيش العظيم. شرح الشمقمقية. ص41.

ويــوم بــدر وحــنيــن وتــبــو ك والسويق وبني المصطلــق

بهــم فخــرت ثــم زاد مفخـــري بأدبي الغض وحسن منطقــي

والشاعر في افتخاره بنفسه لم ينطلق من تاريخ قبيلتــه الشــهيرة، ومــا خلفته من مآثر على مر العصور، بــل إن تاريخــه فــي الأدب وقرض الشعر حافل هو الآخر بكثير من الصفات والفضائل التي ليست لغيره كيف لا وهو الذي جمع بين العلم والأدب فلم يستطع أحد الوصول إلى مكانته وقدرته في نظم الشعر، وهو الذي أطاعه الشــعر وعصــا غيره، فنال بذلك درجة الأستاذ، والشيخ الفقيه والعالم المحقق، والمحدث الشهير، والأديب المجيد، والبليغ المفلق، وما إلى ذلك. وهــي صــفات قربته كثيرا من الملوك والأمراء الذين أحبوه وأجزلوا عطاياه.

وزان علمــي أدبي فــلن تـــرى مَــن شعرُهُ كــشعريَ المنَمّق

فإن مدحـــت فمديحي يُشتفــى به كمثل العــسل المـــروق(253)

وإن هجوت فهجائي كالــشّجــى يقف في الحلق مثل الشــرق(254)

فإن يك الشعر عصــى غيريِ فقــد أطاعني في عيهق وحــنــق(255)

وإن يكــن سيــفــا محلــى فلقــد أبلى نجــاده عناق عنــقــي

وإن يكن بُردا فــقد صــرت بــه معتجرا دون جميع الســوق(256)

---

253. المروق: المصفى.

254. الشجــا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. والشرق: الغصة. شــرح الشمقمقية ص43 وما بعدها

255. العيهق: النشاط .والحنق الغيظ . المرجع نفسه

256. البرد: الكساء. ومعتجرا: مشتملا. والسوق جمع سوقه وهو غير الملك مــن الناس

وإن يكن تــاجا فقــد زاد سنــــا	جــوهره مذ حــل فــــوق مفرقي
وإن يكن حــديقــة فــطــالمــــا	نزهت فيـــهــا خـــاطري وحـــدقي
وإن يكن بحرا فقد غصــت علـــى	جــوهره وكـــنت نـــعم المنتـــقي
وهل أنـــا إلا ابـــن ونان الــــذي	قـــربه كل أمـــيـــر مــــرتــــق
أحق من حلي بالأستــاذ والشــيــ	خ الـــفــقيه العــــالم المحـــقـــق
وبالمحـــدث الشهـــيــر والأديــــ	ــب والمجيد والبـــليغ المـــفلـــق
وأعلم النـــاس بـــدون مـــريـــــة	سيـــان مـــن في مغـــرب ومشرق
بالشعر والتاريخ والأمثال والـــــ	أنســـاب والآثار ســـل تصدق[257]

وغير الشاعر ابن الونان فقد أثر عن الشاعر محمد بن أبّ المُزَمّري (1160هـ) مقطوعتان بمجموع خمسة أبيات، افتخر فيهما الشاعر هـــو الآخر ببراعته وتفوقه في نظم الشعر، إلى الدرجة التي أصبح فيها سيدا ومضربا للمثل مثله مثل عمرو بن كلثوم في إقدامه، وإياس بن معاويـــة في ذكائه، وحاتم الطائي في جوده. حيث يقول مستهلا مقطوعتـــه[258] الأولى على وزن الطويل:

257. ينظر مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر. خزانة قصر باعبد الله.

إذا ساد بالإقدام عمرو[259] وبالــذكا تفرّد إيّاس[260]وبالجود حــاتــم[261]

فإن شِعاري صَنعة الشعر فالــذي ينــازعنـــي فيهــا فذلك ظالـــم

ويقول في مقطوعته[262] الثانية على الطويل أيضا:

وفزت بدر الشعر إذ غصت بحــره ومثلي لنيل الدر من بحره أهــل

فحاز نظامي فيه أبدع صنعــتــي من الله لا من غيره ذلك الفضـــل

وأمري سلم الاتصال ومـــن يــرم ... فان الخطــب في شأنه سهل

والملاحظ أنه وباستثناء الشاعرين ابـــن الونـــان ومحمـــد بـــن أبّ المُزَمّري فإننا لا نجد عند بقية التواتيين حـــديثا يـــذكر مـــن أحاديـــث

259. هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي، شاعر جاهلي وفارس شجاع، توفي سنة40 ق.هــ584م. المستطرف في كل فن مستظرف. للإبشيهي. ت درويش الجويدي ص43ج2. ط1، 1416هــ1996م. المكتبة العصرية، بيروت لبنان.

260. هو أبو واثلة إياس بن معاوية، يعد مثلاً في الذكـــاء والفطنـــة، ولاه عمـــر بن عبد العزيز قضاء البصرة(ت.222هــ) وعمره 76سنة. ينظر: وفيات الأعيان لابـــن خلكان. الجزء الأول ص247. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة بيروت.

261. هو أبوعدي حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني، فارس وشاعر وجواد.(ت.46 ق.هــ) المستطرف. للإبشيهي. تحقيق ذ. درويش الجويدي ج1. ص284.

262. مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات. ص21 وما بعدها الشيخ الحاج محمد بكراوي.

الافتخار بالنفس وتمجيد دورها، وقد يعود ذالك أساسا إلى نظرة الشارع التواتي المحكومة بكثير من الأعراف والتقاليد في الموضوع.

5. غـــرض الــرثـــاء:

- **لــغـــة:** جاء في اللسان: "رثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته، فإن مدحه بعد موته قيل رثّاه، يرثّيــه ترثيــة. ورثَيْــت الميّت رثيا ورثاء ومرثـــاة ومرثيـــة ورثّيتـــه: مدحتـــه بعـــد المـــوت وبكيته"[263].

وفي **الاصطلاح:** يفرق قدامى بن جعفر بينه وبين المدح "بأن يـــذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك مثل(كان) و(تولى) و(قضى نحبه ومـــا أشبه ذلك"[264] وهو المعنى ذاته الذي وقف عند ابن رشيق عند قولـــه: "وليس بين الرثاء والمدح فرق. إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أنه المقصود به ميّت مثل(كان)، أو(عدمنا به كيت وكيت)أو ما يشاكل هـــذا ليعلم أنه ميّت"[265]. ويضيف ابن رشيق في تحديد طبيعة الرثاء قـــائلا: "وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطـــا بـــالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيـــرا"[266]. ولقـــد عرف العرب قديما نوعين من الرثاء: رثاء فردي" وهو أصدق نـــوعي

---

263. لسان العرب. باب الياء. فصل الراء. مادة رثي ج14 ص309.

264. نقد الشعر ص100.

265. العمدة ج2 ص166.

266. المرجع نفسه.

الرثاء وأعلقهما بالنفس، وأقربهما إلى الفطرة والطبع"[267]. ورثاء قبلي ناتج عن ارتباط الشاعر بقبيلته" فهو في السلم لسانها الناطق بالمفاخر، وفي الحرب شعلتها التي تضرم الغضب في النفوس، وبعد الحرب نادبها الباكي على القتلى"[268]. ومن هنا ارتبط الرثاء بغرض الحماسة والفخر فكان الشعراء "يرثون أبطالهم في قصائد حماسية يريدون بها أن يثيروا قبائلهم لتأخذ بثأرهم، فكانوا يمجدون خلالهم ويصفون مناقبهم التي فقدتها القبيلة فيهم، حتى تنفر إلى حرب من قتلوهم"[269].

ولما ذاب التعلق القبلي عند الشعراء بعد مجيء الإسلام في ظل توحد الأمة وتمسكها تلاشى معه تدريجيا رثاء الشعراء لقبائلهم، واستبدل عند العباسين خصوصا بما يعرف برثاء المدن الذي ظهر"جديدا بكل معاني الكلمة، إذ أن علاقة الإنسان بالمدينة من قبل لم تتوطد بالشكل الذي توطدت به في العصر العباسي هذا من جهة ومن جهة أخرى لم تشهد المدن الإسلامية قبل هذا العصر من الدمار والتخريب ما شهدته بعض مدن العراق في هذا العصر"[270] وإلى هذه الأصناف الثلاثة برزت عند بعض الشعراء بعض القيم الإنسانية

---

267. الأدب الجاهلي ص245.

268. المرجع نفسه ص252.

269. العصر الجاهلي. الدكتور شوقي ضيف ص207. الطبعة الثالثة. دار المعارف مصر.

270. في الشعر العباسي الرؤية والفن. عز الدين إسماعيل .ص 344. ط01. المكتبة الأكاديمية1994.

السامية، فخرجوا بعواطفهم من رثاء النفوس البشرية وما يربطها من آثار مادية تحديدا إلى رثاء بعض الحيوانات الأليفة، كما فعل أبي نواس مع كلب صيده الذي مات من لسع حية[271].

وبعيدا عن هذه الأنواع الجديدة في غرض الرثاء من جهة، وما أبداه الشعراء من عواطف جياشة اتجاه قبائلهم في العصور القديمة تحديدا، فقد اكتفى الشاعر التواتي بأصل الغرض ولم يخرج به عن معاني الندب والتأبين والعزاء اتجاه مفقودين بعينهم كما فعل الشيخ سيدي محمد الإداوعلي(ق12هـ) في رثائه[272] لصديقه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133هـ) بعدما بلغه نبأ وفاته، حيث قال على وزن البسيط:

آه على توات حل الوبال بها	**وصارت من بعد نور العلم في الظلم**
بموت عالمها الحبر الذي انتشرت	**علومه بأرض العرب والعجم**
بموته بكت النجوم قاطبة	**والشمس والقمر والأنهار والديم**
لفقده قد بكى الأشجار والحجر	**ثم الجبال وحتى القفر في الأكم**
والبوم تندب بالأحزان ساهرة	**والورق في الأيك تهزل مع الرخم**
يا حسرة لتواتنا قد افتتنت	**بموت نور الوجود قدوة العلم**

271. المرجع نفسه.

272. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص100، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ص73 وما بعدها وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص135 وما بعدها.

أعني الإمام الذي سالت عناصره　　من سيد العرب والأتراك والعجم

بحر العلوم الذي قد طاب عنصره　　قاض القضاة ومحي دارس الحكم

لما نعى نعيه قام الصراخ بها　　يوم عروبة لا تزال في كضم

طوبى لمقبرة ضمت جوارحه　　بها النور والأملاك والهمم

والشاعر الإداوعلي في حديثه عن مصيبتة في فقد صديقه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم، انطلق من الجو العام الذي خيم على الإقليم التواتي قاطبة غداة انتشار الخبر، ودخل الإقليم بموجبه في حزن عام عمّ النجوم والكواكب والأشجار والحجار، ولم يستثن الطيور في أيكها. كما نعرف من الشاعر أيضا من خلال النص أثر انتشار خبر الوفاة في نفوس التواتيين بعد نعيه في يوم العروبة يوم اجتماع المسلمين.

بعد هذا راح الشاعر الإداوعلي يعدد جملة المكاسب التي فقدها الإقليم بفقده للشيخ سيدي البكري، حيث لم تعد هناك دروسه المختلفة في شتى أنواع الفنون، من تفاسير للقرآن والحديث ومن دروس في النحو والفقه والبلاغة والمنطق وغير ذلك، ولم يعد هناك بعده من يوضّح مشكلات المسائل المختلفة، ولا من يرتقي على المنابر إماما معلما، ولا من يتربع على حلقات المدارس معلما وشارحا لكثير من النوازل الخاصة والعامة. وفي الختام لم يسع الشاعر أمام مصابه الجلل إلا الدعاء والترحم عليه أملا في تقبل صالح أعماله والتجاوز عن سيئاته وخطاياه بجاه وحرمة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

أين الفنون التي كانت مقررة　　أين التفاسير أين النحو في الكلم

أين الحديث وأين الفقه يا أملـــي أين البديـــــع وأين منطق البكـــم
أين البيان وتوحيد يميـــــــــــزه بـــــعد الإمام البكري درة العلـــم
من للمسائل بعد الشكل يا أســـفي من للمنـــــابر بعد الحاذق الفهـــم
من للدفاتر بل من للمدارس بـــل من للنوازل بل في اللوح والقلـــم
أكرم به سيدا شمس الورى قمـــرا بين العباد ونور يذهب الظـــلـــــم
قد كان فينا دليل الحق ينـــصـــره ويحمل الكل حقا يصل الـــرحـــم
يارب ياذا العلا فاقبل محاسنـــه بجاه خير الورى المبعوث للأمـــم
وعن مساويه يارب تجاوز لـــه وابسط عليه رداء العفو و الرحـــم
ووسع منزله في جنة النـــــعم مع الرسول الكريم رحمة العلـــم
بالله ياقارئنا ادع لسيدنـــــــــا لعل خالـــقه يقيه من نقـــــم
واختم لناظمها بحسن خاتـــمـــــة بحرمة المصطفى المبعوث بالكرم
صلى عليه إله العرش ما رقمـــت يد الكتاب وعد القطر والنســــم
وءاله والصحابة الأولى شيـــدوا صرح شريعته بالسيف و الحســم[273]

ولقد كان لوفاة الشيخ سيدي عبد الرحمان[274] بن باعومر التنلانـــي (1189هـ) بأرض مصر في أثناء عودته من رحلته إلى الحج، ودفنـــه هناك بمقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي الأثر البارز في نفسية العديد من شعراء الإقليم الذين رثوه بقصائد مختلفة وعبروا من خلالهـــا عـــن

273. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص100، ومخطوط الدرة البهية فـــي الشـــجرة البكرية ص73 وما بعدها وكتاب النبذة في تاريخ تـــوات وأعلامهـــا ص135 ومـــا بعدها

274. ينظر ترجمته في الملحق الصفحة313 من هذا البحث.

عميق تأثرهم لفقده لما حظي به من مكانة بين أقرانه من العلماء داخل وخارج الوطن.

وإن من أبرز قصائد الرثاء في حق الشيخ سيدي عبد الرحمان (1189هـ) وأشهرها حضورا عند التواتيين قصيدة الفائية[275] لصديقه ورفيقه في الدراسة الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري(1195هـ) لما تضمنته من معاني سامية وتواريخ حية عن رحلة ومسيرة الشيخ بن باعومر العلمية حيث يقول الشاعر في مستهلها على وزن الوافر:

ألا يا مصر قد ازددت فخرا ... بحبر حل مقبرة المنوفي
بعيد زيارة الهادي المنبأ ... من حج البيت حقا بالوقوف
تضلع بالعلوم وكان دهرا ... يبثها القريب مع الضيوف
ويقصد بالنوازل كل يوم ... فيكشف ما عليها من رضيف
ويصرف للطريقة من أباها ... وأبغضها على رغم الأنوف
فكم من معضلة قد توارت ... عن العلماء في السطور الحروف
فأوضحها وبينها فصارت ... ذكاء دون مزن أو كسوف
وكم من سُنّة غبرت وضلت ... أزال قناعها بعد الخسوف
فسيمته السماحة و الحياء ... وضيء الوجه ذو جسد نحيف
فما من حاجب ينبيك عنه ... ولا عون يروع لدى العطوف

---

275. القصيدة جاءت مخطوطة في نسختين(ا) و(ب). كما جاءت في ثنايا مخطوطات عدة: منها: مخطوط جوهرة المعاني للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم ص24 وما بعدها.

إذا ما قال قـــال الحـــق جـــهـــرا ومهمـــــا عاهـــد الأنـــام يوفـــي

والشيخ الجعفري في معرض حديثه عن حادثة الوفاة التي أفجعتـــه وشرفت مقبرة الشيخ سيدي عبد الله المنوفي ضواحي القاهرة بمصـــر، يعود بنا إلى مسيرة الشيخ سيدي عبد الرحمان العلمية في حياته، فنعرف منه أن الشيخ كرس كل حياته طلبا للعلم وخدمة للعلماء، وذلك بحلقـــات دروسه اليومية في شرح النوازل، وترشيد الناس، وإحياء ما اندثر مـــن سنته عليه الصلاة والسلام، لينتقل بعدها إلى عد بعض صفاته الخُلُقيـــة والخَلقية. فهو وإن كان ذا جسد نحيف – كما قال- إلا أنه يحمـــل بـــين طياته قلبا سمحا ووجها وضيئا بنور العلم. وفي ختام النص عاد الشاعر ليؤكد على صعوبة سد الفراغ الذي تركه الشيخ سيدي عبـــد الرحمـــان برحلته إلى الحج فقط، وترك الناس في حيرة وقلق ينتظرون إيابه فـــي الشتاء وفي الخريف فما بالك والشيخ رحل إلى دار ولا أمل في العودة. ليصل أخيرا إلى الحديث عن لحظات الوداع الأخيرة التي كانت تحديدا فجر يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر صـــفر عـــام(1189هـ)[276] والتي شارك فيها جمع غفير من المصلين والمشيعين، وأخيرا استســـلم الشاعر لقضاء الله وقدره وتوجه بالدعاء والتضرع لله عز وجل من أجل

---

276. أرخ الشيخ لحادثة الوفاة بقوله:(عام ك طفقش) وهو ما يساوي: الطـــاء09، الفاء80، القاف100ان الشين1000 وهو ما يعادل عام تسعة وثمـــانين ومائـــة وألف(1189). أما اليوم تحديدا فرمز له بقولـــه:(طك) فالطـــاء تســـاوي09، والكاف تساوي20: المجموع29.

أن يمنحه مقعد صدق في جنات عدن التي وعد بها المتقون في الآخرة، وأن يكون للأمة من بنيه خلفا صالحا يكمل المسيرة من بعده:

فيوم البيـن منـــه إذ دهــانـــا — وفـوضـنـا الأمور إلـى اللطيف

وصرنا نرتجـي الأيـــاب مـنـــه — لــدى فصل الشــتاء والخــريف

فأفجـأ نعيــه والمـوت حـــق — فقدنــا عالما حبــرا وصــــوف

أبا زيـد رفيـــع القـــدر بهـــي — ســراج قد أضــاء على ألــوف

رحيب الفهم منبــع كـــل علـــم — ومقصــد كل دان أو شـــريف

توفي في مســاكن مصــر فـجـرا — وكــم صلت عليه من صفــوف

وفي عام(طفقش) في اليوم الموفــى — لــ(طك)صفر مضى اجل النظيف

بكت عينــي وحـــق لها البكـــاء — على كهف الأرامل و الضعيـف

وقلت لمن أصــيب معـــي تعالى — ننوح على حلاحلنا العفـيـــف

فيــا مولانـــا جازيـــه بعــــدن — مــزخرفة و دانيــة القطـــوف

وكـــون يا مصــور مــن بنـيـــه — خليفــة ذلك الشيخ النصيـــف

وعــاملـنـــي وإيـــاه بفضـــل — مــع الأولاد في ستــر كثيــف

وصلـــى الله خـــالــق كل شـــيء — على المختار ذي الشرف المنيف

وجمـلـــة آلـــه والصــحب طــرا — وتابعهـم ذوي الدين الــرؤوف

محمـــــد أصلــه المبروك يرثــــي — الحبيــب بــوافر لا بالخفيـف[277]

وفـــي المناسبة نفسهـــا فاضت قريحـــة تلميــذه الشــيخ سيــــدي محمد بالعالم[278] الزجـــلاوي(1212هـ) فكتـــب هـــو الآخـــر

---

277. ينظر مخطوط القصيدة.

278. ينظر ترجمته في الملحق. الصفحة321 من هذا البحث.

مرثيـــة[279] التي نعى فيها شيخه وأستاذه سيدي عبد الرحمان، معـــددا بعض خصاله وفضائله، ومعبرا له فيها عن جلل المصيبة وهول الحدث فيما حل حيث قال على وزن الكامل:

وإذا ذكــرت مــن الحــوادث جمــة　　فاذكر رزية لا رزيــة عوضــها

واذكــر أبــا زيــد وروعــة فقــده　　وتلهف الإسلام منــه و رحضهــا

إن كــان لا يبكيك حســن مــثالــه　　فازدب لقسوتك العيون و حضهــا

يا عيــن جودي بالدمــوع لفقد مــن　　لمصابه بكت السمــاء و أرضــها

نجم الهــدايــة والــرماية و التقــى　　طفلا وشيخــا قد تبــوأ روضــها

ألــف العبــادة والتجريد وعــمــره　　وزيارة الأطــواد أحســن قرضها

العالــم المفــتي المبيّــن للـــورى　　سبل الهــداية لا يحاذر بعضــها

فخــر الأفاضل في العلوم خبيرهــــا　　ما شئت من فعل فدونك أمضهــا

جمــع الروايــة والدراية فاستــوى　　فردا وصدرا في التليــد وعضهــا

وإلى روايتــه الحــديــث المنتهــى　　بعلو إسناد صحيــح وأرضــها

رأس الأسانيــد في القــراءة و الأدا　　فأزاح عن خطأ الأعاجم بنضــها

وبعد هذا التقديم عاد الشاعر إلى الوراء قليلا ليخبرنا عــن بعــض تفاصيل رحلة الشيخ الأخيرة إلى الحج، فنعلم منه أنه رحل على رأس وفد كبير من أبناء الإقليم، كما جرت العادة، ولما بلغ محــل الحجــيج وأدى مناسكه، هم راجعا إلى وطنه، وأثناء رحلة العودة والناس تنتظر خبر وصوله إلى الإقليم التواتي جاء نعيه من مصر بتاريخ شهر صفر

279. ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات ج2 ص151. الشيخ باي بالعالم ط1 2005. دار هومة الجزائر. والغصن الداني ص73وما بعدها.

من عام(1189هـ)، وهو ما جعل الحياة تبدو في عين الشاعر سئيمة رغم ما يراه في أبنائه من خلف. وأخيرا نرى الشاعر هو الآخر يستسلم لصبره عساه أن ينال من الله العوض، في أجر الصابرين.

سهل الدماثة لا يمل حديثه — **حقا وصدقا في مآثر ترضها**
لله من قرم تخيره هدى — **حتى تبينت المعالم ربضها**
فأتته من مولاه صحبة وفده — **ليقيم سنته بهم فترضها**
حتى إذا بلغ الحجيج محله — **وترعرعت همم الرجوع و وخضها**
ألمت نفوس العالمين بفقده — **من مصر في صفر ب(طفقش)رمضها**
طوبى له من صالح متقبل — **اعتاض أفراس السلامة ركضها**
إن الحياة سئيمة من بعده — **لولا خلائفه العيون أبضها**
تسقى وتروى من أعاذبه الصفا — **أهل التعطش في أجادب مضها**
والله خير للجميع وأجره — **للصابرين فنعم ما هو نضها[280]**

ولما توفي الشيخ سيدي البكري[281] بن عبد الكريم رحمه الله يوم الجمعة من سنة(1133هـ)، تعددت القصائد الرثائيه في حقه، بالنظر إلى مكانته العلمية بين معاصريه، وكان من أوائل المتأثرين بفقده ورحيله حفيده سيدي عبد الحق[282] بن عبد الكريم بن البكري(1210هـ) الذي

---

280. ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات ج2 ص151 الشيخ باي بالعالم ط1/ 2005. دار هومة الجزائر. والغصن الداني ص73وما بعدها.
281. ينظر ترجمته في الملحق. الصفحة307 من هذا البحث.
282. ينظر ترجمته في الملحق. الصفحة311 من هذا البحث.

رثاه بدالية[283] مطولة جاء فيها على وزن البسيط:

بحمد ربي تعالى النظـــم أبــداه — سبحـــانه جل عن شبه وعن عــدد

ثم الصلاة على الهادي الشفيع الذي — من اقتفاه نجى الى الطريق هـــد

إن الرزية لا تبـــقى لـــها أثـــر — لطــول مدتـــها في القلب لــلابــد

إلا رزية خير الخـــلق منقـــذنا — ءاه على مــوتــه ءاه على جلــد

لولا الإله بحبل الصبر يمسكـــنـــي — لذاب جسمي لذكر الــموت واللحــد

وللدنية اشراط تـــدل عــــــــلى — زوالها فاعمل الخيرات واجتهـــد

من بعضها موت أهل العلم يا أسفي — بقبــــــضهم يندر العلم و يفتقــد

فمنهم الســـيد البكري ذو همـــم — فاق المـــقارن في أوانه واحــد

ونرى الشاعر سيدي عبد الحق وهو يعزي نفسه بفقدها لشيخه وجده سيدي عبد الكريم بن البكري يصبرها بأعظم رزية حلت علـــى الأمـــة جمعاء بفقدها لأفضل الورى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، والتي لم تمحها الأيام ولا السنون. أما موت الشيخ سيدي عبـــد الكـــريم كواحد من علماء هذه الأمة فإن الشاعر رأى فيه علامة من علامـــات الساعة، ومعها شدد على ضرورة الاستعداد ليوم الرحيل. لكن الشاعر سرعان ما عاد للحديث عن أثر الفاجعة في نفسه وذويه وكل المحبين، ليجد له ولهم ألف عذر في الحزن والبكاء. لكنه إلى هذا هو راض بقضاء الله الذي لا مرد له لأن الصبر والصمود هنا أولى من النياح –كما قال–:

دموعــــــــــهم يوم ات حبـــرهم — سالت وهامت من العين على الخـــدد

---

283. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص101وما بعدها وكتاب النبـــذة ص134ومـــا بعدها.

لو يفتدي بجزيل المـــال جدنـــا بـــه   لكنـــــــه ليس يفتــدي ولم يفــد
ياثلمــــــة سقطت مصيبة نـــزلـــت   بالمسلـــــــمين فناء العالم العابــد
يا نكـــبة وثبت على الخلائـــق مـــا   أفجعــــــها إنها من أعظــم النكــد
أبكوا على من بكت لفقده الأرضـــون   والســـــــماء مع الأوطان والبلـــد
بكت عليه الوحـــوش ثم أرمـــلــــة   مع اليتامى وأهل الـــود والحـــاســد
صم الجبال بكت لفقده أســـــفــــا   مع الكـــتب والقـــرطـــاس والـــمـــدد
الحتف حـــتم ولا ينجينا منه فـــدى   ولا البكــــــاء ولا بد مـــن الـــورد
إن القضـــــاء إذا أتى فلا هرب   منـــــه وليـــس لذا الحياة من خلـــد
من مات فات وقد قامت قيــــامته   والتفت الســـاق بالساق الى الصمـــد
رسب فكري في بحر الشعر باسطه   فاصطاد جوهـــرة رثت لنا الماجـــد
فقال مفصـــــال حالها ولاتـــزروا   الصبر أولى من النياح والصــمـــد
من فاه بالنظم عبد الحق مكتئبـــا   ربت جرائمـــه والرب معتمـــــــد
ثم الصلاة علــــــى المختار سيدنا   الطيب الاصل والآبـــاء والجــــدد
رضي الله عن أصـــحابه الرحـــما   سيمـــاهم بالوجوه إثر السجـــود[284]

ولما توفي الشيخ سيـــدي عمر بن الشيـــخ سيدي محمـــد المصطفى (ق12هـــ) رثاه الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري بقصيدة لامية[285]على إيقاع الكامل وفي أزيد من ثمانية وعشرين بيتا

---

284. ينظر مخطوط درة الأقلام ص101 وما بعدها وكتاب النبذة ص134 ومـــا بعدها.

285. ينظر: مخطوط رحلته داخل قصور توات ص105 ومـــا بعـــدها. خزانـــة تمنطيط.

جاء فيها:

يا مقلتي جودي بدمع أشكل من مهجة الحريق الأثكل
لأحبة حق البكاء عليهم بل والعويل كذا الفقيه الأعدل
أي سيدي عمر سليل محمد المصطفى الرقادي النسب الجلي
شيخ عديم في الزمان شبيهه بل قد تعذر في القرون الأول
فلذا رثيت بكامل لجلاله وبلوغه أقصى مقام الكمل
جمع الخصائل كلها بجميعها ما أن يقاس بعمرنا في أمثل
حبر إمام عالم علامة متفرد ذو همة لم يغفل
يرضي المدارس و المساجد كلها والمستبين لا بقول فيصل
في حسن أخلاق ورقة جانب طوبى له من فاضل متهلل
وسع الزمان قراءة و عبادة وعن العلوم جميعها لم يذهل
بحثا و نقلا للنوازل كلها جعل الأواخر كالفريق الأول
وإذا طلبت وجدت منه كفاية وبما تيسر في يد لم يبخل

والشاعر سيدي ضيف سلك نهج أسلافه في هذا الغرض حيث انطلق في نصه من تبيان لوعته لفراق من وصفهم بالأحبة آمرا بذلك مقلتيه بأن تجودا عليه بدمع غزير مصحوب بعويل عله يخفف من لوعته وحزنه الشديد على فراق شيخه الذي راح يعدد من صفاته ومناقبه، فهو كما قال أوحد عصره في تفوقه العلمي وحسن أخلاقه، ورقة جانبه، وهو الحبر الذي خصص كل وقته للمدارس والمساجد بحثا ونقلا للنوازل وغيرها. وفي نهاية النص خلص الشاعر إلى الدعاء والتضرع لله عز وجل حيث قال:

واغفر جميع ذنوبنا وتولنا   باللطف مع عفو وستر سبل
واحشر جميع الشمل في الفردو   س من أعلا الجنان دعاءنا فتقبل
وأدم صلاة والسلام رديفها   تترى على القرشي أحمد الأكمل
عدد النجوم وناظريها في السما   وحصا التراب ورمله و... [286]

ومن الحوادث الأليمة التي ألمت بالإقليم قديما، وتأثر لها كثير من الناس هو فقد العالمين الجليلين معا الشيخ سيدي عمر[287]بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن سيدي أحمد بن يوسف التنلاني(1221هـ)، والشيخ سيدي عبد الله[288] بن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني (1221هـ) أثناء سفرهما حيث ماتا في يوم واحد وهو يوم الرابع عشر من جمادي الأولى سنة(1221هـ) وذلك في الصحراء التي بين قصر أولف وتطاف. ولقد هزت الحادثة الكثير من شعراء الإقليم فكتبوا فيها العديد من القصائد والمراثي من ذلك ما رثاهما به الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمان[289] بن إدريس بن عمر التنلاني(1181هـ) حيث قال في مطلع قصيده[290] أولا عن عالم تنلان في وقته الشيخ أبي حفص عمر بن عبد الرحمان التنلاني وعلى إيقاع الطويل:

---

286. ينظر: مخطوط رحلته داخل قصور توات ص105 وما بعدها. خزانة تمنطيط.
287. ينظر: ترجمته في الملحق الصفحة334 من هذا البحث.
288. ينظر: ترجمته في الملحق الصفحة318 من هذا البحث.
289. ينظر ترجمته في الملحق الصفحة313 من هذا البحث.
290. القصيدة مخطوطة في ثلاث صفحات وينظر أيضا: الغصن الداني ص74 وما بعدها. و قطف الزهرات ص89 وما بعدها.

ألا فـــي سبيـــل الله فيما أصـــابنــــا | من الهم والأحزان والضيق و النـــكر
لقد غمــرتـــنا الحادثات بيـــؤسها | وحلت بنا الرزايا من حيث لا نـــدري
فيـــا لتنـــلان أصيـــب و حـــيـــدهـــا | و سيدها المرجـــو للنفـــع والخيــــر
أبو حفصهـــا حليمهـــا و فقيههـــا | وعالمها المرتـــدى بـــردا الفخــــر
وقد خصـــه المولى بكـــل فضيلـــة | ومحمدة من غيـــر زهـــو ولا كـــبـــر
ولما أتانا نعيـــه ذهـــبـــت مـــنـــا | العقول وصرنا طافحيـــن بـــلا خمـــر
ولولا امتنان الله بالدين و التقـــوى | لفاضت نفوس لكن أنعـــم بالصبــــر
فمن لليتامى والمساكيـــن بـــعـــده | ومن لذوي الحاجات في العسر واليسر
ومن للقوي والضعيـــف وراحـــــل | وللمعضلات والمهم من الأمـــــــر
ومـــن للحجيج والركـــاب يقيمهـــا | بمال جزيل مـــن جمال ومن تبـــر
يحـــق عليهـــم ذكره و ثنـــاؤهـــم | عليه بخير ما بقوا في مدى الـــدهـــر
ويبكـــوا عليه حاسرين لفـــقــــده | بدمع يحاكي الصيب الـــوابل الغـــزر
لقد كان جادّا في مصالـــح شأنهـــم | وفي نصحهم لله والـــدين والأجـــر
ســـواء لديه المكثرون وضـــدهـــم | في الحق وفي الإحسان يرغب ذا الفقر
فلا بـــرح الرحمان ينعـــم روحـــه | في مدفنه والبعـــث والحشر والنشر

وبعد الحديث عن المصاب الجلل الذي حل بتنلان عامة فـــي فقـــد الشيخين، راح الشاعر يفرد لكل منهما أبياتـــا خاصـــة للحـــديث عـــن خصالهما وفضائلهما حيث بدأ باستعراض بعض محامـــد الشـــيخ أبـــي حفص سيدي عبد الرحمان بن إدريس، عالم تنلان وفقيههـــا، وســـيدها المرجو لكل نفع وخير، سيدي عبد الرحمان الرجل الـــذي أكرمـــه الله وفضله على كثير من خلقه بما منحه من فضائل ومحامـــد لا تحصـــى.

بعدها انتقل الشاعر للحديث عن لحظات النعي الأولى وما كاد يعقبها من ذهاب للعقل وطيش في التفكير لولا أن تداركها المولى عز وجل بمنة الدين والتقوى، كيف لاوهو الذي بذهابه انقطع رجاء اليتامى، والمساكين، وذوي الحاجات الذين كان يعطف عليهم ويكرمهم في العسر واليسر. وبذهابه أيضا اختفت حلقات العلم التي كانت ملاذا للقوي والضعيف يجدون فيها ضالتهم في ما عسر عليهم من أمور دينهم ودنياهم. وبذهابه أيضا انقطعت سبل الحجيج والركاب في إرشادهم وإعانتهم ماديا لأداء الفريضة. وبهذا كله فرض الشيخ نفسه على الجميع يذكرونه ويثنون عليه بخير طيلة حياتهم، ويبكون عليه حاسرين متأثرين لحظة وفاته.

ومن الحديث عن الشيخ أبي حفص انتقل الشاعر للحديث عن رفيقه في المصاب الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمان، وما ناله هو الآخر من فضل طيلة حياته، منطلقا في ذلك من حسبه، ونسبه الشريف الذي يعود إلى سيد العصر عليه أفضل الصلاة والسلام، والذي جعل منه مأوى الغرباء والمقيمين يلاقيهم بالبشر والتهلل، وملجأ أهل العلم والأدب يغرفون من منبعه الصافي ما حسن من القريظ والنثر.

وشاركه في الفقد أوحد وقته — شقيق المعال ذو الفضائل والذخر
إمام العلى والمجد والجود والندى — سليل ذوي الأحساب سيد ذا العصر
أخونا عبيد الله من سار ذكره — ومفخره كالمسك في العرف والنشر
فمن للغريب والمقيم وغيرهم — يلاقي الجميع بالتهلل والبشر
ومن للحديث والآداب يزينه — بصوت وسبك من قريض ومن نثر

وفي نهاية النص عاد الشاعر للحديث عن علاقته الشخصية بالشيخ سيدي عبد الله الذي كان مؤنسه وعوض والده وحبيبه في السراء والضراء، عارضا نفسه فداء له، ومتضرعا لله سبحانه وتعالى بأن يجازيه خير الجزاء في حسن اللقاء، وأن يمحو ذنوبه وأوزاره. ليخلص أخيرا إلى تأريخ حادثة الوفاة، والدعاء لخلفه وأولاده من بعده. بالبركة في الرزق والعلم مع طول العمر.

فلو قيل الفدا لكنتُ فديته	**بنفسي ولا أرضى فدائه بالغير**
لقد كان مؤنسي وعوض والدي	**وخلي وحبي في السرائر والجهر**
جزاه إله الناس خير جزائه	**بحسن اللقاء والمحو للذنب والوزر**
عليه سلام الله ما حن عاشق	**وما طار طائر وما غرد القمر**
و(اشكر) عام فقدهم لذهابهم	**إلى الواسع الوهاب والواحد البر**
يوم الأربعا لإربع تلو عشرة	**من شهر جمادنا المقدم في الذكر**
ونسأل رب العرش يجعل ما فيهم	**في أولادهم من المحاسن والبر**
ويبق لنا الشيخ الفقيه محمدا	**صحيحا معافى واسع الرحب والصدر**
ويحفظه حيا وبعد و فاته	**وينجيه من هول القيامة والقبر**
وبارك في أولاده وفي علمه	**وفي رزقه وزاده الطول في العمر**
بجاه إمام الرسل والناس كلهم	**محمد المرجو للحشر والنشر**
عليه صلاة الله ما قال قائل	**صدوقا لربي دائم الحمد والشكر**

وفي المناسبة نفسها قال الشيخ سيدي محمد عبد العزيز(291) بن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي(1261هـ) قصيدة(292)

291. ينظر ترجمته في الملحق. الصفحة314 من هذا البحث.

292. القصيدة مخطوطة في صفحة ونصف خزانة قصر باعبد الله. وينظر: الغصن الداني ص76 وما بعدها. وقطف الزهرات. ص92 وما بعدها.

في رثاء الشيخين سيدي عمر وسيدي عبد الله على وزن مجزوء الرجز، وتحدث فيها هو الآخر عن وقع الخطب المؤثر الذي حل بالأمة وأذهل الجميع في فقدهما. ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن خصال كل منهما فردا فردا حيث بدأ بالشيخ سيدي عمر، وثنى برفيقه الشيخ سيدي عبد الله. وذكر بأهم فضائلهما وخصالهما النبيلة من رجاحة عقل وتفقه في الدين وما إلى ذلك:

لله خطب مؤثر. قد حل هذا البشر .... وذهلت منه الورا
داء بغير مرية. أكرم بها من نعمة مصاب آل عمرا. أسرى للأجر بالثرى
أنال فخرا وندا.وزان رشدا أو سدى فلم يكن منه سرى. فيما مضى ولا مرا
أعقل من نال الحجا. وعلم العلم هجا فكم أبانا مخرجا. من الخطوب الكبرا
وكم غبي نبها. وكم حديث نوها وحج محفوف البها. ونال لمس الحجرا
وحط ما كان جنا.مبوءا أرض الهنا وباذلا مال الفنا. واتخذ القبر حرا
بحر العطاء ما له مماثل بيشابه وكل فعل شابه بالدين واثق العرا
ثم رفيقه سما رقيه ثم نما وحل حول ذا الحما وحاز منه الدررا
عبد الإله اسمه. فابشر بمن ذا وسمه فربعه ورسمه سل عنهما ذوي القرا
جناحه وطرفه.لان لمن يؤمه وبالرضا يعمه. عن نفسه قد أثرا
فكم نهيم أشبعا . وكم بطيء أقنعا وإن ألمّ أسبوعا. فلم يذد ولا زرا
محمودة أفعاله.موصولة أرحامه قد عزيت أشعاره في مدح سيدي الورا
فيا له من أدب بالمصطفى ذي أرب باء بأقوى سبب ثم علا على الدرا
قد أظلمت أفاقنا. ووسنت آراؤنا ووجمت أفكارنا. من الذي حقا جرا

وفي نهاية النص عاد الشاعر من جديد للجمع بينهما في حديثه، وما خصهما به الله سبحانه وتعالى من حياء وسخاء دون بقية الخلق،

ليخلص بعد ذلك إلى الدعاء لله عز وجل بقصد أن يبقي له على طيفهما ليرحم به غربته ويؤنس وحشته تعزية له فيهما من جهة، وطلبا للرحمة والمغفرة لهما في دارهم الأبدية من جهة أخرى. وفـــي الأخيـــر وقـــع الشاعر قصيدته بالتأريخ لها والصلاة والسلام على أشرف الخلق.

كيف اصطباري يا فتى لمن بذكر خفتا — وبالدياجي قنتا. لحكـــم قـــد غــفـــرا

سبحان من خصهما و بالحيـــا عمّهما — وبالسخا حفهما. من بين أشخاص الورا

قد اعترى منهم شجون ثم ذبول وحمون — لأنهم سر مصون ضل لعيني في الثـــرا

فارحم إلهي غربتي وأنسَنّ و حشتـــي — بطيفهم في نومتي إذا العيون لا تـــرا

تعزيـــة لـــي فيهـــم تُلم مـــن آلهـــم — بحول مربعهـــم قربـــا لكي تنتشـــرا

وكيـــف لا أرثهم وحق لي مبكهـــــم — وقد كســـى ناعهـــم مدامعا وعبـــرا

عبد العزيز اسم من بهاذ الابيات أغن — يا ناظرا لها اعزرن وادع لنا مستترا

فارحمهم يا مرتجى الاؤه لمن لجـــــا — واجعلهم ممن نجا أجب دعا من حارا

واجعل لنا منهم خلف بالمؤمنين قد رأف — بالحلم والعلم اتصف عن ساق جد شمرا

بواسط وأول شهـــر جمـــادي فاقبـــل — نعي ونظم قائل أوزعنـــي أن اشكـــرا

سلام ربنا على من ســـاد كل من علا — خيـــر نبـــي أرســـلا لأســـود وأحمرا

وآله وصحبه ومـــن بنـــا من زوجـــه — ومقتف لنهجـــه و نـــاصر مـــــؤزرا

ومن ضمن المقطوعات الرثائية في الشعر التـــواتي منظومـــة[293] الشيخ سيدي المامون بن سيدي مبارك البلبالي في رثاء الشـــيخ ســـيدي محمد[294] بن عبد الرحمان البلبالي(1244هـ) والتي جاءت فـــي ســـنة

293. ينظر محطوط جوهرة المعاني .للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم ص32.

294. ينظر ترجمته في الملحق الصفحة334 من هذا البحث.

أبيات وضمنها الشاعر حديثا عاما عن الدنيا وحالها في التفريــق بــين الأحبة وفي الأخير نبه إلى ضرورة الانتباه من الغفلة في إضاعة العمر في إسعاف لدنيا بالمعاصي والموبقات حيث قال على وزن الرمل:

مات صبري بين أحياء الكــرام حين لف القوم منشور الخيــام
وأقــام الحــزن ثم ارتحلــوا هكذا الــدنيــا ارتحال ومقــام
أين أهــل المجد أرباب الــدول ماتــوا والله لــــم يبق إمــام
..... الدنــيا هكـــذا حالتهــا فعلى زهرتها منــا الــســلام
كم أضعنا العمر في إسعافهــا بالمعاصي واجتراء و احتــرام
ثم لم تــقنع بـــما حل بنــا دون أن تــفنى لنا كل الكــرام

وعند وفاة الشيخ سيدي محمد(295) بن سيدي البكري بن عبد الكريم (1188هـ) رثاه ابن أخيه العلامة القاضي الشيخ سيدي عبد الحــق(296) (1210هـ) بقصيدة(297) من الطويل حمد الله فيها أولا وقبل كل شـــيء، وثنى بالصلاة والسلام على رسوله الكريم(ص)، ثم مضى يتحدث بعدها عن حقيقية الموت التي لا تستثنـــي من بني البشر أحدا، لا أبا ولا ابنــا ولا عشيرة. فهي والخلق بمثابة المنجل والزرع، والله سبحانه وتعــالى هو الزارع، وهو الحاصد لا مرد لحكمه.

على كل ما يبدوا لــنا منك ربنا لك الحمد يامن كلنا لك يرجع

---

295. ينظر ترجمته في الملحق الصفحة 323 من هذا البحث.
296. ينظر ترجمته في الملحق الصفحة 311 من هذا البحث.
297. ينظر مخطوط الدرة البهية ص101 وما بعدها. وكتاب النبذة ص149 وما بعدها .

وصل وسلــم يا إلهي على النبــي رسول أتى بالوحي بالحق يصدع
أقــول ومــا الأقـــوال إلا معالــم تدل الى السبيل مــن يتســمــع
لياليك والأيام تـــفنى وتنقــضــي تساق الى الأجداث والروح ينــزع
تُعَاين عنــد النزع مالا تطيقــــه ونغمة عزرايل سمعك تَقـــــرَع
وما الموت الا منجل نحن زرعــه لزرعنا حصد الذي كان يـــزرع
وابــان حصــده إذا جاء حينـــه وما أحد بدنياكــم يــتــمتــع
فما أبقت المـــنايا خــلا موافــقــا ولا أبا وابنا والعشيرة أجمــــع[298]

ويمضي الشيخ سيدي عبد الحق في وصف ما حل به فــي فاجعــة موت عمه معتبرا فراقه الأدهى والأبشع له في حياته، لما كان يجمعــه بــه من أواصر المحبة والصداقة. بعدها أخذ الشاعر في الحديث عــن لحظات التشييع الأولى، التي اتخذ فيها المشيعون قبره وســيلة للــدعاء والتضرع لله عز وجل، بما ناله عند الله من زهد ورشاد وتقى وحلــم، وبما كان يكنه للمصطفى(ص) من حب واحترام تجليا خصوصــا فــي شرح وتدريس أحاديثة المبثوثة في صحيح البخاري أولا وفــي كثــرة أشعاره المدحية في حقه. فطوبى لمن حظي برفع أعواد حمله، وطوبى لمن نال شرف وضعه الرمس.

فدار على عمي من ذلك مشربــــا فصار لعفــو الله والعفو أوســع
قــد أظلمت الدنيا علي بأســرهــا فــراق العــم أدهــى وأبــشــع
ولامــثل فــقدان الولــي مــحمد ذريــتــه تــغص مــن يتجــرع

298. ينظر: مخطوط الدرة البهية ص101 وما بعدها. وكتاب النبذة ص149 ومــا بعدها.

فـــيا دفـــنه في الثرى إن قبـــــره　　وسيـــلـــة كـــل من به يتضـــرع

ويا حاملـــي أعواده إن فوقـــهـــا　　كريــــما بنـــصحه لنا يتطـــوع

ويا واضعيه الرمس خيرا تقدمـــوا　　مـــن اليـــل إن أتاه قام و يركـــع

فقد.... والزهد والرشد والتـــقـــى　　مع الحلم في موج المئاثر يرتـــع

لدرس البخاري من له يا إخوتـــى　　تـــراه إذا أتـــاه يبـــكي ويخشع

ومن لمديـــح الهـــاشمي محمـــدا　　مـــدا معه عند المدائح تهمع[299]

بهذه الصفات والفضائل كلها، وبغيرها مما سيعود للحديث عنه أخيرا، حق للجميع أن يبكوا لفراق الشيخ فوق ما يستطيعون، ولا يُســـتثنى فـــي ذلك الأرملة ولا اليتيم ولا المسكين أو غير ذلك من بنـــي البشر، كمـــا لا يُستثنى العصا والعود ولا النخل والشجر ولا كل مستلزمات الحيـــاة. وفي الأخير ختم نصه بتأريخ الحدث الذي كان قبل طلوع فجـــر ليلـــة الإثنين من شهر صفر عام(1188هـ) والذي أشار إليه بحساب الجمـــل بكلمة(حففش)[300].

تباكوا الذي لا تستطيعوا بكـــــاءه　　متى زفرات الوجد تبـــدوا وتطلـــع

ستبـــكي عليـــه كل أرملة كـــــذا　　يتيم ومن بالمقربات مضـــيــــــع

ألا فابكوا معشر المساكين ظلـــكـــم　　ظليلا غريب الناس بالرفـــد ينفـــع

مجاذ بـــنا تبكي عليه تأســـفـــــا　　قلوبهم كـــــادت بـــه تتقـــطـــع

---

299. ينظر: مخطوط القصيدة.

300. (حففش): الحاء:8/ والفاء:80/ والقـــاف:100/ والشـــين:1000 وتجمـــع: ثمانيـــة وثمانين ومائة وألف(1188هـــ).المساعد على بحث التخرج ص101 وما بعدها.

ستبكي عليه النخل مع شجر الغضــا كذاك العصا يندب الشيخ و الجــذع
بكى السجد حتى... بالــدمع جلــدة عكازه والشيــخ يـــبكي هــروع
كذاك مـــــواضع..... تبـــكيــه وسائــده تـــبكي تئــن وتسجــع
يبيت على فرش السهاد ويرتـــــدي لبــاس الدجــا والــذل لله يخنــع
وكيف يزور النوم من هجر الكــرى وأجفانه للغمض تنبـــوا و تدفــع
شهدت شهود الحق في ناد وعظــه لنهي الــورى عن القبائح يســرع
وإن لاح لي برق المحبة أو تلــــى لدي فكلي صــار عيــن و مسمــع
وإنـــي شممت الطيب عند وفــاتــه بمــضجعــه نسيــمه يتضــــــوع
لأبكــي عليه مادام الدهــر باقيـــا وإنــي فيــه ما حيــيت لموجـــع
عفيف غضيض الطرف يرحم من خبا وعــن كل شاغــل يكف و ينــزع
أيــا خلــد لا تلحق بثكل أبي العــلا ســواه ليبــقى ثكلــه يتــــنــوع
فيا ليت للفــداء معــنى أســنــه ولكنـــه لا يجديــك إلا التــرجـــع
وفــي صفــر بليل كان ممــاتــــه بالاثنين قبل الفجر والنـــاس هجــع
وفي عام (حفقــش) أتاه رســولــه يــؤملــه مــا بــالــه يتــــطلــع
فللــه مــا أبقــى ولله مــا أفــنــى عقيدتنا اصبروا على النفس فاربعوا
وربكــم أولـــى لنا وهــو أفضــل إليه يــؤوب الكــل طــراويرجــع

وفي الذكرى ذاتها رثى الشيخ سيدي محمد بن المبـــروك البـــداوي (1195هـ) الفقيد سيدي محمد بن سيدي البكـــري(1188هـ) بقصـــيدة دالية[301] في أزيد من سبعة عشرة بيتا، وعلى إيقاع السريع، وجاء فيها

301. مخطوط القصيدة ورد في نسختين(أ) و(ب) بكل من خزانـــة قصـــر بـــودة أدرار، وخزانة قصر باعبد الله أدرار.

ينظر أيضا: مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكريـــة ص104ومـــا بعـــدها. وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص151.

على مجمل المعاني في القصيدة السابقة حيث بدأ أولا بإطلاق تأوهـات أسفه على صديقه الساري نحو اللحود، متمنيا عودته من الموت الـذي أخذه منه على حين غفلة. ثم أخذ بعدها في عد صفاته ومحامده، انطلاقا من علمه وحلمه وتقاه، مرورا بزهده ونسكه وصبره، ووصولا إلى جوده ومجده. وهي صفات استمدها الفقيد من والده الشيخ سـيدي البكـري، صاحب الكرامات المشهودة، والعلوم المدروسة، ومن جده الشيخ سيدي عبد الكريم الذي بلغ ذروة سنام المجد والتقى في عصره. وهم جميعـا ترقوا في سلم المعالي المتوارث بينهم أبا عن جد. كما يقول الشاعر:

هـيهات هـيهات ويـا أسفـا — على سري سرى نحو اللحـود
نئـا به الحيـن عـلى غفلـة — منـا فيا ليـت الحياة تعـود
إليـه حـينـا وألـزمـه — لكي أنـال المرتجى والعهـود
مـن ذالك الحبـر المشـار لـه — محمد يـا ليته في الوجـود
بالعلـم والحلـم معـا و التقـى — والزهد والنسك و ذات السجـود
والصبـر والإغضاء عمن جفـا — والجود والمجد رقي للحـدود
والـده البـكـري ذاك الـذي — لـه كرامـات حكتها شهـود
يـدرس العـلـم وينـشـره — أتتـه مـن كل النواحي وفـود
وجـده عبـد الكـريـم الـذي — رقى درى المجد ونال الصعـود
هـم أنـاس للمعـالـي رقـوا — ولم يـزالوا كل خلـف يسـود

وفي الأخير أنهى الشاعر سيدي محمد بن المبروك قصيدته هـو الآخر بالتأريخ لحادثة الوفاة قبل أن يصلي على النبي الكريم(ص) ويدعو بالستر العميم للفقيد وعقبه، وبالردى وهلاك قوم ثمود ولوط ونوح على كل حسود بغى أو تطاول على حمى الشيخ سيدي محمد.

يُعـــظــــم الله أجـــورهـــــــم ويرزق القوم رئيـسا يقـــود

في ليلة العشـــــرين من صفـــر من (حفـــقــش) أودى الـــودود

ليلة الإثنـــــين قضــــــى نحبـــه عامـــله يارب بمـــأوى الخلـــود

واسبل الستـــــر العميم عـــلــــى أعقابه طرا و أردي الحســـــود

ومن بغى يـــــوما على سربـــه أهلـــكه يـــارب هـــلاك ثمــــود

وقـــــوم لوط فــــــي منازلهـــم وقــــــوم نـــــوح بتعد الحـــدود

وصل يـــــارب عـــــلى أحمـــد خير الورى المختار قطب الوجود[302]

وكما رثى الشاعر سيدي محمد بن المبروك عديد الشخصيات فإنـــه رُثي هو الآخر بقصائد مختلفة عند وفاته سنة(1198هـ) على الأرجح، ومن ضمن ما وقفنا عليه في هذا المقام هذه القصيدة ([303])التـــي وردت بلا نسبة، وانتهى الناظم منها كما هو مؤرخ له في نهاية المخطوط فـــي يوم الثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة(1203هـ) وجاء فيهـــا علـــى وزن البسيط:

قد حكـــــم الله بأمـــر فرضا ولا معـــقـــب لحكـــمــــــه مضى

حق علينا حمده لكـــن أرى دمع الورى من أجله قــــد نبضا

---

302. ينظر: مخطوط القصيدة.

303. جاء في بداية المخطوط وبخط غير خط نص القصيدة، ووســـط البســـملة ونص القصيدة عبارة(ولكاتبه الحسن بن محمد بوزيد) لكننا رجحنا أن يكون هو الناسخ والكاتب للقصيدة لا المؤلف وذلك لسببين خط العبارة بعيد كل البعد عن خط المخطوط، وثانيا تكرار هذه العبارة في كثير من المخطوطات التي وقفنـــا عليها جاء يدل على اسم الناسخ لا المؤلف. خزانة قصر باعبد الله. أدرار.

وأظلمت منه علينـــا أرضنـــــا وفوقنا رعد وبـــــرق ومـــــضـــا
يوم أتى الصريخ يصرخ بنـــا ألا فإن حبـــر بودة قــــــضـــا
وكل قائل يقـــول معـــلـــــنـــا يا أسفى على ابن مبروك الرضـــا
ومن لمبتغي العلاء و العـــــــلا بعــــده في العلم ومنه قد خضـــا
ما حـــدّث الناس سواه مثلـــمـــا حدثهـــــم ومـــــا إن رفـــضـــا
ولذ ذكـــــره مسامـــع الـــورى وخاب من تراه عنه نهـــضـــا
وعـــــم نفـــعه البلاد كلهـــا ودرن القلوب منـــه رحـــضـــا
ومن لأرجاء الصحاري بعـــده في الدين والصبر لمن له انتضـــا
شيمته العفو ويـــــكـــثـــر بـــه إذا اللئيم قد عظـــــاه و غـــضـــا
يصفح عن كل مســـيء ويـــرم نهج الهـــــدى لكل سالك الفضـــا
أرخ عــــــام نعـــيـــه(.....) إن سار لمولاه ونعــــــم من مضـــــى
في حيد من ثامن الأشهر لـــــه قل رحمة الله عليه ترتـــــضـــــى
مع الســـــــلام تقتفيه أبـــــدا لا ينقضي الذكر لها بما انقـــضـــى

ونرى الشاعر يتخذ من مصابه في فقد الشيخ سيدي محمدبن المبروك مناسبة ذكّر فيها بأمر الله الذي لا معقب لحكمه أولا، ثم شرع في الحديث عن وقع الصدمة على قلبه، وعلى الأرض والسماء، والرعد والبرق، حين نعاه الصريخ بينهم، فانتفض الجميع متأسفين على رحيل الشيخ ابن المبروك، صاحب القدر الجليل، والنفع العميم، في سائر الأرجاء. وفي الأخير ختم نصه بتأريخ الحادثة بحساب الجمل وعلى عبارة(...)[304]

304. العبارة لم ترد واضحة في المخطوط وقلبناها على كل روايات تاريخ الوفاة دون جدوى.

وفي يوم(حي) المساوي(8+10) من الشهر الثامن الموافق لشهر شهر شعبان.

ومن المراثي أيضا قصيدة[305] الشيخ سيدي محمد[306] بن سيدي محمد الجزولي(1305هـ) التي أنشأها في رثاء الشيخ سيدي عبد الله[307] بن سيدي محمد بن سيدي عبد الكريم الحاجب(1261هـ) على وزن الوافر وتحدث فيها عن جلل المصيبة التي حلت به وأطالت حزنه من جراء فقده لحبيبه أبي عبد الله. ثم أخذ بعدها يستعرض جملة من فضائل وخصال المرحوم، فهو صاحب السبق المكين في كل فن، وهو الذكي اللبيب الذي أزاح الناس من ظلام جهلهم، وهو الفقيه الزاهد المحب لشريعة الرحمان. وأخيرا ختم الشاعر نصه بالدعاء لنفسه بالصبر والتأسي في مصابه، وبالثبات والغفران للمرحوم في داره الباقية.

لقد جلت مصيبتنا و دامت — وطال منا التحزن و النحيب

على أحبة سادوا بقدر — كرام لا يمل بهم لبيب

ولا يغتاظ منهم غبي — سيوف للدواهي إذا تصيب

تكدرت الأماني واستطالت — على الأحشاء من نعيهم خطوب

وكاد عويلنا يستقر خلا — هميكا للترفه يستطيب

وصارت بلادنا كمناخ أسد — تقر الناس منها وتستغيب

---

305. ينظر: مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص43. ومخطوط درة الأقلام ص62.

306. ينظر: ترجمته في الملحق الصفحة307 من هذا البحث.

307. ينظر: ترجمته في الملحق الصفحة318 من هذا البحث.

وعـــاد دانينا كرفق خـذن   تولى عن التوصـل لا يــــؤب

وراح إمـــام حضرتنا النزيــه   فاشتــــــد لذاك ما حل باللبيـب

وأعني بالإمـــــام إمام عــزي   أبـــا عبد الإله القـــرم النسيـب

له السبق المكين في كل فــن   زكـــي الفــهم عمدتنا الأريـب

أزاح الناس من ظــلام جهــل   وقـــام مقـــام من قبله مهيـب

نعم له اجتهاد وحســن خلق   يســــــر بالنــزيل و يستجيـب

وكان ذا اعتزال يحب زهــدا   فـــي ماله خذ مـــاتشا تصيـب

يحب من الشريعة ما تبــدى   يمــــــر على الهزيل ويستنيـب

يحق لبلدة تمـــــنطيط طرا   تحــــن حنيناً ليس له طبيـب

فنـــرجوا من الله تعالى قدرا   يــــبد لنا الحبيب بمـــا ينـوب

ويبـــــدل ما أصابنا سرورا   ويـــلهمنا التسلي لما يصيـب

مـــحمد الجزولي جاء يرثي   الأحبــــــة بالمديح فلا يخيـب

ومن قصائد الشوق والحنين التي وقفنا عليها في هذا الباب والتـي يمكن إدراجها ضمن قصائد هذا الغرض قصيدة الشاعر سيدي أمحمـد العالم(ق12هـ)[308] التي نظمها وهو في ديار الغربة في أرض المغرب الأقصى، وتذكر فيها إخوانه ومعارفه الذين خلفهم وراءه فـي الزاويـة البكرية بزاقلو[309] كما قال. وأهمية هذه القصيدة أولا تكمن في العـدد الهائل من أعلام العائلة الأنصارية بتوات الذين جاء ذكرهم مرتبا فـي

308. ينظر: ترجمته في الجزء المخصص لأعلام الحركة الأدبية.

309. أخبرني الشيخ الحاج أمحمد الشيخ بأنزجمير بأن الزاوية المقصودة هنا هـي زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني بن أبي بكر.

القصيدة والذين يشكلون سلسلة نسب الأنصار في الإقليم، كما استطاع هذا النص ومن خلال عرضه لتلك الأسماء العلمية البارزة أن يقدم لنا صورة حية وصادقة لواقع الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرن الثاني عشر الهجري وما قبله من القرون. يقول الشيخ سيدي امحمد في قصيدته الدالية[310]:

ولما تغربنا وقل مساعد ... ونفسي لشدة الفراق تراود

تذكرت إخوانا لنا و معارفا ... وما قد مضى من عهدنا متباعد

ونحن بغرب حول شيخ المعارف ... وقد ضاق صدري طالما أنا جاحد

وكان به جسمي وقلبي ببلدة ... مع الأهل والإخوان ظل يناشد

في زاوية بكرية علوية ... لنا بتوات جاهها متزايد

فسلم على سكانها من أقارب ... وغيرَهم عمم فإنك راشد

وأسأل ربي أن يَمُنّ عليهم ... ويجمع شملنا بهم فنعاضد

هناك رجال صالحون أحبة ... وحُق لي أبكهم فإنيّ فاقد

رجال كرام خالفوا النفس و الهوى ... ونالوا بفضل الله ما نال عابد

ألا أيها المشتاق فاصغ لذكرهم ... هُديت لحب الصالحين الأماجد

ونبدأ بأكبر الأفاضل أولا ... فمن بعده سنا وقصدي فوائد

فأول أهل الخير موسى وبعده ... علي بحج البيت تمت مقاصد

هما سيدان آخذان بسنة ... فسل بهما تعطى فإنك واجد

وأما مَحمد أخو الصبر والرضا ... فما دأبه إلا الثنا والمحامد

---

310. ينظر: مخطوط القصيدة. في مكتبة الحاج محمد الشيخ قصر أنزجمير أدرار.

أبو بكر الشهير في النــاس دينـــه فأكرم به من عالم فاز قاصــــــد
ومن حج بيت الله سيـــدي أحمـــد وكان من الأقطاب أعيت مشاهـــد
وقد قيـــل أربعـــون عدتـــها و فـــي تصانيف أرباب الطريق قواعـــــد
ويتلـــوه قاسم دامت سجداتـــــــه فقام بأمر الله ترجى مواعـــــــد
وهـــو الذي يدعى بقطب زمانـــــه فريدا فكم من فاضل به ماجـــــد
وأما أبو بكر الصغيـــر فشأنـــــه كبير جليل خيـــره متصاعـــــد
وجملة آخذين عنـــه في وقتـــــه من القرا نقط "ثاء" للخير قائـــــد
ونذكـــر أولادا لـــه ثم نسلـــــهم بغير ترتيب و اللبيـــب يجاهـــــد
فمنهم محمد الصغيـــر بعـــــده أخوه أبو محمـــد لا يحاســـــد
هما وليان فاستمع قـــول ناصـــح هنيئا لكل صالـــح لا يحـــاقـــــد
ووصفهما بالزهـــد شاع فقل بـــه وما أعقل الإنسان قلبـــه زاهـــــد
وأما الفقيه السيد العالـــم الأرضـــي مَحمد الأستاذ جـــدي فواحـــــد
تشد رحال عصـــــره لعلـــومـــــه رجالا من الفج العميق تلاميــــذ
عليه سلام لا يـــــزال يخصـــــــه يزكره من شوقـــنا ما أكابـــــد
وأحمد في الإحسان ليـــس بقاصــر وما فقده إلا أليـــم مســـهّــــــد
وقد تم ذكر الغر أولاده فـــــقـــــل وما أضيق المشتاق ماغاب وافـــد
وأذكر بعد من وعدت بذكـــــــره من النسل لا الولاء عليك راصـــد
فمنهم مَحمد الملقـــــب صالـــــح صبور عن الدنيا الدنية حائـــــــد
ومن فضله أن كان صومه دائـــمـــا فشهـــــرته تغني لما أنت راصـــد
وما العد في العباد إلا رئيســـــهـم وما أحســـــن الإنسان لله ســـاجـــد
فأحمد من يقصده تقضى حوائـــــج فجرب ولا تغـــــفل فأنت تشاهـــد

وأما أبو مَحمد فـــــطريقـــــه نصيحة من يلقاه شيخ يرافـــــد
وكل يعد في رجـــال الولايـــــة ولا زاد كالتـــــقوى كما هـــو وارد
محـــــمد الفــــقيـــه لله دره وما زال يحصي العلم والغير راقـــد
وأما أبو الوفى الـــــتقي فشأنـــه كتابته للعـــــــلـــم لله قاعـــــد
وسيـــــدي مجبر كثير التـــلاوة لعمـــــري مـــا يلهيه إلا مساجـــد
وفي البكر خير فالتمس بركاتـــــه وكان من الــــقراء ما هو كاسـد
ونذكر بعد الكل ســـيدي و الـــدي وكان له الـــــتقديم بــــره زائـــد
تمــــهر في القرءان يتلوه خاشعـــا إذا اســــتثقلت بالغافلين المراقـد
فطوبى لـــعبد قـــام لله طائعـــا وكان لــــه الـــقرآن وردا يعـــاود
فهذا تمام العد حـــقا و لا تــــقُـــه بقول ضــــعيف لا تصح مسانــد
فزر من ذكرتُ إن أردت ســـعادة وخـــــل حظوظ النفس إنك عابـــد
فـــــمن يك ذا فضل وبحر مقيـد لنا درجـــات والمعالي شـــواهـــد
ألا مقلة تبكي على القوم حـــسرة وفوت الكـــــرام مـــحنة و شدائــد
فإن تسألن عن أحـــوالي ونوائبـــي فناطـــت همومي والأماني عوائـــد
إلى الله حزني واشتياقي و لوعتـــي وما عابني إلى لئـــيم يعـــــاند
تعلــــموا أن الخير و اشر سابـــق وما قــدّر الرحمان لا شك نافـــذ
تأمــــــل وفي الأيام للمرء عبـــرة وكن طائعا واصبر فأجرك خالـــد
وبينــــي وبـــين بلدتي و أقاربـــي وإخوان صدق حقبة وفــــدافـــد
وهل أردن ميــــاه تـــلك الأماكـــن وأحظى بزورة وتدنــــو مقاعـــد
وهل أردن مياه اتعلى و يـــوســـف وعيـــن أبي زيري فتلـــك مـــوارد
وتبـــدوا قصور مع نخيل و جنـــة أصوب فيها العين طورا أصـــاعـد

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأرض توات عند شيخي نعاهد

عليّ ولي الله بحر المكارم فزره ترى من سره فهو نافذ

وهو في بحر الجود والحلم بارع مناقبه في السابقين معاديد

كفيل اليتامى والسماحة دأبه إذا جاءه الملهوف زالت مكائد

تمسك به إن كنت في الخير ترغب فأهل الصفا للقاصدين مقالد

وشمر عن ساق الجد واكتسب التقى وسلم ولا تعتب فإنك وارد

إلهي صلي ثم سلم على النبي وآله والصحب فإنك واحد

وبالرجوع إلى القصيدة الرثائية في هذا الباب عموما فإن ما يجمعها عند شعراء توات أكثر مما يفرقها، فهي في شكلها العام تفتتح عادة بمقدمات دينية كالصلاة والسلام على رسول الله(ص)، أو كالحديث عن قضاء الله وقدره في فناء خلقه، أو عموم النصائح والإرشادات الدينية المزهدة في الدنيا والمرغبة في الآخرة، ثم سرعان ما يمضي الشاعر في الثناء على فقيده وتعداد محاسنه، ليخلص أخيرا إلى الدعاء والتضرع لله. كما نجد إلى هذا أيضا اهتمام التواتيين بالتأريخ لوفياتهم وفق نظام الجمل. والتوقيع أحيانا بحروف أسمائهم. كما أن جل هذه القصائد التي وقفنا عليها لم تخرج في مضمونها عن رثاء الشخصيات الدينية البارزة والمؤثرة في الإقليم، وهو ما يعكس صدق عواطف الشعراء في أحاسيسهم المختلفة، رغم ما نراه منهم أحيانا من معاني المبالغة في الثناء والقول.

فهـــرس مـــوضوعـــات

الجـــــزء الأول

الموضوع	الصفحة
* الإِهْـــــداء	6
* مقـــدمـــة	7
* المدخل إقليم توات... الموقع والتاريخ	15
الباب الأول: الحركة الأدبية في إقليم توات منذ نشأتها حتى نهاية القرن11 هـ	25
☜ الفصـــل الأول: الأعلام... الموطن والمسار	27
◆ المبحث الأول: أهم أعلام الحركة الأدبية بالإقليم من القرن07 هـ وحتى نهاية القرن13 هـ:	29
◆ المبحث الثاني : مواطن الدرس الأدبي ومساره	81
ا) مواطـــن الـــدرس الأدبـــي:	81
ب) مســـار الدرس الأدبـــي:	92
☜ الفصل الثاني: واقع الحركة الأدبية قبل القرن 12هـ/18م	97
◆ المبحث الأول: واقع الحركة الأدبية قبل القرن 12هـ/18م	99

الصفحة	الموضوع
133	**الباب الثاني: الحركة الأدبية في أقاليم توات خلال القرنين 13/12الهجريين**
135	☜ الفصل الأول: الشعر وخصائصه الفنية
137	◆ المبحث الأول: الأغراض الشعرية
140	1. الدعاء والتـــوسل
161	2. المديــح النـــــبوي
206	3. المـــــــدح العـــام
238	4. الفخــــر والحماســـة
245	5. الـــــــــــرثاء
277	* الفهرس

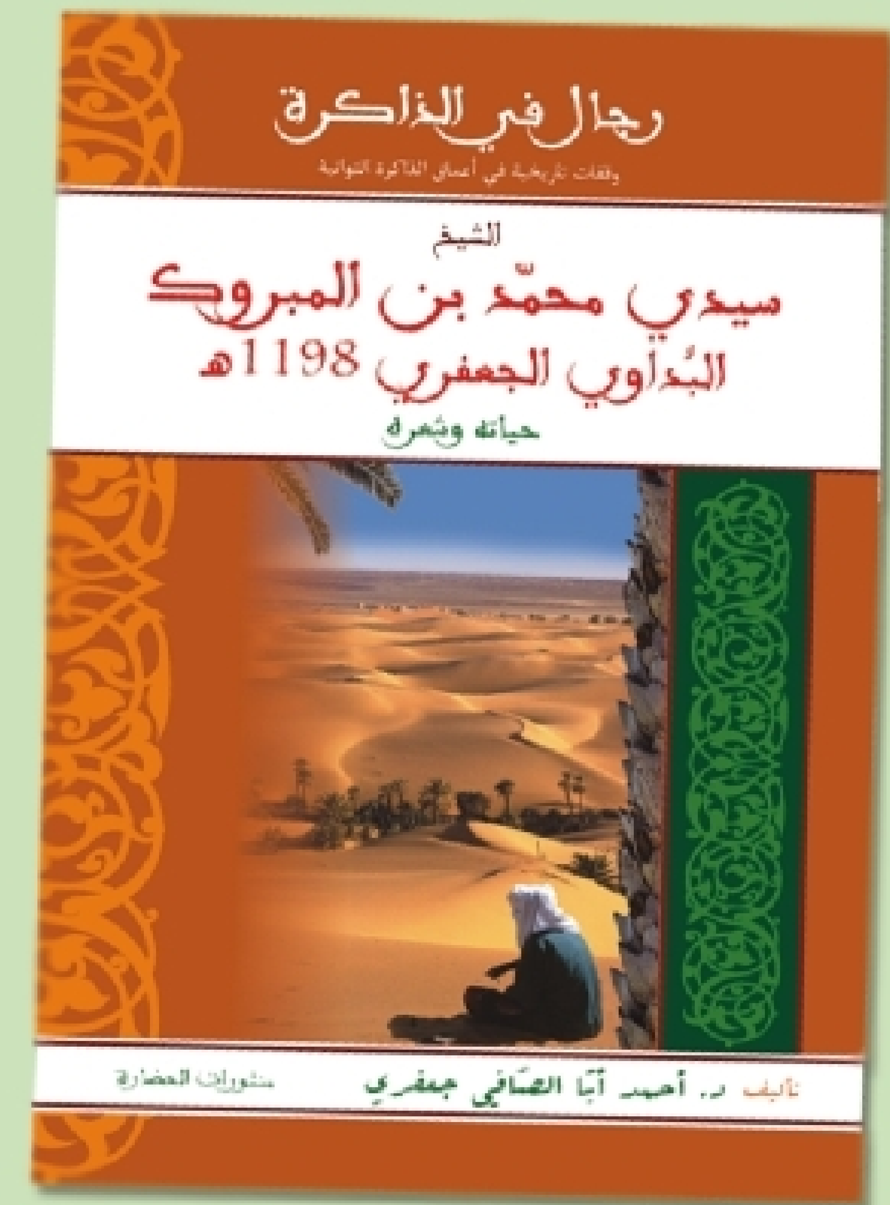
تـــمّ الجزء الأوّل من الكتاب ويليه الجزء الثاني



د. أحمد أبا الصافي جعفري

صدر للمؤلف









الايداع القانوني : 764 - 2009

ردمك :978-9961-767-71-9

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة

د. أحمد أبا الصافي جعفري

الحركة الأدبية في أقاليم توات

من القرن 7 هـ حتى نهاية 13 هـ

الجزء الثاني

منشورات الحضارة

د. أحمد أبا الصافي جعفري
الحركة الأدبية في أقاليم توات
منشورات الحضارة

الدكتور أحمد أبَّا الصَّافي جَعَفري

الحَرَكَةُ الأدَبيّةُ فيْ أقَاليمِ تَوَاتَ

من القرن7 هـ حتى نهاية القرن13 هـ

أعلامها مواطنها ومساراتها مظاهرها وخصائصها الفنية

الجزء الثاني

منشورات الحضارة

الطبعــــة الأولــــى 2009

الايداع القانوني: 764- 2009
ردمـــك: 9- 71- 767- 9961- 978

منشورات الحضارة
ص ب 04 بئر التوتة الجزائر 16045
هاتف/فاكس: 41 34 44 (021)

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
في إطار الصـندوق الوطني لترقية الفنون والآداب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى الوَالــدَيْن الكَرِيمــَيْن... بـــــرّا ً وَ إحْســَاناً

إلى الزَّوْجَة العَــزِيــزَة... تَقْدِيراً وَ امْتِنَاناً

إلى ولَدَيَّ مُحَمَّد مُحْي الدِّين وأُخْتِه آلاء... عَطــْفاً وَ حَنَاناً

إلى الإخْوَة شُــرَكَاء الرَّحِم... شُكْراً وَعِــرْفَاناً

المــؤلـــف

مقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد.

لقد شكلت الأقاليم التواتية[1] (ولاية أدرار حديثا) عبر تاريخها الطويل، وبالنظر إلى موقعها الاستراتيجي الذي توسطت فيه كبريات العواصم الثقافية عربيا وإسلاميا خيط تواصل وعطاء بين مختلف هذه الشعوب، ومن ثم انعكس الأمر إيجابا على واقع المنطقة، فعرف إنسانها كيف يستغل الظرف ويستثمر هذه العناصر، ليشارك بها القطبين، الشمالي وشمال الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا، والجنوبي بعواصمه التاريخية الكبرى كتمبكتو وكانو وشنقيط وغير ذلك.

---

1. تقسم توات إلى ثلاثة أقاليم حيث يقع إقليم تيديكلت جنوب مقر الولاية حالياً وهي من قصر فقارة الزوى بعين صالح حتى رقان، أما إقليم قورارة فهي إلى الشمال من قصر تبلكوزه شمالاً إلى قصر تسابيت جنوباً، وأما توات فهي وسط بينهما. ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى. ص02، المطبعة الملكية الرباط، 1381هـ، 1962م، وسكان تدكيلت القدماء والاتكال على النفس. الحاج التومي سعيدان ص18 وما بعدها. ط01، 2005. دار هومة الجزائر، ومحاضرة الشيخ باي بلعالم، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار(د،ت). ينظر الشكل ص 336 في الملحق.

كل هذا وغيره "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآيبة، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب. وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف"[2]. كما ذكر القاضي محمود كعت[3] أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات. ويضيف السعدي[4] أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف، ولهؤلاء جميعا مئات المخطوطات الموجودة حاليا في خزائن ومكتبات مالي و وموريتانيا و والنيجر وغانا ونيجيريا، و والمغرب وتونس، ومصر وغيرها.

2. إقليم توات خلال القرنين18-19م ص113 فرج محمود فرج .د.م.ج. الجزائر 1977م.
3. ينظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. ص15. تحقيق هوداس ودلافوس. مطبعة بردين. باريس1964.
4. ينظر: تاريخ السودان. تحقيق هوداس. مطبعة بردين1898م.

وُصفت منطقة توات على مــر التــاريخ بأنهــا أرض أمــان واطمئنان، كثر فيها الصالحون والزهاد جاءوها من كافة الأقطــار العربية والإسلامية واستوطنوا بها متأثرين ومؤثرين في من حولهم، نذكر من ذلك تمثيلا لاحصرا: الإمام المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ)، والقاضي العادل سيدي سالم العصموني (968هـ)، والفقيه الورع سيدي عبد الكريم بن أمحمد البكــراوي (1042هـ)، والعروضي البارع سيدي محمــد بــن أب المزمــري (1160هـ)، والمربي الحكيم سيدي أبي ألأنوار بن عبــد الكــريم (1168هـ)، والمفسر الشهير سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني(1189هـ)، والأديبين المفلحين سيدي محمد بكو الإداوعلي (ق12هـ)، وســيدي محمد بن المبروك الجعفري (1198هـ)، واللغوي الفذ سيدي محمد بن العالم الزجلاوي (1212هـ)، والمؤلف القدوة سيدي المختــار الكنتي (1226هـ) والفقيه الصوفي مثل سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي (1281هـ)، والمؤرخ المتقن سيدي محمد بن عبد الكريم بــن عبد الحق (1374هـ) وغيــرهم ومــع مــرور الأيــام ازداد التواصل وتوسع، وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري بين هــذه العناصر جميعها، ومن ثم انكبت النفوس على الطروس، وراحــت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر، وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا الغمر الزاخر من المؤلفين، والمؤلفات وفي شتى المعارف والعلوم من فقه وحــديث وتفســير ونحو وصرف وعروض وبلاغة وطب وفلك وتاريخ، واستودع كل

ذلك في زوايا ودور خاصة منتشرة في كل القطر التواتي انتشار أصحابها ومريديها.

لكن كل هذا الموروث الثقافي في زخمه التاريخي والمعرفي، لم يكن ليشفع للمنطقة حديثا في تبوء بعض من مكانتها التاريخية بين كبريات العواصم الثقافية وطنيا على الأقل، بل ظل الحديث عنها وإلى وقت قريب جدا، عند كثير من الباحثين الجزائريين خصوصا حديثا خافتا وباهتا إن لم يكن حديث إشارة وإيماء.

والحقيقة أن منطقة توات وإن اشتركت عوامل تاريخية عدة في طمس كثير من معالمها التاريخية، وإبعاد ما تبقى عن عيون الكتاب والباحثين عموما، إلا أن المسؤولية الأساسية هنا تنطلق أولا من عتبات بعض القائمين على هذا الإرث في خزائنه أولا، لتمر عبر بعض قنوات البحث التراثي المسدودة أصلا، ولتصل أخيرا إلى أبواب كثير من القائمين على مجال البحث محليا ووطنيا، بما خلفوه وراءهم من رواسب ومعوقات في طريق البحث في تاريخ المنطقة خصوصا.

وإيمانا منا بمساهمة الجميع في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للأمة، وكسر جدار الصمت المضروب من حولها من جهة، وانطلاقا من وقوفنا الشخصي على كثير من الآثار الأدبية التواتية في صراعها حول رحلة البقاء وما أصعبها من جهة أخرى. كانت لنا هاته المبادرة الأولية في تصفح بعض من هذه الرفوف في محاولة لاستجلاء أهم رموز هذه الحركة في ما خلفوه من آثار

وأعمال خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الهجري وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، ولنا في كل ما تبقى من آثار مخطوطة، ومعالم مرصوصة -على قلتها- كبير الأمل في الوصول إلى ما قد يشكل يوما بإذن الله منطلقا ونواة حقيقية لدراسات معمقة في هذا المجال، ولعل كل ذالك أخيرا يُخَفّف من حدة بعض سهام الإعتقاد السائد والموجه ليس لأبناء المنطقة ولا الوطن الجزائر فحسب بل لكل أبناء المغرب العربي عموما في كون أن المنطقة ما هي إلا صورة مشرقية شاحبة، وأنّ حَركتها الأدبية لم تُوح بها عاطفة ولم ينبض بها إحساس، ولا أثر فيها للتجديد والابتكار(5).

وبالنظر إلى مكتبة البحث المعتمدة أساسا في مادتها العلمية على المؤلفات المخطوطة، وخلوها من أي دراسة متخصصة سابقة للموضوع بحسب علمي، فإنه لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع بداية بالأمر الهين بل جاء عصارة عشر سنوات(2006/1995) من البحث والتنقيب في خبايا ما يزيد عن سبعة وثلاثين(37) خزانة للمخطوطات بأقاليم الولاية. وهذا العدد من الخزائن على قلته من مجموع الخزائن الإثنين والخمسين(52) الظاهرة للأعين مكننا أولا – على الأقل– من الوقوف إجمالا على ما يزيد عن ألف وستمائة وثمانية وسبعين(1678) مخطوطا، وكانت استفادتنا المباشرة منها

---

5. ينظر: الحياة الأدبية والنقدية في الفسطاط ومسجدها الجامع (30هـ/355هـ) علي اليمني دريدير.ص1. رسالة دكتوراه. إشراف د عبد المنعم خفاجي. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر .مصر.

في ما يزيد عن التسعين(90) مخطوطا أثبتناها تحديدا في مسرد ثبت المصادر والمراجع.

وبهدف الإلمام بحيثيات الموضوع والوقوف عند أهم جوانبه كانت خطة البحث مرتكزة في أساسها على بابين اثنين ومدخل بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق المكملة للبحث. حيث تعرضنا في بداية المدخل إلى التعريف بمنطقة توات وبجوانب مهمة من تاريخها القديم، ثم انتقلنا بعد ذلك للحديث في الباب الأول للحركة الأدبية بالإقليم منذ القرن السابع الهجري وحتى نهاية القرن الحادي عشر وفيه فصلان: الأول للحديث عن لأعلام هذه الحركة وكذا مواطنها ومسارها، والثاني للحديث عن واقع هذه الحركة وكذا أهم مظاهرها خلال هذه الفترة.

وفي الباب الثاني من البحث تعرضنا فيه لواقع الحركة الأدبية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين باعتبارهما أهم حلقة ذهبية في تاريخ الإقليم. ولقد جاء هذا الباب هو الآخر مقسما إلى فصلين اثنين:

الأول للحديث عن أهم الأغراض الشعرية المتناولة عند شعراء الإقليم من دعاء، ومدح وفخر ورثاء وعتاب واعتذار وما إلى ذلك، بالإضافة إلى أهم الخصائص الفنية التي ميزت هذه الأنواع.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب كان التناول أولا لأهم الفنون النثرية الشائعة في المنطقة خلال هذه الفترة من وصـــية، وخطبـــة ورسالة وما إلى ذلك، ليتبع في نهايته بالوقوف عند أهم ســماتها الفنية أيضا. وفي نهاية البحث وقفنا عند مجموعة مـــن الملاحـــق المكملة.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع في استقرائنا لأهم النصـــوص خلال الفترتين التاريخيتين من عمر الإقليم وما قبلهما، كان منهجنا المتبع في الأعم الغالب من البحث قائماً على المنهجين الاستقرائي والوصفي أولاً، بهدف الوقـــوف عنـــد أهـــم النصـــوص الأدبيـــة وتفسيرها، وتحليلها للوصول إلى بعض التعميمات، أو الاستنتاجات التي ترتبط بجانب أو بآخرمن البحث. هـــذا كله مـــع الاســـتعانة بالمنهج التاريخي، لما له من دور أساسي في محاولـــة تفسيـــــر، وتعليل كثير من الظواهر الخاصة، أوالعامة التي لها علاقة مباشرة بتاريخ الحركة أو ببعض أعلامها.

و في الأخير لا يفوتني أن أتوجه بخالص التمنيات وأصـــدق التشكرات إلى كل الذين أناروا لنا درب هذا الموضوع، وفتحوا لنا شهية البحـــث، والعناية بموضوعات التراث، وفي مقـــدمتهم أولا: الأستاذ الدكتور محمد زمري، الذي اســـتطاع بفضـــل توجيهاتـــه ونصائحه السديدة أن يلفت نظرنا إلى أهمية البحـــث فـــي تـــاريخ الحركة الأدبية في الجزائر، كما لا يفوتني أيضا أن أذكر بمساعدة

كل من الصديقين: الأخ عبد الحميد بكري، والأخ الأستاذ الحاج أحمد الصديق، بالإضافة إلى شيوخ الزوايا وأرباب الخزائن في منطقة أدرار، الذين استقبلوني جميعا بحفاوة بالغة، وشجعوني على البحث والتنقيب. وأخص منهم بالذكر المرحومين الشيخ بن الوليد وليد بأدرار، والشيخ الحاج بومدين سلكة بتيميمون، والشيخ الحاج محمد إداوعلي بقصر أعباني طيب الله ثراهم وتغمدهم جميعا بواسع رحمته، بالإضافة إلى الشيخ الحاج الطيب شاري بكوسام، والشيخ الحاج أمحمد الكنتي بزاوية كنته، والشيخ محمد باي بالعالم بأولف، والصديقين محمد السالم بن عبد الكريم المشرف على خزانة والده المرحوم الحاج عبد القادر المغيلي، والأخ أبا سيدي جعفري المشرف على الخزانة الجعفرية بزاوية سيدي حيدة بقصر بودة أدرار وغيرهم.

فلهؤلاء جميعا، ولكل من أعانني على إخراج هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة ألف تحية، وجزى الله الجميع عني كل خير.

أدرار. يوم: الثلاثاء07 شعبان1428هـ.

الموافق لـ 21 آوت/(08 غُشت)2007م.

د : أحمد أبَّا الصَّافي جَعفري

الشعر وخصائصه الفنية

تابع: - الباب الثاني من الجزء الأول

- الفصل الأول

- المبحث الأول

محتويات الباب الثاني
الحركة الأدبية
في أقاليم توات خلال القرنين 13/12الهجريين

- الفصل الأول:

* المبحث الأول: الأغراض الشعرية

1. الدعاء والتوسل
2. المديح النبوي
3. المدح العام
4. الفخر والحماسة
5. الرثاء

- الجزء الثاني-

6. العتاب والاعتذار
7. الشعر السياسي
8. الشعر التعليمي

6. غـــرض العتـــاب والاعتـــذار:

- **العتاب لغة:** يعرفه ابن منظور بقوله: " العَتْبُ، والعُتْبَان: لومـك الرجل على إساءة كانت له إليك فاستعتبته منها. وكل واحد من اللفظين يخلص للعاتب، فإذا اشتركا في ذلك، وذكر كل واحد منهما صاحبه مـا فرَط منه إليه الإساءة فهو العتاب والمعاتبة"(6).

أما الاعتذار فهم من الفعل عذر الذي جاء بمعنى: "العذر: الحجـة التي يعتذر بها والجمع أعذار. يقال اعتذر فلان اعتذارا، وعذرة ومعذرة من دينه فعذرته"(7).

ولم يخرج اللفظان في استعمالهما الإصطلاحي إلى معاني أخرى تذكر، حيث يقـول ابـن رشيق القيرواني في تعريف العتاب: "هو طلب الإبقاء على المودة والمراعـاة وفيـه تـوبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء"(8) ويمضي ابن رشيق في تصنيفه تحديد طبيعته قـائلا: "العتاب وإن كان حياة المودة وشاهد الوفاء فإنه باب من أبواب الخديعة، يسـرع إلـى الهجـاء وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كان داعية الألفة وقيد الصحبة وإذا كثر خشـن جانبه وثقل صاحبه"(9)

وللاعتذار أيضا طرق وسائل معروفة على طالب العذر أن يراعيها

---

6. لسان العرب. باب الباء ،فصل العين، مادة عتب ج1 ص577.
7. المصدر نفسه ج4 ص545.
8. العمدة ج2 ص176.
9. المصدر نفسه ص179.

ويحفظها في طلبه وإلا تحول طلبه إلى وجه من وجوه العداوة فإذا أحدث الشاعر ما أوجبه الاعتذار فإن عليه "أن يذهب مذهبا لطيفا وليقصد مقصدا عجيبا وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه ويستجلب رضاه فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج، وإقامة الدليل خطأ لاسيما مع الملوك وذوي السلطان"(10).

وبين العتاب والاعتذار تداخل كبير عند الشعراء فكثير ما اعتذر الشعراء بعد عتاب وكثير ما كان منهم العتاب بعد طلب الاعتذار وعموما فإن الحديث عنهما في دواوين الشعراء كان يدور حول معاني اللوم وما يُخلص إليه في الغرض الأول، ومعاني العفو وطلب المسامحة في الغرض الثاني.

وعن تاريخ الغرضين وعلاقتهما ببقية الأغراض الأخرى في الشعر العربي يرى الدكتور شوقي ضيف أن غرض الاعتذار أولا وإن كانت تتداخل فيه عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء إلا أنه نشأ نشوءا من المديح وفي ظلاله، شأنه في ذلك أيضا شأن غرض العتاب الذي كان من الشعراء ملامة لما قد يصيبهم من أذى الأقارب(11).

والمتأمل لمسيرة الغرضين في تاريخهما عبر العصور الأدبية لايجد لهما استعمالا بارزا في دواوين الشعراء ولعل في تعاليم الدين الإسلامي الداعية إلى العفو والتسامح من جهة، وفي طبيعة الإنسان العربي

10. العمدة .ج2 ص195

11. العصر الجاهلي ص211.

المعروفة بالتعالي والشموخ ما يبرر بعضا من هذا الابتعاد.

وبالرجوع إلى مسيرة الغرضين عبر تاريخ الحركة الأدبية في الإقليم خلال العصرين فإننا لا نجدها تخرج عن هذا الابتعاد، إذ أننا وخـــلال رحلة البحث المستمرة لكثير من النصوص والمرويات لم نعثر إلا على نص واحد في شكل رسالة بعث بها الشيخ سيدي عبد الرحمان بن علي التزلاغتي(ق12هـ) إلى الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم(1133هـ) إثر تخلفه بعد سماعه لخبر موت أخيه الحاج محمد القاضي رحمـــة الله عليه. والقصيدة الهائية جاءت في عشرين بيتا وعاتب فيها الشيخ سيدي عبد الرحمان صديقه أساسا على طول غيابه وانقطاعه عن أهله وأحبابه حيث قال الشيخ في هائيته[12] على البسيط:

بسم الإله أبـتدي أولا وبـــه — توطية لقول في النظـــم أبداهـــا
تهدي السلام لمن كان أشتياقي له — حتى جوى الدمع بالأشواق مجراهـــا
أعني الحبيب الذي دام اشتياق له — محمد الـــبكري بدر الوقت قاضيهـــا
أخا العلوم ظفرنا بمـــوؤا خاتــه — وظـــل منقطــعا عنا و قد ساهـــا
فكيف يسهو حميم عن مــعارفــه — طــول السنين فلا أدري لم داهـــا
نئا عن الأهل والأوطان مغتربـــا — وأمه طـــال ما ذرفــت عيناهـــا
ببعــده وبموت صنــوه أسفـــا — زاد عليــه كبير الوجـــد أفناهـــا
ناديته من كداء أرضي على عاجل — كأنه سامـــع في البعد نجواهـــا

---

12. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص90 وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامهـــا من القرن09غلى القرن14هـــ.

خطبته بكلام النفس في خطـــري وصنته عن مسامعي و أذناهــــا
فـــرام مني قصيدة فقلت لــــه أهــــلا وسهلا بحول الله ترتاهــا
من الــــبسيط له وزن وقافيـــة ونغمة القاري بالترخــيم حلاهـــا
تحكي أمــورا وتذكيرا و موعظـــة يبكي ويستبكي ســامع و قاريهـــا
منظومة في زمان الهول بارعـــة تبقى وتقوى على إرغـــام قاليهـــا
الله ربي ونعــم المســتعان بـــه وبالــــرسـول على تبليغ مداهـــا
إني لأرجــوا كتابا من مقامكـــم بخط كفــك فاح عندي شــداهــــا
لأتذكــــر أيام الــــوداد بـــــه حين اجتماعنا ما أحلى ليالــيهــــا
في بهجة الدين والدنيا وقد سلكوا على سبيل الهدى خافوا من بريهـــا
بجودهم قاموا إجلالا لضــيفهـــم من أعهد أسلافهم والضيف يأتيهـــا
وما عليك إذا ما جئتنا زائـــــرا تنل من الأجر لا خاب من نواهـــــا

ونرى الشاعر سيدي عبد الرحمان بعد الافتتاح بــذكر الله يشــرع مباشرة في عتاب صديقه على غيابه وانقطاعه المســتمر عــن الأهــل والأوطان، غير مبال لحزن والدته عليه ولا لبكائها المستمر وبخاصـــة بعد فقدها لأخيه.

ويمضي الشاعر بعد ذلك في تقديم عذره في عدم قدرته على السفر في إحضار صديقه من ديار الغربة ولذلك نداه بلغة الشعر والإحســاس عله يحرك مشاعره وكانت منه - كما قال- هذه القصــيدة علـــى وزن البسيط لتختصر كثيرا مما يدور في خلد الشاعر.

وغير هذه القصيدة فقد كتب الشيخ سيدي محمد الإداوعلي مقطوعة شعرية[13] على وزن الوافر، وبعث بها لابنه الشيخ سيدي ابـــراهيم[14] يستعجله فيها بالعودة إلى أرض الوطن بعدما هجــره وتركـــه وحيـــدا ضعيف الجسم أعمى، مذكرا إياه بأهمية طاعـــة الوالـــدين فـــي قبـــول الطاعات:

أيـــا ولـــدي يلـــومك مـــن يلـــوم	**وتهجـــرك الخصوص والعمـــوم**
بتـــركـــك والـــدا رباك طـــفـــــلا	**وتـــرك مبـــرة الآبـــاء شـــــوم**
أتهجرني وأنـــت ربيــــع قلبــــي	**فإني بكـــم أيا ولـــدي رحـــيـــم**
أتتـــركنـــي ضعيف الجسم أعمـــى	**ولـــم تشغـــلك يا ولـــدي علـــوم**
أظنـــك بالنعيـــم شغلـــت عنـــــي	**نعيـــم الدهـــر ويحـــك لا يـــدوم**
فـــلا تقطـــع زمانـــك فـــي عقوقي	**فتفســـد ما تصـــلي وما تصـــوم**

وإذا انتقلنا إلى غرض الاعتذار في حضوره داخل الدواوين وجدنا الأمر نفسه يتكرر، حيث لم يخلف لنا الشـــاعر التـــواتي خـــلال هـــذه المرحلـــة في أبعد تقدير سوى هذه القصيدة[15] التي قالها الشيخ سيدي الحاج عبد الله بن سيدي محمد بن عبد الكـــريم(1134) علـــى إيقـــاع

13. مخطوط المقطوعة جاء في عدة نسخ منها في مكتبة أحفاده بقصـــر أعبـــاني أدرار. ومنها في خزانة قصر باعبد الله أدرار
14. الشيخ سيدي ابراهيم مدفون حاليا بقصر اعباني. جنوب الولاية أدرار. وتقام له زيارة سنويا يلتقي فيها جمع غفير من سكان الإقليم.
15. ينظر: مخطوط الدرة البهية ص70 وما بعدها.

الطويل، واعتذر فيها للشيخ سيدي البكري على ما كـــان قــد بدر منه – كما قال–:

مـــن الشوق عبد الله يسكب دمعــة	وبالذل قـــال قولا جـــاء مصوبــا
أيـــا قابـــل الأعـــذار جـــد بمكـــارم	على من قصته عن دياركم الصبـــا
أتـــاك يريـــد منـــك تقبـــل عـــــذره	وحشاك أن ترد مثلـــي خـــائبـــا
وأنت لـــذي الأنوار نور مرونـــــق	تزيل الصدا حقا وتجلي غيـــاهبـــا
وقـــد مـــلأ الأكوان نورك بهجـــــة	وعلمك عم الأرض شرقا ومغربـــا
ثميل غريـــب إنني فيـــك شـــائـــق	أجر ذيول الـــذل جئتـــك راغبـــا
أكفـــكف دمعاً بالندامـــة حســــرة	لما فاتني بقصدكـــم بت طـــالبـــا
وأسكب وجـــد أدمعـــي متـــأسفـــا	وفي بابكم أمرغ الخـــد شـــاحبـــا
وأصخـــب بكـــل صوت مـــن البكـــا	عويلا زفيرا والدموع تصـــبيـــا
أعينـــاي نوحـــا واسمحا بتـــدفـــق	على دوحة الفقه الكريمة واندبـــا
أرى مقلتي تهمي على ما يفوتهـــا	دمـــوع غرار قطر قد تسكـــبـــا
وتهوي من الشيخ المهذب دعــــوة	تنال بهـــا رشدا ومثوى مقربـــا
إمام التقى فـــي كـــل علم لـــه يـــد	حليم زكـــي كان في العلم مذهبـــا
تراه حماما في النوازل مـــذ روى	حفيظا أديبا في العلـــوم مرغبـــا
فصيح وفي علم القـــريض مقـــدم	.... محدث بـــه قـــد تأدبـــا
مهاب ومحمي الحريـــــم وأهلـــه	أعـــزة أهـــل من رآهم له الحبـــا
وهيهات أن يـــرام غيـــرك منـــزلا	هو الغاية بها يرى الجدب معشبـــا
أحن إليهـــا كالحمـــام تشـــوقـــا	أرانـــي كئيبـــا بالغـــرام مطـــربـــا
أضاهي قلوصا حيز عنها فصيلهـــا	أضاهي حمامة تنوح على الربـــا

فـآه علـى شوقي إليهـا وإننـي .... بشوق لا أزال مواظـبـا
وقد مسني من قبل ضـر ببعدهـا لعلي بـوصلهـا أنـال مئـاربـا
حزينا كئيبا مـن حيـاء ببـابكـم أيـا سيـدي البكري أتيتك تائبـا
أعفر خدي فأقبـل النـذر سيـدي بحق نبي بالـرسالـة مجـتبـى
أعفـر خـدي فابتـدر بتعطـف وحلم علـى عبد ولا تك مغضبـا
أعفـر خدي أنت بالصفح والوفـا تكافي عبيدا قـد أسـاء تـأدبـا
عـلى وجناتـي بالبكاء خـواتـم لفقـري إليك لا تـردني خائبـا
بحـق الكتـاب والنبيئين سيـدي تقبل على مـن جاء للدار راغبـا
بما نلت من علم شريف مشـرف بكل ولي فـي الطـريق تقطبـا
بحق مجالس العلـوم التي غـدت عليك تـدور كـل يـوم تأدبـا
بحق النبي المصطفى كاشف الـردى مغيث الـعباد عنـدما ينزل الربـا
عليه صلاة الله ما نـاح شـائـق على قبره مـن الغـرام ليشربـا

والشاعر الشيخ سيدي الحاج عبد الله وإن كان لم يبين لنـا سـبب اعتذاره من الشيخ سيدي البكري كل هذا الاعتذار وأشار إلى ذلك بسوء الأدب، إلا أننا نلمس وبشكل جلي داخل أبيات النص مكانة وقدر الشيخ سيدي البكري في نفسية الشاعر وهو ما جعله كثير البكاء والتمرغ أمام عتبة الشيخ طالبا عفوه وحلمه، ولم يكتف بهذا فحسب بل تعرض لـه بحق وجاه الكتاب المبين، والنبيئين عامة وبجاه المصـطفى صـلى الله عليه وسلم وجاه كل ما ناله من علم وأدب خاصة.

7. غـــرض الشعـــر السيـــاســـي:

الشعر السياسي هو الشعر الذي ينظم في شأن من شؤون السياســـة وهو ضروب عدة منها الشعر الوطني الذي يتغنـــى بأمجـــاد الـــوطن، والشعر التحرري الذي ارتبط بظهور الحركات التحررية في الـــوطن العربي ضد أشكال الاستعمار الحديثة، فجاء محرضـــا وداعيـــا إلـــى التحرر، من قيد الاستعمار وفي هذا المجال تفاعل شعراء تـــوات مـــع قضايا أمتهم وما عانته الشعوب العربية وبخاصة في القطر المصـــري العزيز الذي كان يإن تحت وطأة الظلم والاستبداد[16] كما عبـــر بـــذلك الشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ سيدي عبـــد الرحمـــان بـــن بـــاعومر التنلاني(1221هـ) في هذه القصيدة[17] المعروفة بـــ((الحلة الفاخرة في طلب فتح مصر والقاهرة)) والتي وردت في أزيد من أربعين بيتا وقال فيها على إيقاع البسيط:

الله أكبر جـــل الخطـــب عيانا وقد أتينـــا ومنا أصـــل بلوانـــا

---

16. المقصود هي الحملة الصـــليبية الفرنســـية علـــى مصـــر بقيـــادة نـــابليون (1801/1798). وضربه الأزهر الشريف بالقنابل من القلعة، واتخاذه اصطبلا للخيل، ومحاولة اقتلاع المصريين عنوة من الإسلام. ينظر: وقعنا المعاصـــر. محمد قطب ص204 وما بعدها ط02. المؤسسة الوطنيـــة للفنـــون المطبعيـــة الرغاية الجزائر1989م. وكتاب العالم الإسلامي في الإســـتراتجيات العالميـــة المعاصرة .د علاء طاهر ص345 ومـــا بعـــدها ط01. 1998.م دار بـــلال. بيروت لبنان .
17. مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله أدرار.

يارب قاعدة الإسلام حـل بهـا أمر عظيم لهـالنـا وأشجـانا
الروم أخزاهم الإله قد مـلكـوا مصر العتيق وجـزءوه سهمانا
الكفر قـد خففـت أعـلام رقبته ودينا قد بداه اليـوم نقصـانا
يا غمة لبني الإسلام نـالهـم بهذه النكبـة الصمـاء خسرانا
يا بهجة النور يا مصراه حل بنا بما دهاك تحسـر ....

وبعد هذه الاستغاثة المدوية لما حل بمصر العتيق من كفار الـروم شرع الشاعر في تعداد مظاهر الخسارة والخراب الذي سيحل من جراء هذه النكبة، فلا أحد يستطيع بعد الآن أن يرتاد المساجـد أو المدارس، ولا أحد يستطيع أن يتصفح المصحف الشريف ولا أن يفتح كتابـا مـن تلك الكتب الكثيرة التي تعمر بها خزائن مكتبات الأزهر الشريف، وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل إن الفساد انتقل إلى المساجد التي حولـت إلى كنائس لعبادة الأوثان.

مـن للمساجد يا غـوث يعمرهـا من للمـدارس يستجيب لهفانـا
من للمصاحف والكتب التي جمـعت بالأزهر الرحب يكفلنها يقظانـا
مَن للمشاهد في سفح المقطم مـَن لمشهد السبـط يحفظنه إعلانـا
أتنشرن المسوخ وسـط مسجدنـا ويعتـريه من أهل الكفر نشوانا
ويعبَدنّ الصليب فـي مسـاجدنـا ما مثلها نكبة في الدهر تغشانـا

بعد هذا لجأ الشاعر إلى الله عز وجل متضـرعا وداعيـا نصـره وتأييده للمؤمنين بأن يرد عليهم ديار الإسلام، وأن يفتح علـيهم قاعـدة إسلامية أكبر لتنسيهم أحزانهم في ما حل بهم، وتكبت عنهم أفراح جيش الروم.

والشاعر في دعائه وتضرعه لله سبحانه وتعالى بدا ملحا حين تشفع في ذلك بالعرش المجيد، وبالكرسي الجليل، وباللوح المكرم والملائكة المقربين، بالإضافة إلى المشفع أحمد(ص) وبقية الرسل الكرام، وبآل بيت النبي(ص) وجملة الصحب والأئمة الكرام.

إن لم تعاف وتعف يا رحيم فمـــن	للمـــؤمنـــين مؤيـــدا ورحمـــانـــا
إنـــا استجرنا بك اللهـــم يا صمــــد	فأنف جمع العدا عن قطر مصرانـــا
وقد تشفعنا بالعرش المجيد وبالـــ	ـــكرسي الجليل فلا تبق من شانـــا
وبالملائكـــة المقربيـــن وباللـــو	ح المكـــرم يا سمـــيع بنـــجوانـــا
وبالممجد أحمد الشفيـــع وبـــالـــر	سل الكـــرام ومن بالـــدين إدّانـــا
وآل بيت الرسول والمحـــب لـــهـــم	وجملة الصحب انصرنا و أعوانـــا
وبالأئمـــة أهـــل العلـــم كلـــهـــم	والأولـــيا وبـــالأبـــرار أعيـــانـــا
بالغوث بالنقباء السالكيـــن و بالـــ	أفراد يـــارب لا تخيب دعـــانـــــا
اردد على ملة الإسلام مصر وخـــذ	أخذ عزيز طـــغاة الكفـــر هـــوانـــا
وافتح على المسلمين بعـــدُ قاعـــدة	تفوق مصر عمـــارة و بنيـــانـــــا
لتكبت الروم والإسلام فـــي فـــرح	ينسيهـــم ما مضى والأمر برهانـــا
ورد ألفتنـــا وارحـــم ضـــراعتنــــا	و فك من أيد أهـــل الكفر أسرانـــا
وقر أعيـــننا بـــــذاك عـــن عجـــل	إذ لم تزل يا عظيـــم النول منانـــا
الله أللہ جل الله خـــالـــقـــنــــــا	رب رحيم تعـــالى الله مـــولانــــا
من أنت ناصـــره لايختشي أحـــــدا	و من خذلت فلا يـــزال تلـــفانـــا
فاقبل ضراعتنا إليـــك يـــا أحـــــد	وأغننا بـــك يـــا ذا المن سبحانـــا

وفي الأخير ختم الشاعر نصه بجملة من الأدعية على عادة كثير من الشعراء في مثل هذه المناسبات طالبا العفو والمغفرة لما أقترف من مظالم بسبب كثرة الذنوب، فالسعيد - كما قال- هو سوى من وهبه الله صدق التعبد في السر والعلانية.

ظلمنا أنفسنا والعفو منـــك لـنــا فضلا فليــس إلى سواك شكوانـــا
منا الجفاء ومنك الحلم يا أملـــي أسبل على عبــدك المغتر إحسانـا
نــور بصــائرنــا تفضـــلا وأزل غشاوة الذنب يا من ليس ينسانـــا
لا تهلــكنا بما اقترفنا من ســفــه وارفع يـــد الأخــذ عنا منك نجانـا
عودتنا كرما فاختــم عليــنا بـــه إذ أنت أهل الجــود قد كان ما كــان
رحماك نرجوه يا رحمان هبه لنـا ت ولم يزل حفظك الجميل يــرعانـا
ليس السعيد سوى من قد وهبت له صــدق التــعبد أســرارا و إعلانـا
اغفر لنـا يارب كــل الذنــوب ولا تعجــل عواقبــنا ظلمــا و طغيانـا
واجعل الهي ختم العمر منا علـــى الدين القويم وأحسن فــيه محيانـا
وارحــم أيمّــنا والوالديــن ومــن يُنمى إلينا ومن بالقــرب يــغشانـا
وصل ياربنا على الرسول الـــذي فاق النبيئين منصــبا وتبـــيانـــا
وءاله الغر والأصحاب مـا طلعــت شمس وما هزت الجَنُوبُ أغصانـا
ومـا تملــق عبــد الله ملــتجــئا ببابك الرحب يــرجوا منك غفرانـا

وعلى خلاف الشاعر سيدي عبد الله فقد وجد الشاعر الشيخ سيدي أبي العباس سيدي أحمد زروق بن محمـد بــن موســى بــن صــابر الجعفري(1244هـ) في حملة نابليون علـى مصـر سـنوات (1798/ 1801) وما أبداه المسلمون من بسالة وشجاعة في مقاومتهم للجيــوش

الفرنسية في دخولها إلى باحة حرم الأزهر الشريف والتي، أنست جيوش الروم جميع ما حققوه من نصر في جزيرة مالطة – قلت– وجد الشاعر في كل هذا وغيره مناسبة متميزة للوقوف عندها بهذه القصيدة[18] المعبرة التي جاءت على إيقاع السريع و شارك بها عموم المسلمين فرحتهم بهذا النصر وراح يذكر فيها الفرنسيين بسوء طالعهم:

قل للفرنسيس كبا جدكم ... وردتم وردا بلا مصدر

البر والبحر بساط لكم ... لا فوت إن الله منهم بري

حسبتم مصر كمالطة ... وصادق اللهجة كالمفتري

هيهات هيهات لا مفر لكم ... إلا على الصارم و السمر

من ءال عثمان أتاكم فتى ... لأخذ ثأر الدين في معشر

أسيد غضاب فوق صافنة ... في طالع يسمو على المشتري

تحن للهيجاء أنفسهم ... من غير ما درع ولا مغفر

يعتقدون القمل حلو الجنا ... وطعمه أحلى من السكر

نفوسهم باعوا وأموالهم ... بجنة وربنا المشتري

كل فتى يا ويلكم باسل ... ندب همام طيب العنصر

جموعكم ما بين قتلى و من ... في القيد يختال بلا مئزر

---

18. القصيدة جاءت مخطوطة في نسختين(ا) و(ب) وهي من بحر السريع وفي ثلاثين(30) بيتا. ينظر خزانة قصر بودة أدرار، وخزانة قصر باعبد الله. أدرار.

جنـــي عـــلى كلكـــم رايــــــــة وقـــول جمهـــوركـــم الممتـــر

مـــا هي بالأولى عليكـــم لــنـــا ومـــا عددتـــم قـــط بالخنصـــر

وقائـــع بالشـــام غـــــر لنـــــا هلكتـــم فيـــهـــا بـــلا منكـــــر

وحبـــذا يـــوم العـــرائش فـــي ....

حشدتـــم الأبطال في زعمكـــم فشُربـــوا كأس الردى الأحـــمر

مـــا فات أنجاد السواحل مـــــن قـــد فر منكم يا بنـــي الأصفـــر

ولا نجا من مـــر فـــي زورق من طالب في الشيح الأخضـــر

طالعـــة مـــن بعض أجنادنــــــا قـــد جلدتكـــم دونما عســـكـــر

لولا البحور الخضر من دونكـــم مـــا عمركـــم يمتد في معمـــر

ولا نجـــوتـــم مـــن فوارسنـــا في حضر كنتم أو في ســـفـــر

ويـــل بنـــي الصفر أيديهـــــــم صفـــر من المامول و المـــتجر

دماؤكـــم طلـــت وأموالكـــــــم ولكـــم الويلات فـــي المحشـــر

أدام ربي نصـــر دين الهـــــدى وذل عباد الهـــوى الأخـــســـر

وأيـــــد الله أئـــمـــتـــنــــــــــا بمـــرد من مـــلكـــه الأكبـــــر

واختـــص مولانـــا سليمـــــان بالتمكين والتـــأيـــيد و الظفـــر

ونصـــر الله عـــســـاكـــرنـــــا بحرمة المخـــتار فـــي مصـــر

صلـــى عليـــه الله ما ابتهجت نـــفوس أهل الحق بالـــوطـــر

خيـــر صـــلاة وســـلام بـــــلا حد يفـــــوق أرج الـــزهـــــر

والشاعر في معرض حديثه عن نشوة الفرح في نصـــر المســـلمين على الروم راح يذكر الأعداء بداية بجوهر الفرق بـــين مصـــر التـــي تحامى أهلها لنصرتها[19]، وبين جزيرة مالطة التي استسلمت في وجـــه جيوش الإنجليز الذين لم يجدوا مقاومة تذكر، وأصبحت الجزيرة مـــن يومها مركزا لحماية السفن التجارية بين إنجلتـــرا والهنـــد والصـــين. والشاعر حين يتحدث عن الاستعمارين الفرنسي والإنجليزي فهو يراهما وجهان لعملة واحدة عي عملة الكفر والحروب الصـــليبية. فـــإذا كـــان النصر حليف الكفر في مالطة فهيهات أن يتكرر في مصر التي اتحـــد فيها الأهالي تحت راية الجهاد، وباعوا أنفسهم وأموالهم لله عز وجـــل، فكان النصر حليفهم، وكان جموع العدو ما بين قتلى وما بين مقيد فـــي الأســــر.

والشاعر سيدي أحمد زروق وهو يتحدث عن هذه الوقائع الحية من قلب المعركة راح يذكر جيوش الكفر ومن سار على نهجهـــم بوقـــائع معركة الشام التاريخية التي تحطمت فيها جيوش نابليون علـــى أســـوار عكة بفلسطين، ليخلص أخيرا إلى التضرع والدعاء راجيا دوام العـــزة للإسلام والمسلمين والتأييد لأئمتهم، والنصر لعساكرهم.

---

19. ينظر: وقعنا المعاصر. محمد قطب ص204 وما بعدها.

وفي المناسبة ذاتها عثرنا على مقطع من قصيدة[20] نظمها الشيخ سيدي المختار الكنتي(1226) واستنفر بها فوارس المغرب العربي من عرب وعجم لنجدة هذا القطر العزيز مصر من براثين جيش الفرنسيس حيث يقول:

فلا غيور يذود عن مضاجعها ... ولا جسم له عزم وإيقان

ظل هذا يذود القلب من أسف ... إن كان في القلب إيمان وإحسان

يا أهل مغربنا هبّوا لقارعة ... كانت بساحتكم والقلب ولهان

أين الفوارس من عرب ومن عجم ... أين الملوك وعدنان وقحطان

و راكبين جياد الخيل صارمة ... كأنها في مجال السيف أقيان

أحملوا على الروم............ ... ولا تبغوا عليهم فإن النصر معوان

لا يُدفع الكفر إلا باليقين فلا ... تغررك منه عساكر وأعوان

لا تدفع الظلمة الدهماء غاشية ... إلا بنور من الرحمان تبيان

لم تكفهم أندلس إذ أحاطوا بها ... وسبتة ومليلة و..........

حتى أتوكم بدار عزكم فغدوا ... يمحون دينكم في الحين نقصان

---

20. ينظر: قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين12/31/هـ ص183. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. إعداد محمد حوتية. إشراف ناصر الدين سعيدوني. معهد التاريخ جامعة الجزائر(1412هـ/1993م).

ونرى الشيخ سيد المختار وهو يحرض أبناء جلدته لنصرة إخـــوتهم في مصر العزيزة يذكرهم أولا بضرورة الغيرة على مقدســـات الأمـــة وثوابتها التي تهان هناك، في الوقت الذي غابت فيه فوارس الأمة مـــن عرب وعجم وحاكمين ومحكومين في مغربنا العربي. ثم بين لهم بعـــد ذلك أن المعركة مع هؤلاء لا يحكمهـــا العـــدد والعـــدة، ولا العســـاكر والأعوان، وإنما يحكمها ويفصل فيها ميزان اليقـــين، ونـــور العزيـــز الرحيم، لأنها معركة الإيمان والكفر. وفي الأخير ذكـــرهم بتـــاريخهم الطويل مع هؤلاء الأعداء حين استولوا على الأندلس وما جاورها مـــن مدن سبتة ومليلية وغيرهما.

وبهذا النماذج الشعرية يمكن القول أن شعراء توات لم يكن ليفصلهم عن هموم أمتهم و قضايا دينهم حاجز الزمان والمكان أو بقية الحواجز الأخرى، فسجلوا حضورهم القومي بكل عز وافتخـــار، وكانـــت هـــذه النصوص خير شاهد على تأثر هؤلاء جميعا بمجريات أحداث الأمـــة، فشاركوا في الزود عنها أولا، والتأريخ لها ثانيا، وهو ما يعكس ثقافـــة الجميع ومتابعتهم لكافة الأحداث التاريخية.

8. غـــرض الشعـــر التعليمـــي :

يعد الشعر التعليمي من الأغراض الجديدة في الشعر العربي إذ يُرجع بعض النقاد من أمثال عز الدين إسماعيل[21] بداية ظهور هذا اللون إلى العصر العباسي الذي كثر فيه نظم العلوم بهدف تقريبها إلى ذهن المتعلم، ومن ذلك نظم كتاب ألف ليلة وليلة للشاعر أبان بن عبد الحميد اللاحقي، ومنظومة الشاعر علي بن الجهم في تاريخ الإسلام وغيرهما[22].

ولقد اشتهر الشاعر محمد بن أب المزمري مـــن شـــعراء تـــوات خصوصا بهذا اللون من الشعر بما خلفه فيه من قصائد ومتون لا تزال مخطوطة. ذلك أن الشاعر ابن أب تربع على عرش التدريس والإفتـــاء فـــي الإقليم لمدة طويلة، فكان يلجأ إلى نظم بعض هذه المتـــون قبـــل عرضها على طلبته تسهيلا لحفظها وفهمها، ومن بين القصائد التي وقفنا عليها له في هذا الباب نذكـــر:

❖ قصيدته[23] فـــي فـــك البحـــور علـــى وزن الطويـــل، وألفـــا سنة(1116هـ). كما هو مؤرخ لها بدأها بقوله:

بدأت بحمـــــد الله رب مصلياً　　　على الهادي أحمد الرضا علم الهدى

---

21. ينظر كتابه في الشعر العباسي الرؤية والفن ص384 ط01. 1994 المكتبـــة الأكاديمية. القاهرة. مصر.

22. ينظر: المرجع نفسه.

23. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله بأدرار ولها نسخ أخرى في بعض الخزائن كأولف وكوسام وغيرها.

وأصحابه والأكرميـــــن وآله وبعد فخـــذ فك البحور على الـــولا

وختمها بقولـــه:

فعـــول بتثميـــن حوى متقـــارب وقل خبب لن والنـــــظام قد انتهى

بحمد إله العرش في عام ويقــش ولا حول إلا بـــــالله ولا قـــــــوى

❖ أرجوزته[24] التي نظم فيها مقدمة ابن آجروم[25] والتي ألفها سنة (1120هـ)، بـــدأها بقولـــه:

قال ابن أبّ واسمـــــه محمــد الله فـــي كــل الأمـــور أحمــــــد

وختمها بقولـــه:

قد تم ما أتيـــح لي أن أنشئـــه في عام عشريـــن وألـــف ومئـــــه

---

24. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله بأدرار. ولقد قام زايد الأذان بـــن الطالـــب أحمد الشنقيطي بتحقيق هذه المنظومة لكنه نسبها إلى عبيد ربـــه الشـــنقيطي. وهـــو خطأ فادح منه. لأن الشنقيطي المذكور عاش في القرن الثالث الهجري كما أشار المؤلف. وحينما وجد أن تاريخ نظم هذه القصيدة – كما هو مـــؤرخ لها في نهايتها– يعود إلى سنة1120هــ علق على ذلـــك بقوله(ولعلـــه خطـــأ) منشورات(ELGA).

25. المقدمة الأجرومية وضعها أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصـــنهاجي المعروف بابن آجروم(ت.723هــ)، وقد قام بنظمها الشيخ شرف الدين يحـــي العمريطي(ت.989 هــ)، والمجموع الكامـــل للمتـــون، ص166، دار الفكـــر بيروت، ط1، 1418هــ/1997م، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحـــاة، والسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل، ص238 ج1 ط2 1399هـــــ/1979م، دار الفكر بيروت.

❖ أرجوزته(26) في علم العروض ألفها سنة(1126هـ) وسـماها ((روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل)). وذكر فيهـا مجمـوع الزحافات والعلل التي تعتري البيت التفعيلات العروضيـة. بـدأها بقولـه:

قـال عبيد ربـه محتـسبـا	محمـد المـزمّـري نسـبـا
الحمـد لله الذي قد مـهـدا	لنا عروض دينه و أرشـدا
ثم على البحر السريع الفيـض	للمبتغي جـدواه دون غـيـض
الوافر الحسـن المديد الجـاه	مـولاي أحمـد بـن عبد اللـه
أزكى صلاة وسـلام و علـى	أصحابـه وءالـه ذوي العـلا
ما دامت الأعراب في البـوادي	ممسكـة الأسبـاب بالأوتـاد
واستعيـن اللـه ذا الآلاء	في ذكر ما في العشرة الأجـزاء
من علل و من زحاف وعلـى	ذي القوة اعتمدت جل وعـلا

وختمها بقـولـه:

وهاهنا قـد انتهى مرامـي	و الحمـد لله علـى التمـام
سنـة ست مع عشرين التـي	بعيـد ألـف سنـة و مائـة
ثـم صـلاة الواحـد العلـي	مـع السـلام الطيب الزكـي
على الرسول الهاشمي المرتضى	وءاله والصحب ما صبح أضا

---

26. الأرجوزة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار.

❖ أرجوزته[27] في باب السهو من مختصر الأخضـــري[28] فـــي العبادات، ألفه سنة(1128هـ) وسماه((العبقري))وهو في أزيد من مائة وخمسين(150) بيتاً. بـــدأها بقولـــه:

الحـــــمـــد لله الجزيـــل النعـــم	**مرشـــد مـــن عن سبل الحق عـــم**
ثـــم صـــلاة الله يتلوها الســـلام	**على رســـول الله ســـيد الأنـــام**
وبعـــد فاعـــلـــم أنني قصـــدت	**إنجـــاز ما كنـــت بـــه وعـــدت**
من نظم سهو الشيخ الاخضـــري	**معتـــذرا لـــكـــل لـــوذعـــي**
من فرط جهلي وقصور فهمـــي	**وخـــطـــرات لا تـــزال تـــهمـــي**
برجـــز سميتـــه و هـــو حـــري	**بالعبقري في نظم سهو الأخضـــري**
فـــالله حـــسبـــي و به أعتصـــم	**مـــن كل مـــا يشينه أو يصـــم**
ثـــم أقـــول و إلـــى الرحـــمـــان	**أرغب فـــي قبـــول هذا الشـــان**

وختمها بقولـــه:

يقـــينـــه ثـــم إلـــى خبرهـــم	**يرجـــع والحمد لرب إذ ختـــم**

---

27. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار، وقد طبعتها أخيراً مكتبة المعـــارف بتيميمون. كما قام الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن باعومر التنلاني بشـــرحها وهو كتاب مطبوع أيضاً يحمل عنوان، والمورد العنبري لمعاني العبقري.
28. هو عبد الرحمان الأخضري، عاش في القرن العاشر الهجـــري، لـــه عـــدة مؤلفات منها: منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنـــون، والمختصـــر فـــي العبادات على مذهب الإمام مالك، نشر له في الجزائر سنة 1324هـــ وهـــو الذي نظم منه مُحمد بن أُبّ باب السهو في الصلاة (معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، وعادل نويهض ص90، ط1، 1981 م).

نظمي المسمى العبقري في شهــر	مولــد سيــد الـــورى الأغـــر
سنة عــشريــن يلـــيهــا ألــف	ومائـــة مــع ثمـــان تقــفـــو
أبياته الجم جــداها الـــميمــون	قل مائة وتسعـــة وخمســـــون
بـــه انفــــع اللهـــم مـــن قـــراه	ومـــن بناظـــر الـــرضـــى رآه
وحطه من شـــر حســود باخـــس	وآفــل نـــور حجـــاه طـــامـــس
ونـــاظر لـــه بعيــــن الســخــط	وزاعم الخطايا وهـــو المخـــطــي
واغفـــر لنـــا واغـــفــر لـــوالدينا	واغفر لمـــن علمنـــا آمــيـــنـــا
واغفـــر لكـــل مـــسلم و مسلمـــة	واغفر لمن دعا لنا بالمرحـــمـــة
بجاه أحمد الوجيه المــصـــطفـــى	ذي المجد والقدر العظيم والـــوفـــا
صلى وسلـــم الإله ذو الجــــــلال	عليه والأزواج والصــحـــب والآل

❖ أرجوزته[29] التي نظم فيها المقدمـــة الأجروميـــة، ألفهـــا ســـنة (1144هـ) وسماها: ((نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم)) وهـــي في أزيد من مائة وأربعين(140) بيتاً. بـــدأها بقولـــه:

نحمـــدك اللهـــم يا من أنعمـــا	وعلـــم الإنســـان ما لم يعلمـــا
و بـــك أســـألــك أن تصلـــيـــا	علـــى النبـــي بالبهاء حلـــيـــا
سيدنـــا محمـــد خيـــر البشـــر	وءآله مـــا لاح فجـــر وانتشـــر
وبعـــد أيهـــا الحبيب الصافـــي	المتلقي الحـــق بالإنصـــــاف
فـــذا كتـــاب نزهـــة الحلـــوم	في نظـــم منثور ابـــن آجـــروم

29. القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار، وقد وضع عليها الشيخ باي بلعـــالم شرحاً سماه الرحيق المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجـــروم وهـــو كتاب مطبوع.

وربنا المسؤول في نيل الأمـــل وفي قبول القول منا و العمـل

وختمهـا بقـولـه:

وقد أتتك في حـلاها النـزهـه حائـزة مـن الجمـال كنهـه

سنــة أربــع وأربعــيــن للخمس والسـت مـن المئينـا

فــي مائــة وأربـعيـن بـيتـا فنعـم حرا أنـت إن أغضيتـا

فأحمد الله مـنـيـل الأرب مصليـا على الرسـول العربي

وءالــه ذوي الـنـوال الجـم وصحبـه الغـر بـدور التـم

❖ نظم[30] آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويـل ألفـه سنة(1157هـ) وسماه كشف الغموم على مقدمة ابـن آجـروم. بـدأه بقوله:

لك الحمد يا الله يا من تفـضـلا ومـنّ علينـا بالبيـان وأجملا

وأهدي صلاة مع كريم تحـيـة إلى من أتى بالحق للخلق مرسلا

محمد الهادي الأمين وء الـه وأصحابه والتابعين على الـولا

وبعد فذا نظم يروق فمن يـذق جناه إلى الكتب الكبار توصـلا

أتى جامعاً لبّ المقدمة التي حوت لابـن آجروم نثـراً مفصـلا

وسميـته كشف الغموم لكـشفه عن المرء غم اللحن ساعة يبتلا

فدونـكه فاعـرف معانيـه ولا تـزل معملا للفكـر فيـه لتبتلا

30. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار، وقد وضع عليه الشيخ باي شـرحاً سماه عون القيوم شرح على كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم وهو كتـاب تحت الطبع.

وختمهـــا بقولـــه:

وأقسام مخفوضات الاسما ثلاثـــــة فمخفوض حرف قـد تقدمـا أولا

كتابع ذي خفض وما بإضــافـــــة له الخفض ياتي للثلاثـة مكمـلا

وهذا عــلى قسمين قسم مــقـــدر بـلام ومـن قسم به قـد تكفـلا

كهذا فتى زيد له عقد جوهـــــر و بعض بفي تقديـره زاد فاقبـلا

وذا منتهى المرمى وفي عام سبعـة وخمسين بعد الألف والمائة انجلا

❖ أرجوزته[31] في علم الكلام. بـــدأها بقولـــه:

حمداً لمــن في ملكــه تــوحــد وحلّ عن تعضيل من قد جــحــدا

ثم صلاة الواحد الحي الصــمــد على الرسول المصطفى بـلا أمـد

❖ أرجـــوزة[32] في مـــدح الرســـول صلى الله عليه وسلم، ضمنها أشطاراً من الألفية[33] شطراً من نظمه والآخر من الألفية، وهـــي فـــي أزيد من خمسين بيتاً. بـــدأها بقولـــه:

صلاة ربي لم تــزل متصـلـــه على الــذي استقـر أنه الصلـه

نبينــا الــذي فخـــاره أتــــى في النظم والنثر الصحيح مثبتـا

---

31. الأرجوزة موجودة بخزانة الشيخ باي بلعالم أولف أدرار.

32. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

33. هي أرجوزة شعرية احتوت ما يقارب الألف بيت في علم النحو لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ولد ســنة(600هـــ)، وتــوفي ســنة (672هــ)، له أزيد من ثمانية وثلاثين مؤلفـاً. ينظر: كتابي(أفعال الأمر التي تبقى على حرف واحد، والأفعال الواردة بالواو والياء لابـن مالـك. تحقيـق ودراسة د: مختار بوعناني).

وختمها بقولـــه:

فلا أرى بؤساً ولا أرى ضـــــرر ولا أرى منعاً إذا القصد ظهـــــر

❖ أرجوزته[34] ((روضة النسرين في مسائل التمرين)) الواردة في شافية بن الحاجب (ت.646هـ)، وهي أرجوزة في التصريف. بـــدأها بقولـــه:

الحمـــــد لله الخبير الملهـــــم من شـــاء للتعليـم والتعـلـــم

ثم على نبـيـــه أصـــلــــــى والآل والأصحـــاب أهــل الفضل

وبعـــد فاعلـــم أن هـــذا نظـــم يـــروق كـــل من لديـــه فهـــم

سميتـــه بروضة النســريـــن لجمعه مســائــل التمــريـــن

وختمها بقولـــــه:

فاصلحن يا ذا الحِجا ما من خطـــا ألفيتـــه و لا تـــدعــه سخـــطـــا

وانصح ولا تكن من الحســــاد فــإن ربــك لبلـــمـــرصــــاد

ونوّرَن قلبـــي بـــنـــور العلـــم و ارزقنـــيَ الفـــوز بحسن الختم

❖ نظم[35] مفاتيح أصول البحور. بـــدأه بقولـــه:

بدا للطويل الطيب الذوق تمثيـــل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلـــن

والمديد العزب فيه يقول القائـــل فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلـــن

وزن البسيط الذي تهواه يافاضل مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلـــن

ووافـــرها لــــه النعمات قابلــــة مفاعلتـــن مفاعلتـــن مفاعلتـــن

---

34. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار. وعندي نسخة منه.

35. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

وبهذه اللفظات يوزن كـــامـــل   متفاعلـــن متفاعلـــن متفاعلـــن
و هزج الشعر أبدته أقـــاويـــل   مفاعيلـــن مفاعيلـــن مفاعيلـــن
اسمع لرجـــز وزنه لا يشكـــل   مستفعلن مستفعلـــن مستفعلـــن
رملها فيها الأغـــاني مطربات   فاعلاتـــن فـــاعلاتـــن فاعلاتـــن
بحر سريع أحرف منظومـــات   مستفعلـــن مستفعلـــن مفعولاتن
ذو الانسراحا ستحلاه من يعقل   مستفعلـــن مفعـــولات مستفعلن
خـــذ خفيفا قد قال فيـــه الثقاة   فاعلاتن مستفع لـــن فاعلاتـــن
لبحر مهمى يضـــارع تفاعيـــل   مفاعيلـــن فاع لاتـــن مفاعيلـــن
قل ذو اقتضاب لمن قد يســـأل   مفعـــولات مستفعلـــن مستفعلن
كلمـــات مجتثهـــا مستعذبـــات   مستفع لن فاعلاتـــن فاعلاتـــن
زن المتقـــاربْ بما قـــد أقـــول   فعولـــن فعولن فعولن فعولـــن

❖ وله أيضا نظم[36] آخر في مفاتيح البحور يقول في مطلعها:

وبهـــذه الأجـــزاء تـــم الكامل   متفاعلن متفاعلـــن متفاعلـــــن
إن سعـــي فـــي رضاكم أمـــل   فاعلاتـــن فاعلاتـــن فاعلاتـــن
وفـــي أجـــزاء وافـــرهم تقول   مفاعلتن مفاعلتـــن فعـــولــــن

❖ أرجوزته[37] في أمثلة المتعدي واللازم من الربـــاعي المجـــرد. بدأها بقولـــه:

أمثلـــة مـــن فَعْـــلَلَ المُعـــدّى   عشـــرة غُـــرٌ تُعد عـــدّا

---

36. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

37. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

❖ أرجوزته[38] على معاني بعض حروف الجر، بـــدأها بقولـــه:

حمداً لما منح أســـرار الـــكــــــلام ثـــم على الرسول أفضل الـــســـــــــلام

وبعــد فالقصد بهـــذا القطـــعـــــة نظـــم معـــان لحـــروف سبـــعـــــــه

أعني بها يا ذا النهى من و إلــــى وعـــن وفي واللام والبـــا و عـــلـــــى

❖ وله أيضا من الطويل قصيدة[39] في إعراب التسبيح الذي يقـــال بعد صلاة التراويح (يا مولانا سبحانك يافعال ما يريد، يـــا قريـــب يـــا مجيب، يا عظيم ذو الجلال)، حيث قال فيه:

إذا كنت يا ذا اللب في الحق ترغب وفي الحق مـــــا يصغى إليه و يطرب

فقل يا قريب وابنــــه في ندائـــــه على الضم واقتفي نحوه فهو أصوب

ولا تستبح تنوينه يـــا أخ الحـــجا فتصحي إذا ممن إلـــى الحق ينســب

ومهمى اتى في الشعر فهو ضرورة وكم قد أباح الحظر فـــي الشعر مأرب

وقولهـــم يا حـــاضـــرا لا يغيب جا بوجهين مرويين والنصـــــب أقـــرب

كذلك يافعـــال حـــيـــث أتـــى هنا مضافا لما يريـــد بالنصب يعـــــرب

كذاك موصوفا اتى قبـــل بـــالكمـــا اشبه مضاف دون خـــلف فيــــنصب

وقل يا عظيم ذا الجلال بنـَـصب ذا .... بمقـــال ربـــــه لايثـــــــــرب

فتابع ذا الضم الـــمضاف بدون ال لدى كل نحوي ...النصــــب يوجــب

ومن يعتمد عكس الذي قد شرحته فذاك له عن مذهب الحق مـــــذهب

---

38. القصيدة مخطوطة بخزانة كوسام أدرار.

39. القصيدة مخطوطة بخزانة كوسام أدرار.

❖ منظومة[40] على البسيط في حكم التوابع في النحو بدأها بقولـــه:

إن التوابع حكمها إذا اجتمعـــت	كما تراه من الترتيب في المـــثـــل
قول جاء الغلام الهاشمي أبـــو	محمد نفسه أخـوك ثـم عـــلـــي

❖ منظومة[41] عل الكامل في النصح جاء فيها:

يا ويح مبتاع الضلالة بالهـــدى	فلسوف يندم يوم يوخذ بالنـــوا..(صي)
ما همــــه إلا لقـــاء كـواعب	عُرب تميس كأنها القصب النـــوا..( )
للنقص في الدنيا يســـاء وإنمـا	حسناته عند الحساب هي النوا...(قص)
لم يدر أن لابد يوما أن يـــرى	في آلة حدباء تنـدبه النـوى...(عي)
لكنّ من ذي حاله لم ينـــتفـع	ببكا البواكي بل ولا نـوح النوا...(حي)
فدع التكاسل واســـتعد محاذرا	بغت المنون وما ينوب من النوا..(ئب)
واذكر إلهك بكـــرة وعشـــية	واشكر له وصل الفرائض بالنوا..(فل)
واعبده واتقه ولا تــــشرك به	وافعل أوامره ولا تـــأت النوا...(هي)
واسأله لا تسأل سواه فإنــــه	من فيض أبحر جوده يرجى النوا...( )
وارغب إليه وعذ به متــــوقعا	فرجا إذا نزلتْ بســـاحتك النوا...( )

❖ أرجوزة[42] في علم الكلام سماها:((الأهنة المعجلة)) بدأها بقولـــه:

حمـــدا لمـــن في ملكه توحـــدا	وجــل عــن تعطيــل من قــد فقـــدا

---

40. المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

41. المخطوط موجود بخزانة الحاج عبد القادر المغيلي .أدرار.

42. ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01 ص91 الشيخ محمد باي بلعالم.

ثم صلاة الواحد الحي الصمد | على الرسول المصطفى بلا أمد
وآله الكرام مع صحابه | وكل من من غيه صحابه
واستعين ربنا ذا الجود | والفضل في التكميل في المقصود
من نظم شعر حسنت صفاته | يحرز ما تجب معرفته
على المكلفين في حق العلي | جل وفي حق جميع الرسل
أي ماله ومالهم عقلا يجب | أو يستحيل أو يجوز فانتدب

إلى أن يقول:

وها هنا تم الذي قصدت له | بعون ربي لهنة معجلة
ومن إلهي اسأل الهداية | إلى صواب لقول والدراية
وأن يمن بقبول العمل | بجاه أحمد الشفيع الأفضل
عليه ما لاذت به البريه | أزكى صلاة الله و التحيه
وآله وصحبه الأفاضل | ذوي التقى والفخر والفواضل
وآخر الدعوى أن الحمد لمن | تفضلا بنعمة الإكمال من

وللشيخ محمد بن أب المزمري(1160هـ) غير كل هذا قصيدة شعرية مشهورة ضمنها سؤالا عن قضية كانت متداولة في وقته وحتى قبل ذلك على ما يروى وهي قضية حلف أهل منطقة تدكلت خصوصا على مصحف[43] مشهور باسم (تنغ بويا) ومعناها بالعربية (قاتل أبي). وأخذ تسميته هذه - كما يقال- من قصة وقعت لرجل حلف على هذا

43. مخطوط المصحف كتبه إسماعيل بن أحمد بن حسان الأزهري بتاريخ الثلاثاء شهر جماد الأولى سنة872هـ وموجود حاليا في قصر أركشاش أولف أدرار.

المصحف وهو كاذب فمات لحينه. فجاء ابن الرجل الميت ونعت المصحف بقوله (تنغ أبويا) أي قاتل أبي. ومنذ ذلك الحين انتشرت هذه القصة وأصبح المصحف محكا حقيقيا لمعرفة الصادق من الكاذب في الإقليم، وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل نسبت القصة في فتواها إلى الشيخ الجليل سيدي أبي الأنوار بن عبد الكريم. ولما جاء ابن أب المزمري راح يستفسر في القصة من الشيخ سيدي أبي الأنوار نفسه في جواز أمر الحلف بالمصحف أولا، وعن صحة نسب القصة والفتوى إليه ثانيا، وكان السؤال في شكل أرجوزة[44] قال فيها:

الحمد لله الذي قد ألهما	أولي النهى تعظيم شأن العلما
ثم صلاته على محمد	و آله وكل من به اهتدى
هذا سؤال جاهل فقير	لله جان مذنب حقير
للشيخ سيدي أبي الأنوار	العالم الوالي ذي الأسرار
بعد سلام طيب عميم	عليكم ورحمة الكريم
نص السؤال أن ذا للبلدا	عادة أهلها إذا ما أرادا
أحدهم تحليف خصم بليا	أن يجلب الخصم إلى تنغ بويا
طوعا وإكراها ولا يبالي	وإن نئا منه على أميال
إذ جعلوا الحلف به مفترضا	وكل جامع سواه رفضا
وذاك أنه على ما جربا	إن حلف المرء به و كذبا
لاقى بلاء عاجلا به يحل	بل ربما لاقاه قبل أن يصل

44. ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات ج1 ص100 وما بعدها.الشيخ باي.

ذا خبــر يحكيــه غيــر واحــد عنـــه ولا يلقى له من جــاحــد

فهــل يجــاب من دعــا إليــه مــن مــدع و مــدعى عليـــه

و خصمـــه يقــول لا لغيـــــر جــامع بلــدتي يكون سيـــري

أو هو مثل سائر الجوامـــع في الحكم فاصدع بجواب قاطــع

تبيين حكم القول للخصميـــن فينجــلي الصبح لــذي عينيــن

كما هــو المعهود منـــك قبــل وبك في الخيرات تهدي السبــل

و جيء به حماك ربي نـــثــرا ثــم عــليّ أن يكون شــــعــرا

و ليس قصدي سوى إن قد كثرا إنشاده بيــن الــورى فينشــــرا

لاسيمـــا إذا به اسمـــك ذكـــر لأنـــك اليــوم إمـــام مشتـــهــر

أبقـــاك ربـــي للأنام حامــــلا لواء حكم الشرع حبرا عالــمـــا

ولما وصل نص القصيدة السؤال إلى الشيخ سيدي أبي الأنـــوار بـــن عبد الكريم أجابه بهذه القصيدة[45] حيث قـــال:

الحمـــــــد لله وصـــــلى اللـــه عــلى الــذي إلهـــه اصطفـــاه

وبعــد فالجـــواب أن الخصمـــا يمنـــع أن يجــلب خصما رغمـــا

إلى ســـوى ثلاثـــة المساجــــد فتــلك قــد ذكــر غيــر واحــد

أن لهـــا يجلب في المقاسمـــة لا غيرها مـــن كان ذا إقامـــة

منهـــا عــلى عشــرة الأيـــام فــدون لا غـــيــر بــلا مــــلام

وغيرها لا يجلب الخصم لـــــه لحَلــف ولــو غـــدا محــلــه

بل إنما للخصم فيما قـــد ورد تحليــف خصمـــه بجامع البلـــد

---

45. ينظر الرحلة العلية إلى منطقة توات ج1 ص101 وما بعدها. الشيخ باي.

فــإن لــه حلف به ما قــــدرا   فــاعدده ناكــلا على ما شهــرا
وللرضي الباجي ذي المحامــد   تحليفــه في سائــر المساجــد
فانظــر لنقــل ذاك في كبيــر   ... ذي الإحســان في التقريــر
إذا تــأملت الــذي قــد نقــلا   وبــان ما مــن الخلاف حصلا
فالخصم يجب لجامع المــحــل   كان غريبا أن يكون الحلف حل
في جلبــه لغيره بـــل ذاك لا   يدركــه فهــم الــذي تــأمــلا
وعنــه أيضا الخــلاف حفظــا   هــل اليميــن حتما أن تغلظــا
بجامــع أو هو أولى وتـــرى   فائــدة الخلاف فيما لو جــرى

والشيخ أبو الأنوار في معرض رده بـيّن لسـائله كـل الخلافـات والأوجه الممكنة في المسألة، وأشفعها قبل ذلك بأهم المصادر والمراجع التي تناولت المسألة أو ما يحاكيها ليصل في الختام إلى القــول:

هــذا جواب مفحم الممــاري   للشيخ سيدي أبــي الأنـــوار

وغير الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري(1160هـ) الذي تخصص في هذا النوع من الشعر بحكم مهنته كمدرس، فقد نظم تلميــذه الشــيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر(1189هـ) منظومة[46] في علم الفلك في أزيد من عشرين بيتا ومن بحر الرجز أيضا بحر المتون العلمية حيث قــال:

الحمــد للــه الــذي علمــنــا   من النجوم ما به اهتــداؤنـــا
في ظلمات البحــر ثم الــبــر   سبحانــه من قــادر وبـــــر
وخصنا بأفــضــل البــرايـــا   محمد ذي الفضل و المــزايــا

46. ينظر: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمان التنلاني ص56. الشيخ محمد باي. ط1 دار هومة الجزائر

صلى عليه ربنـــا وســـلــمـــــا   وآله وكــــل من له انتـــمـــى

وبعد فالقصـــد بذا المـــســـطـــور   قسم المنازل علـــى الشـــهـــور

لبعضهـــا أشـــيـــر بالـــحـــروف   بالعدد المصطلح الـــمـــعـــروف

ثم شرع بعد ذلك في ذكر رموز ومنازل الشهور بالحروف إلى أن قال في نهايتها:

قد انتهى والحمد لله على ما مَنّ من آلائه وأفضلا

وللشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم(1210هـ) قصيدة[47] شعرية مزج فيها بين مدح نبتة التبغ وبين فتوى عدم تحريمها كما قـــال:

طاب الكـــلام في مدح طابة أنها   لنـــعمت أســـــدت إلى العباد

نصـــوص حلية الشراب كثيـــرة   كالماء أشـــــرب أو كالجراد

إن رمت تحرم الحلال بزعمكـــم   نص الأئمة تلقى بالمرصـــاد

والمنع ذو علل متى ما ألقـــيت   ارم المـــعلل ذاك بالأبـــعـــاد

لا عـــلة تعـــلو تقول بـــمنعهـــا   كلا ولا نـــص من النـــقـــاد

نعم ولا أثر رووه عـــن النـــبي   فلها إذا ما أديت غير ســـداد

ليـــست بـــمسكرة ولا بمفترة   ولا إذا شـــربت أتـــت برقـــاد

إن قلت بالأسكـــار والأرقاد قـــل   إن صـــح ذاك ليـــس بعنـــاد

لا حكـــم للنادر القليل إذا جـــرى   كـــقارص الألبان في البـــلاد

هذا وعبد الحق ينظم ما تـــرى   يرجـــو الإله يـــجود بالمراد

صلى الإله على النبي مـــحمـــد   صلاة ترشّـــدنا إلى الرشـــاد

---

47. ينظر مخطوط القصيدة. خزانة قصر تمنطيط أدرار.

ولعل من أشهر المطولات في هذا الباب ما نظمه[48] الشيخ سـيدي عبد الرحمان(1209هـ)[49] بن محمد بن أحمد في شرحه لمؤلف قبلـه عرف ب((درة الغواص)) وسمى نظمه هذا بـ((شبكة القنـاص لمـا حوته درة الغواص))، والمعروفة ب((القصيدة اللغزية)) لما تضمنته من ألغاز فقهية، وأجوبة عليها. وقد جاءت هذه الأرجوزة في نحو أزيد من ألفين وسبعمائة(2700) بيتا وقال الشاعر في مطلعها:

يقول راجي رحمة وغفـران	أسير ذنبه عبيـد الرحمـان
ابن محمد هو ابـن أحـمـد	وفقه الله بكـل مقـصـد
حمدا لمن قد فتـح الأبـواب	ويسر الأمور والأسـبـابـا
ثم الصلاة والسلام أبـدا	على الرسول الهـاشمي أحمـدا
نور الهدى والداعي للرشـاد	وصفوة اللـه من العـبـاد
فاتح مـا أغلق من قلـوب	غلف بـإذن عالـم الغيوب
صلى عليه الله صبح ومسـا	والآل والصحب ومن به انتسـا
وأستعين الله فـي قصيـدة	ضـمنـتها مـسائـل مفيـدة
من جملة الألغاز و.........	لشحذ أذهان ذوي.............
ضمنتها معظم ما في الـدرة	ليسـهل الحفظ على الطلبـة
من رجز يقرب المـنثـورا	جعلته مزدوجـا مسطـورا
سميته بشبكة القنـاص	لما حوتـه درة الغـواص
وأسأل الله وفاء الـوعـد	فهو الذي لـه وجهت قصـدي

48. ينظر مخطوط القصيدة في خزانة الحاج عبد القادر المغيلي. أدرار.

49. ينظر ترجمته في فصل الأعلام.

إلى أن قال في ختامهـــا:

وها هنـــا قد انتهى نظامـــي	لــــــدرة الغــــواص بالتمـــــام
في رجب الفرد بعام مائتيـــن	والألف كاشفا به لــــكل عيـــن
أبياته ألفـــان مـــع سبعمائـــة	ونيف مبصر.................
فأحمد الله الـــذي قد انتـــهـــى	حمدا كثيرا ما له من منـــتهـــى
ثم على رسوله خير الأنـــــام	صلاته مع الســـــــلام بالـــدوام
فأحـــــمد الله بكل الحمـــــد	مصـــــــــليا مسلما من بعـــــد
على إمـــام المرسلين أحمـــد	والآل والصحب ومن به اهتـــدى

وللشيخ سيدي محمد الزجلاوي(1212هـ)[50]: ألفيـــة فـــي غريـــب القرآن رتبها على حروف المعجم، وقسمها إلى ثلاثة مباحـــث: معرفـــة الوجوه والنظائر، ثم المكرر فالقوا صر، وجاء فيها على مجمل ما جاء من الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، والتي رجع فيها كما قال إلى كتب عدة منها: الإتقان حيث قال في مطلعها[51]:

الحـــمد لله الذي قد شــــرفـــا	مباحث التفسير فيما عـــرفـــا
وجعل انتـــــحاله في الأجـــر	مثل الشهادة النفيس الذخـــر
..................عن الفروق	وحكمنا الرفع على التخفيـــف
إلى رسول الله هادي الأنـــــام	عليه أفضل الصلاة والســـلام

50. ينظر ترجمته في الجزء المخصص للأعلام.

51. ينظر مخطوط القصيدة. في خزانة قصر زاجلو وأنزجمير وغيرهـــا كمـــا توجد نسخ منه ببعض الخزائن المغربية.

وجاء أيضا أعربوا القــرآن والتمسوا غريـــــبه بـيـــانا
وقد أحلت الفكر فيه حيـنـــا حتى استبنت علمه فــــنونا
فقلت في تـــــقريبه ألفـيـــة فائقة في الكتب المحـــــوية

إلى أن يقول في ختامهـــا:

والحمـــــد لله الذي بنعمتـــه يتم كل صـــــالح من هبتــه
نسأله سبحـــانه القبول لـــه وأن يديم نفــــعه من حـــمله
بجاه خير الانبيا بدر التمـــام عليه أزكى الصلوات والسلام

وللشيخ سيدي عبد الكريم بن سيدي أحمـــد التمنطيطـــي(1298هـ) قصيدة[52] مطولة هو الأخر في ألف وخمسمائة(1500) بيت ســـماها ((تذكرة العباد في خير المعاش والمعاد)) وضمنها جملة من النصـــائح والإرشادات التي تفيد العبد في دنياه وآخرته قـــال إنـــه اســتقاها مـــن مطالعته العديدة للكتب وبما فتح الله عليه فيها بعد ذلك يقول في مطلعها:

يقول أعجز الورى مــحمـــد عبـــد الكـــريم وأبوه أحمـــد
الحمــــد كل الحمد للرحمــــان على الدوام ومع الشكــــــران
نظما على السراء والضـــراء وكل مقـــدور على الســـواء
معهما أزكى الصلاة والســـلام على محمد خلاصـــة الأنـــام
وآله وصـــحبه والتـــــابعيــن لأني لا أحصي ثناء يا معين
أعوذ بالله مـــن الشيطـــــان وأستعين الله في التبـيـــان
عسى أرى من الذين نصحوا لله والرسول فيما شرحـــوا

---

5. ينظر مخطوط القصيدة. في خزانة قصر تمنطيط أدرار.

وبعـــد لا فــلــكَ إلا الله ولا يفيـد فــي الورى ســواه
بحـكمـه تـحريك كـل ذرة وغــيرها ولــو ألوف مـــرة
وهاك جـملة مــن الفوائــد لعــلها مــن أنفــع القصائــد
جمــعــتها من كتب عديــدة وزدتـــهــا زيــادة مــفــيــدة
بيـــنتها لطالب السـلـوك معيــنة قــامعــة الشكـــوك
قيــدتهاربــاضة الصالحيــن والسالكين من أبناء المفلحيــن
ســـميتها تذكــرة العــبــاد في خيّر المعــاش والمعـــــاد
مـــع تساهلي في القوافـــي والعجز والخطـــأ من أوصافـــي
معتذرا من مقتــضى العتـــاب وراغبا في النصـــح والثوابـــي
تــرتيبها لقــد رأيت وضعــه بعد المقــدمة سبعــا كــتبــه
أبياتها ألــف ونــصف ألــف عددتـــها لهــول يوم الزحــف

وما يمكن قوله أخيرا حول هذا النوع من الشعر أنه جاء اســـتجابة لرغبة علمية ملحة دفعت الطلبة أحيانا لطلب ذلك مباشرة من شـــيوخهم الشعراء، ودفعت الشيوخ أحيانا أخرى إلى التفكير بأنفسهم في نظم كثير مما كان يدور في حلقاتهم العلمية تسهيلا على الطلبة في حفظها أولا ثم شرحها وفهمها ثانيا. كما يلاحظ أيضا أن معظم قصائد هذا النوع مـــن الشعر قد جاءت صورة طبق الأصل لما كان متداولا في الإقلـــيم مـــن متون من جهة، ولما يعتمده الشيخ في طريقة شرحها وتبســـيطها مـــن جهة أخرى، فكانت متون الآجرومية والألفية فـــي النحـــو، ومختصـــر الأخضري في الفقه والعبادات، بالإضافة إلى بعض العلـــوم الأخـــرى كالصرف والعروض وبعض النوازل المستحدثة.

المبحث الثاني

الخصـــائـــص الفـــنيـــة

1. البنـــاء الفـــنـــي

أ- الـــشـــكـــــــل

إن المتمعن أول الأمر في شكل القصيدة التواتية في هذه المرحلـــة وفي هيكل بنائها الخارجي يجدها لا تخرج عن عناصر أساسية ثلاثة: مقدمة، الوسط أو العرض، ثم الخاتمة.

❶ المقـــدمـــة:

تنوعت مقدمات القصائد عند شعراء توات بـــين مقـــدمات طلليـــة أوغزلية وبين مقدمات خاصة في الحب المحمدي أو مقدمات عامة بعيدة عن كل هذا وذاك وهي في كل هذا لم تخرج عـــن طبيعـــة المقـــدمات التقليدية المعروفة. وهذه بعض أنواع هذه المقدمات كما جـــاءت فـــي مستهل قصائد الشعراء:

1.1 المقدمة الغزلية الطللية: وهي مقدمات وقف فيها بعض شـــعراء توات على آثار وأطلال المحبوب المفترض باكيـــاً ومستحضـــرا أهـــم الذكريات. كعادة الشعراء القدامى عموما من ذلك قول الإداوعلي فـــي مطلع نونيته التي مدح فيها المصطفى(ص):

اكفف دموعك إن الجفن عبران ... بربع دار وما بالـــدرار عمـــران

تبكي عليها وما في ربعها أحـــد   من الأناس وأهل الـــربع قد بانـــوا

وفي المناسبة ذاتها وقف الشاعر سيدي محمد بن لمبـــروك علـــى أطلال محبوبته المفترضة سلمى لا ليندب ويتذكر فقط ولكن ليتخذه دليلا ومطية لحبه الأبدي الراسخ لشخص المصطفى(ص):

وقفـــتُ بربع سلمـــاك البعـــيـــد   قـــطعـــتُ دُوينَـــه كـــم بـــريـــــد

فـــقلت له مقـــالة مـــن يناجـــي   ودمـــع العـــين يجري بالخـــدود

ألا يـــا ربـــعُ حيُك أيـــن ســـــار   بـــأنـــس الصب كاعبـــة النهـــود

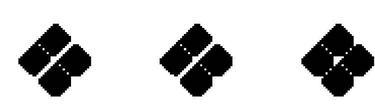
وهو ما شاركه فيه الشاعر الإداوعلي في كثير من قصائده النبويـــة خصوصا:

بربـــع الحـــي بـــدر اليمن لاحا   فـــأولانـــا بطـــلـــعتـــه فلاحـــا

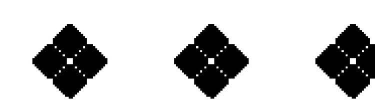
وغـــنى فيـــه قـــمـــري غـــنـــاء   أثـــار جـــوى الغـــراب فصاحـــا

وقد يقدم الشاعر التواتي لقصيده أحيانا بذكر المحبـــوب المفتـــرض والذي لم يخرج في وسمه عن الأسماء الغزلية المعروفة في هذا الباب (سلمى، سليمى، سعاد، ليلى إلخ) كما في هذه المطالع من ديوان الشاعر الشيخ سيدي محمد بن لمبروك:

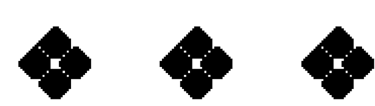
سلبـــت سلمـــاك ألـــبـــابُ اللبـــاب   ورمتني يـــومَ بانت بشهـــــاب



قصَـــدتُ سُليمـــــَى لمـــنزلهـــــا   وجدتُ به قـــومـــها مُنكـــريـــن



بانت سُعاد وبان الشيبُ في جسدي   وأضرمت جذوة الجحيم في كبـــد



عدمتَ ليـــلى أخـــي وقلبُك احترقا   من أجل فُرقتها العظمى وما سبقــــا

وكما عبر عن ذلك أيضا الشاعر سيدي لحسن بن ســـعيد البكـــري (1286هـ) في مطلع قصيدته المدحية في حق الشيخ سيدي عبد العزيز بـــن سيد الحاج البلبالي (1261هـ):

ولما غدت سلماي تر شق بالقـــنا   فؤادي لم أســـلو بهنـــد وزينـــب

ولعت طفلا في هواها فهـــا أنـــا   حليف الأسى والحزن والواشي يرقب

2. 1. **مقدمة حمدية:** وهي مقدمات يفتتحهـــا أصـــحابها بالبســـملة والحمدلة ثم الصلاة والسلام على الرسول الكريم، امتثالا لقولـــه عليـــه الصلاة والسلام(كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه ببسم الله فهو أبتـــر وفـــي رواية فهو أجزم، وفي رواية أقطع أي بمعنى ناقص البركة) وفي هـــذا المعنى جاءت مطالع العديد من القصائد إن لم يكن أغلبها من ذلك دالية الشيخ سيدي علي بن حنيني:

الحمد لله العـــظـــيـــم الأحـــد   الواجد الحي العـــزيـــز الصـــمـــد

ثم الصلاة والـــســـلام أبـــدا   على النبـــي العـــربـــي أحـــمـــد

وءاله وصحـــبـــه الأخـــيـــار   من المهاجريـــن و الـــأنـــصـــار

وقال الشيخ سيدي عبد الحق(1210هـ) في مطلع قصيدته الرثائيـــة فـــي حق ابن أخيه سيدي محمد بن البكري بن عبد الكريم(1188هـ):

على كل ما يبدوا لـــنا منك ربنا   لك الحمـــد يامن كلنـــا لك يرجـــع

وصلي وسلـــم يا إلهي على النبي   رسول أتى بالوحي بالحق يصـــدع

وقد تكون الأبيات معدودة ولا تصل حد القصيدة ومع ذلك فإن الشاعر لا يخرج في مقدمة مقطوعته عن المقدمة الحمدية الثنائية كما فعل الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم(1133هـ) في أبياته الثلاثة المدحية التـــي خاطب بها الشيخ سيدي محمد الإداوعلي(ق12هـ) حيث قال:

بسمل وأحمد مهــللا وصــل على خيــر النبيئين بـــذا تبــلغ الأملا

باب الرضى لك مفتوح فكن شاكرا أوزعك الله شكرا من صـــفا عملا

3. 1. مقدمات الحب المحمدي: وفي هذا النوع من المقدمات نجـــد الشاعر التواتي يتخذ الرسول الكريم(ص) محبوبا ومعشوقا أوحداً يسدل عليه عبارات الشوق والحنين أولا، ويشكوه ألم البعد ولوعة الفراق ثانيا وفي ذلك يقول الشيخ الإداوعلي:

علـيك صـلاة ربـك ما أراقـت رعــودُ ســحــائب مـــاءً زُلالا

ومـــا قـــال المــشوقُ وراءَ نوق ركـــابُ أحـــبـــتي قصدَت إلالا

ركـــابُ أحــبتـــي قـــصـــدَت إلالا فأضحى الصـــبرُ بـــعدَهم محالا

فقـــلـــتُ لصـــاحبي لـــما تولـــت تمســـك بالسلـــو فـــقـــال لا لا

فكيـــف الصـــبرُ عنهُـــم والتسلي ولم أرَ في الـــكَـــرَى منهم خيالا

ويقول الشيخ سيدي محمد بن لمبروك أيضا:

صلـــواتُ الإلـــه تـــترى عـــلى من اسمُـــهُ أحمـــدُ البـــشيُر النـــذير

وســـلامٌ مـــا هبـــت الريـــحُ لـــيلا ونهـــاراً ومـــا يـــفُـــوحُ عـــبير

برســـول الإلـــه جـــئتُ شَـــفـــيعا لا يخيـــبُ الـــذي به يستجـــيـــر

وقد تكون في شكل نداء استغاثة باسمي الحبيب أحمد ومحمد وبما وصفه به ربه كما فعل الشيخ الإداوعلي:

أمحـمـدُ أمحـمـدُ أمـحمـدُ يـا أحـمدُ يـا أحـمدُ يـا أحمدُ

يا دارَ خلاصي مـن كُروب ضيقـت عرضَ الفضا والقلبُ منـها مُكمد

تُغـني الفقـيرَ وأنـتَ خيرُ مُرسَل ديـنا وذاتـاً أنـتَ نعـمَ السيـد

ثبَـتَت سيـادتُك العَليةُ في الـعُـلا والأرض أنـتَ للشفاعة مُفـرد

وللإداوعلي أيضـا:

أيـا محمـدُ سامحني وخُذ بيدي واحلُل بجَاهك عند المشتكَى عُقدي

أيا محمدُ مـالي غـيرُ جاهـكُمُ بادر خديمك يا ذا الفضل والمـدد

أيـا مـحمدُ مـالي من ألوذُ بـه إذا رمَى مَوجُ بحر الذنب بالـزند

أيـا محـمدُ دَارك بالشفاعة من أتاك يشكُو من أجل الذنب هولَ غد

وقد يدعو الشاعر صراحة في مطلع قصـيدته إلـى هجـر كـل المحبوبات من سلمى ومثيلاتها وما يُذكرُ بهن من آثار، والتمسك بحـب المصطفى(ص) وفي ذلك يقول الشيخ سيدي محمد بن لمبروك:

وَدَع سُلَيـمَـاك وكُـن كارهـا لحـيَها واذكُـر خصالَ الحبيب

الطـاهر الطيـب مَـن جَاءَنـا بـمُـعجزَات ما نقَاها مُريـب

وفي مقدمات الحب المحمدي هاته قد يتخذُ الشاعرُ ترتيبا تسلسليا على حسب حروف الهجاء، أو على حسب ترتيب سور القرآن الكريم. وفـي ذلك يقول الإداوعلي على التوالي:

ألـفُ ابتـدَاء الكائنـات مُحمـد نـورُ الوجود بنـوره يتـوقد

بـــــاءٌ بـــمولـــده تَزايَـــد بشرُنـــا   والوجدُ مَن شَـــوقي لـــــهُ متزيد

تـــــاءٌ تَبارَك مَن دَعَـــاه لحضــــرَة   فيهـــا الحبـــيبُ على الأنام مسود

ثـــــاءٌ ثوابي عـــندَه يـــوم اللقـــا   عـــفـــوٌ وتـــــاجٌ دُر هُ مُتَـــوَقـــد

4. 1. مقدمات عامة: وهي مقدمات لا يتقيد فيها الشـــاعر بمقدمـــة خاصة من المقدمات السابقة، بل يخرج فيها إلى بديات عامة و مرتبطة بموضوعه المحدد، فقد تكون منه شكوى ووصف لما آلت إليه نفسه بعد غياب محبوبه، وقد تكون منه عتاب لنفسه على ما ضاع منها في حب ليلى ومثيلاتها قبل أن تتلذذ بالحب الحقيقي. يقول الشيخ ســيدي محمــد الإداوعلي في النوع الأول:

ألا مُقلتي باتَت كــمُــقلَة أرمَــــد   وحـــالي مـــما نـــابَـــها حالُ مُكمَد

تجودُ وقد ضـــاقت علي مذاهبـــي   بـــدمع كـــمنظوم النفيس المُـــبدد

وقـــد غاب أقوامٌ ألفـــتُ جوارَهُـــم فنَـــومي مـــن الأحزان نَومُ مُسَهد

تـــُراني ونـــابَتني عن القوم غيرة   كـــأني لأشـــتَات الخُـــطُوب بمُرصد

ويقول الشيخ سيدي محمد بن لمبروك في مطلع قصيدته المدحية:

ألا يـــا قـــومَـــنا قـــد بـــت أمـــس   أكـــابـــدُ في ســـواد الليـــل رمـــس

وله أيضا:

يا ويحَ من تـــبع الهَوى وغـــرُوره وابـــتاعَ دُنـــياه بـــعُـــقـــبى الدار

لا يعبأ الـــمَـــولى بـــه وبـــفعـــله مـــرصَادُه يـــعـــتـــاده فـــي النار

وقد يدخل الشاعر في مضمون نصه مباشرة ودون تقديم كما فعل الشيخ سيدي محمد عبد الله بن الحاج محمد في معرض مدحه للشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم حيث قال:

من الشوق عبد الله يسكب دمعة وبالذل قال قولا جاء مصوبا
أيا قابل الأعذار جد بمكارم على من قصته عن دياركم الصبا
أتاك يريد منك تقبل عذره وحاشاك أن ترد مثلي خائبا

وكما فعل الشيخ محمد بالعالم الزجلاوي(1212) هـ في رثائه لشيخه سيدي عبد الرحمان بن باعومر حيث قال:

وإذا ذكرت من الحوادث جمة فاذكر رزية لا رزية عوضها
واذكر أبا زيد وروعة فقده وتلهف الإسلام منه و(.......

وقد يقدم الشاعر لقصيدته بالتعريف بنفسه أولا كما فعل العديد من الشعراء وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن أب المزمري الذي يقول في واحدة من قصائده التعليمية:

قال عبيد ربه محتسبا محمد المزّمّري نسبا
الحمد لله الذي قد مهدا لنا عروض دينه وأرشدا

❷ الــوســط أو العــرض:

يشكل الوسط جوهر البناء في كل قصيدة إذ فيه يطلق الشاعر عنان خياله ليجسد أفكاره تبعا لموضوعه المختار. ولعل مــن أهــم وأكثــر الموضوعات تداولا لدى شعراء توات موضوع المدح النبــوي الــذي يشكل نقطة الارتكاز الأساسية في قريحة الشاعر التواتي، ففيه غزلــه ومدحه، وبه توسله وافتخاره. وإذا أخــذنا القصــيدة النبويــة كمثــال لمضمون ووسط القصيدة التواتية فإننا نجد الشاعر التواتي في معرض حديثه عن الذات المحمدية ينطلق من سيرته عليه الصلاة والسلام بمــا فيها من عناصر التأسي والقدوة وبما أسبله عليه ربه من صفات ليسبح في وصف الذات المحمدية، معددا خصاله وفضائله، ومــذكرا بجهــاده وغزواته، ومبينا في الوقت نفسه حاجته الشديدة لشفاعة المصطفى(ص) ورضاه عنه. ولذلك نجد الشاعر بداية يبرز شوقه وحبه للمصطفى(ص) ليتسنى له بعد ذلك الدخول في صلب المضمون. يقول الإداوعلي مــثلا في النونية:

لما تذكــرتُ أيــامَ الوصــال التــي مضت وشَطــت بمن أهواه أوطــان
جنت جنوبي إذ جــن الجنــون بهــا وجن وجــدي وللمجنــون طغيــان
إن المــجانــيــن تُرتَــجى إفاقتُهُــم إلا أنــا إننــي بالشــوق نشــوان
كم أضرمَ الحبُ نارَ الشوق في كبدي ونــاظرُ القلــب بالتذكــار لهفــان

وقد يخرج الشاعر بعد عرض مشاعره إلى وصف الرسول الكريم وتعداد فضائله وخصاله مباشرة. يقول الشيخ سيدي محمد بن لمبروك:

رفـــع الله قـــدرَه وحَــــــبــــــــاهُ واجتــبـــاه وخَـــصـــه بالصـــلاة
زرعَ الله حـــبـــه فـــي قـــلـــوب المـــؤمـــنين طرا مـــع المؤمنات
طـــلـــع البدرُ من سناه أضـــاءت مـــنه شمسُ الضحى على الفلوات

ويقول الإداوعلـــي:

هو الكـــريمُ المصـــطفى والمُنتقـــى هـــو الحـــليمُ وغيـــرُه يتـــتحلم
هو الـــذي مـــا راق قط طـــرفـــهُ مـــن زينـــة الدنيا الـــدنية درهم
هو الـــذي تُـــغني مواهـــبُ كفـــه من هو مُحـــتاج ومـــن هو معدم
فـــاطنٌ لـــبيـــبٌ واهـــبٌ متـــأدب بحـــرُ العـــطايا باسطُ اليُمن مُنعم

ثم نجد الشاعر في أحيان كثيرة ينتقل في القصيدة الواحدة من جانب وصف الذات المحمدية إلى الحديث عـــن معجزاتـــه وخوارقـــه عليـــه الصـــلاة والسلام وما خصه الله به دون بني البشر. يقول سيدي محمد بن لمبروك:

وأتـــتـــه الظبـــاءُ والضَب تسعـــى واشـــتكى ربـــه إليـــه البـــعيـــر
وبصـــاع طـــعـــام ألـــفُ جيـــاع شبـــعُوا كُـــلهـــم وذاك يـــسيـــر
هزمَ الجيشَ بالحَـــصَى إذ رمَاهـــم يـــومَ بـــدر بـــهـــا وربٌ قـــديـــر
واتَـــتـــهُ الأشجـــار حيـــن دعاهـــا ليـــتـــني لـــو حضرت حين تسير

كما قد نجدا لشاعر وهو يتحدث عن سيرته عليه الصلاة والسلام من خلال غزواته وصراعه مع قريش ينتقل للحديث عن أصحابه رضوان الله عليهم وما تعلموه منه وخصهم به المولى تبارك وتعالى:

ويومَ مكة إذ جاءت عساكرُه وفوق أرأسهم في الحرب تيجان
يؤمُهُم خيرُ خلق الله كلهم والنورُ من وجه خير الرسل عمدان
صحابةُ المصطفى لله درهُمُ ما خالفوا أمرَه قط ولا خانوا

وفيهم يقول الشيخ سيدي محمد بن لمبروك أيضا :

ثُلةٌ من أصحابه نَصَروه وجماعةٌ هاجروا للفلات
جَمَع الله شملَهُم وأبادوا الكفر واستأصَلوه بالمُرهفات

وله أيضا:

فسَل تبوكَ وبدرا عن قتالهم وسل حُنَيناً ويومَ الفتح مع أحد
يُنبيك عن ما جرى ببذل أنفُسهم نحو الجهاد بلا حَد ولا أمد

وبعيدا عن المدح النبوي قد يأتي مضمون القصيدة في تعداد الفضائل والخصال، وهذا في المدح والرثاء والفخر، كما يكون دعاء وانكسار أمام الذات الإلهية في حال الدعاء والتوسل أوما إلى ذلك. كما وجدنا بعض شعراء يجمعون بين شتى الموضوعات من فخر ومدح وغزل وحكمة وهجاء في القصيدة الواحدة على شاكلة الجاهليين كما فعل الشاعر ابن الونان في شمقمقيته.

❸ الخاتمة:

يشكل الدعاء خاتمة أساسية لمجمل القصائد التواتية لا تكاد تخلو واحدة منه، فالشاعر بعد جولته المطولة مع مضمون نصه وما قد يصاحبها من صدق في المشاعر، ينتهز لحظة القرب الصادقة تلك ليتوسل به لله سبحانه وتعالى ليحقق له رغباته في الدنيا والآخرة وليتجاوز عنه وأهله جميع الذنوب والمعاصي. يقول الإداوعلي:

ألا يا واسع الأرسال جاها وأكثرهم بخالقه اشتغالا

ويا من لم يزل برا رحيما سل الرحمان لي رزقا حلالا

وسل لي من إله العرش سرا مصونا لا أخاف له زوالا

وسل لي منه غفران الخطايا وسل لي من مواهبه نوالا

وسل لأبي وأمي منه سترا وغفرانا وجنبني الضلالا

ويقول بن لمبروك:

ربنا استجب بجاهه عزما أنت نعم المولى ونعم النصير

دمر الظالمين يا رب واهدم كيدهم وبنيانهم يا خبير

رب بالمصطفى النبي محمد قُطب جَمع الورى السراج المنير

وبآله والصحابة طرا استجب استجب لنا يا صبور

وكما قال الشيخ سيدي محمد عبد العزيز البلبالي في مدح صديقه الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الكريم الحاجب:

والله أرجو بفضل منه يرحمنا والمسلمين جميعا وهو أهل الوفا

وفي أعالي الجنان رب يجمعنا ... بجاههم وبجاه سيد الشرفا

خير البرايا وسيد الأنام ومن ... له المقام الذي لم يعطه الحُنفا

صلى عليه الإله كلما طلعت ... شمس وما سار سائر أو انحرفا

ويقول الشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ سيدي عبد الرحمان(1221هـ) في ختام قصيدته التي قالها في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر وما أعقبها من تدمير وحرق للأزهر الشريف حيث قال داعيا:

اغفر لنا يا رب كل الذنوب ولا ... تعجل عواقبنا ظلما وطغيانا

واجعل الهي ختم العمر منا على ... الدين القويم وأحسن فيه محيانا

وارحم أيمّنا والوالدين ومن ... يُنمى إلينا ومن بالقرب يغشانا

وصل ياربنا على الرسول الذي ... فاق النبيئين منصبا وتبيانا

وءاله الغر والأصحاب ما طلعت ... شمس وما هزت الجَنُوبُ أغصانا

وما تملق عبد الله ملتجئا ... ببابك الرحب يرجوا منك غفرانا

وقد يكون الختام من الشاعر دعاءً مخصوص لتسهيل زيارة قبره عليه الصلاة والسلام لما ورد فيها من الأهمية .كقول الإداوعلي:

وسل لي من إلهيَ طول عمر ... وسهل لي لزورتك ارتحالا

لكي تـُمحى المآثم والمعاصي ... وأمتثل التقى فيك امتثالا

وقد يلجأ بعض الشعراء أحيانا إلى العودة في آخر شطر في القصيدة إلى إعادة أول شطر فيها فيكون عجز آخر بيت في القصيدة هو نفسه صدر ومطلع أول بيت فيها وهي خاصية طبعت معظم إنتاج الشيخ الإداوعلي كما في هذه النماذج:

يقول في مطلع القصيدة:

عليــك صــلاة ربـــك ما أراقــــت	**رعــود ســحـــائب مـــاء زلالا**
ومـــا قـــال المشوقُ وراءَ نــــوق	**ركـــابُ أحـــبـــتي قصـــدَت إلالا**
<u>ركـــابُ أحـبتـــي قـصـــدَت الالا</u>	**فأضـــحى الصـــبرُ بـــعدَهم محالا**

ويقول في ختامهـــا:

عليــك صــلاة ربــك ما أراقـــت	**رعــود ســحـــائــب مـــاء زلالا**
وما قال المــشــوق وراء نــــوق	**<u>ركـــاب أحبـــتي قـصـــــدت الالا</u>**

ويقول في مطلع النونية:

يا رب صل على المختار ما سجعــت	**بخير سجع على الركوب ورشـــان**
أكفف دموعك إن الجــــفن عبـــران	**بربع دار وما بـــالـــدار عمـــــران**

ثم يقول في ختامــــهـــا:

يا رب صل على المختار ما سجعت	**بحسن سجع على الركوب ورشان**
وما شـــدَا هائمٌ بالهـــاشمي هـــوى	**<u>اكفُف دموعَك إن الجَفنَ عـــبـــران</u>**

وله في الدالية أيضا قوله:

<u>أبـــا محمـــدُ سامحني وخُذ بيـــدي</u>	**واحلُل بجَاهك عند المشتكى عُقدي**
أيا محمدُ مـــالي غـــيرُ جاهـــكُـــمُ	**بادر خديمَك يا ذا الفضل والمـــدد**

ثم يقول في ختامها:

بجـــاه أحمـــد بـــارك الإلـــه لنـــا	**في الأهـــل والمال والأحباب والولد**
صلى الإله عليك ما شدوت هـــوى	**<u>أبا محـــمد ســـامحنـــي وخذ بيدي</u>**

ب- المضـــمــون:

لم يختلف مضمون القصيدة عند شعراء توات كثيرا عما كان عليـــه عند سابقيهم في جل الأغراض تقريبا، ففي غـــرض المـــديح النبـــوي الغرض الأكثر انتشارا عند الشعراء مثلا لا نجد القصيدة النبوية تخرج عن مضامينها التقليديـــة المعروفـــة "الحقيقـــة المحمديـــة، الخـــوارق والمعجزات، مدح النبي، مدح الصحابة وآل البيت، الشفاعة والتوســـل. يتقدم كل ذلك العنصر الغزلي الذي يبدأ شوقا للحبيب المتخيل، وينتهـــي شـــوقا لبطحاء مكة"[53]. ومن أمثلة كل ذلك عند الشعراء السابقين نذكر في باب المقدمة الغزلية مقدمة قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير(24هـ) إذ يقول:

بانت سعـــاد فقلبي اليوم متـــبـــول   مـــتيـــم إثرها لم يُـــجز مكبـــول

ويقول البوصيري شرف الدين(696هـ) في قصيدته البردة[54] بعـــد ما استفاق من نومه والدمع يجري على خده بلا مبرر طبيعي من تذكر:

أيحســـب الصب أن الحب منكـــتـــم   ما بين منـــسجم مـــنه ومضطـــرم

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلـــل   ولا أرقت لـــذكر البـــان والعـــلم

---

5. فن المديح النبوي في العصر المملوكي ص75.غازي شبيب ص1.(1418هـ 1998م) .المكتبة العصرية بيروت.

5. المجموع الكامل للمتون ص50.

وبعد هذه المقدمة الغزلية تنقل البوصيري بين تعداد صفات الرسول الكريم وكذا خوارقه ومعجزاته، وبين مدحه لصحابته رضوان الله عليهم وآل بيته وما إلى ذلك من الموضوعات.

وبين عناصر التقليد هذه التي طبعت القصائد النبوية عند شعراء توات نجد الشاعر التواتي يضمن قصيدته بعض آرائه الخاصة في الرسول الكريم والتي تعكس في مجملها عمق محبته له صلى الله عليه وسلم. بالإضافة إلى عنصر الربط بين أجزاء النص والذي ينتهي غالبا بربط صدر البيت الأول من القصيدة بعجز آخر بيت فيها كما رأينا.

وبالانتقال إلى غرض القصيدة المتعددة الأغراض نجد الشاعر أبو الشمقمق ينطلق في قافيته من المقدمة الغزلية ليعرج بأغراض أخرى هي النسيب والغزل ثم الحماسة والفخر، والحكم والأمثال ثم المدح وهي نفسها الموضوعات التي تناولتها القصيدة قديما تقريبا وبنفس النهج(55) ومن ناحية المضمون فقد اكتفى الشاعر أيضا بنفس المعاني الشعرية في هذه الأغراض، حيث أسبل على نفسه وعلى أبيه أولا ثم أرجوزته أخيرا مجمل الصفات التي ترفعه أمام عدوه وحاسده وتعزز من مكانته في عين الملك.

والخلاصة أن مجمل هذه القصائد جاءت في مضمونها وموضوعاتها لتعكس ثقافة العصر السائدة آنذاك، وما لف حولها من

---

5. ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ج1 ص74 وما بعدها. تحقيق أحمد محمد شاكر ط3.(1421هـ.2001م) دار الحديث القاهرة.

أجواء دينية خاصة استمدت معالمها من طابع المنطقة المتميز، فكان بذلك فن المديح النبوي خصوصا "أحدَ المواضيع التي أغنت النفوس أدبيا وذهنيا، وفُجرت فيها البواعث الشعرية... فأعطى صورة صادقة انعكست على صفحتها أحداث العصر المادية والمعنوية، فكان بحق مرآة صادقة ارتسمت على وجهها الآمال والأماني، وتجسدت فيها المشاعر والأفكار لأبناء ذلك العصر برمته(56) وإضافة إلى عنصر البناء فقد طبعت القصيدة التواتية بمجموعة من الخصائص والمميزات الأخرى نذكر منها:

2. البساطة والسهولة:

إذا نحن استثنينا القصيدة الشمقمقية لابن الونان وما احتوته من ألفاظ غريبة، فإن جلّ ما وقفنا عليه من إنتاج التواتيين في هذه المرحلة قد طبع بميزة البساطة والسهولة لغة وأسلوبا، وهدف الشعراء من خلال ذلك هو إيصال أفكارهم ومعانيهم إلى الأذهان من أقرب الطرق الممكنة وبأبسط الوسائل اللغوية المتاحة بعيدا عن الغرابة والتعقيد. وفي ظننا أن هذا الأمر لم يكن باختيار الشعراء أنفسهم بل كان نتيجة حتمية لحال مجتمع غلبت عليه الأمية وتعقبته أحيانا إلى مدارس تحفيظ القرآن والأحاديث النبوية المنتشرة في الإقليم. ونتيجة

5. فن المديح النبوي ص166.

لكل هذا وذاك راح الشعراء يعبرون عن معـــانيهم بألفـــاظ وتراكيـــب سهلـــة بعيدة عن الخيال الجانح والتصوير المعقد والرمز الغامض.

3. الاقـــتـــبـــاس:

يعرف صفي الدين الحلي الاقتباس بقوله: "هو أن يضـــمن المـــتكلم كلامه كلمة أو آية من آيات الكتاب العزيز وهو ثلاثة أقســـام محمـــود مقبول، مباح مبذول ومردود مرذول"(57) ونرى أن الحلي لا يعد الأخـــذ من غير القرآن كالحديث والشعر والأمثال اقتباسا بل يســـميه تلميحـــا، ويفرق بينهما في جعل التلميح يشمل الاقتباس من القرآن ويتعداه لغيره، في حين لا يكون الاقتباس إلا من القرآن. ومنه جـــاز القـــول أن كـــل اقتباس هو بالضرورة تلميح وليس كل تلميح هو اقتباس. في حين راح البعض لا يفرق بينهما ويطلق على شتى أنواع الأخذ اقتباسا. وفي كـــل الأحوال فإن الاقتباس كان ولا يزال "عرفا بلاغيا جـــار علـــى ألســـنة الخطباء والشعراء وعلى أقلام الكتاب والأدباء ولكن طريقة الاســـتعانة به تختلف من شخص إلى شخص"(58) وهذه أمثلة لبعض أنواع الاقتباس عند التواتيين.

---

5. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ص326 صفي الدين الحلي. تحقيق د نسيب نشاوي ديوان المطبوعات الجامعية.
5. البشير الإبراهيمي أديبا. محمد عباس ص331. ديوان المطبوعات الجامعية. وهران الجزائر .

- **الاقتبـــاس من القـــرآن:**

يقول الشيخ سيدي محمد الإداوعلـــي فـــي قصيدتـــــه المدحيـــــة للرسول (ص):

فيها من الحُـــور أتراب كواعبُهـــا   نجــلُ العــيون كأنهــن غُـــــزلان

وفي الشطر الأول اقتباس من قوله تعالى: « **وكَوَاعبَ أتْرَابا** »(59)

ويقول الإدواعلي أيضا:

لأني في الهوى أفنيت عـــمـــري   ولاح الشـــيب واشتعل اشتعـــــالا

وهو مقتبس من قوله تعالى: « **وأشتَعَل الرّأسُ شيْبَا** »(60)

ويقول الشيخ سيدي محمد بن المبروك(1195هـ):

أرتجي فضل من دنـــى فتـــدلـــى   وأعــد جــــدالا لـــلمـــعضـــــلات

وهي مقتبسة من قوله تعالى: « **ثُمَّ دَنَا فتَدَلَّى** »(61).

وله أيضا في داليته قولـــه:

ويرزقنا الجنـــان و كـــل خـــيـــر   ويطفئ في غد ذات الـــوقـــود

وآخر الشطر الثاني مقتبس من قوله تعالى: « **النّار ذات الوقُود، إذّ هُم عَلَيْهَا قُعُودٌ** » (62).

---

5. سورة النبأ الآية 33.

6. سورة مريم الآية 04.

6. سورة النجم الآية 08.

6. سورة البروج الآية 5. 6.

ويقول الشيخ سيدي المختار(1226هـ) في قصيدته الدعائية التوسلية التي اشتكى فيها لله من ظلم أصابه:

أو اصـــــبر حـــتى يحكم الله بيننا وإن يعف عنكم كان موعدنا الحـــشــر

فالشطر الأول من البيت مقتبس من قوله تعالى: « **واصْبرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وهُوَ خَيْرُالحَاكمين**»[63].

ويقول الشيخ أيضا في مقطوعتـــه المدحيـــة فـــي حـــق الرســـول الأكرم(ص):

ترى الجبال بعين الرأس تحسبها في المر جامـــدة والسيـــر في الجمد

وفي البيت اقتباس من قوله تعالى« **وتَرَى الجبَالَ تَحْسَبُهَا جَامدَةً وهـــيَ تَمُرُّ مَرَّ السّحَاب**»[64].

- **الاقتبـــاس من الشعر:**

قال الشيخ الإداوعلي:

أيا مـــحمدُ مـــالي من ألـــوذ به إذا رمَى مَوجُ بحر الذنـــب بالـــزنـــد

وفي الشطر الأول اقتباس من قول البوصيري[65].

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحـــادث العـــمـــم

---

6. سورة يونس الآية 109.

6. سورة النمل الآية 88.

65. البردة. الإمام البصيري ص26 ضبط أحمد علي حسن. مكتبة الآداب1998م القاهرة.

ويقول الشاعر محمد بن المبروك(1195هـ) في تائيتة المطولة والتي نسجها على وزن الخفيف، وعلى عدد وبدايات حروف الهجاء مرتبة بحسب كل حرف مغربي وما يقابله في الترتيب عند المشارقة يقول في مطلعها:

صل يا رب ثم سلم على من　　هو بين الورى بديع الصفاتي

والشطر الأول عند الشاعر مقتبس من بيت تقدم به العامة في المنطقة لقصيدة همزية البوصيري التي جاءت على إيقاع الخفيف أيضا وقال في مطلعها :

صل يا رب ثم سلم على من　　هو للخلق رحمة وشفاء

كيف ترقى رقيك الأنبياء　　يا سماء ما طاولتها سماء(66)

وفي الشطر الأول من البيت اقتباس من قول الشاعر سيدي محمد بن المبروك(1195هـ)

صلواتُ الإله تترى على من　　اسمُهُ أحمدُ البشيُر النذير

- **الاقتباس من الأمثال والأقوال المشهورة :**

قال الشاعر ابن الونان مفتخرا بنفسه:

والله لو حلت ديار قومها　　واحتجبت عني بباب مغلق

لزرت ها والليل جون حالك　　وجفنها لم يكتحل بأرق

مع ثلاثة تقي صاحبها　　ما لم تكن نون الوقاية تق

---

6. قصيدة الهمزية. دار الكتاب. الدار البيضاء المغرب د ت.

وفي الشطر الأخير من البيت الثالث اقتباس من أقـوال النحـاة لأن الكسر الذي تقيه نون الوقاية يناسب الضرر الذي يقيه أصحابه الثلاثة.

4. التـكـرار:

ويقصد به تكرار المعنى الواحد في القصيدة الواحدة أحيانا، أوفـي قصائد مختلفة حينا آخر، وقد تجلى هذا بوضوح في الأغراض الدينيـة كالدعاء والتوسل والمدح النبوي وهو تكرار قصد بـه أصـحابه إلـى "توكيد المعاني وإعطائها صفة الحتمية والوجوب، وقد يقصد بـه إلـى الاستثارة والحماس في نفوس الجمهور حتى يستحوذ علـى مشـاعره ويحرز إعجابه وهي طريقة تقررها أصول الخطابة العربية"(67) ومـن أمثلة المعاني المكررة في هذا الإطار عبارة الصلاة والسـلام علـى رسول الله(ص) حيث نجد الشاعر محمد بن المبروك(1195) يكررهـا في صدر كل أبيات قصيدته الرائية باستثناء أبيات المقدمـة الأربعـة حيث يقول:

صلـى عليـه الله جل جـلالـه   ما دارت الأفـلاك بـالأقـدار
صلـى عليـه الله جل جـلالـه   ما جـود القـرءان صوت القار
صلـى عليـه الله جل جـلالـه   ما سـار ركب راكـب الأكـوار
صلـى عليـه الله جل جـلالـه   ما غرد القمري فـي الأوكـار

---

6. شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة. الدكتور أبو القاسم سعد الله ص217. ط3، 1984. الدار العربية للكتاب.

صلـــى علــيـــه الله جل جــلالـــه   ما فاح زهر الطيب فـــي الأشجـــار

ومن الوقوف على صدر الأبيات المكرر كمحور للبناء الشعري في هذا الفن ينتقل الشاعر سيدي محمد بن المبروك إلى أعجاز الأبيات هذه المرة ليرتكز عليها في بنائه الشعري صانعا مـــن مضـــاعفة كلماتهـــا عـــددا لا متناهيا لشوقه وحبه .إذ يقول من بحر الوافـــر:

ألا صـــلوا على الهادي تنالـــوا   ثـــوابـــا فـــي ثواب في ثواب

فمن صلى عليه يُـــذاد عـــنــــــه   عذابا في عذاب فـــــي عـــــذاب

يبرقعـــه الإلـــه بكـــل ستـــــر   حجابا في حجاب فـــي حجـــــاب

وقد نجد الشاعر التواتي أحيانا يكرر اللفـــظ الواحـــد فـــي أشـــكاله المختلفة في مطلع القصيدة أحيانا وفي مطلع كل بيت من أبيات القصيدة أحيانا أخرى كما هو الحال مع اسمي المصطفى(ص) محمد وأحمد وهذا إلحاحا من الشاعر في الطلب والدعاء مثلما فعل الشاعر سيدي محمـــد الإداوعلي في مطلع داليته:

أمحـــمدُ أمحـــمدُ أمـــحـــمـــــدُ   يـــا أحـــمدُ يـــا أحـــمدُ يا أحمدُ

يا دارَ خلاصي من كُروب ضيقت   عرضَ الفضا والقلبُ منها مُكمـــد

وفعل أيضا على مستوى مطالع أبياته الخمسة وثلاثـــين بيتـــا مـــن مجموع أبيات داليته الثانية السبعة وثلاثين بيتا كما في قوله:

أيـــا محمدُ سامحني وخُذ بيـــدي   واحلُل بجَاهك عند المشتكى عُقدي

أيـــا محمدُ مالي غـــيرُ جاهكُـــمُ   بادر خديمَـــك يا ذا الفضل والمدد

أيـــا محمدُ مالي من ألـــوذُ بـــه   إذا رمَى مَوجُ بحر الذنب بالزنـــد

أيــا محمدُ دَارك بالشفاعة مـــن أتاك يشكُو من أجل الذنب هولَ غد

أيــا محمد أنت المستغيــث بـــه فكيــف أدلــو بأوطـــاري إلى أحد

5. طـــول الـــنـــفـــس:

ويتجلى ذلك خصوصا في نظـــم الشـــعراء لقصـــائد طويلـــة ذات الموضوع الواحد في غالب الأحيان، وذات الموضوعات المختلفة فـــي أقل الأحيان. وهي ميزة طغت على جل إنتـــاج الشـــعراء التـــواتيين، وهدفوا من خلالها إلى تكرار المعاني وتبسيطها قصـــد إيصـــالها إلـــى الذهن نذكر من ذلك تمثيلا:

- قصيدة (شبكة القناص لما حوته درة الغواص) للشيخ سيدي عبـــد الرحمان بن محمد بن يوسف التي ضمنها ألغازا فقهية وأجوبـــة عليهـــا وسار بها من بدايتها على طريقة السؤال والجواب. وعددها في مايزيـــد على الألف وسبعمائة بيت شعري (1700) حيث قال في مطلعها:

يقـــول راجـــي رحمة وغـــفـــران أسيـــر ذنـــبه عبـــيد الـــرحـــمـــان

ابـــن مـــحمد هو ابـــن أحـــمـــد وفـــقـــه الله بـــكـــل مـــقـــصـــد

- قصيدة (تذكرة العباد في خير المعاش والمعاد) للشيخ سيدي عبد الكـــريم بـــن ســـيدي أحمـــد التمنطيطـــي التـــي نظمهـــا فـــي ألـــف وخمسمائة(1500) بيت وجاءت منه كما قال عصارة تجربته ومطالعته لشتى أنواع الكتب، فجاءت بذلك تحمل في طياتها جملة مـــن النصـــائح والإرشادات يقول في مطلعها:

يقول أعــجز الورى مـــحـــمـــد عبــــد الكــريم وأبــوه أحـــمـــد

الحمـــــد كل الحمــد للرحمـــان على الــدوام ومـــع الشــكــران

♦ قصيدة الشمقمقية للشاعر ابن الونان(1187هـ) والتي أخذت اسمها من لقب شهرة الشاعر فصارت تعرف بالشمقمقية .وبلغت في مجمــوع أبياتها حد المائتين وخمسة وسبعين بيتا(275) بيتا. والقصيدة جاءت في بنائها على طريقة الجاهليين حيث ضمت أغراض عدة ووقف الشـــاعر في مطلعها على الأطلال ليعرج بعدها على التغزل بالأحبـــة ووصـــف الإبل التي حملتهم، ثم مر بعد ذلك إلى باب الافتخار بنفسه وبشـــجاعته في تخليص الأحبة والظفر برضاهم، إلى أن وصل إلى مدح الســـلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الذي أكرمه هو ووالده مـــن قبـــل وأجزل عطاياهما. حيث يقول الشاعر:

مهلا عـــلى رسلك حـــادي الأينق ولا تكلفــهـــا بمـــا لـــم تطـــــق

فطـــالمـــا كـــلفتهـــا وســـقتهـــا سوق فتى من حالها لـــم يشـــفق

♦ قصيدة الورشان للشيخ سيدي محمد الإداوعلي، وهـــي قصـــيدة فـــي مدح الرسول(ص) ونظمها الشاعر في مائـــة وإثنـــين وثلاثـــين بيتا(132) بيتا، وجاء فيها على معظم مراحل سيرته عليه السلام حيث قال في مطلعها:

أكفف دوعك إن الجفن عبـــران بربع دار وما بالـــدار عمـــران

تبكي عليها وما في ربعها أحـــد من الأناس وأهل الربع قد بانوا

• قصيدة ابن أب في مدح الرسول(ص) والتي أنشأها على وزن جديد سماه المضطرب، وبلغ فيها تسعة وثمانين بيتا(89) بيتا، حيث قال في مطلعها:

صلّ يا إلهي ثم سلّم دائما على خير الأنام

ما دعاك أو لبّاك محرمْ قاصداً إلى البيت الحرام

• قصيدة السيخ سيدي المختار بن سيدي بابا احمد الكنتي(1226هـ) التوسلية، والتي جاءت في ستة وثمانين بيتا(86) بيتا واستنجد فيها الشاعر سيدي محمد من ظلم ألم به من مجموعة من الناس وقال في مطلعها:

الحمد لله الذي بفضله منّ على عباده برسله

وصل يارب على من أرسلا مبينا لشرعه مسهلا

• قصيدة الشيخ سيدي أحمد زروق بن سيدي محمد بن صابر البداوي الجعفري(1244هـ) التوسلية على بحر الطويل والتي توسل فيها لله عز وجل بأسماء رسوله الحبيب(ص) طالبا النجاة وقومه من مرض الطاعون الذي انتشر في وقته. وهي قصيدة بلغت واحدا وثمانين بيتا(81) بيتا وقال في مطلعها:

إلهي لك الحمد المؤزر بالشكر وكل الثنايا يا مالك الخلق والأمر

تباركت رحمانا رحيما مهيمنا لطيفا خفي اللطف في آزم الدهر

• ويضاف إلى كل هذا عشرات القصائد التعليمية التي نظمت المتون العلمية كالأجرومية والألفية في النحو وغير ذلك ونذكر من ذلك تمثيلا:

* نظم باب السهو من مختصر الأخضري في العبادات، للشيخ محمد بن أب المزمري(1160هـ) والذي ألفه سنة(1128هـ) وسماه العبقري وهو في مائة وتسعة وخمسين(159) بيتاً. يقول في مطلعه:

الحمد لله الجزيل النعم مرشد من عن سبل الحق عم

ثم صلاة الله يتلوها السلام على رسول الله سيد الأنام

* نظم المقدمة الأجرومية للشيخ ابن أب أيضا، ألفه سنة(1144هـ) وسماه نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وجاء في مائة وأربعين(140) بيتا. بدأه بقوله:

نحمدك اللهم يا من أنعما وعلم الإنسان ما لم يعلما

* أرجوزة في علم الكلام لمحمد بن أب المزمري(1160هـ) أيضا سماها الأهنة المعجلة وجاءت في اثنين وستين بيتا(62) بيتا بدأها بقوله:

حمدا لمن في ملكه توحدا وجل عن تعطيل من قد فقدا

ثم صلاة الواحد الحي الصمد على الرسول المصطفى بلا أمد

ومثل هذه القصائد وغيرها كثير في دواوين التــواتيين، وجــاءت تشير في مجملها إلى سعة ثقافة الشاعر التواتي، وهو ما فــتح أمامــه كــل هذا الحيز للحديث بهذا النفس الطويل، كما جاءت هذه القصـــائد الطويلة أيضا لتبرز بوضوح ثقافة الشــاعر التــواتي الشــعرية مــن عــروض ووزن وقافية.

6. التـــسميـــط:

وهو " أن يُصيّر الشاعر كل بيت أو بيتين أربعة أقسام ثلاثة منهــا على سجع واحد مع مراعاة القافية"[68] أو هو تقسيم البيت إلى أجــزاء عروضية مقفاة على غير روي القافية[69] ويُفَرّق بينه وبــين التســجيع فــي كون أجزائه غير ملتزمة أن تكون على روي البيت إضافة إلــى كون أجزائه تكون متزنة[70] ومن أمثلته عند شعراء توات ما نجده فــي قصيدة الشيخ سيدي محمد عبد العزيز البلبالي فــي رثــاء الشيخيــــن سيــدي عمــر بن عبد الرحمان وسيدي عبد الله بــن عبــد الرحمــان حيــن قــال:

أعقل من نال الحجا. وعلم العلم هجا فكم أبانا مخرجا. من الخطوب الكبرا

---

68. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. صفي الدين الحلي ص196.

69. ينظر: علم العروض. فاطمي أبوسلهام. تحقيق عميار سيدي علي. منشورات الشهاب. 1996.الجزائر.

70. ينظر شرح الكافية ص196.

وكم غبي نبها. وكم حديث نوها وحج محفوف البها. ونال لمس الحجرا

فروي هذه الأبيات هو الراء لكن الشاعر لم يكتف بذلك بـــل قســـم أبيات قصيدته إلى أجزاء عروضية متساوية ومقفاة هي الأخرى.

7. الإيـــقـــــاع:

مما لاشك فيه أن الشعر العربي هو في عمومه شعر غنائي وجداني ومن هنا كانت "الموسيقى عنصرا أساسيا في العمل الشعري ، إذ يعتمد عليها كثيرا لطبع هذا العمل بالفنية والجمالية التي تساعد على التأثير في المستمع والمتلقي"[(71)] ولقد أدرك شعراء توات أهمية الإيقـــاع فـــي أي عمل شعري فراحوا يتخيرون لقصائدهم ما يناسب معانيها طولا وقصرا في المقاطع المشكلة للأوزان من جهة، وما ينسجم مع واقـــع نفســـيتهم صفة ونوعا بالنسبة للقوافي وأحرف الروي.

ولما كان معظم ما وقفنا عليه من أشعار هذه المرحلة تقريبـــا هـــو تعبير عن حالة الحب والتعلق العاطفي، مدحا رثاء، ودعاءا فقد ركـــز جل الشعراء في نظمهم على بحري الطويل والبسيط لما لهما من قـــدرة كبيرة في استيعاب أهم هذه المعاني وغيرها بالإضافة إلـــى تخصـــيص وزن الرجز لجل منظوماتهم التعليمية، وما عدى ذلك فإن حضور بقيـــة

---

71. أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث(1925/1976) ج2 ص343. محمد ناصر. المطبعة العربية غارداية الجزائر 1992م .

البحور في دواوين الشعراء كان قليلا إن لم يكن معــدوما وهــذا مـــا توضحه النسب الآتية:

الرقم	البـــحـــر	عدد الاستعمالات	النسبة المئوية
01	الطويل	25 مرة	19.08%
02	المديد	02 مرة	01.52 %
03	البسيط	23 مرة	17.55 %
04	الوافر	09 مرة	06.87 %
05	الكامل	13 مرة	09.92 %
06	الهزج	02 مرة	01.52 %
07	الرجز	24 مرة	18.32 %
08	الرمل	06 مرة	04.58 %
09	السريع	06 مرة	04.58 %
10	المنسرح	04 مرة	03.05 %
11	الخفيف	06 مرة	04.58 %
12	المضارع	02 مرة	01.52 %
13	المقتضب	02 مرة	01.52 %
14	المجتث	02 مرة	01.52 %
15	المتقارب	05 مرة	03.81 %
16	المتدارك	00	00.00 %

ولعل في هذه النتائج وما نراه من تفوق عددي لبحري الطويل والبسيط عما سواهما هو امتداد لحضورهما معا في دواوين الشعر العربي عامة ذلك أن الطويل هو من أكثر البحور الشعرية استعمالا ويكاد يُكَوّن ربع الشعر العربي تقريبا، ويأتي البسيط بعده مباشرة[72] وهذا بخلاف ما يسجل في معظم الشعر الجزائري الحديث[73]، والذي اعتلى عرشه عموما وزنا الكامل والمتقارب وتأخر البسيط إلى الرتبة الخامسة متقدما بحر الطويل.

ولعل أهم ما يسجل في باب الوزن لدى شعراء توات هو ما انفرد به الشاعر محمد بن أب المزمري(1160هـ) في نظمه على إيقاع جديد وغير معروف ضمن الأوزان الخليلة الستة عشرة، ولا في أوزان المولدين الستة وهو ما سماه وزن المضطرب وحدد إيقاعه وتفعيلاته في قوله:

فاعلن فعولن فاعلاتن   فاعلن فعولن فاعلاتن

ولما كان من غير الممكن أن يجد الشاعر لوزنه تطبيقا في أشعار العرب، ويكون بذلك قد تداركه على الخليل أو من جاء بعده أوجد

---

72. ينظر: قواعد الشعر. مصطفى حركات ص56 و75. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر.1989م .

73. ينظر الإيقاع في الشعر الجزائري ص69. د حسين أبو النجا ط1 ديسمبر 2003 دار هومة الجزائر.

الشاعر لنفسه مجالا شعريا وقصيدة مدحية من تسعة وثمانين بيتا في مدح المصطفى(ص) قال في مطلعها:

صلّ يا إلهي ثم سلم دائما على خير الأنام

/ 0 / / 0 / 0 / 0 / 0 / 0 / / 0 / 0 / / 0 // 0 / 0 /0 / / 0 / / 0 / 0

فاعلن فعولن فاعلاتن فاعلن فعولن فاعلاتن

أما الميزة الثانية التي طبعت إنتاج بعض الشعراء هو ما برع فيه الشاعر سيدي محمد بن المبروك الجعفري(1195هـ) وذلك بنظمه للقصيدة الواحدة على وزنين مختلفين وهذا بإضافة كلمة وإسقاطها داخل كل شطر من أشطار القصيدة ودون أن يتغير المعنى العام للقصيدة، كما في قوله على وزن المنسرح أولا:

عدمتَ ليلى وقلبُك احترقا من أجل فُرقتها وما سبقا

عاهدتها في الدجى بقبتها وكنت تطرقها إذا اتسقا

والقصيدة جاءت مدحية وبلغ عدد أبياتها تسعة وعشرين بيتا وهي في مدح المصطفى(ص) حتى يتسنى للشاعر الانتقال إلى وزن البسيط الذي أراده لنظمه هذه المرة راح يضيف كلمات بعينها داخل أشطار نفس القصيد وبما لا يتعارض مع معناه العام حيث قال:

عدمتَ ليلى(أخي) وقلبُك احترقا من أجل فُرقتها(العظمى) وماسبقا

عاهدتها في الدجى(ليلا) بقبتها وكنت تطرقها(به) إذا اتسقا

8. وحـــدة القـــافـــيـــة:

لقد شكلت القافية عند الشعراء قديما أحد أهم أركان الشـــعر علـــى حـــد وصف ابن جني لها حين قال: "الا ترى أن العناية فـــي الشـــعر إنـــما هـــي بالقوافي لأنها المقاطع وفي السجع كمثل ذلك. نعم وآخـــر السجعة والقافيـــة أشرف عندهم من أولها والعناية بها أمـــس والحشـــد عليها أوفى وأهـــم"(74).

وعلى الرغم من خاصية طول النفس التـــي ميـــزت جـــل إنتـــاج الشعـــراء التواتيين إلا أن هؤلاء الشعراء التزموا التزاما كليـــا بوحـــدة القافية داخل القصيدة بأكملها في كثير من الأحيان، وبقافية البيـــت فـــي أقـــل الأحيان، وخصوصا مع المنظومات التعليمية التي هـــدفت إلـــى البساطة والسهولة، كما في منظومة ابن أب فـــي بـــاب الســـهو علـــى مختصر الأخضري في العبادات والتي ألفها ســـنة(1128هـ) وســـماها العبقري وجاءت منه في مائة وتسعة وخمسين(159) بيتـــاً وبقافـــــية البيت الواحد حيث يقول:

الحمـــد لله الجـــزيـــل النـــعـــم　　　مرشد من عن سبل الحـــق عـــم

ثـــم صلاة الله يتلوها الـــســـلام　　　على رســـول الله سيـــد الأنـــام

---

74. الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني ج1 ص85. تحقيق علي نجار ط4. الهيئة العامة المصرية للكتاب1999م.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما نظمه الشاعر سيدي علي بن حنيني (1115هـ) في دعائه للزاوية البكرية ومؤسسها سيدي البكري حيث قال:

الحمد لله العظيم الأحد   الواجد الحي العزيز الصمد

ثم الصلاة والسلام أبدا   على النبي العربي أحمد

وما يسجل هنا أيضا أن هذه القوافي جاءت متنوعة بين الإطلاق والتقييد والتجريد ولم يلتزم فيها أصحابها - إلا نادرا- بما لا يلزم الشاعر. أما عن حرف الروي فقد جاء عندهم موزعا على ثمانية عشر (18) حرفا يأتي في مقدمتها حرف الدال، يليه حرف الراء وبعدهما يأتي حرفا الميم والباء بعدد متساو. أما بالنسبة لحرف الوصل فإنه جاء متنوعا هو الآخر في قصائد الشعراء بين حروف المد الثلاثة (ا و ي) من جهة، وبين حرف الهاء الساكن والمتحرك من جهة أخرى، وما قيل عن حرف الوصل يقال أيضا عن حرفي الخروج والردف. وإلى هذا كله فقد سلمت معظم هذه القوافي من العيوب المعروفة في هذا الباب.

9. التأريخ للقصائد:

ويكون ذلك وفق نظام حساب الجُمّل ويسجل في آخر أبيات القصيدة، ولقد كثر هذا النوع من التأريخ عند شعراء توات وجاء عندهم أحيانا للتدليل على تاريخ انتهاء النظم، كما جاء في أحيان أخرى وفي غرض الرثاء خاصة لتأريخ سنة وفاة المرثي.

حيــث نذكــر مــن النوع الأول قول الشاعر سيدي محمد بن المبروك (1195هـ) في رائيته المدحية في حــق المصطفى(ص) والتـــي أرخ لنظمها بحساب الجُمّل بقولــه: (في رجب فـــي عام أفقــش) وهو مــــا يساوي:[75]لهمزة: 01، لفاء: 80، القاف: 100، الشيـــن: 1000 أي شهــر رجب عام واحد وثمانين ومائة وألف(1181هـ) والتــي يقــول فـــي مطلعها:

تباعد ريعــان الشبــاب الغــزيـــر وجاء المشــيــب أيــن عنه أطيــر

وختمها بقوله:

ففي رجب في عام(أفقش)مدحت مــن علــيه جــزاء جــنـــة و قــصــور

ولقد أرخ الشيخ سيدي محمد عبد العزيز بن الشيخ سيدي محمـــــد بن محمد عبد الرحمان البلبالي(1161هــ) لقصيدته التــي قالهــا فـــي مـــدح صديقه سيدي عبد الله بن سيدي عبد الكريم(1161هــ) والتـــي مطلعـــها:

كيف اصطباري على خل شغفــت به قد كان بالفضل والتقوى قد اتصفا

في عام(حل) بعيــد(رش) أنـــشـــأه عبد العزيز محــمد يرجو الخلفـــا

---

7. ينظر: المساعد على بحث التخرج .الدكتور مختار بوعناني ص100 وما بعدها ط2 ربيع الأول1419هــ، جويلية 1998م. وهران الجزائر.

وهي تساوي بحساب الجمل: الحـــاء:8، الـــلام:30، الـــراء:200، الشيــــــن:1000 والمجمـــــــوع: ثمانيـــــة وثلاثـــين ومــــائتين وألـــف(1238هـ)[76]

ويقول سيدي محمد بـــن المبــروك في رثـــاء الشيـــــخ سيـــــدي عبد الرحمان بن عمر الذي وافته المنية في الديار المصرية أثناء عودته من الحج:

توفي في مســــاكن مــصر فجرا   وكـــم صلت عليه من صفوف

وفي عام(طففش) في اليوم الموفى   لــ(طك) صفر مضى اجل النظيف

وقد أرخ الشيخ لحادثة الوفاة بقوله:(عام طففش) وهو ما يســاوي: الطاء: 09، الفاء: 80، القاف: 100، الشين: 1000 وهو ما يعادل عام تسعة وثمانين ومائة وألف(1189) أما اليوم تحديدا فرمز لـــه بقـــولـــه (طك) فالطاء تساوي: 09، والكاف تساوي: 20، المجموع: 29.

وفي النوع الثاني من أشكـــال التأريـــخ نجــــد الشـــاعر ســـيدي محمـــد بن المبروك (1195هـ) يؤرخ في قصيدته الرثائية التي نظمها فـــي حـــق الشيخ سيدي محمد بن البكري(1188هـ) لوفـــاة المرحـــوم بقولـــه:

في ليلـــة العشرين من صــفــــر   من (حفــقــش) ودى الـــودود

ليلـــة الإثنيـــن قضى نحـبـــه   عامله يارب بمأوى الخـلــــود

---

76. ينظر: المساعد على بحث التخرج ص100 وما بعدها.

وفي المناسبة ذاتها وحينما نظم الشيخ سيدي عبد الحق (1210هـ) مرثيته في حق الشيخ سيدي محمد بن البكري(1188هـ) أرخ لها الشيخ سيدي عبد الحق تأريخا مفصلا باليوم والشهر والسنة وذلك بقوله:

وفي صفر بليل كان مماته بالاثنين قبل الفجر والناس هجع

وفي عام(حفقش) أتاه رسوله يؤمله ما باله يتطلع

وبهذا يكون تاريخ وفاتهما قبل طلوع فجر ليلة الإثنين من شهر صفر عام(1188هـ) والذي أشار إليه بحساب الجمل بكلمة(حفقش) التي تساوي بحساب الجمل: الحاء=8، والفاء=80، والقاف=100، والشين=1000، وتجمع ثمانية وثمانين ومائة وألف(1188هـ)[77].

وفي المناسبة نفسها وحينما ألف الشيخ محمد بالعالم الزجلاوي (1212هـ) مرثيته التي مطلعها:

و إذا ذكرت من الحوادث جمة فاذكر رزية لا رزية عوضها

أرخ لوفاة المرحوم هو الآخر بقوله :

ألمت نفوس العالمين بفقده من مصر في صفر ب(طفقش) رمضها

وفي قصيدة الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن إدريس التي رثى بها الشيخين سيدي عمر بن عبد الرحمان وسيدي عبد الله

---

7. ينظر: المساعد على بحث التخرج ص100 وما بعدها.

بن سيدي عبد الرحمان بعد موتهما في الصحراء وفي يوم واحد وذلك أثناء سفرهما معا والتي مطلعها :

ألا في سبيل الله فيما أصابنا من الهم والأحزان والضيق والنكر

وفي الختام أرخ للوفاة بقوله:

و(اشكر) عام فقدهم لذهابهم إلى الواسع الوهاب والواحد البر

كلمة (أشكر) ترمز لتاريخ وفاتهما بحساب الجمل: الألف=01 الشي=1000، الكاف=200، الراء=200، أي بتاريخ الأربعاء 14 جمادي الأول(1221هـ)

وحينما رثى الشيخ سيدي عبد العزيز بن محمد البلبالي(1261هـ) الشيخ والولي الصالح سيدي امحمد الونقالي(1175هـ) أرخ هو الآخر لتاريخ نظمه هذا بقوله:

في عام(حل) بعيد(رش) قد نظما عبد العزيز محمد يرجو خلفا

ولفظة (حلرش) =الحاء=8، اللام=30، الراء=200، الشين=1000، المجموع ثمانية وثلاثين ومائتين وألف(1238هـ).

وإذا انتقلنا إلى الشعر التعليمي فإننا قلما نجد قصيدة تخلو من التأريخ لنظمها على نحو ما فعله الشيخ محمد بن أب المزمري في هذا الباب تمثيلا لا حصرا وذلك في:

1. قصيدته في فك البحورو التي بدأها بقوله:

بدأت بحمد الله رب مصليا على الهادي أحمد الرضا علم الهدى

وختمها بقولــــه:

بحمد إله العرش في عام (ويقش) ولا حــول إلا بـــالله ولا قـــوى

وهو ما يوافق تاريخ(1116هـ).

2. قصيدته التي نظم فيها مقدمة ابن آجروم والتي أرخها بقوله:

قد تم ما أتيــح لي أن أنشــئــه في عام عشرين وألــف ومــئــه

3. قصيدته في علم العروض والتي سماها روائق الحلل فـــي ذكـــر ألقاب الزحاف والعلل. وذكر فيها مجموع الزحافات والعلل التي تعتري البيت التفعيلات العروضية. وأرخ لها بقوله:

وهاهـــنا قــد انتهى مرامـــي والحمـــــد لله علـــى التمــام

سنـــة ســت مع عشريــن التــي بعيـــد ألــف سنـــة و مائــة

4. قصيدته في باب السهو على مختصر الأخضري في العبـــادات، والمسماة بالعبقري أرخ لها بقوله:

سنة عشــرين يليــهـــا ألــف ومائـــة مـــع ثمـــان تقــفـــو

5. قصيدته التي نظم فيها مجددا المقدمة الأجرومية، وسماهها نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم والتي تقع في مائـــة وأربعـــين(140) بيتاً.أرخها بقوله:

سنـــة أربـــع وأربـــعـــيـــــن للخمــس والســت مــن المئينــا

6. نظم آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل سماه كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم أرخ له بقوله:

وذا منتهى المرمى وفي عام سبعة وخمسين بعد الألف والمائة انجــل

10. تسمـــيـــة القصـــائـــد:

ونجد هذا الأمر يتكرر بكثرة في الشعر التعليمي وفي نظمهم للمتون العلمية، حيث يختار الشاعر التواتي لنظمه اسما خاصا يُعرَف به خلافا له مع أصل المتن، ومن أشهر الذين تميزوا في هـــذا المجـــال نـــذكر الشاعر محمد بن أب المزمري(1160هـ) ومن أشهر قصائده في هـــذا المجـــال:

1. نظمه على باب السهو من مختصر الأخضري فـــي العبـــادات، والذي ألفه سنة(1128هـ) وسماه العبقري، كما قال:

من نظم سهو الشيخ الأخـضـري   معتـذرا لكـــل لـــوذعـــي

من فرط جهلي و قصـور فهـمـي   وخطــرات لا تـــزال تهمـــي

برجـز سميـتـه و هـو حــري   بالعبقري في نظم سهو الأخضري

2. قصيدته في نظم المقدمة الأجرومية، والتي ألفها سنة(1144هـ) وسماها نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم، كما قال:

فـذا كـتـاب نـزهـة الحـلـوم   في نظـم منثور ابـن آجـروم

3. نظم آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل ألفه ســنة (1157هـ) وسماه كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم. حيث قال فيه:

وبعـد فذا نظم يروق فمن يـذق   جناه إلى الكتب الكبـار توصـلا

أتى جامعاً لبّ المقدمة التي حوت   لابـن آجـروم نثـراً مفصـــلا

وسميته كشف الغموم لكشفـــه   عن المرء غم اللحن ساعة يبتـلا

4. أرجوزة في التصريف والتي نظم فيها مسائل التمرين الــواردة في شافية بن الحاجبت(646هـ) وسماها روضة النسرين، حيث قال:

وبعـد فاعـلـم أن هـذا نظـم يـروق كـل من لديـه فـهـم

سميتـه بروضـة النسـريـن لجمعه مسـائـل التـمـريـن

11. تعريف الشاعر بنفسه داخل النص:

وهي ميزت أيضا طبعت معظم إنتاج شعراء تـوات حيـث نجـد الشاعر وقبل الولوج إلى صلب موضوعه يعرف بنفسه وذلـك بـذكر اسمه واسم والده ونسبه أحيانا، وقد يتعداه إلى ذكر موطنـه وأصـول نسبه. ويكون ذلك بشكل جلي ومفصل في النثر بينما يلجأ الشاعر إلـى الاختصار والاقتصار على أهم الأهم. ولعل في ضياع كثير مـن آثـار السلف وتداخله بعضه البعض في نسبته إلى مؤلفـه، وتحديـد زمانـه ومكانه سببا كافيا للجوء معظم المؤلفين إلى طريقة التوقيع على الآثار، وذلك بذكر أسمائهم وأنسابهم بالإضافة إلى تواريخ نظمهم وما إلى ذلك. ومن أمثلة ذلك ما نجده عند الشاعر محمد بن أب حيث يقول في مطلع قصيدته في نظم متن الأجرومية:

قال ابن أبّ واسمه محمـد الله في كـل الأمـور أحمـد

وقال أيضا عن نفسه في قصيدته في علم العروض والتي سـماها روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل .

قـال عبيـد ربـه محتسبـا محمـد المـزمّـري نسبـا

وقد يكون تعريف الشاعر بنفسه بعـــد نهايتـــه لمضـــمون الـــنص، وإيصال فكرته كما فعل الشاعر محمد بـــن المبـــروك(1195هـ) فـــي قصيدته الرثائية التي نظمها في حق صديقه سيدي عبد الرحمـــان بـــن عمر والتي افتتحها بقوله:

ألا يا مصــر قــد ازددت فـــخــرا   بحبر حل مقــبــرة المنــوفـــي

وفي ختامها وقعها بذكر اسمه قائلا:

محمد أصلــه المــبــروك يــرثـــي   الحبيب بوافــر لا بالخــفــيـــف

ومثله أيضا فعل الشيخ سيدي محمد عبد العزيز البلبالي(1261هـ) فـــي نهاية قصيدته التي رثى بها الشيخين سيدي عمر وسيدي عبد الله بعـــد وفاتهما معا في صحراء المنطقة حيث قال:

عبد العزيز اسم من بهاذ الابيات أغن   يا ناظرا لها اعزرن وادع لنا مستترا

الفصل الثانــــي

النثر وخصائصه الفنية

المبحث الأول

الفـــنـــون النـــثـــريـــة

لقد ذهب كثير من النقاد إلى أن النثر أقـــدم من الشعـــــر ظهـــورا وذلك لبساطته وسهولته مقارنة مع نظم الشعر، وفي هذا المعنـــى يعــد كارل بروكلمان[78] أن" أقدم القوالب الفنية العربية هو السجع أي النثـــر المقفى المجرد من الوزن... وترقى السجع إلى بحر الرجـــز المتـــألف مـــن تكرار سببين ووتد ليسهل على السمع ويبلغ أثـــره فـــي الـــنفس" ويرى أيضا في قصص ليالي السمر الجاهلية وفـــي الأمثـــال التـــــي كانـــوا يتداولونها من أقـــدم بقايا النثـــر العربـــي الـــذي يـــراه قبـــل الشعـــر[79].

والفنون النثرية أنواع أهمهـــا الوصـــايا والخطابـــة والرسائـــــل والأمثـــال والقصص، بالإضافة إلى أدب الرحلات والأجـــازات ومـــا إلى ذلك، وإذا استثنينا فنّي القصص والأمثال لخصوصيتهـــــما فـــــي الأدب العربي عموما فإننا نجد الأديب التواتي قد كتب في كل الفنـــون النثـــرية الأخرى تقريبا وهذا ما تجسده هذه النماذج المختـــارة مـــــن كـــل فـــن.

---

78. تاريخ الأدب العربي ج1 ص110.

79. ينظر المرجع نفسه ج1 ص186.

1. فــــن الوصيـــة:

تعتبر الوصية من أقدم الفنون النثرية عند العـــرب "الغايـــة منهـــا النصــــح والإرشاد إلى الطريق القويم، والترغيب في التزام الفضـــائل، والتخلـــق بالأخلاق الكريمة، وتنطوي على قـــدر كبيـــر مـــن الحكـــم والأمثال"[80] وتأتي الوصية غالبا كخلاصة تجربة الحيـــاة، ويحـــرص فيـــها الموصي على إبداء نظرته للدنيا بمتغيراتها المختلفة.

ولقد انتشرت الوصية بين التواتيين عموما، وكانـــت بـــين الآبـــاء وأبنائهم، وبين الشيوخ وتلاميذهم وبين الأصدقاء بعضـــهم البعــــض. كمـــا أنها قد تطول أحيانا لتشمل صفحات عدة، وقد تقصر لتقف عنـــد حدود الصفحة والصفحتين، وهي في كل هذا لـــم تخـــرج مـــن بـــاب النصـــح والإرشاد في غالبها. ومن أهم ما وقفنا عليه في هـــذا البـــاب فـــي بداية القرن الثاني عشر هذه الوصية[81] المحـــررة بتـــاريـــــخ أواخـــر شوال (1108هـ) وهي لكاتبها الشيخ سيدي أحمد بـــن محمـــد عبد الله الجعفري البحامدي (ق12هـ) وشهد فيها على وكالـــة الشيـــــخ ســـيدي مولاي علي بن مولاي الزين(ق12هـ) لابن عمه مولاي علـــي بن مولاي أمحمد(ق12هـ) في أمر تربية ولده الشيخ مـــولاي عبـــد الله الرقاني حيث قال الشيخ الجعفـــري:

---

80. الأدب الجاهلي ص699.

81. ينظر محاضرة نبذة عن حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني. للشـــيخ الحـــاج امحمد الكنتي ص05 وما بعدها.

"يقول كاتبه أحمد الإمام بن محمد عبد الله الجعفري البحامدي عفى الله عنه لقد أشهَدَنا على نفسه في صحة جسمه وسلامة عقله التقي النقي العفيف سيدنا ومولانا علي بن مولاي الزين من آل مولاي علي الشريف أنه وكّل ابن عمه مولاي علي بن مولاي امحمد الحاج بن سيدي حمو بن الحاج من النسب المذكور ينوب عنه في تربية ولده مولاي عبد الله المولود بقرية تاوريرت من قرى رقان والموجود بها حالا عند أخواله أولاد أحريز، وأن يؤدي له نفقته ومؤنته، وأن يتعهده حتى يبلغ سن التعليم فيأخذه من أخواله بالإذن من أمه، وأن يسهر على تربيته وتعليمه القرآن، وما تيسر من العلم "

وفي نهاية هذه الوصية أثبت فيها الشيخ الجعفري نصاً ما تضمنته شهادة الموصّى الشيخ مولاي علي في حضرته هو الآخر حيث قال:

"وقد حضر لدينا الشريف مولاي علي بن مولاي أمحمد المذكور وقبل الوكالة وما تضمنت من المطالب بقوله: تحملت لك الوصية ما بقيتُ وبقيتَ، وإن سبقتك بالموت خلفت له ابني محمد المهدي فكن مطمأن البال بأن ولدك عند أبيه، وأخيه نمنعه من الظلم، وندفع من ظلمه حتى يبلغ الأشد والقدرة على التكسب بنفسه"[(82)].

---

8. ينظر محاضرة نبذة عن حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني. للشيخ الحاج امحمد الكنتي ص05 وما بعدها

وفي الأخير ختم الإمام الجعفري وصيته بالتأكيد على صحتها في حضور جميع أطرافها كما قال:

"... وهي وكالة تامة عامة مفوضة في الحياة وبعد الممات وهذا ما تم علم كاتبه به منهم، وبذلك شهد عليها من أشهده في حال يتم الإشهاد به، وحرره كاتبه بزاوية كنته في أواخر شوال من عام(1108هـ) من هجرة إمام المرسلين"[83].

وخلال هذه الفترة أيضا حرر الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمان المشهور بابي نعامة(1163هـ) وصية[84] وبعث بها إلى أحد تلاميذه وهو السيد محمود[85] بن الحاج أحمد، وضمنها عشرات التوجيهات القيمة والنصائح السديدة التي تنبئ عن تقوى الشيخ وورعه من جهة، وخبرته وحنكته في الحياة من جهة أخرى حيث قال:

" بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله الولي الحميد، والشكر له على ما أولانا من المنى الوافي والمزيد، والصلاة والسلام على المصطفى الهادي الرشيد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يؤتى مع كل

---

83. ينظر محاضرة نبذة عن حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني. للشيخ الحاج امحمد الكنتي ص05 وما بعدها.
84. الوصية منسوخة بتاريخ أوائل شعبان(1254هـ) ينظر: كتاب سلسلة النواة ج/02 ص45 وما بعدها.
85. لم نعثر على ترجمته.

نفس بسائق وشهيد. هذا ولــتعلم أيها الأخ المريد، والابن الأبر – إن سر الله سبحانه في صدق الطلب، والاعتماد عليه تعالى بغير ملاحظة علــة ولا سبب. ثم الناس في ذلك المعنى متفــاوتون تفــاوتهم فــي قســمة الأرزاق، فموسع عليه ومقدور، ومأذون له في التصرف ومحجـــــور. وقـــد كنت –أرشدك الله وأدام توفيقك– ممن وسع عليــه فـــي معنـــى الصدق والإخلاص في معاني الإرادة، وممن قسم له الحظ الوافي مـــن المحصول، وأرجوا منه تعالى والرجاء لا يخيبه سبحانه فقد حجـــرك بإجراء أمداد النفع على يديك للمستنفعين المنفوعين وقد أشير عليّ فـــي ذلك بذلك غير ما مرة، فسدّد وقارب في أعمالك وأحولـــك، ولتكــــن كلـــها لله وفيه، والعاقبة للمتقين. وإياك والمراهنة في الدين والملاينـــة للمعتدين، وليكن سلاحك عليهم سلاح المؤمن، فـــالعزة لله وللمـــؤمنين ومـــا النصــــر إلا من عند الله، ومن كان لله كان الله له...."

إلى أن قال موضحا أسباب وصيته ودوافعه إليها، ثم الغايـــة مـــن كـــل ذلك والمتمثلة – كما قال– في إنقاذ مهجة مريـــده فـــي العاجـــل والآجل مـــن فتن المحيا والممات:

"…. ثم إنه أيها المريد الصادق، والابن الأبر الحاذق، لتعلـــم أنـــه لا بد لمن ألجأه الحال من هذه الطائفة إلى الخلطـــة، ومكابـــدة أمـــور المعيشة من علم آدابها، والقيام في معاملتها وأسبابها. فها أنا بعون الله وتأييده أجمع لك منها هنا جملة مختصرة كافية لمستحملها فـــي إنقـــاذ مهجته في العاجل والآجل من فتن المحيا والممـــات، وذلـــك أن تلقـــى

صديقك وعدوك بحسن الرضى والخلق من غير كبر، وتتواضع من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم في حق، وأن تتوقى من غير كبر وتتواضع من غير مذلة تكون متوسطا في جميع أمورك، فكلا طرفي كل الأمور ذميم. وأن لا تنظرعطفيك. ولا تكثر الإلتفات، ولا تفتخر في الجماعات. ولا تستوفي إذا جلست ولا تعبث بلحيتك، ولا تكثر من تخليل أسنانك وإدخال إصبعك في أنفك، وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك. وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا. وأصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك به من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته وأقلل من المَضَاحك والحكايات، ولا تتصنع تصنع النساء بالتأنق في الملابس والتكحل والإدّهان، ولا تلحّ في الحاجات، ولا تُشجع أحدا على الظلم، ولا تُعلم أحدا قدر مالك، وإن كان من أهلك وخاصتك، فإنهم إن رأوه كثيرا لم تبلغ رضاهم، وإن رأوه قليلا هنت لديهم. واجفهم من غير عنف ولنْ لهم من غير ضعف. ولا تهازل عبدَك ولا أمَتك فيسقط وقارك من قلبه. وإذا خاصمت فتوقر وتحفَظ من جهلك وتجنَب عجلتك وتفكَر في حُجتك. ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تكثر الإلتفات إلى من ورائك، ولا تجْثُ في جمع على ركبتيك، وإذا هدأ غضبك تكلم. وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعادي. ولا تجعل مالك أكرم إليك من عرضك، وإذا طرقت مجلسا فابدأ بالسلام، ولا تدافع من سبق في المجلس حيث اتسّع المكان. ولا تجلس على الطريق وإن جلست فأدي حقه، وحقُه غضُ البصر، ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإرشاد

الضال، ورد السلام، وإعطاء السائل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ولا تجالس الملوك وأرباب المناصب الدنيوية فإن فعلت فأدي حقه، وحقّه الحذر منه، وإن استرسل إليك ومال فلا تأمن غوايله وانقلابه فإنه يرضى رضى الصبيان، ويغضب غضب الشيطان. ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده سقطة لا تُخشى، وزلة لا تقال، وإياك وما ينقل عنك فيهم إليهم من غيبة أونميمة أو كشف سر. ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه تَرْك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما جرى من سوء صنيعهم، وألفاظهم والتقلل من اللقاء لهم مع الحاجة إليهم. وإياك أن تمازح كريما أو لئيما، فإن الكريم يحقد عليك، واللئيم يجترئ عليك. والمزاح يخرق الهيبة، ويسقط ماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود ويجرّئُ السفيه ويسقط المنزلة عند الناس، ويمقته المتقون مع إماتته للقلب، ومباعدته من الرب، وإكسابه للغفلة وإيراثه للمذلة، وإظلامه للسرائر وإماتته للخواطر، وإكثاره للذنوب ونشره للعيوب..."[86].

وهي وصية مطولة وردت في أزيد من ثمانية وثلاثين(38) صفحة وجاء فيها الشيخ سيدي أبو نعامة على كثير من النصائح والإرشادات النبوية، وأخلاق المعلم والمتعلم خاصة. وقد دعمها بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكذلك بعض الأشعار الحكمية

---

86. كتاب سلسلة النواة ج02. ص45 وما بعدها.

المتواترة عـــن العرب. ولم يقف بهذه الشواهد عند بـــاب الاستشـــهاد والتدليل بـــل تعداه إلـــى الشرح والتمثيل. كما جاء أيضـــا فـــي هـــذه الوصية على كثير من آداب القيام والجلوس والمعاشرة للملوك وعامـــة الناس وما إلى ذلك من آداب المعاملات. وإلى هذا كله جاءت الوصـــية مطعمة بكثير من النصائح والأقوال المنقولة عن علماء الأمة الأوائـــل كالعسقلاني والسيوطي وغيرهم. ونراه في كل هـــذا يستشـــهد بســـتة وعشرين حديثا نبويا شريفا جاءت عنده مرتبة ومتتاليـــة. وفـــي ختـــام الوصية خص حديثه لتلميذه بتبيان فضـــل القـــرآن الكـــريم عامـــة وســـورة الإخلاص خاصة، مبينا أهم ما ورد في فضل تلاوتهـــا مـــن الأحاديث النبوية والأقوال المأثورة، ليخلص أخيرا إلى الوقـــوف عنـــد أهمية الدعاء وفضله وكذا أهم أركانـــه وآدابه.

وأوصى الشيخ سيدي عبد الكريم بن البكري (1174هـ) ابنه الشيخ سيدي عبد الحق(1212هـ) بوصية[87] جامعة حين استخلفه على الناس في مرضه الذي مات فيه عام(1174هـ) حيث قـــال:

"الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وءاله وصحبه، ممـــن ليس بشيء إلى من لا قيمة له ولدُنا محمـــد عبـــد الحـــق، حفظـــك الله ووقـــاك، وبعين عنايته رعاك، فليعلم الواقف عليه أنـــي وليتـــك هـــذا الأمـــر الذي يضاعف فيه للمحسن ثوابا، وللمسئ عقابـــا، ولـــم يكـــن

87. ينظرمخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص33 ومـــا بعـــدها. وكتاب النبذة ص154 وما بعدها.

الباعث لذلك حب الوالد لولده، وإنما هو لما تبين لي من ظاهر أمـــرك، والله أعلم بسرائرك، ولقد علمت أنه ليس أحد أعز علـــي منـــك، والله شهيـــد على أني برئ من حيفك، فالزم الحق ينزلك الحق منازل أهـــل الحق يوم لايقضى بين الناس إلا بالحق وهم لايظلمون فطهر يدك عـــن أضرار المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك من أعراضـــهم، فـــإذا فعلت ذلك فليس عليك سبيل، إنما السبيل على الذين يظلمـــون النـــاس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم. واعلم إنما هلـــك من هلك بمنعهم الحق حتى يشترى، وبسطهم الباطـــل حتـــى يفتـــرى، فتلـــك بيوتهم خاوية بما ظلموا، اليوم في الدور وغـــدا فـــي القبـــور، وإلـــى الله عاقبة الأمور، فاتق الله واسأله التوفيق لـــي ولـــك ولجميـــع المسلمين، وأوصيك بئاية منزلة، وحديث مروي، قال تعالى: ﴿وقُولُـــوا للنّاس حُسْنا وأقيمُوا الصّلاة﴾[88]، وقال عليه الصلاة والسلام يا معـــاذ: حسّن خلقك للناس[89] ففـــي ذلـــك إن شاء الله تعـــالى كفايـــة للـــذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولائك الذين هداهم الله وأولئـــك هـــم أولـــو الألباب. وإياك وبطانة السوء، وحسّن ظنك بالمسلمين، وصـــن أذنيك عن أخبارهم تسلم من عداوتهم، وأوف لذي الحقوق حقوقهم تعَن

---

88. سورة البقرة الآية83.

89. وفي رواية: (قال استقم ولتحسن خلقك هذا) المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله النيسابوري ج1 ص121 تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط1 1411هــ1990م. دار الكتب العلمية بيروت.

عليهم، وتستجلب مودتهم، وشاور ذوي العقل والدين يسلم دينك، ويقل عتابهم عليك وتجاوز عن هفوة ذي الهفوات يقل ندمك، وتأن في الحكم يقل خطؤك، واصبر على ما تكره تصل الى ما تحب والسلام".

وفي هذه الوصية يبين الشيخ سيدي عبد الكريم لابنه أولا دوافعه في استخلافه من بعده، والتي لم ينطلق فيها - كما قال- من عاطفته الأبوية ولا من حبه الشديد له، بل أملاه ما رآه فيه من ظاهر الحال، لأن الباطن في حكم لله عز وجل، وهو في كل هذا بريء من حيف أو ظلم يصدر عنه اتجاه الرعية. وبعد هذه المقدمة شرع الشيخ في توجيه جملة من الأوامر والنواهي في شكل نصائح ربانية يستنير بها الطريق. ولم يكن على الشيخ سيدي عبد الكريم أن يتحدث عن كل صغيرة وكبيرة في ما له علاقة بالولاية وشؤون الراعي والرعية، بل إنه اكتفى بأهم الركائز وأشملها من التزام للحق، والابتعاد عن الظلم، وحسن الرفق في الأمور كلها، والتأدب مع الناس، وحسن الظن بالمسلمين، والإبتعاد عن بطانة السوء، ومشاورة أهل العقل والدين، والتأن في الحكم والصبر على المكاره.

ويبدو الشيخ سيدي عبد الكريم في وصيته ووسائل إقناعه المعتمدة متأثرا بنهج الأوائل في خطبهم كذي الأصبع العدواني في وصيته لابنه حين تقدمت به السن، وكالخليفة أبي بكر الصديق في وصيته التي تقدم بها لقائد جنده يزيد بن أبي سفيان لما ولاه قيادة جيش المسلمين في حرب الروم، وغيرهم من الأدباء.

وبين علماء العائلة البكرية دائما كانت هذه الوصية[90] التي تقـدم بـه الشيخ سيدي عبد الحـق(1210هـ) بـن العلامة الشيـخ سيـدي عبـد الكريم بن الشيخ سيدي البكـري إلى أولاده طلبا للأسـوة فـي رسول الله(ص) وفي لقمان عليه السلام أولا، ولتوجيهم وترشيدهم ثانيا كما قـال:

"... وبعد فوصية الآباء لأولادهم لها حـظ عظـيم، ومـن الأمـر القديـم، وفاعل ذلك له أسوة في رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وفـي لقمان النبي عليه السلام، ولقد اهتدى بهدي الأمـراء والحكمـاء وغيرهم. بما أوصي به أولادي وأؤكد الوصية علـيهم أن يتحلـوا أولا بحلية التوحيد، ويتركوا التقليد لأنه لا ينفي التخليد، ثم إذا تضاموا بـه تدرعوا بعلم الديانة، وتعلموا ما يحل وما يحرم وما يباح. وأوصيهـم ان يألف بعضهم بعضا، ويتفقوا ولا يختلفوا فـإن اختلفـوا تنـازعوا، والتنازع يحدث الفشل ويذهب الربح كما في كتابـه تعـالى العزيـز. واحرصوا في جمع شملكم مع إخـوانكم وأهـل طبقـتكم أولاد عمـي سيـدي محمد بن الشيخ، واقتفوا فـي مؤاخاتهم حالنـا وسـيرتنا مـع ءابائهم، وسيرة أبيهم مع أبي، ولقد صيروا أنفسهم كجسد واحد. ذلكـم الله ربكم، ذلكم الله ربكم".

ولم تخرج هذا النصائح في مجملها عن مجموع ما اشـتمل عليـه كتاب الله وسنة نبيه من أوامر ونواهي في ضـرورة التوحيـد ونبـذ

---

90. ينظر مخطوط الوصية. خزانة قصر تمنطيط.

التنـــازع والتقليد، ليخلص أخيرا بهم إلى أهمية الحفاظ على علاقتهـــم بأبناء عمهم والسير في ذلك على نهج السلف.

وبعيدا عن العائلة البكرية فقد خص الشيخ سيدي المختار بن سيدي بابا أحمد الكنتي(1226هـ-1811م) طلبته ومريديه بكثير من النصـــائح والوصايا وجاءت مبثوثة له على ما يروى في كثير مـــن مخطوطاتـــه التـــي خلفها، وقد جمع بعضها ابنه سيدي محمد في الباب السابع مـــن مخطوطه الطرائف والتلائد الذي خص به الوالدة والوالد. ومن أهم مـــا وقفنا عليه في هذا المخطوط هذه الوصية[91] التي توجـــه بهـــا الشـــيخ سيدي المختار لأحد طلبته مبينا له سبل الوصول إلى الحضرة القدســـية حيث قـــال:

"الحمد لله الذي أمر بإتباع المرسلين، وحض علـــى حســـن الخلـــق واللين، والصلاة والسلام على أشرف العالمين، المقول له في الكتـــاب المبين، واعبد ربك حتى ياتيك اليقين، فخص بفهـــم الخطـــاب عبـــاده المتقين، وصرف عن ءاياته قلوب الملحدين، فـــقال:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذينَ يَتَكَبَّرُونُ في الأَرْض بغَيْر الحَـــق﴾[92] إلى وكانوا عنها غافلين. فاعلم أيها السالك المريد والمتبتل الفريد، إنـــك

---

91. مخطوط الطرائف والتلائد ص391 وما بعدها.

92. سورة الأعراف الآية 146. والآية كاملة: ﴿سأصـــرف عـــن آيـــاتي الـــذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايومنـــوا بهـــا وإن يـــروا سبيـــل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي اتخذوه سبيلا ذلك بـــأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾.

لاتصل إلى حضرة القدس ما دمت مرتميا في شباك الـــنفس، وأعظـــم شباكها الكبر وعليه ينبني أساس العوائق الأربع، وهي رؤيـــة الخلـــق بعيـــن الإعظام والإجلال، مع التشوق إلى ما يرد عليـــك مـــنهم مـــن الإدبار والإقبال. وحب المدح والثناء، والتألم بالذم والازدراء، فبســـبب ذلك تقع في التصنع والرياء، ويفتح عليك باب البلاء والابتلاء. فتـــزل بك القدم عن الإرادة وتغلق عنك أبواب الفتح والزيادة، فلا يبقى لـــك فـــي الخصوصية نصيب، ولا ترمي في الإرادة بسهم مصـــيب، بـــل ربمـــا خيف على راس مالك الذي هو إيمانك الخالص، والرياء المعبر عنه بالشرك الأصغر في حق العامة، والأكبر في حق الخاصة خلاصة الخلاصة، وسيصحبك الجاه، وخوفك من ســـقوط قـــدوك مـــن قلـــوب العامـــة، وبهذه العلة انقطع خلق كثير، وجم غفير عن الله ممن تشـــوق إلى الارتشاف من مشارب هذه الطائفة والعياذ بالله. ولم يعلم الأشقيـــاء أن هذه الطائفة إنما وصلت إلى ما وصلت إليه بالانقطاع عن الأســـباب برؤية المسبب، وعن الخلائق برؤية الخالق بل جعلـــوا أعظـــم ســـبب يتوصلون على منته إلى المطلوب سقوط الرتبة ووجود الحقـــارة فـــي قلوب العامة حتى جعلوا لذلك أسبابا ظاهرة تسقطهم من عيون العامـــة، إذ ذاك أجدر بهم وأحرى أن يخلصوا أعمـــالهم ونيـــاتهم لله ســـبحانه وأصون لأحوالهم وأسرارهم مع الله، بانين أساس قواعدها على أربعـــة أصول إذ بها الوصول، قوله تعالى: "أنـــا عند المنكسرة قلـــوبهم مـــن

أجلي"[93]. الثانية قوله تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْـكَ مَـنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَـنْ تَشَـاءُ بِيَـدِكَ الْخَيْـرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[94]. وقوله:﴿ ومَن يُهِن اللهُ فمَا لَهُ منْ مُكْرِم﴾[95]. وقوله:﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَـا إلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانا﴾[96].

فدرجوا على هذا الأسلوب ومشوا عليه في المكروه والمرغـوب، على بصيرة في المرهوب والمرقوب. أمطرت ثلوج أيقانها على القلوب فأنبتت فيها أزهار المحبة والشوق إلـى علام الغيوب...".

وجاءت هذه الوصية من الشيخ سيدي المختار ليبين لمريـده أهـم طرق الوصول إلى الحضرة القدسية، وأساس ذلك - كما قال- يتمثـل في ضرورة التخلص من الكبر أحد أعظم شباك النفس. ثم انتقـل بعـد ذلك للتدليل على أمارة كل ذلك ملخصا إياها في عوائق أربع وهي:

- رؤية الخلق بعين الإعظام والإجلال.
- حب المدح والثناء.
- التألم بالذم والازدراء.
- الرياء الذي هو شرك أصغر عند العامة، وأكبر في حق الخاصة.

---

93. وفي رواية أنا ثم المنكسرة قلوبهم من أجلي. ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبد الرؤوف المناوي ج1 ص519. المكتبة التجارية الكبرى مصـر ط1. 1356م.
94. سورة آل عمران الآية 26.
95. سورة الحج الآية 18.
96. سورة التوبة الآية 51.

ومن هذه الأسباب ينطلق الشيخ مجددا ليوضح أهم شروط الوصول إلى الهدف المنشود، والمستمدة أساسا من أصول أربعة جاءت في ثنايا قوله عز وجل وهي:

- أولا قوله تعالى في الحديث القدسي: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

- الثانية قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

- الثالثة قوله تعالى: ﴿ ومَن يُهن اللهُ فمَا لَهُ منْ مُكْرم ﴾.

- الرابعة قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وعَلَى الله فلْيَتَوَكّل المُومنُون ﴾.

وفي ختام الوصية أكد الشيخ لمريده على ضرورة الاستماع لهذه الوصية من القلب لا من الآذان الحسية فحسب لأنها من علوم الأرواح لا من علوم الأشباح، ومن علوم الأنفاس لا من علوم القياس - كما قال-:

"... فاستمع أيها الأخ هذه النبذة الواردة من الحضرة القدسية، لا بالآذان الحسية فإنها من علوم الأرواح لا من علوم الأشباح، ومن علوم الأنفاس لا من علوم القياس، والله تعالى الممد

بالتوفيق والإلهام والتحقيق الهادي إلى أقوم طريق مع أنعم فريق"[97].

ومن وصايا الشيخ سيدي المختار لــبعض مريديــه أيضــا هــذه الوصية[98] التي جاء ت لتبين للمريد أهم شروط وقواعــد الإقــدام علــى بلدان الناس حيث قال:

" الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وســلم وبعد: إذا قدمت أيها المريد على بلدة فاثبت على إرادتك كــل الثبــات بــأن لا تتخذ خلّا إلا خليلا يدلك على ربك، عالم القلب عــالم اللســان تستعين بــه على أمر دنياك. لكن اجعل مخالطته كشرب الــدواء فــإن الــدواء لا يشرب إلا على قدر زوال العلة، واجعل لنفسك حينا تخلــوا فيه مع ربك تحاسب نفسك في تلك الخلوة، فإن وجدت غير ذلك تبــت إلى الله وعاتبت نفسك، وضيّقت عليها فإن من ضيق على النفس وسعت عليه، ومن وسع عليها ضيقت عليه كالدابة التي تُراض أما تراها كلمــا ضيقت عليها بالزمام والحكمة والضــرب والجــوع والحــبس لانــت فانقــادت إلى مرادك، ووجدت منها السير الفسيح وذلت، فإذا تركتهــا في مراتعها تتفسح حتى سمنت فركبتها مــن غيــر زمــام ولا حكمــة ركضت بك فألقتــك عن ظهرها ميتــا أومعطوبــا أو ســالما مؤلمــا. واعلــم أنه لا يأتيك الخير إلا من جانبها ولاالشر إلا مــن جانبهــــا، ولا تقدر عليها إلا بترك ما لو فاتها حتى تطمأن النفس، فإذا أطمأنــت

---

97 . ينظر مخطوط الطرائف والتلائد ص391 وما بعدها.

98. المصدر نفسه ص395 وما بعدها.

تجلت دواعي الربوبية من حضرة الألوهية قائلة: يأيها النفس المطمإنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية...".

ولعل من أهم شروط الإقدام على الناس والإقامة بينهم - كما يراها الشيخ سيدي المختار- هي الثبات على الإرادة في اختيار الصديق المعين على أمر الدنيا والدين، والتضييق على النفس التي هي كالدابة التي تراض، بل هي منبع الخير والشر لصاحبها، ولا يكون كل هذا إلا بالاطمئنان لأن به تتجلى دواعي الربوبية من حضرة الألوهية.

وفي الختام خلص الشيخ سيدي المختار إلى الدعاء له ولمريده بالانتفاع مما قال وأن يجعله واعظا لهما من نفسهما كما قال:

" أرشدنا الله وجعل لنا واعظا من أنفسنا فإن من لا واعظ له من نفسه لا واعظ له، ومن لم ينتفع بالقليل لم ينتفع بالكثير ومن لم ينتفع باللحظ لم ينتفع باللمظ، وخير الكلام ما قل وأفاد والحمد لله رب العالمين"[99].

وغير هاتين الوصيتين فقد وقفنا للشيخ سيدي المختار على وصية[100] أخرى توجه فيها لعامة المسلمين بمجموعة من النصائح والمواعظ بعدما رأى من كثرة الفساد والإلحاد وغلبة الغفلة على العباد. حيث قال في مستهلها:

99. ينظر مخطوط الطرائف والتلائد ص395 وما بعدها.

100. ينظر مخطوط الوصية في خزانة الحاج عبد القادر المغيلي .أدرار.

"الحمد لله الذي أزال عنه السّنة والألسنة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأحيا قلوبنا(بحيا) السنة والكتاب، ومجالسة العلماء أولي الألباب حتى أفاض علينا بحور الحكمة وفصل الخطاب...".

وبعد هذه المقدمة الدعائية شرع الشيخ في توضيح مراده من التأليف وأهم دوافعه إليه حيث قال:

"... وبعد لما رأيت كثرة الفساد والإلحاد وغلبة الغفلة على العباد إلى من بمنه عصمهم ووقاهم، قصدت والله الموفق للصواب وضع موعظة لي ولكل الألباب... وإطماعا مني في الثواب، وإقتداء بقوله جل من خالق... ادع إلى سبيل ربك إلى الحسنة[101]. وأرجو أن أكون ممن أحيا النفوس إذ قد قال جل... في كتابه ومن أحياها... الآية"[102].

والوصية جاءت مبتورة الآخر وآخر ما وقفنا عليه في هذه النسخة هو قول الواصي:

"وإياكم وكثرة المزاح فإنها تسقط المروءة، وتزيل الهيبة... من مازح استخف به. قال علي كرم الله وجهه: اجعل مزاحك كالملح في الطعام فمازح ولا تستكثر، وإذا مازحت فلا تقل إلا حقا فإن الكذاب

---

101. نص الآية (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة). سورة النحل الآية125.

102. نص الآية (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) سورة المائدة الآية32.

ملعون ولو كان مازحا، وإياك ومجالس السوء فإن من جلــس مجــالس السوء..."[103].

وغير هذه الوصايا الثلاثة فقد خلف الشيخ سيدي المختار عشــرات الوصايا والرسائل التي جاءت مستقلة في مؤلفات بعينهــا، أو مبثوثــة ضمن مخطوطاته الكثير. وقد خصها ابنه بباب خاص فـــي مخطوطــه السابق((الطرائف والتلائد)) كما رأينا.

ومن الشيخ سيدي المختار الكنتي نصل إلى الشــيخ أبــو العبــاس سيــدي أحمد زروق بن صابر البداوي الجعفري(1244) الذي عثــرنا لـــه هذه الوصية[104] الشاملة والتي لم يحدد فيها مخاطبا بعينه داخــل الوصية وإن كان الإشارة واضحة له داخل النص فـــي أمــر ولايتــه للرعيـــة إلا أننا لم نقف على اسمه في بداية المخطوط ولا في نهايتـــه، وقد تكـــون منه وصية عامة لكل من وُلّي أمر مـــن أمـــور المســـلمين حيـــث يقـــول:

"عليك بتقوى الله الذي لابد من لقاءه، واحذر مخالفة أمره في شدتـــه ورخاءه، وأحدث لكل ذنب توبة، ولكل إلتفاتة أوبة، فإن المـــرء غيـــر معصوم من الزلل، وغير واثق بنفسه في دوام العمل. من عز عليه دينه هانت عليه الأمور كلها، ومن ترك نفسه دارت عليه الدوائر، فلا فـــي

103. ينظر مخطوط الوصية في خزانة الحاج عبد القادر المغيلي .أدرار.

104. الوصية جاءت مخطوطة في نسختين مختلفتين. النسخة (ا) في خزانة قصر بودة أدرار. والنسخة(ب) في خزانة قصر باعبد الله أدرار.

الدنيا يفلح، ولا في الآخرة ينجح. ومن كان حبه من الدنيا ما يكفيه، فأقل شيء منها يكفيه، ومن طلب من الدنيا ما يغنيه، فكل شيء منها لا يغنيه، ومن كان شرفه بعمله أدرك جميع أماله، ومن كان شرفه بنسبه كانت نجاته أبعد من عطبه، والناس أبناء أخلاقهم، ومن أحب قوما كان منهم، فاحذر حب الظلمة وموالاتهم، وجانب أبناء الدنيا ومخالطتهم، وإذا خالطتهم فكن حذرا منهم، إذ إنما يريدونك لتكميل دنياهم، وما يوافق هواهم، ويوقعونك في المحرمات الصريحة، ولا تطاوع من لا يبالي بعرضه في تحصيل غرضه. إياك والتجسس على الأمور، والتطلع على الأخبار، فإن من أراد ألا يفوته خبر لم يفته ضرر، واحذر اللف والبت، ولا تعامل رعيتك ومن في معناهم معاملة السيد بعبيده، فإن الله يغار على المسكين ولو كان عاصيا، واغتنم دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: " اللهم من ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم أرفق اللهم به ومن شق عليهم فاشق اللهم عليه"[105] وهذا يتناوله من له أدنى ولاية في الغالب، وعليك بالذكر ولو تسبيحة، وبالقرآن ولو ءاية، وبالصوم ولو يوم في الشهر، وبالصلاة ولو ركعة في جوف الليل، وبالصدقة ولو لقمة لكلب أو هر تبتغي بها وجه الله تعالى. وهذا كتاب وصية لا كتاب تبرك، ولا تقرأه من فوق فوق، وتجعله في الصندوق، ولكن ذكر به نفسك المرة بعد

---

105. صحيح مسلم. رقم الحديث3407. كتاب الإمارة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

المرة وإن قدر الله بغيرها فسيكون. انتهت الوصـــية بحمـــد الله تعـــالى وكرمه وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وءالـــه وصـــحبه وســـلم تسليما".

وفي هذه الوصية بدأ الشيخ الجعفري وصيته بالتأكيد على تقوى الله عز وجل، والحذر من مخالفة أوامره في الشدة والرخاء، مع الإســـراع في التوبة بعد الذنب. ثم انتقل الشيخ بعدها إلى تحـــذير مخاطبـــه مـــن حـــب الظلمة وموالاتهم ومن التجسس في الأمور، والإطـــلاع علـــى الأخبار أملا في كسب ود رعيته والتعامل معها بإحسان أسوة برســـول الله(ص). وقبل أن يختم وصيته عاد مجددا ليذكره بضرورة الرجـــوع إلى الله في كل حين، ولا يكون ذلك منه إلا بالذكر، وقراءة القـــرءان، وبالصوم والصلاة والصدقة. وفي الأخير انتهى الشيخ بمخاطبه إلـــى ضرورة الإهتمام بالوصية والعمل بما جاء فيها، وأن لا يكون مكانهـــا الصندوق تبركا فحسب.

ويبدو من خلال إطلاعنا على نسختي الوصية أنها جاءت مبتـــورة في أولها من المقدمة الافتتاحية التي ينطلق فيها عـــادة مـــن البســـملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله(ص)، وقد يكون مـــع هـــذا التقديم أو قبله جاء الشيخ الجعفري على ذكر اسم مخاطبه.

ومن الناحية الفنية فإن هذه الوصية كانـــت الأكثـــر حرصـــا مـــن سابقاتهـــا على الجانب الفني واللغوي بما تضمنته من أســـلوب متـــين وبعيد عن التكلف من جهة، وبما جسده الكاتب في بعض معانيه مـــن صور بيانية ومحسنات بديعية.

2. فــــن الخـــطـــبـــة:

يعد فن الخطابة من أشهر الفنون النثرية التي ازدهرت علـــى يـــد العرب منذ العصر الجاهلي حيث كانوا يســـتخدمونها فـــي مفـــاخرهم ومنافراتهم استخدامهم لها في النصح والإرشاد والحـــث علـــى قتـــال الأعـــداء من جهة، وفي الدعوة إلى السلم والأمن من جهـــة أخـــرى. وبمجيء الإسلام " ازدهرت الخطابة وارتقت إلى مدارج عليا لم تكـــن لتبلغها مـــن قبل... وفرضها الإسلام أيام الجمـــع والأعيـــاد ومواســـم الحج"[106] وبهذا كله اتسع نطاق هذا الفن غرضا ومضـــمونا وأخـــذت مـــن الدين حيزا خاصا كما عبر بذلك أبو هلال العســـكري(395هـ) حين قال: "الخطابة لها الحظ الأوفر من أمور الـــدين... لأن الخطبـــة شطر الصلاة التي هي عماد الدين، في الأعياد والجمعات والجماعـــات وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته لـــئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله عز وجل من ذلك في كتابه"[107].

وبسقوط الدولة العباسية أصاب هذا اللون بعض ما أصـــاب بقيـــة الأصناف الأدبية وأصبحت معه الخطابة حكرا على المساجد وحلقـــات الوعظ والإرشاد، ولم تسلم الخطبة التواتية من هذا الوصـــف لتكـــون

---

106. الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي. دراسة وصفية نقدية. د حبيب يوسف مغنية ص329. وما بعدها 2002م دار ومكتبة الهـــلال بيروت لبنان.

107. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. أبو هلال العسكري ص154.

دينيـــة صرفة ولبعض مناسبات النكاح وغيرها كما يعبــر عـــن ذلـــك الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم بـــن البكـــري(1210هـ) فـــي خطبته[108] المختصرة التي كان يعقد بها نكاحه :

"الحمد لله دائما، والصلاة والسلام على رسول الله قاعـــدا وقائمـــا. أمـــا بعد: فإن الأمور كلها بيد الله يصرفها في طرائقها، ويمضيها فـــي حقائقها، لا مقدم لما أخر، ولا مـــؤخـــر لمـــا قـــدم، ولا يجتمع اثنـــان إلا بقضاء وقدر، ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل، ولكل أجـــل كتـــاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، فكان من قضائه وقـــدره أن فلان ابن فلان رغب في نكاح فلانة بنت فـــلان، وفـــرض لهـــا مـــن الصـــداق ما وقع عليه الاتفاق، فزوجوا خـــاطبكم، وانكحـــوا راغـــبكم كـــما قال الله تعالى:﴿وأَنْكحُوا الأيَامَى منْكُم والصّالحيْن مـــنْ عبَـــادكُم وإمَائكُم إن يَكُونُوا فُقرَاءَ يُغْنيهُمُ اللهُ منْ فضْله واللهُ وَاسعٌ عَلـــيمٌ﴾[109]، أشهدكم معشر الحاضرين أني قد زوجتها له على فـــرائض الله وســـنة رسوله، وعلى إمساك بمعروف وتسريح بإحسان، وقبلتها لـــه، وقبلتـــه لـــها. حمدا لمن أحل النكاح، وحرم البغي والسفاح، وخلق مـــن المـــاء بشرا فجعله نسبا وصهرا، وكان ربك قديرا، اللهم بارك لهمـــا وفيهمـــا وعليهما واجعل وارثهما منهما يا أرحم الراحمين، ســـبحان ربـــك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين".

108. ينظر: النبذة ص156 وما بعدها.

109. سورة النور الآية32.

وهي خطبة عامة صالحة لكل زمان ومكـــان، ولـــم يبتكـــر فيهـــا الكاتـــب معاني جديدة تذكر ولا حدد فيها اسم الناكح ولا المنكوح بـــل نراه يرمـــز إلى ذلك بفلان وفلانة، و يكتفي في ذلك بترديد أهم آيات النكاح.

وغير الشيـــخ سيدي عبد الحق فقد خلف لنا الشيـــــخ سيـــــدي عبـــد الرحمان (1251هـ) بن محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني بعض الخطب[110] الدينية المختلفة نذكر منها: :

"الحمد الذي تصرف في خلقه كيف شاء وأراد، ويسر الكـــل لمـــا خلـــق له فلا يصرف عنه ولا يزاد، الذي منّ علينا بخيـــر البركـــة... وألهمنا لإتباع طريقته وأتحفنا بالمنن. المنـــزه عـــن الشـــبه والشـــريك والنظير، الـــذي لا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير، نحمده سبحانه ونشكره نعلى سابق العناية والفضل و... نستغفره من كل عمل ترتجى المؤاخذة به يوم الميعاد، ونشهد ان لا إله إلا الله وحـــده لاشـــريك لـــه شهـــادة من أخلص له الدين القيم، ونشـــهد أن ســـيدنا محمـــدا عبـــده ورسولـــه المجتبى مـــن بني هاشم. أيها الناس تحببوا إلى الله بـــبغض أهل المعاصي، وتقربوا إلـــى الله بالتباعد عنهم فما رضي الله بسخـــط كل عاصي. وقـــد ذكر الزناتي في شرحه على الرسالة عنه صـــلى الله عليه وسلم أنه قـــال: اللهم لا تجعل الفاجر... فترزقه بها مني محبـــة.

110. ينظر مخطوط الخطب. وهي بخط مغربي دقيق جدا لا يكاد يقـــرأ. خزانـــة قصر باعبد الله أدرار.

ودعوا رحمكم الله تعلق قلوبكم بالدنيا في الحال، فإن من تعلــق قـــلبه بهــا يكون من أولئك الذين تنصب عليهم الأهوال. وعليكم وفقكــم الله بإتــباع سنة نبيكم عليه السلام واتقوا العمل المؤدي لجهــنم. فــقـــد روي عــن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كم من شيخ في النـــار ينادي ويقــول: يا شيبتاه ويا ضعفاه ويا قلة حيلته وهو علـــى ظهـــره مصـــلوب، وحزين مكروب. وكم من امرأة في النار تنـــادي بالويـــل والثبور ويا حسنها وجمالها وهي معلقة من أشفارها، والحيـــاة شـــمس فـــي أجسامها، وهي تقول يا ضعف بدنها ويا قلـــة حيلتهـــا، ولســـانها ممدود على صدرها من لهيب النار، فاتقوا أيها النـــاس عـــذاب النـــار فويـــل لأهل النار وماذا يرون من العـــذاب وعلـــيكم - ألهمكـــم الله- بحفـــظ القـــرآن الكـــريم وخلصـــوا فيـــه العمـــل لله وفـــي سائـــــر الأعـــمال...".

وموضوع الخطبة كما ترى جـــاء حـــديثا عامـــا فيـــه الترغيـــب والترهيـــب، ترغيب في التقرب إلى الله، وإتباع سنة نبيه عليه السلام، وترهيب من النار وما يقرب إليها من قول وعمل. وبعد هـــذه المقدمـــة التي عرض فيها خيوط الموضوع بالاستشهاد له مما جـــاء كتـــاب الله وسنة نبيه مـــن الآيات والأحاديث المبينة لعذاب النار وسبل الخـــلاص منه بقراءة القـــرآن وحفظه وتعليمه للمسلمين يصل أخيرا إلى التأكيـــد على أوامره ونواهيه بالوقوف عند آيات الزلزلة بكل ما تعنيه من معنى. حيث يقـــول:

" الله الله عباد الله أوصيكم بعمل الأبرار، فعسى أن تنالوا منازل الأخيار. جعلنا الله وإياكم من الفائزين بطاعة الملك الجبار. إن أنفع ما خوطب به مؤمن، وأبلغ ما وعظ به موقن كلام مولانا ونحن له عباد. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾[111].

وللشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد هذه الخطبة[112] الدينية الأخرى والتي يكون قد خطبها في المسلمين في مناسبة الجمعة أوالعيدين والتزم فيها بنهجه الوعظي السابق حيث قال:

" الحمد لله ذو الجلال والإكرام، الذي أرشد أمة نبينا محمد لما اختار لها من الإيمان والإسلام، نحمده ونشكره ونستعينه ونستغفره، لذنوبنا التي ارتكبناها انحرافا واعوجاجا، ونؤمن به ونتوكل عليه افتقارا واحتياجا. من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد لداء ضلاله علاجا. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تمتزج بالجسد امتزاجا. ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي خصه بالمعجزات وأطلعه في ظلمات الشرك سراجا، وأمره بمحاربة

---

111. سورة الزلزلة الآية من 01 إلى 05.

- ينظر مخطوط الخطبة. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

112. ينظر مخطوط الخطبة. وهي بخط مغربي دقيق جدا لا يكاد يقرأ. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

أهل الكفر حتى صاروا يدخلون في دين الله أفواجا. أيها الناس اقبلــوا عــلى مـــا كلفتموه من إصلاح آخرتكم واعرضوا عما ضمن لكم مـــن أمـــر دنياكـــم. ولا تستعملوا... بنعمه في التعرض لسخطه بمعصـــيته. واجعلوا شغلكم كله التماس معرفته، واصرفوا همتكم إلى التقرب إليـــه بطاعته. فمن بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخــرة ولا يــدرك منها ما يريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل نصـــيبه مـــن الـــدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد. وإياكم أن تكونوا ممـــن خدعتـــه العاجلـــة وغرته الأمنية واستهوته الخدعة، فركن إلى دار سريعة الزوال وشيكة الانتقال. وقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قـــال: ســـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تكون أمتي في الدنيا على ثلاثـــة أطباق. أما الطبق الأول فلا يرغبون في جمع المال وادخاره فرضـــاهم منها ما سد جوعة وستر عورة، وغناهم فيها ما بلـــغ الآخـــرة فأولئـــك الذيـــن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون. أما الطبـــق الثـــاني فيجمعـــون المـــال من حله وأطيب سبيله ويصرفونه في أحسن وجوهه، ويصلون به أرحامهـــم، ويواسون به فقرائهم فأولئك الذين عليهم سوء الحساب... عذبوا وإن عفا عنهم سلموا. وأما الطبق الثالث فيحبون جمـــع المـــال مـــما حل أو حـــرم ويمنعون ما افترض لو وجب أن أنفقـــوه أنفقـــوه إسرافا وبدارا، وإن أمسكوه أمسكوه بخلا واحتكارا فأولئك ملكت الدنيـــا أزمة قلوبهم حتى أوردتهم ذنوبهم النار...".

وفي هذه الخطبة أيضا التزم الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد نهجه العام في النصح والإرشاد حيث جاءت منه الدعوة لعامة المسلمين باتباع أوامر الله، والتقرب إليه بالطاعات، وفي المقابل الإعراض عما ضمنه المولى عز وجل من أمور الدنيا الفانية والمستهوية، لأن من بدأ بنصيبه من الدنيا أولا فاته نصيبه من الآخرة ولا يدرك من الدنيا ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الأخرة وصل نصيبه من الدنيا، وأدرك معه من الآخرة كل ما يريد. والناس في هذا لا يخرجون عن أصناف ثلاثة كما بينها الحديث الشريف.

وبعد أن يسترسل الشيخ في توضيح معاني الحديث، الذي انطلق منه للتركيز على دعواه يصل في الأخير إلى ركن الدعاء والتضرع ليكون خاتمة حديثه في خطبته حيث يقول:

" نفعني الله وإياكم بالقرءان العظيم، وأعانني وإياكم على القيام بوظائف الدين واستغفره لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين"[113].

---

113. ينظر مخطوط الخطبة. وهي بخط مغربي دقيق جدا لا يكاد يقرأ. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

ومن نماذج خطبه[114] أيضا قولـــه:

" الحمد لله الذي جلت محامده فليس يُبْلَغ منهما معـــــشارا، الـــذي يعلـــم خائنة الأعين وما تخفي الصدور سرا وجهارا. نحمده على نعمه التي لاتحصى عشية وبكارا، ونشكره ونتوكل عليه احتياجـــا وافتقـــارا. واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الذي عزت قدرته فكنه عظمته لا يرام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث لســـائر الخلـــق الخاص منهم والعام. أيها الناس روى ابن عباس رضي الله عنه قـــال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض خطبـــه: أيهـــا الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم عـــن طاعـــة ربكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم. وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحمان قبل أن تزعجوا. واعلموا وفقكم الله أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وأن الآخرة قـــد تجلـــت مقبلة، وإن الله يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض، ولا يعطـــي الآخـــــرة إلا لمن يحب، وإن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء فكونوا من أبناء الآخـــرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، واعلموا أنكم عن قريب راحلون وإلـــى الله صائرون..."[115].

ونرى الشيخ سيدي عبد الرحمان هذه المرة وبعد الحمدلة والصـــلاة والسلام على رسوله الكريم يفتتح خطبته بحديث نبـــوي شـــريف فـــي

---

114. ينظر المصدر نفسه.

115. جاءت هذه الخطبة مبتورة الآخر.

النهـــي عن الانشغال بالدنيا، وضرورة التزود للآخرة ليكون مرجعـــا لـــه في كامل النص، يستلهم من أفكاره أهم عناصره موضوعه التـــي يهدف إلى التركيز عليها.

وفي عموم هذه الخطب الثلاثة تذكير بضرورة التزود مـــن الـــدنيا لليوم الآخر، والاستعداد للرحيل، وقد اعتمـــد فيهـــا الخطيـــب علـــى الاستشهاد بآيات الذكر الحكيم وأحاديث سيد المرســـلين. كمـــا يلاحـــظ عليهـــا أيضا قصرها وبساطة أسلوبها ولعله بذلك إنما كـــان يخاطـــب بـــها عامة الناس فـــي صلاة الجمعة وغيرها.

3. فـــــــن الرسالـــة:

لقد عني العرب منذ القديم بمكاتبة بعضهم البعض نصحا وتوجيهـــا، أونهيا وأمرا، واختلفت في ذلك قوالبهم في التعبير بين الشـــعر أحيانـــا كـــما فعل لقيط بن يعمر الإيادي في رسالته لقومه، وبـــين النثـــر فـــي أحايين كثيرة، ومن هنا كان التداخل بين هذا اللون مـــن الأدب وبـــين بقيـــة الفنون ظاهرا للعيان وبخاصة منه فن الوصية الذي ينطوي هـــو الآخر على حكم وأمثال ونصائح لهداية الناس". وأوضح ما ينبغـــي أن يستقر في الأذهان أن صلب الرسالة لا يكاد ينفرد بقالب تعبيري خاص به"[116] ومع كل هذا فقد انمازت الرسالة عن غيرها من فنـــون الأدب

---

116. النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشـــكاله ج02 ص482 علي بن محمد ط01 .1990. دار الغرب الإسلامي .بيروت لبنان .

بجملة من الخصائص والمميزات[117] منها القصر والإيجاز والتعبير عن الأفكار بالجمل القصيرة والألفاظ الواضحة بالإضافة إلى مقدمتها وخاتمتها المتميزة[118]. وقد ميز النقاد في هذا الفن أنواعا مختلفة من الرسائل بعضها يتعلق بالساسة ودواوين الحكم، وهو ما يعرف بالرسائل الديوانية، وبعضها الآخر يتعلق بالزملاء والإخوة بعضهم البعض وهو ما يعرف بالرسائل الإخوانية.

وتحت غطاء الرسائل الإخوانية جاءت معظم مراسلات أدباء توات، فكانت متنوعة بينهم من الأب لابنه، ومن الابن لأبيه، ومن الشيخ لتلميذه، ومن التلميذ لشيخه، بالإضافة إلى الأصدقاء والزملاء بعضهم البعض.

وبداية الحديث في هذا الباب يكون لنا مع ما كتبه الشيخ سيدي مولاي علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج وهو بأرض تفلالت بالمغرب (ق12هـ) في رسالته[119] التي رد بها على رسالة ابن عمه مولاي علي بن مولاي أمحمد(ق12هـ) بقصر زاوية كنتة والتي كان

---

117. ينظر الأدب الجاهلي... ص719.

118. ينظر: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله ج02 ص482 وما بعدها

119. ينظر: مخطوط حول حياة العالم مولاي عبد الله الرقاني(1207هـ) للشيخ محمد بن المصطفى بن اعمر الرقادي(ق13هـ) خزانة قصر كوسام أدرار.

قد أخبره فيها بولادة ابنه مولاي عبد الله بن مولاي علي، حيث قال الشيخ مولاي علي في مستهل رده:

" الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، الذي ميز نفسه بالواحدية والأحدية، وعباده بالبنين والذرية. والصلاة والسلام على أشرف مبعوث في البرية، ولأكرم هاد في الأولية والأخرية، وعلى ءاله وصحابته أهل الميعاد في الرتبة العلية. وبعد فهذه من عبيد الله علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج إلى صاحب السيادة والصفات المرضية ابن السلالة النبوية التي منّ الله عليها وجعلها من طينة الشرف والحسب، وغرس دوحتها الطيبة بمعدن الجود والمجد والعلم الزكي، والنسب بحر العلوم الذاخر الذي تمشي تحت أمره وبإشارته العلماء الأعلام الأكابر، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة الكلام من ناظم وناثر وقد أعجز الأقلام والنقاد كلما خط أو كتب...".

وبعد هذه المقدمة التي نوه فيها الكاتب بحسب ونسب مراسله الشريف ابن السلالة النبوية، شرع في تعداد خصاله وفضائله التي تربى هو نفسه في ظلها، وقضى معها معظم فترات حياته، وهو ما أوجب هذا الرد السريع منه كما قال:

"...أخي لقد عاشرتكم في مجالس العلم وبلوت أحوالكم، وعلومكم وأسراركم، وقضيت معكم مراهقتي وشبابي وكهولتي، وعلمت من علمكم وحلمكم وصبركم وإن... ومودتكم ما جعلكم بين عيني دواما،

وقد جعلتكم محل سري ومحبتي، وكتبت إليكم ردا علـــى رســالتكم رد المحب الشاكر والمنقطع الصابر عن رد راسخ العماد ثابـت الأوتــاد مزهو الأغوار والأنجاد. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. أخي لازلت أذكركم من حين لآخر وأذكر ما أنتم فيه من المحاسن والمآثر، هـــذا ولا جديد إلا الشوق الذي يحن إلى لقياكم كاتبه، ويرتاح ويحــوم علـــى موارد الأنس بذكركم، حوم ذات الجناح على الماء العذب القراح. جمع الله الأرواح على بساط السرور وأسرت الهنا..."[120].

ومن الحديث عن بعض صفات الممدوح ينتقل الشيخ مولاي علـــي بمخاطبه للحديث عن رسالته البليغة التي رجعت به إلى ســالف عهــد أيـــام الدراسة بين الرجلين وما تلقياه معا من علوم علـــى يـــد معـــادن الفصاحة والبلاغة من مشايخ بني الرقاد في مقر الزاوية الكنتيـــة كمـــا قـــال:

" سيدي لقد ورد علينا مكتوبكم الذي راقت من سواد النقش سطوره، واستنارت بين السطور طروسه، وأرانا من خـــط أنـــاملكم معجزاتـــه. فبهرت آياته، وأطربتنا بتغريد الطيور همزاته فعوزنا بالســبع المثـــاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته. ولقد ذكرتنا رسالتكم بمـــا كنـــا نتلقاه في أيام الدراسة مجالس السادات النقاد معادن الفصاحة والبلاغـــة في المعتاد، المتقدمين من مشائخ بني الرقاد وما جبلـــوا عليـــه وظهـــر عليهم آثاره من النفحات الربانية والأساليب الفصيحة الأدبية، والتعـــابير

120. ينظر مخطوط الرسالة.

البلاغية مع الأحوال السنية. فلا وربك ما هي إلا نفحة من نفحاتهم ورمية من كنانتهم، وقد هززنا بكتابنا إليكم جزع أدبكم كي يتساقط علينا رطبا جنيا... فجاد وأروى وأجاد فيما روى، وأحيا من قرائحنا ميتا كاد أن يكون حديثا يروى، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى. أحيا الله قلوبنا وقلوبكم بمعرفته ونوامس رحمته"[121].

وبعد أن أخبره بفرحه بزيادة مولوده الجديد مولاي عبد الله ووصيته لأمه بعد مغادرته أرض تاوريرت[122]، حمّله بعد ذلك أمر أخذ المولود من عند أخواله هناك بأرض تاوريرت والتكفل بتربيته وتعليمه، وهذا بسبب ما كانت عليه الأوضاع في تلك البقعة آنذاك، وما ساد فيها من الغفلة عن العلم والدين - كما قال- وفي ختام الرسالة بلغه سلامه إلى بعض أحبابه وأبناء عمومته في هذه البقاع. وقد أرخها الكاتب في أواسط جمادي الثانية عام(1095هـ) أي بعد عامين من ولادة ابنه مولاي عبد الله (1093هـ). وقد ذكر الشيخ محمد بن المصطفى بن عمر الرقادي أنه عثر بنفسه على الوثيقة التي وكّل بموجبها الشيخ مولاي علي بن الزين ابن عمه الشيخ

121. ينظر مخطوط الرسالة..

122. من قصور رقان جنوب الولاية أدرار بنحو145 كلم تقريبا. وهي بلد أم المولود مولاي عبد الله وبجوارها مدفون الشيخ مولاي عبد الله الرقاني وابنه مولاي عبد المالك. بالمكان الذي تأسست فيه الزاوية الرقانية المعروفة إلى الآن.

مولاي علي بن مولاي امحمد بتربية ابنه مولاي عبد الله وتعليمه وهي بخط أحمد الإمام بن محمد عبد الله الجعفري البوحامدي، وبتاريخ أواخر شوال عام (1108هـ) كما جاء في المخطوط.

ومن الرسائل الإخوانية التي دارت بين علماء توات أيضا هذه الرسالة[123] التي راسل بها الشيخ سيدي عبد الرحمان بن علي التزلاغتي(ق12هـ) صديقه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133هـ)، وطلب منه الحضور والرجوع الفوري إلى بلدته تمنطيط وذلك بعد موت أخيه الحاج محمد القاضي رحمة الله عليه حيث قال:

" بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، هذا كتاب وجيز مختصر عزيز مبدؤه بحمد الله الكامل الستار، وختمه بشكر الله العزيز الغفار، ممزوج بسلام متصل لا منفصل عدد الأعوام والشهور يفوح لدى انتشاره بالمسك والكافور، على الأخ الصديق الوثيق المحب الأنيق الذي تغرب عنا وعن أوطانه غربة انقطاع، واستأنس بغيرنا ولم يلتفت نحونا من يوم الوداع، كأنه لم يعرفنا قط على مائدة الاجتماع، ذي المآثر السنية والخصال المرضية، الشهير ذكره في المحافل، ووسمه في القبائل، العالم الأفضل ،بركتنا ومحل ودادنا، سيدي محمد البكري بن سيدي عبد الكريم التمنطيطي، من محبكم طبعا أخوكم في

123. ينظر: مخطوط درة الأقلام ص90، وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص126 وما بعدها.

ذات الله شرعا عبد الرحمـــان بن علي التزلاغتي وبعد: فإن تفضلـــت عنا بالسؤال فنحن بحمد الله على خير وعافية جملة وتفصيلا، والســـلام على من تعلق بكم من أهل وولد، وطالب لازم، ومحب دائم وحاصـــل الأمر قد هتف بي هاتف الشوق واللقاء ومؤانسة الأصـــدقاء الإخـــاء، وحرك مني الساكن، ونطق منـــي الكـــامن، وطفقـــت أقـــول منشـــدا بلساني[124]:

بســـم الإله أبـــتـــدي أولا وبـــه   توطية لقول في النظــــــم أبداها

إلى أن قال في ختامها:

و ما عليك إذا ما جئتنـــا زائـــرا   تنل من الأجر لا خاب مـــن نواها"

وهي رسالة شعرية في أصلها افتتحها الشاعر بهـــذه المقدمـــة التـــي عاتب فيها أخاه وصديقه سيدي البكري لما بدى منه من انقطـــاع و جفـــاء طيلة مدة غيابه عن بلدته تمنطيط، وهـــو ما ألـــب شـــوق الشيخ سيدي عبد الرحمان بن علي ودفعه إلى خط هذه الرسالة .

وتذكر بعض المصادر[125] هنا أنه وبمجرد وصول هاته الرســـالة إلـــى الشيخ سيدي البكري رحمة الله عليه تحركـــت أشـــواقه نحـــو بلدتـــه تمنـــطـــيـــط، وعاد إليـــها لوقتـــه، حيـــث ولي بها القضـــاء سنة(1092هـ).

---

124. ينظر نص القصيدة في غرض العتاب ص168 من هذا البحث.

125. ينظر: كتاب النبذة ص128.

ومن الرسائل المتبادلة بين الآباء وأبنائهم نصحا وتوجيها ما راسل[126] به الشيخ القاضي سيدي عبد الكريم بن البكري(1174هـ) ابنه سيدي البكري ردا على شكوى وصلته من الشيخ سيدي عبد المولى ضده، فخاطب الشيخ ابنه واعظا وزاجرا حيث قال:

" بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه أما بعد: فالإعلام لولدنا سيد البكري أن الشيخ سيدي عبد المولى، رفع شكواه منك إلينا متظلما، فأرفق بنفسك وأترك عنك ما ذكر من التخريب والتزوير، والتكذيب والجور والفجور، ووار نفسك تحت الحدور لأنك أشد بلاء من المجدور،فإياك وإياك وإلا وقعت في المحظور، فإلى متى ينقطع تساهلك وتلاعبك بأمور الشريعة، وإلى متى تعترف بجهلك يا خبيث السريرة،إن لم تخف ويلك من النار ،فاتق ما يلحقك بسبب جرمك من الاحتقار، وهتك الحرمة والعار، فبالله أخبرني بالذي حملك على الخوض في قضايا الناس، وخصوصا من تزيا منهم بزي العرب أتجعل عرضك هدفا للسب والقذف، فتأهب أن يكون بدنك وطئا للسوط والخوف، ألم تعلم يا أحمق أن العبد بين الخلق وخالقهم، فإن أطعته خدموك، وإن خدمتهم خذلوك، والخذلان يكون بالضرب والشتم والسجن والقيد، فاستعد لهذه الأمور، وإن خدمت الخلق ونسيت الحق، وإن حملك على ما صدر منك من التخليط بين القبائل بأنواع القبائح، التي لم تؤثر عن الأواخر والأوائل

---

126. المصدر نفسه ص152 وما بعدها.

مــا كنت تكتبه في سجلاتك الخائنة وأحكامك الكاذبة، من قولك نائــب والده، فإني قط ما أنبتك ولا أقمتك مقامي فلا، إني لا أجعل على الناس من يفسد لهم دينهم ودنياهم، فدينهم بكــلام الباطــل، ودنيــاهم بالقتــل والظلــم، فالإثم عليك لأني برئ مما كنت تصنع، لا علي فــي ذلــك، فــإن كنت تسمع النصح وتتلقاه بالقبول فــارجع لبلــدك، ولازم دارك وأترك عنك الطمع في الناس، لأنه يفسد عليك ما تصلحه، وقد قيــــل مــا هدم الدين مثل البدع، ولا أفسد الرجال مثل الطمع، روض نفســك وتكلف القراءة، واطلبها من الناس الذين هم العلماء، لأنك جاهل فــــإن جهلت إنــك جاهل فجهلك مركب، وإن علمت أنــك جاهــل فبســيط، وكــلتا الحالتين مذمومتين، فاختر لنفسك وإن أبيت فلا تلومن إلا نفسك، وأحكامنا تجري عليك أينما كنت، والسلام".

وقد جاءت رسالة الشيخ سيدي عبد الكريم بــن البكــري لولــده شديــدة اللهجة أمره فيها بالرفق بنفسه أولا، ثم الابتعــاد عــن مــا أسمــاه التخريب والتزوير، والجــور والفجــور، والتلاعــب بــأمور الشريعة. وقد بلغ الغضب بالوالد حد وصف ابنــه بالجهــل والحمــق، وخبث السريرة، وبعد هذا راح الشيخ يتساءل في غرابة عــن دوافــع ابنــه في الظلم والخوض في قضايا الناس. متخذا مــن مقــام والــده ومكانته في عصره ملاذا له في جميع مخالفاته، وهو ما دفــع الوالــد للتبرء منه في هذا الفعل.

ولقد كان لهذه الكلمات وقعها الشديد في نفسية الابن سيدي البكــري كما تذكر الروايات[127]، حيث تاب من فعلته وعاد إلى رشده.

وكما جاءت الرسالة في الأدب التواتي توجيها للأبناء وعتابــا لهــم على بعض أفعالهم، جاءت عنهم أيضا اعتذارا من الأخ إلى أخيه ومــن الصديق إلى صديقه حين يقع بينهما ما يوجب العذر كمــا هــو حــال الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني(1221هـ) في رسالته[128] لابن عمه الشيخ سيدي عمر بن عبد الرحمان التنلانــي (1221هـ) التي يقول فيها:

" إلى أخينا النبيل الأوحد المثيل الخليل الجليــل الفقيــه المطــالع، الكاتب البارع، الذي إلى جمع المكارم مسارع، أبي حفــص سيــــدي عمــر بن عمنا الحاج عبد الرحمان كلاه ورعاه وانجح بمنــه مطلبــه ومسعاه. وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورضوانه وتحياتــه. هــذا وأنه وقع مني إليك ما أوجب عن أن أعتذر، وإلى مرضاتك أن أســعى وأبتدر، وأقول ممتثلا فيما يناسب قدرك، العفو أولى بمــن كانــت لــه قــدرة لاسيما عن مقر. وها أنا أقدم بين يديك أبياتا ليقومــوا عني مقام معذرتــي، فليطالعهم مولانا ببصره الحديد، وليجل فيهم فكره الســديد وقــد سميت تلك الأبيات باسم نسيب وهو تحفة اللبيب في طلب مرضاة الحبيب".

---

127. ينظر كتاب النبذة ص153.

128. ينظر كتاب قطف الزهرات ص94 وما بعدها.

ورسالة الشيخ سيدي عبد الله لابن عمه جاءت في شكل قصيدة شعرية على وزن الطويل وبروي حرف الصاد بصوته الصفيري ليوقعها مدوية في أذن صاحبه حيث. قال في مطلعها:

سلام يدوم ما تلذذ بالرقص معن وما رنت بلابل في قفص[129]

وقد افتتحها الشيخ كما رأينا بمقدمة مزج فيها بين المدح والاعتذار ليشرع بعدها في طلب العفو مباشرة عن ما وقع منه وأوجب العذر والرضا. وبعد الانتهاء من القصيدة عاد الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الرحمان ليؤكد اعتذاره عما بدا منه اتجاه صديقه طالبا رضاه عبر رد مكتوب وموثق عله أن يخفف من معانات الكاتب ويبعد وساوسه كما قال:

"... وقد تم ما أملته، وانتهى ما قصدته، والمطلوب من سيدنا ومولانا أن يقابل ذلك بالرضى، وينظر فيه نظرة الأغضى، فإن رأى سيدنا أن يحط عن أخيه بعض أحماله، ويحتسب الأجر في إبلاغ آماله فذلك المرجو من فضله، والله يؤيده بقوته وحوله. فاجبر بعفوك كسره، وفك من أيدي الأكدار أسره، ورد بسريع الجواب عقله. والله يبقيك ويرقيك والسلام. وكتب الموسوس من ضيق الصدر والحرمان، محمد عبد الله بن عبد الرحمان التنلاني"[130].

129. ينظر نص القصيدة في غرض المدح ص125. من هذا البحث.

130. ينظر نص القصيدة في غرض المدح ص125 من هذا البحث.

ومن مراسلات الشيخ لتلميذه ومريده نذكر هذه الرسالة[131] التي بعث بها الشيخ سيدي المختار بن سيدي بابا أحمد الكنتي (1226هـ،1811م) لبعض تلاميذه ممن تثاقل عن زيارته واعتذر بأسباب مختلفة حيث ذكره الشيخ الكنتي بداية بما قاله الشاعر في زيارة الأحباب ثم ثناه بعد ذلك بجملة من الأدعية بما ييسر أموره ويحقق أمانيه في الدارين معا كما قال:

"حمدا لمن فتق عن حقائق الحكمة رتق قلوب أوليائه، وجعلهم يعسوب أرواح أصفيائه، والصلاة والسلام... متوجهان إلى حضرة المصطفى من أنبيائه، وعلى ءاله وأصحابه وعترته وأبنائه. هذا وإنه من عبد الله المختار بن أحمد بن أبي بكر إلى سائر البنين والإخوان الذين قيدتهم عن كثرة الغشيان. أيد الزمان فصاروا بين باعث لكتاب، ومقتصر مجرد خطاب. وذلك غير قادح قدحا فادحا إلا أن الشاعر قال:

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه سهل و أوعار

لا يمنعنك بعدٌ عن زيارته إن المحب لمن يهواه زوار[132]

131. ينظر مخطوط الطرائف ص393 وما بعدها.

132. البيت من بحر البسيط ولم نعثر على قائله. وهو بلانسبة في كتاب المستطرف ج1ص216.

السلام والرحمة يؤمان ساحتكم، ويقبلان راحتكم.

أما بعد: حققكم الله بحقائق الإيمان، وأقامكم مقام أهـــل الإحســـان، ورزقكم العبودية الحاصلة عن الشهود والعيان، وأصحبكم العافية فـــي كل وقت وزمان، وجعلكم رحمة بين عباده، وأمنا في بلاده. ينزل بكـــم الغيث، ويذر بكم الرزق، ويدفع بكم الأسواء ويصرف ببركتكم الـــبلاء. واستخلفكم زاكين مزكين، عالمين معلمين، وآتـــاكم الكتـــب والحكمـــة والملك المبين الذي أتاه إبراهيم وإسماعيل حتى تكونوا بفضله كـــاملين مكملين ومنّ عليكم بالقرب الأعظم وحققكم بمقام العبودية الأتم، ونـــور قلوبكم بنور صفاته وحققكم بتجليات ذاته...".

إلى أن قال في ختامها:

" فمتى دمت على تلاوتها على ما وصفنا انفتح لـــك مـــن الفتـــوح فـــوق مـــا كشفنا والله تعالى الموفق للسداد بجلائل الإمداد ومن أبلغها في باب النفع وأعلمها في الأخذ بمجامع السمع والطبع"[133].

وللشيخ سيدي المختار الكنتي رسائل أخرى كثيرة على هذا النحـــو وقد جمع بعضها إبنه في مخطوط الطرائف والتلائد[134] كما هو الحال مع وصياه، فكما راسل الشيخ سيدي المختار غيره مـــن العلمـــاء فقـــد تلقـــى هو الآخر مجموعة من الرسائل من طلبته ومريديه وبخاصـــــة

133. ينظر مخطوط الطرائف ص393 وما بعدها.

134. ينظر الباب السابع من مخطوط الطرائف والتلائد.

ابنه الشيخ سيدي محمد بن سيدي المختـــار(1241هـ1836م) الـــذي نستشهد له بهذه الرسالة[135] التي جاءت منه لأبيـــه طلبـــا لتوضـــيح بعـــض الأحكام الشرعية المتعلقة بأمور التجارة حيث يقول:

"الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبـــده، وعلـــى ءالـــه وصحبه، وعترته من بعده، وعلى التابعين وتابعيهم على ذمـــته وعهده. استفتاء وشرح حال سيدنا سدد الله بتســـديدكم الأنـــام، وســـود بســـؤدد سيادتكم الأتباع والأشياع والأحشـــام، وأشـــاد بإشـــادة مشـــيد عزكـــم فسطاط أهل الإسلام والاستسلام، وأدام بديمومة دوامـــه مـــن عمركم الليالي والأيام، ورفع من شُرف من شـــرفكم البـــاذخ رايـــات الخصوصية والأعلام، وأقام بقوام تقديمكم قامة الشـــريعة والأحكـــام، ومـــلأ بأنافة منيف ذكركم الملإ الأعلى والأقطار والمهامـــه والآكـــام وجلاكم بسلام يسالمه التبجيل والاحترام ، ويستلم ســـلامه الرضـــوان والمبرة والإكرام. ما دخل أهل الجنـــة فراديســـهم بســـلام وإســـلام، وعانـــقوا حور الخصوصية بغبطة واحتشام، واختصكم بتحيـــة أشـــفى مـــن حسو المدام، وأشهى من برء الآلام، وأزهى من ملائمة القراطيس للأقلام، عند تعذر المشافهة والمكافحة بالكلام، وأكرمكم بـــروح مزيـــد الاحترام، وريحان ازدياد التوقير والاستسلام".

135. مخطوط الطرائف والتلائد ص514 وما بعدها.

وبعد هذه المقدمة المدحية التي استعرض فيها الكاتب قدراته اللغوية، وأثنى فيها على والده الثناء الحسن، ورفع من مقامه وعلو شانه خلص إلى الحديث عن مرغوبه في طريقة التعامل مع بعض معاصريه في ما له علاقة شرعا بأمور البيع والشراء كما قال:

" وربما التمس بعض المذكورين مني بعض المآرب الخاصة فأحاول القيام بها رعاية للشروط، مع حسن التعلق بالمشروط. فكنت أتحمل ما أرى أن فيه وفاء بمثاربهم، وقضاء لبعض ما يتعين من حقوق المروءة، وربما بايعت من ذُكر رعاية لمصلحة الجانبين وليس من ذلك ولله الحمد والمنة عن ميل إلى التكاثر والجمع، بل المقصود الأعظم أن تكون كلما نابت نائبة من النوائب الكثيرة كان باليد ما يكون لها سدادا على أيديكم، ليكون ذلك أمتع في تحصيل المرغوب أشفع في الوصول إلى المطلوب"[136].

ولعل آخر نموذج نقف عليه من رسائل هذه المرحلة هو ما كاتب[137] به الفقيه سيدي أحمد زروق البداوي الجعفري(1244هـ) الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ق12هـ) قائلا:

" الحمد لله إلى الفقيه الرضى العلامة المرتضى سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي ألف سلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى

---

136. مخطوط الطرائف والتلائد ص514 وما بعدها.

137. ينظر نص الرسالة مخطوطة في خزانة قصر باعبد الله أدرار.

مــن اكتنفته دائرتك وخصوصا أبي فارس سيدي عبد العزيز(ق13هـ) أعــزه الله وحرسه. وبعد فالإعلام لك بأني لست مفتيا ولا قاضيا بــل ولا شاهدا ولا حريصا على شيء من هذه الخطط بل ولا أرتضي ذلك وأنا عائذ بالله ومستجيرا به بحرمة نبيه من جميعها لا لنفسها حاشــا لله إذ هي من أرفع الخطط والرتب بل لما يعرض لمن ابتلى بشيء منــها في عرضه الذي هو أعز الأشياء على العاقل. وما من صاحب خطــة من هذه الخطط إلا هو هدف للقيل والقال ولا يسلم عرضه عند وضيــع أو رفيع، أوشريف أو مشروف ورحم الله القائل:

" تسع أين منها أولو الأحــلام والهمــم الســنية، وهــي الشــهادة والحكومــة والتعرض للقضية، وكذا الأمانة والرياسة والقبول للمريــة، ثم الوكالة والخصومة والوصية إلا بحال ضرورة تدعو لها مع حســن نية، فسد الــزمان وأهــله إلا قليل في البريــة[138].

ولأجل هذا أقول بالله عليك يا سيدي الفقيه أخبرنــي لموجــب ردك الشهادة مع قبولك لها سنين متطاولة. ألفسق طرأ علــي وشــهدتَ بــه عيــانا أو أخبرك به شاهدان مبرزان أم لما قدر الله وقضى"

ويبــدو من خلال نص الرسالة أنها جاءت ردا على رسالة قبلهــا توجــه بها الشيخ البلبالي للشيخ ســيدي أحمــد زروق وأنكــر فيهــا

138. لم نعثر على صاحب المقولة.

شهادتـــه على خطة ما كان الشيخ البلبالي قـــد طرحهـــا للـــرأي لكـــن الشيـــخ سيدي أحمد اعتذر عن ذلك في رده معللا موقفه ببعـــده عـــن الفتوى والقضاء من جهة، وبحرصه وخوفه لما قد يتعرض إليـــه مـــن ابتلي بشيء منها في عرضه وهو أعز الأشياء على الـــنفس. والشـــيخ زروق في كل هذا يستغرب أخيرا لموقف صديقه البلبـــالي فـــي عـــدم قبـــول شهادته تلك مما جعله يستفسر الشيخ عـــن ســـبب ذلـــك مـــن موجبـــات رد الشهادة المعروفة.

ولعل من أهم الموضوعات التي بنيت عليها الرسائل التواتية هـــي الموضوعات الفقهية والقضائية ودارت بين العلماء والـــــقضاة فـــــي ذلـــك عشرات الرسائل[139] من ذلك ما راســـل[140] بـــــه الشيـــــخ سيـــدي أحمد زروق (1244هـ) الشيخ أبو عبد الله سيدي الحاج محمـــد بن عبد الرحمان (1244هـ)[141] قوله: "الحمد لله وحده، صلى الله على

139. يمكن الرجوع لمخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات مـــن القضايـــا والمسائل. لجامعه سيدي الحاج بن عبد الرحمان البلبالي وابنـــه ســـيدي عبـــد العزيز وسيدي محمد العالم البكري . خزانة تمنطيط أدرار.

140. ينظر نص الرسالة في مخطوط الغنية ص07 وما بعدها.

141. هو الشيخ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي، ولـــد يـــوم عرفة عام1155هـــ ولذلك سمي بسيدي الحاج كما هي العادة فـــي الإقليـــم وتوفي بين المغرب والعشاء ليلة الإثنين السابع من جمادي الأخـــيرة سنة 1244هـــ. ينظر مقدمة مخطوط الغنية.

سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم، الأخ في الله القاضي أبـــو عبـــد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان... أما فالواجب على كل مؤمن خصوصا من ولي أمرا من أمور المؤمنين... أن يخاف الله في الناس ولا يخـــاف الناس في الله، وقد روينا عن طريق صحيح عنه صلى الله عليه وسلــم أنه قال: من ملك عشر رقاب من المسلمين حشر يوم القيامـــة مغلولـــة يـــده إلى عنقه حتى يطلقه العدل أو يوثقه الجور. وأرجـــو الله تعـــالى لـــي ولك النجاة والخلاص يوم الجزاء والقصاص، يوم تجد كل نفـــس مـــا عملت من خير محضرا، وإياك أخي أن يصدك عما عزمت علـــى تنفيذ حكمك فيه بعد وضوح برهان أمر تخشاه، أو مكروه تتوقـــاه".

إلى أن قـــال: "... والله الخليفة عليك وإياه سبحانه أستودعه أمـــري وأمرك وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام".

وأخيرا إن أهم ما يمكن أن يلاحظ على أدب الرسائل في منطقـــة توات هو أنها جاءت متنوعـــة لتشـــمل الآبـــاء وأبنـــائهم، والشـــيوخ وتلاميذهـــم، بالإضافة إلى الأصدقاء والزملاء بعضهم الـــبعض. كمـــا أنـــها مُسحَت في عمومها بطابع النصح والإرشـــاد الممـــزوج أحيانـــا بمسحة اللوم والعتاب، وإلى هذا كله فقد أختار بعض الكتاب لرســـائلهم قوالب الشعر الأقرب وصولا إلى الذهن والأكثر تأثيرا على النفـــس.

4. أدب الـــرحـــلات:

عرف التواتيون عبر تـــاريخهم الطويـــل – كغيـــرهم مـــن أبنـــاء الجزائر[142]– بكثرة رحلاتهـــم وتـــنقلاتهم بـــين العواصـــم والمـــدن التاريخيـــة أداء لفريضة الحج والعمرة حينا وطلبا للعلم والمعرفة فـــي أحايين كثيرة، ومع كل خطوة من خطوات هذه الرحلـــة أو تلـــك كـــان القلـــم أنيسا وشاهدا على كل كبيرة وصغيرة مـــن يوميـــات الرحلـــة. وهكـــذا أصبح للعالم الواحد أكثر من رحلة مدونة يفتتحهـــا بخروجـــه مـــن مقر قصره بتوات ويختتمها بالعودة إليه.

ومع مرور الأيام شكلت هذه الرحلات مادة تاريخيـــة هامـــة لكـــل مرحلة من هذه المراحل من جهة، بالإضافة إلى بعض المسح الأدبيـــة التي تتخللها أحيانا خصوصا في المقدمة والخاتمة بالإضافة إلى بعـــض الفقرات هنا وهناك.

ولعل من أشهر الذين أرخوا لأحداث رحلاتهم المختلفة في منطقـــة توات نذكر الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلانـــي(1189هـ) الذي اشتهر بين علماء عصره بكثرة رحلاته وتنقلاته طلبا للعلـــم أولا، وزيارة للروضة الشريفة وأداء لمناسك الحج ثانيا. وهو في كل هـــــذا قـــد أرخ لنا لرحلات أربع[143] فقط، لا تزال إلى الآن مخطوطة فـــي خزائن الإقليم. ومما وقفنا عليه شخصيا من رحلات الشيـــخ.

142. ينظر تاريخ الجزائر الثقافي ص381.

143. ينظر كتاب الغصن الداني ص58 وما بعدها.

أولا: رحلته[144] إلى الحج والتي جاءت تلبية لطلب أخويه فـــي الله سيدي عومر بن سيدي عبد الرحمان، وابن عمه سيدي إدريـــس فـــي أمـــر مرافقتهما إلى الحج، خصوصا بعدما لقيــه مـــن مســـاعدة بعـــد اعـــتذاره لهما ذات اليد كما قال:

" الحمد لله الذي فرض على المكلفين من عباده حج بيتـــه المحـــرم العتيق، وجعله حرما وغفر ذنوب من حجه وهو بذلك حقيـــق، أحمـــده على ما هدانا إلى خير طريق، وأشكره على ما منحنـــا مـــن التوفيـــق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة تنجينا بها من عـــذاب الحريق ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى خير فريـــق. اللهم صل عليه وعلى ءاله وأصحابه الذين أقامـــوا الديـــن أفضلهـــم أبو بكـــر الصديق وبعد: فلما منّ الله علي بالتوجه لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام، وذلك لما تحركت لذلك همـــة الإخوان في الله سيدي عومر بن سيدي عبد الرحمـــان، وابـــن عمـــه سيـــدي إدريس بن شيخنا العلامة سيدي عومر، فاستشاراني فـــي ذلك فأشرت عليهما في الجد في ذلك فطلبا مني المرافقة فاعتـــذرت لهمـــا ذات اليـــد...".

وبعد هذه المقدمة شرع الشيخ سيدي عبد الرحمان في التأريخ لأيام رحلته يوما بيوم حيث أخبرنا بداية عن زمان ومكان الانطلاق، والـــذي كان من قصره بتنلان بعد صلاة جمعة يوم العاشر من شـــهر جمـــادي

---

144. مخطوط الرحلة وهي في أكثر من نسخة خزانة قصر باعبد الله أدرار.

الثانية سنة(1188هـ). ثم استمر بعدها في الحديث عن أهـم مواضـع حلـه وترحاله، وكذا أهم الأحداث المسجلة في كل ذلك:

" فخرجنا من بلادنا بعد صلاة الجمعة العاشر من جمـاد الأخيـر ونزلنا مدينة تمنطيط[145]، اصفرار يومنا وأقمنـا بهـا يـوم السـبت، وأسريـنا منها وقلنا زاوية الجديد[146] ثم أسرينا منهـا وقلنـا زاويـة الرقاد[147] وبتنا بها ثم رحلنا منها لقرية بوعلي[148] وزرنـا بهـا قبـر الولي الصالح العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، وبتنـا بهـا وقلنا، ثم رحلنا منها ظهر يوم الأربعاء متوجهين لبلاد تـدكلت، وبتنـا دونها يومين، وقلنا يوم الجمعة قرية تمقطن، ثم رحلنـا منهـا لزاويـة سيدي أبي الأنوار، وأقمنا بها ثلاثة أيـام، ثـم رحلنـا منهـا لأولـف

145. تمنطيط كانت عاصمة الإقليم قديما. وهي تقع جنوب الولاية أدرار بنحـو عشر كيلومترات تقريب.

146. تعود لمؤسسها الشيخ سيدي المختار بن سيدي محمد بن عومر. وتقع على بعد خمسة وأربعين كم تقريبا من مقر الولاية أدرر. وهي تابعة إداريا لبلديـة تامست.

147. المقصود هي الزاوية الكنتية التي تعود في تأسيسها إلى الشيخ سيدي أحمـد بن مجمد المعروف بالرقاد. وهي على بعد خمسة وسبعين كم تقريبا جنوبا من مقر الولاية أدرار.

148. من قصور بلدية زاوية كنتة يعود في تأسيسه إلى أبي علي البرمكي. كـان موطنا للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر. وهو مدفون بجوار هذا القصر.

الأشـــراف وبتنا به، ثم لزاوية تقرافت، وبتنا بها، ثـــم أســـرينا منهـــا سحـــرا متوجهين لبلاد دبدر فنزلنا بأولاد موسى وأضافنا بهـــا ســـيدي علي بن سيدي أحمد، ثم رحلنا لزاوية أبي نعامة نفعنا الله به وزرنـــاه، وهو الذي أحيا سنة الحج من بلاد توات والتكرور، فأقمنا بهـــا أربعـــة أيام، واستجرنا هنالك دليلا من الطوارق واسمه (تكمن)، ثم قمنا منهـــا متوجهين لعين صالح، وأخذنا طريق الغابة، وبتنا دونها أربـــع ليـــالي، واستهلّنا شهر رجب في الليلة الرابعة منهـــا، ليلـــة الخمـــيس الثـــامن والعشرين من أغشت، وقمنا بها أربعة أيام، وأكرمنا بها محبنا ســـيدي أحمد بن الفقيه سيد الحاج ابراهيم، والسيد محمد بن الحـــاج، والحـــاج محمد بن لحسن من أولاد أبي القاسم، والحاج محمد بن عبـــد الله مـــن أولاد الحاج فجزاهم الله عنا خيرا"[149].

واستمرت الرحلة في الأودية والصحاري الجزائرية والليبيـــة أولا لمدة تزيد عن أربعة أشهر من يوم الجمعة العاشر من جمادي الأخيـــر حتى يوم الإثنين الثاني والعشرين من شوال، وهو يوم عبـــوره النيـــل ودخوله القاهرة وتيهه عن جماعته لأيام- كما قال- بسبب الزحام وكثرة المارة في الأزقة، ومن القاهرة كان التوجه إلى البقاع المقدسة.

والشيخ سيدي عبد الرحمان في هذه الرحلة تحدث عن كل كبيـــرة أوصغيرة شاهدها أوسمع عنها، كما أرخ لكل مرحلـــة مـــن مراحلهـــا

---

149. ينظر مخطوط الرحلة. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

تأريخا دقيقا بالأيام والشهور. وأضاف إلى هـذا تـراجم لكثيـر مـن الشخصيات التي صادفها في طريقـه أو نـزل عنـدها. ولأن نسـخ المخطوط التي اطلعنا عليها جاءت مبتورة جميعهـا لـم نـتمكن مـن معرفـة شيء عن أيامه في البقاع المقدسة[150] ولا عن خـط عودتـه منها، لكن الأكيد هنا أنها الرحلة الأخيرة له إلى الحج والتـي توفـي فيهـا في أعقاب عودته من أداء مناسك الحج التي وافقت شهـر ذي الحجة، ودخوله القاهرة في شهر محرم، الموافـق لبداية السنة الهجرية الجديـدة (1189هـ) أو بداية شهر صفـر الـذي توفـي فـي آخـره بتاريخ يوم التاسـع والعشرين منه. ودفنه بمقبـرة[151] سيـدي عـبد الله المنوفي.

وإذا استثنيـنا تلـك المقدمـة التـي افتتـح بها الشيـخ سـيدي عبد الرحمـان بن باعومر التنلاني رحلته إضافة إلى بعض الفـقرات في طياتـها فـإن الرحلة بدت أقرب إلى التأريخ منـه إلـى الـنص الأدبـي الراقـي.

---

150. ذكر الشيخ باي أن تاريخ وصول الشيخ إلى مكة كان في السـابع مـن ذي الحجة 1188هـ. ينظر: الغصن الداني ص60.

151. زرنا المقبرة في سبتمبر2004. ووجدنا بها قبرا مجهولا بجـوار الشـيخ سيدي عبد الله المنوفي، لكننا لم نتأكد من نسبته للشيخ سيدي عبـد الرحمـان بسبب قدم ودقة الكتابة عليه. غير أن حارس المقبرة أخبرنا بأن القبـر لعـالم مشهور وهـو من خارج مصر.

وللشيخ أبي حفص سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي (1152هـ) هو الآخر رحلة[152] مشهورة في طلب العلم انطلق فيها من منطقة توات وصولا إلى مدينة فاس بالمغرب، واستمرت تحديدا من سنة سبع عشرة ومائة وألف(1117هـ) حتى آخر سنة تسعة وعشرين ومائة وألف(1129)، كما هو مؤرخ لها داخا النص. وقد تحدث فيها الشيخ سيدي عمر بداية عن سببه الرئيسي في السفر والمتمثل أساسا في تطلعه إلى لقاء شيخ يحل له ألفاظ ومعاني ألفية ابن مالك في النحو ولكون بلدته كانت خالية من العلماء – كما قال– فقد عزم على السفر لسجلماسة ومنها إلى فاس بالمغرب مستندا في ذلك على ما جاء في فضل طلب العلم حيث يقول:

" الحمد لله الذي شرف العلم وجعل له أهلا، والصلاة والسلام على من طاب أصلا وفرعا، وعلى ءاله الأطهار وصحابته الأخيار وبعد: فقد كنت في حال صغري مشغوفا بالعلم، مولعا بطلبه مشتغلا بقراءة الشيخ خليل، وألفية بن مالك، مقبلا على ذلك متشوقا إلى شيخ يحل ألفاظها ويوقفني على معانيها. فلم يتفق لي ذلك لكون البلد شاغرة من العلماء، إلى أن شرح الله صدري فتوجهت همتي للسفر لسجلماسة أو لمدينة فاس قصدا لذلك، فثنيت عنان عزمتي، وصرفت لذلك وجهتي. وقد ورد في فضل طلب العلم أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه

152. ينظر مخطوط الرحلة خزانة قصر باعبد الله أدرار.

وسلم. ففي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا للجنة[153]. وقال صلى الله عليه وسلم: أفضل الأعمال طلب العلم[154]. وقال عليه السلام: إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب[155] إلى غير ذلك من الأحاديث. فسافرت لطلب العلم من توات لمدينة فاس سنة سبع عشرة ومائة وألف، وأقمت فيها مشتغلا بالقراءة والإقراء إلى آخر سنة تسع وعشرين ومائة وألف، نحو ثلاثة عشرة سنة".

وبعد هذه المقدمة شرع الشيخ سيدي عمر في تتبع سلسلة شيوخه في العلم، وأهم العلوم التي أخذها عنهم، وكذا عرض بعض المسائل الفقهية والأحداث التي مر عليه هناك. وفي نهاية الرحلة خلص إلى ذكر سلسلة سنده في الطريقة من شيخه الأول سيدي محمد بن عبد الرحمان بن بوزيان القندسي عن سيدي مبارك العربي دفين سجلماسة، ومرورا بأبي العباس المرسي، عن أبي الحسن الشاذلي، عن سيدي عبد السلام بن مشيش. ووصولا إلى الحسن البصري

---

153. صحيح البخاري. كتاب العلم. المجلد الأول. ج1 ص25.

154. لم أجد له سندا. والأحاديث الواردة عن رسول الله(ص) في أفضلية الأعمال هي: في الإيمان بالله ورسوله، والصلاة لوقتها، والحج والعمرة، والجهاد في سبيل الله.

155. صحيح ابن خزيمة. تحقيق د محمد مصطفى الأعظمي ج1 ص13. المكتب الإسلامي بيروت لبنان(1390هـ1970م).

عـــن الإمام علي- كرم الله وجهه - عن سيدنا رســـول الله صــــلى الله عليه وسلم.

ومخطوط الرحلة يقع في أربعة عشـــرة ورقـــة ونصــــف(14،5) بمجموع تسع وعشرين صفحة(29ص). وهي منسوخة من خط مؤلفها بلا واسطة-كما قال- ضحى يوم الأربعاء السابع عشر من ذي القعـــدة الحرام عام اثنين وأربعين ومـــائتين وألـــــف(1242هـ). لناسخـــــها الشيـــخ محمـــد بن محمد عبد الرحمان بن محمد بن عز الدين.

وغير الشيخين سيدي عبد الرحمان بن عمر وسيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر فقد كتب الشيخ سيدي عبد الرحمان بن سيدي إدريس التواتي(1181هـ) هو الآخر رحلة[156] مشهورة قادته فيهـــا المســـيرة إلـــى الجزائر المحروسة بتاريخ أول شـــعبان ســـنة إحـــدى وثلاثـــين ومائتيـــن وألف(1231هـ) تاريخ الانطلاق من زاوية جده بتنلان مرورا ببلدة تيميمون وبلاد الزاب بغارداية أولا وكذا مـــدن المديـــة والبليـــدة وأرض متيجة ثانيا ووصولا أخيرا مع طلوع فجر يوم الأربعـــاء إلـــى الجزائر المحروسة.

---

156. مخطوط الرحلة ورد في ثلاث نسخ. النسخة (ا)(1244هــ). خزانة قصر باعبد الله أدرار. النسخة (ب) (1161هــ) خزانـــة قصـــر باعبـــد الله أدرار. النسخة(ج) خزانة قصر كوسام أدرار.

" الحمد لله والصلاة والسلام علـــى ســيدنا محمـــد ســيد الأولـــين والآخريـــن وعلى ءاله وصحبه أجمعين وبعد: فلما قـــدر الله ســـفري لمحروسة ثغر الجزائر وكان سفري لها في أوائل شهر شعبان المنيـــر أحد شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف(1231هـ)، خرجت مـــن بلدتنا زاوية تنلان ثالث الشهر المذكور، وفي ثامنه دخلت بلدة تيميمون قاعدة قرارة، وأقمت فيها تسعة أيام وخرجت في العاشر– وهو الثـــامن عشر منه – قاصدا مدينة الزاب...".

إلى أن قال في وسطها أثنـــاء بلوغـــه مشـــارف مدينـــة الجزائـــر المحروسة:

"... خرجت مع رجال من بني أمزاب قاصدين مدينة تطّر وهـــي أول عمالة صاحب الجزائر من هذه الطريق، وتسمى ايضا لمدية، وفيها الباي ابراهيم، ودخلناها يوم الأحد عيد الفطر، وأقمنا فيها يومنا ذلـــك. وفي غده خرجنا منها عند الظهر ومشينا يوم ذاك وكثيرا مـــن الليـــل، وأصبحنا عند المدينة المسماة لبليدة وما أحسنها، وأطرفها، حازت جميع المحاسن، وهي عروس ذلك الإقليم، ولا يوجد لها فيه نظير. واشـــترينا فيها ما نحتاجه ليومنا ذاك من خبز أو إدام أو فاكهة ومشينا عنها، وعند العصر دخلنا أرض متيجه، ومشينا فيها إلى الغروب وبتنا هناك ومـــن هناك يسمع هدير البحر وتلاطم أمواجه، فلما قرب طلوع الفجر مشـــينا داخلين للجزائر، ودخلناها وسط ضحى ذلك اليوم وهو يوم الأربعـــاء، ونزلت في الفندق الجديد بباب عزوز اكتريت فيه بيتا، وأقمت فيه ذلك

اليوم، وفي غده يوم الخميس اجتمعت بقاضي المالكية في الجزائر، وهو الفقيه الأجل سيدي الحسن بن قاضي المالكية سيدي الحاج مصطفى الجزائري أصلا ودارا، وتعارفت معه ووقعت بيني وبينه محبة أكيدة حتى صرنا لا نفترق في غالب أوقاتنا، فجزاه الله عني في الدارين خيرا"[157]

وأثناء دخول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس مدينة الجزائر المحروسة وإقامته بها واجتماعه المتكرر مع قاضي المالكية بها، أرخ لنا الشيخ لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي هجوم الإنجليز على الجزائر بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف(08 شوال1231هـ/1815م)، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا حين قال :

" فلما كان يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لنجليز قرب الجزائر في البحر، وهي أربعون سفينة، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير، كل مدفع عمارته قنطار بارود. ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك، وفي ضحى صبيحة الثلاثاء بدلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا بعد أن كانت سودا. والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم.

---

157. مخطوط الرحلة.

وكتب كتابا مضمنه: اعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا انظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا، كان مع جميع أجناس النصارى صلحا وعافية هو على دينه وهم على أديانهم، وانظر صاحب تونس وهو أخوك وضدك صلحا مع جميع جنس النصارى، وصاحب طرابلس كذلك، كل واحد على دينه، وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلا عليك، ولو كنت عاقلا لاقتَدَيتَ بأمثالك. ولا تظن وإني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرنسيس، واصبانيول و... وعدد عليه قبائل النصارى، بل أنا بدر... واليوم اترك عنك هذا وأبدله بالصلح، وإن أبيت عن الصلح فنعم ولكن أخذ الأسرى لا يكون بيننا وشاور على هذا نفسك وكبراء دولتك وأجلتك ساعتين..."[158].

وبعث القائد النصراني كتابه مع أحد جنوده، وأمهل قائد الجزائر ساعتين فقط للرد وهو ما لم يكن كافيا أمام صاحب الجزائر لتحضير الرد بسبب انصراف أكابر البلد ورؤساء الجند إلى حقولهم لأن الوقت وقت خريف، وهنا تعجل العدو الدخول فكان ما كان وفي ذلك كله يقول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس في رحلته:

158. مخطوط الرحلة.

"... فتعطل الجواب على النصراني ودخل بسفنه لـداخل مرسـى الجزائر، وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فحلف لهم القائد علـيهم ويسمى علي قائد المرسى لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له. قيل إن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطارا وقيل بخمس وعشرين وقيل بخمسة عشر. فلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدأ بـه أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به، رمى سـاقية المـاء بثلاثة مدافع، ثم وَالى على المدينة بالبارود وذلك بعد صـلاة الظهـر وقيـل العصر فلم يزل يواليه عليها حتى قرب نصف الليـل ومـدة ذلـك على التدقيق إحدى عشر ساعة غير سـدس بالمكانـة المحققـة وعـدة الكـور الذي رمى بدر إحدى وأربعون ألف كورة علـى مـا أخبـر به شاوشه الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وبعد استقراره بالمرسى وتمكنه أحرق جميع سفن الجزائر وهي أربعة عشـر سـفينة كبار جـدا"[159].

ولم تكن هذه المشاهد الأليمة والمفجعة جميعها لتمـر أمـام أعـين الكاتب سيدي عبد الرحمان دون أن تتحرك لهـا مشـاعره، وتتـدفق أحاسيسه، فيترك العنان لخياله ليصف لنا جلل المصيبة وأثرهـا علـى نفسية كل مسلم.

159. مخطوط الرحلة.

"وحرقه للسفن هو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء، ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء شمس نهارها، ويالها من ليلة شابت فيها الولدان وأسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء والعويل وعظم فيها الكرب والهم والغم فوق ما يوصف ولا يخطر ببال ولا يقدر على الحقيقة شاعر ولا عاقل ولا فقيه ولا مداح ولا فصيح يصف هذه الواقعة بوصفها الحقيقي. ولا أدري بما أشبهها أمثل خرير الواد الكبير أو مثل الرحى أو مثل نزول البَرَد لا أدري ما يشبه ذلك وغايته أنه مثل الرعد القاصف من أول بدايته إلى نهايته متصلا كأنه مدفع واحد"[160].

ويستمر الشيخ سيدي عبد الرحمان في تسجيل وقائع الحادثة نقطة بنقطة معددا قتلاها وأسراها وناقلا لبنود صلحها الأخير. وهو كما قال: إنما اعتمد على مصدر مشاهدته هو أولا ثم على ما أبلغه به بعض الثقاة كقاضي المالكية بالجزائر آنذاك الفقيه سيدي الحسن بن القاضي سيد الحاج مصطفى الجزائري أصلا ودارا الذي التقى به وتعارف معه ووقعت بينهما محبة كبيرة حتى صارا لا يفترقان في غالب الأوقات كما قال:

"... فإني ما كتبت ولا نكتب إلا ما شاهدته بعيني، أو أخبرني به ثقة مثل القاضي المالكي، أو غيره من الثقاة في الجزائر...

160. مخطوط الرحلة.

وهــذا تحقيق ما وقع بين صاحب الجزائر الباشا عمــر وبــين بــدر لنجليز طاغية أفلنقطــرة - لعلها انقلترى- دمــره الله وقطــع دابــره. بعضه مشاهدة وبعضه بطريق الخبر من الثقاة والسلام. وكتــب عبــد الرحمان بن إدريس التواني التنلاني"[161].

ومخطوط الرحلة جاء في ثلاث نسخ مختلفة الأولى وردت في اثني عشر صفحة، وهي منقولة من خط المؤلف بتاريخ أواســط ذي القعــدة سنة أربع وأربعيــن ومائتيــن وألف(1244هـ) وناقلهــا هــو محمــد عبد الرحمان بــن محمد. والثانية جاءت في خمس صفحات ونصــف، وهي بخط الشيخ سيدي أمحمد بن أحمد البداوي بــن سيــد المحضــي (1261هـ). أما الثالثة فهي منسوخة حديثا بتاريخ ألف وأربعمائة وسبعة عشر(1417هـ) ووردت في ثلاثة عشر صفحة(13ص) وهــي بخــط ناسخها الشيخ الحاج الطيب شاري.

ومن ضمن الرحلات التي وقفنا عليها أخيرا لكننا لم نســتفد منهــا فــي شيء يذكر بسبب تآكلها وضياع جزء كبيــر منهــا رحلــة[162] الشيــخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري والتــي احتــوت علــى كثير من المعلومات التاريخية الهامة المتعلقة خصوصا بوالــده سيدي محمد وببعض علماء عصره الآخرين. كمــا تضــمنت أيضــا

161. المصدر نفسه.

162. مخطوط الرحلة بخزانة تمنطيط.

العديــد من القصائد الشعرية له ولوا لده بالإضافة إلى بعض النــوازل الفقهية المختلفة.

وجاءت الرحلة في مائة وتسع(109) صــفحات وبــدأها المؤلــف بقولـــه:

"...[163]. السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض، فأخرج بـــه ثمـــرا مختلفا العرض، والصلاة والسلام(على سيدنا) محمد الذي سافــر إلـــى قاب قوسين فرجع... وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته... ضيــف الله بـــن محمد بن أب المزمري غفر الله له ولولديه آمين هذه ورقـــات قصدت بها بيان نبذة من خبر رحلتي من بلـــدتي لزيـــارة... وشـــيخي ووالدي رحمه الله "

والرحلة على ما يبدو قصد بها المؤلف أول ما قصد الترجمة لوالده لأنه أجراها في حياة الوالد إلا أنه خطها بعد وفاته وهو ما جعله يركـــز فيها على مولده ومناقبه وأهم تآليفه بالإضافة إلى مرضه وموتـــه ومـــا نظمه فيه هو من مراث مختلفة.

ولعل أهم ما يلاحظ على هذه الرحلة وغيرها مما ذكرنــــا هـــو أن أصحابها، وإن طبعوا بالطابع الأدبي في بقية كتابتهم من قصائد ورسائل ووصايا وغيرها إلا أن ميلهم إلى التأريخ في كتابـــة رحلاتهـــم كـــان

163. الرحلة جاءت مبتورة في المقدمة ولعل الجملة المحذوفة هي(الحمد لله الذي أنزل من السماء).

واضحا رغم ما كان يطبعهم أحيانا من أسلوب أدبي في بداية أونهاية المخطوط.

5. الإجـــــازات:

الإجازة لغة من الفعل أجاز و" أَجَازَه خَلَفَه وقطعه"[164] وفي الاصطلاح هي ترخيص وإذن يسجله الشيخ بخط يده لتلميذه، أومن في مقامه، ويعترف بموجب ذلك بقدرته في التدريس والتحدث عنه في كل ما سمع أو حفظ. وهي في الوقت ذاته اعتراف وإقرار من الشيخ للتلميذ. ولذلك عدها السيوطي رابع طرق الأخذ والتحمل في العلم بعد السماع من لفظ الشيخ، والقراءة عليه، ثم السماع على الشيخ بقراءة غيره[165].

ولقد كانت الإجازة في منطقة توات – ولا تزال- أمرا شائعا بين الشيوخ وتلاميذهم من جهة وبين العلماء بعضهم البعض وقد ترد منهم خاصة في علم بعينه، أو عامة في سائر العلوم المتداولة في الإقليم. ويشترط فيها أن تكون خطية بخط المجيز يرد فيها على طلب خطي

164. لسان العرب .باب الزاي.فصل الجيم مادة جيز ج5 ص326.

165. ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي ج1 ص162. دار الجيل بيروت وينظر أيضا كتاب مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين رمضان عبد التواب ص21.

للمجاز كما فعل الشيخ سيدي عبد الرحمان بن سيدي ابراهيم الجراري الجنتوري(1160هـ) سنة(1150هـ) في رده على تلميذه الشيخ سيـــدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني(1189هـ) وإجازته[166] المطلقة لـــه فـــي التحدث عنه في كل ما أخذه عنه حيث قـــال:

" الحمد لله الذي جعل العلم للعلماء أكرم نســب، أغنـــاهم بـــه وإن عدموا من مال ونشب، وجعلهم ورثة أنبيائه فخصهم بأشـــرف وســـيلة إلـــيه وأوثق سبب، وجعلهم أمراء على خلقه بحيث لا يصح لأحد دون موافقتهم ورأيهم حل ولا عقد ولا أرب، حتى أن من رغب منهم عـــن جماعتهم فقد باء منه بغضب، وميزهم يوم القيامة بحشرهم في زمـــرة النبيئين على رأس كل واحد منهم لواء وناهيك بذلك شرفا مـــا اقتنـــى مثلـــه أحد وما كسب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شـــهادة مدخرة ليوم لاينفع فيه مال ولا خل ولا حسب، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الله وندب، صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وأصحابه وأزواجه وذرياته صلاة وسلاما نحوز بهما أحسن القرب. وبعد فالسند في العلم خصيصة لهذه الأمة وســـنة مـــن الســـنن الماضية، وخصلة من الدين شريفة سامية. والإقتداء بأهلـــه مطلـــوب، واقتفاء آثارهم مندوب. وكان ممن اشتغل بـــالعلم وتحصـــيله وقراءتـــه

166. ينظر: مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر ص06 ومـــا بعدها.

وإقرائه الفقيه الأجل، الأديب الأنبل، السيد عبد الرحمان بن السيد عمر، الذي هو للخيرات مقر. وقد طلب مني أن أجيزه فيما أخذ عني فحملني من ذلك أمرا إمرا، وأرهقني فيما ندبني إليه عسرا، لما رأيت أني لست أهلا لأن أجاز، فضلا عن أجيز.

ولكن البلاد إذا اقشعرت فحق مواشيها رعي الهشيم[167]

فأسعفته في ذلك وإن لم أبلغ رتبة أولئك لأن من انتسب لقوم عد منهم وإن لم يحصل لهم. فأجزته إجازة مطلقة في كل ما أخذه عني، وعممت له في جميع مقرئاتي ومسموعاتي من تفسير وحديث وأصول فقه وفقه وفرائض ونحو وتصريف وبيان ومنطق وكلام... وحساب".

وفي مقدمة الإجازة افتتح الشيخ الجنتوري حديثه بتبيين فضل العلم والعلماء، وما خصهم الله عز وجل به من شرف وفضل في الدنيا والآخرة، لينتقل من حديثه العام عن العلم وفضله إلى حديثه الخاص عن أهمية السند في العلم والذي جعله الله خصيصة لهذه الأمة وسنة من سنن الأولين، وهو ماكان دافعا قويا للشيخ الجنتوري في رده وإجازته لتلميذه في كل ما أخذ عنه، وفي جميع مقرئاته ومسموعاته رغم ما يراه في نفسه من بعد وعدم الأهلية في الأمر.

---

167. البيت ورد في لسان العرب مجلد02 كتاب الحاء فصل الصاد مادة صوح ص519. منسوبا لأبي عليّ البَصير بلفظ:
ولكنَّ البلادَ، إذا اقْشَعَرَّتْ *** وصَوَّحَ نَبْتُها، رُعِيَ الهَشيمُ.

ولقد تضمنت هذه الإجازة الكثير من المسائل اللغوية والأدبية كقول الشيخ سيدي عبد الرحمان معلقا[168] على بيت ورد في إجازة شيخه له:

" فحق مواشيها هكذا كتبه بخطه رحمه الله وأظنه تحريفا. والذي أحفظه ورأيته في غير موضع وصوّح نبتها بالصاد المهملة من التصويح وهو التجفيف قال في القاموس والتصويح التجفيف انتهى. أي جف نبتها ويبس حتى صار هشيما"[169].

ولما ألف الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري(1160هـ) كتابه ((شرح صغرى الصغرى)) للشيخ السنوسي قرأه عليه تلميذه الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر(1189هـ) ولما أنهى ذلك في أواسط شوال سنة إحدى وخمسين ومائة وألف(1151هـ) وهما في زاوية الولي الصالح سيدي أحمد بن الرقاد -زاوية كنتة حاليا- كتب له تحته يستجيزه بما نصه[170].

---

168. ينظر مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر ص06 وما بعدها

169. ينظر مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر ص06 وما بعدها.

170. ينظر مخطوط تراجم شيوخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر ص43 وما بعده

"يقول كاتبه عبد الرحمان بن عمر التواتي أناله الله أمله وختم بالحسنى أجله، قرأت جميع هذا الشرح على شيخنا مؤلفه جزاه الله عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء، وجعله من كل سوء محفوظا ومحروزا... ونطلب منه أن يمن علينا ثانيا بأن يأذن لي إن أخذت عنه وبجميع مؤلفاته وقصائده ومقطوعاته من هو أهل لذلك طلبا للسند الذي اختصت به هذه الأمة وإتيانا للأمر من بابه أدام الله لنا النفع به آمين ولجميع المسلمين آمين يارب العالمين".

فرد عليه الشيخ سيدي محمد بن أب(1160هـ) يجيزه[171] قائلا بعد الحمد والثناء.

"... فقد أذنت للشاب الفقيه الأديب اللوذعي الألمعي النجيب الصالح الخير، الكوكب النير، أبي زيد السيد عبد الرحمان بن عمر التواتي نفعني الله وإياه بالعلم وحمله وجعلنا من أخيار أهله بمحض جوده وفضله أن يحدث عني بجميع ما التمس فيه الإذن مني إجازة تامة".

ومما كتبه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان بن باعومر التنلاني(1233هـ) يجيز الشيخ سيدي امحمد بن مالك الفلاني ما نصه[172]:

---

171. المصدر نفسه ص44/43.

172. ينظر الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني. الشيخ محمد باي بالعالم ص29. ط1 دار هومة الجزائر.

" الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وآله. الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد: فيقول كاتبه سدده الله إن ممن شاركته المذاكرة في علوم، وباحثته في مسائل فظهر لي أنه من ثواقب الفهوم. الأخ في الله السيد محمد بن مالك الفلاني نجارا، التواتي دارا وقرارا، ولما حصل له بسبب ذلك من العلم أوفر نصيب، وتحقق في نفسه إنه منا أقرب قريب، دعاه حسن الظن بنا إلى طلب الإجازة فيما أشار إليه والدخول في زمرة أوليائه، الذابين عن دينه، والراشدين إليه، فساعفته وقلت إني قد أجزته على نحو ما أجازنيه شيخنا أبو العباس الهلالي رحمه الله ورضي عنه حرفا بحرف، ولم أستثن عنه من ذلك شيئا طالبا منه ملازمة الدعاء لي ولأشياخي ووالدي وأحبابي. وفقني الله لما يحبه ويرضاه".

وهي إجازة مطلقة أيضا جاءت من الشيخ سيدي محمد لتلميذه الفلاني على نحو ما أجازه هو الآخر شيخه الهلالي حرفا بحرف ولم يشترط في كل ذلك سوى الإكثار من الدعاء له ولأشياخه ووالديه وأحبابه.

وقد يكون طلب الإجازة والرد عليها شعرا وليس نثرا كما هو الأمر الحاصل بين الشيخ سيدي أحمد زروق بن صابر البداوي الجعفري، (1244هـ) والشيخ سيدي محمد عبد العزيز بن سيدي محمد عبد الرحمان البلبالي(1261هـ) حيث توجه الشيخ البلبالي

بطلبه[173] للجعفري قائلا:

إليك أبا العباس أنحـــو و أذهـــب   ومنك أروم الوصل إذ هـــو أوجـــب

سلكت طريقاً و اضحا تطلب العلا   فنلت مقاما شامخ الصـــرح أرحـــب

إلى أن قـــال:

أجزني جميع ما رويت عن النهى   و ما قد رواه مالك ثـــم أشـــــهـــب

وما قد أجزت من كتب عـــــديدة   بلا حصرها إذ ذاك أولـــى وأصـــوب

فأجابه الشيخ سيدي أحمد زروق(1244) ببائية[174] مثلهـــا أجـــازه فيـــها –بعد اعتذار– إجازة عبد خائف يترقب نتائجهـــا لأن الإجـــازة – كما قال– أمر فوق طاقته، لكنه مع هذا لم يشأ أن يخيب ظنه فيه:

أجيبك يا عبد العـــزيـــز وأطنـــب   تحيـــة ذي ود مـــن المســـك أطيب

أتاني قريض منك يا خير فاضـــل   بأخلاقـــك الحسنى يـــــروق ويعذب

إلى أن قـــال:

و ها أنا ذا بعـــد اعتـــذار أجزتكم   إجـــازة عبـــد خـــائـــف يترقـــــب

تدور على المنقول عن سيد الورى   و ما هـــو معقـــول للأعلام ينســـب

بما قد أجازني شيوخـــي بأسرهم   سقى عهدهم من هاطل المزن صيـــب

---

173. مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله وينظر أيضا: قطف الزهرات ص55.

174. مخطوط القصيدة في خزانة قصر باعبد الله. أدرار. وينظر قطف الزهرات ص56 وما بعدها.

بشرط اتقاء الله فـــي كل حـــالــــة وفي كل قــول تلفــظنه فيكتــب

وكن تاليا(والعصر) واعمل بحكمها فللــــــه قــــوم بالكتـــاب تـــأدبوا

وعلى الرغم من انتشار طريقة السند بين العلماء التـــواتيين علـــى نحـــو ما رأينا إلا أن معظم الأجازات قد ضاعت في مجملهـــا كبقيـــة الوثائق والرسائل المنفردة، ولم نقف في كل هذا إلا على أقـــل القليـــل مـــما حفظته بعض التراجم مجموعة، أو أشار إليه أصـــحابها ضـــمن مؤلفاتهم. ومع ذلك فقد جاء هذا القليل ليعطينا صـــورة شـــاملة علـــى حرص التواتيين في توثيق أسانيدهم العلمية وتقوية لها من جهة، كمـــا أعطتنا هذه النماذج أيضا صورة عينية لبعض واقع هذا اللون الأدبـــي وحال انتشاره بين أدباء توات.

المبحث الثاني

الخـــصائــــــص الفـــنية

1. البساطة والسهولـــة:

تميزت الكتابات النثرية عند أدباء توات عموما على مستوى اللغـــة والأسلوب بالاعتماد على الألفاظ الجزلة الفصيحة، الموحيـــة للمعـــاني المطلوبة تبعا للغرض، فكان القاموس الشعري عند الشعراء في معظـــم ألفاظه وعباراته يحمل روحا إسلامية متأصلة في النفوس، كما كان لهذا القاموس نفسه الدور الأساسي في الإلماح إلى الحالة التي يسعى الأديب لجذب الانتباه إليها، والتأثر بها وبالتالي الالتحام معها والتعـــاطف مـــع المضمون الأدبي الذي يرتكز عليه النص في بنيته وتركيبـــه ودلالاتـــه المعنوية[175].

أما من حيث الأساليب فإننا لا نجد غلبة أسلوب بعينه علـــى آخـــر بـــل نجد التنويع والتزاوج بين الأسلوبين الخبري والإنشائي بما يخـــدم

---

175. ينظر: الأدب في المدينة المنورة في القرنين الثاني عشر الهجري – الثـــامن عشر الميلادي. أعلامه موضوعاته الرئيسية، ظواهره الفنية. د عاصم حمـــدان علي الغامدي. مجلة كلية دار العلوم. مجلة علمية محكمة تصـــدرها كليـــة دار العلوم. جامعة القاهرة ص17 وما بعدها. العدد22. شعبان1414هـــ، ديســـمبر 1997م.

الموضوع، إضافة إلى الاستعانة بعنصر البيان أحيانا لتقوية المعاني وإيضاح الصور. ومن أمثلة ذلك ما نجده في رسالة الشيخ سيدي مولاي علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج (ق12هـ) التي رد بها على رسالة ابن عمه مولاي علي بن مولاي أمحمد (ق12هـ) بقصر زاوية كنتة والتي جاء فيها:

" سيدي لقد ورد علينا مكتوبكم الذي راقت من سواد النقش سطوره، واستنارت بين السطور طروسه، وأرانا من خط أناملكم معجز... فبهرت آياته، وأطربتنا بتغريد الطيور همزاته فعوزنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته. ولقد ذكرتنا رسالتكم بما كنا نتلقاه في أيام الدراسة مجالس السادات النقاد معادن الفصاحة والبلاغة في المعتاد، المتقدمين من مشائخ بني الرقاد، وما جبلوا عليه وظهر عليهم آثاره من النفحات الربانية والأساليب الفصيحة الأدبية، والتعابير البلاغية مع الأحوال السنية. فلا وربك ما هي إلا نفحة من نفحاتهم ورمية من كنانتهم، وقد هززنا بكتابنا إليكم جزع أدبكم كي يساقط علينا رطبا جنيا... فجاد وأروى وأجاد فيما روى، وأحيا من قرائحنا ميتا كاد أن يكون حديثا يروى، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى. أحيا الله قلوبنا وقلوبكم بمعرفته ونوامس رحمته".

2. التقيـــد بالبدايـــة التقليديـــة:

وهي بداية يحرص أصحابها على افتتاح كتبهم وآثارهم بحمـــد الله والصلاة والسلام على نبيه الكريم. كما يزيدون على ذلـــك فـــي فـــن الرسائل خصوصا عبارة(من فلان إلى فلان) كما نجده في رســـالة[176] الشيخ سيدي مولاي علي بن الزين بن سيدي حمـــو بلحـــاج(ق12هـ) التـــي رد بها على رسالة ابـــن عمـــه مـــولاي علـــي بـــن مـــولاي أمحمد(ق12هـ) بقصر زاوية كنتة حيث يقول:

" الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولـــم يكن له كفؤا أحد، الذي ميز نفسه بالواحدية والأحدية، وعبـــاده بـــالبنين والذرية. والصلاة والسلام على أشرف مبعوث في البرية، ولأكرم هـــاد في الأولية والأخرية، وعلى ءاله وصحابته أهل الميعـــاد فـــي الرتبـــة العلية. وبعد فهذه من عبيد الله علي بن الزين بن سيدي حمـــو بلحـــاج إلـــى صاحب السيادة والصفات المرضية ابن السلالة النبوية التي مـــنّ الله عليها وجعلها من طينة الشرف والحسب، وغرس دوحتهـــا الطيبـــة بمعدن الجود والمجد والعلم الزكي".

والافتتاحية الدينية لا نجدها في فن الرسائل فحسب بل هي عنـــوان لكل المقدمات وفي شتى الأغراض، حيث نجدها في الخطبة والوصـــية كما نجدها في الرحلة والإجازة وغير ذلك من الفنون. وفي ذلك يقـــول

---

176. ينظر نص الرسالة.

الشيخ سيدي عبد الرحمان(1251هـ) بن محمـــد بن عبـــد الرحمـــــان بن عمر التنلاني في مقدمة خطبته(177):

" الحمد الذي تصرف في خلقه كيف شاء وأراد، ويسر الكـــل لمــا خلق له فلا يصرف عنه ولا يزاد، الذي منّ علينـــا بخيـــر البركـــة... وألهمنا لإتباع طريقته وأتحفنا بالمنن. المنـــزه عـــن الشـــبه والشـــريك والنظير، الذي لا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير، نحمده ســبحانه ونشكره نعلى سابق العناية والفضل و... نستغفره من كل عمل ترتجى المؤاخذة به يوم الميعاد، ونشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة من أخلص له الدين القيـــم، ونشهد أن سيدنا محمـــدا عبـــده ورســـوله المجتبـــى من بني هاشم".

كما يقول الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان المشهور بابي نعامة (1163هـ) في مقدمة وصيته(178) التي بعث بهـــا إلـــى أحـــد تلاميـــذه وضمنها عشرات التوجيهات القيمة والنصائح السديدة، حيث قال:

" بسم الله الرحمان الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. الحمد لله الولي الحميد، والشكر له على ما أولانا من المنى الوافي والمزيد، والصلاة والسلام على المصطفى الهـــادي الرشيـــــد،

177. ينظر نص الخطبة.

178. ينظر نص الوصية.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يـوم يـؤتى مـع كل نفس بسائـق وشهيـد".

وفي الرحلات أيضا يفتتح الشيخ سيدي عبد الرحمان بن بـاعومر التنلاني(1189هـ): رحلته[179] إلى الحج بمقدمة حمدية جاء فيها:

" الحمد لله الذي فرض على المكلفين من عباده حج بيتـه المحـرم العتيق، وجعله حرما وغفر ذنوب من حجه وهو بذلك حقيـق، أحمـده على ما هدانا إلى خير طريق، وأشكره على ما منحنـا مـن التوفيـق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة تنجينا بها من عـذاب الحريق ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى خير فريـق اللهم صل عليه وعلى ءاله وأصحابه الذين أقاموا الدين أفضلهم أبو بكر الصديق.

وبعد...".

ونجد الأمر يتكرر أيضا مع أدب الإجازات كما فـي إجـازة[180] الشيخ سيدي عبد الرحمان بن ابراهيم الجنتوري(1160هـ) لتلميذه الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني حيث قال:

" الحمد لله الذي جعل العلم للعلماء أكرم نسـب، أغنـاهم بـه وإن عدموا من مال ونشب، وجعلهم ورثة أنبيائه فخصهم بأشـرف وسـيلة

179. ينظر نص الرحلة.

180. ينظر نص الإجازة.

إليـــه وأوثق سبب، وجعلهم أمراء على خلقه بحيث لا يصح لأحد دون موافقتهم ورأيهم حل ولا عقد ولا أرب، حتى أن من رغب منهم عـــن جماعتهم فقد باء منه بغضب، وميزهم يوم القيامة بحشرهم في زمــرة النبيئين على رأس كل واحد منهم لواء وناهيك بذلك شرفا ما اقتنى مثله أحد وما كسب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شــريك لـــه شـــهادة مدخـــرة ليوم لا ينفع فيه مال ولا خل ولا حسب، وأشـــهد أن ســـيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الله ونـــدب صـــلى الله عليه وسلم وعلى ءاله وأصحابه وأزواجه وذرياته صلاة وسلاما نحوز بهما أحسن القرب.

وبعد...".

ونرى الكاتب التواتي ينطلق في افتتاحيتـــه الدينيـــة فـــي مطـــالع مقدماتـــه وما تضمنته من حمد لله وثناء عليه وصلاة وسلام على نبـــيه الكريم مـــن قوله(ص):

" كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجـــل فهو أبتـــــر أو قال فهو أقطع"[181].

181. مسند الإمام أحمد. رواية أبي هريرة. الجزء الثاني ص359. أحمد شـــاكر دار المعارف مصر(1375هـــ1956م).

3. الاعتـــمـــاد على البـــديـــع:

وهي خاصية متجزرة في أدبنا العربي "فقد كان الكتــاب الســابقون يميلون إلى المحسنات البديعية ولكن في غير إسراف فلما جــاء كتــاب القرن الرابع قصدوا إليها قصدا"[182] ولعل من أهــم وأبــرز أشــكال البديــع حضورا عند التواتيين نجد فن السجع الذي يعد" من مميــزات البلاغة الفطرية"[183]. ولم يكن استعمالهم عموما لهذا الفن إغــراقــا ولا تعقيدا للكلام، بل جاء يعكس" مكنة الكاتب اللغوية وفراهيتــه فــي عملية التوليد للمعاني وفي استحضار شوارد الألفاظ والترادف والتطابق وخلقـــها على نـــسق واحد ووزن واحد"[184].

ومن أمثلة استعمال السجع ما نجده في وصية[185] الشــيخ ســيدي محمد بن عبد الرحمان المشهور بابي نعامة(1163هـ) التي بعثها إلــى تلميذه السيد محمود بن الحاج أحمد. وضــمنها عشــرات التوجيهــات القيمــة والنصائح السديدة التي تنبئ عن تقوى الشيخ وورعه من جهة، وخبرته وحنكته في الحياة من جهة أخرى حيث جاء فيها:

---

182. النثر الفني في القرن الرابع ج01 ص127 زكي مبارك .المكتبة العصــرية صيدا بيروت.
183. النثر الفني في القرن الرابع ص75 وما بعدها.
184. البشير الإبراهيمي أديبا. محمد عباس ص312. د م ج وهران الجزائر.
185. ينظر نص الوصية.

"... هذا ولـتعلم أيها الأخ المريد، والابـن الأبَـر - إن سـر الله سبحانه في صدق الطلب، والاعتماد عليه تعالى بغير ملاحظـة علـة ولا سبب. ثم الناس في ذلك المعنى متفـاوتون تفـاوتهم فـي قسـمة الأرزاق، فموسع عليه ومقدور، ومأذون له في التصـرف ومحجـور. وقـد كنـت - أرشدك الله وأدام توفيقك- ممن وسع عليه في معنـى الصدق والإخلاص في معاني الإرادة، وممن قسم له الحظ الوافي مـن المحصول... اليوم في الدور وغدا في القبور، وإلى الله عاقبة الأمور".

ونجد الأمر أيضا يتكرر في فن الرسائل حيث يقول الشيخ سـيدي مولاي علي بن مولاي الزين في رسالته(186) لابن عمـه:

" الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولـم يكن له كفؤا أحد، الذي ميز نفسه بالواحدية والأحدية، وعبـاده بـالبنين والذرية. والصلاة والسلام على أشرف مبعوث في البرية، ولأكرم هـاد في الأولية والأخرية، وعلى ءاله وصحابته أهل الميعـاد فـي الرتبـة العلية".

وهي رسالة مسجعة من بداتها إلى نهايتها لكن مع ذلك فـإن القارئ لا يشعر بالملل والسأمة وهو يتابع فقرات النص لما أبداه الكاتـب مـن موهبة في التنسيق بين الفكرة والعبارة، ومن حسـن اسـتغلال لهـذا المحسن المعنوي بشكل يخدم المعنى والأسلوب.

---

186. ينظر نص الرسالة.

وقد لا يقف الكاتب في نصه عند حدود السجع كمحسن بديعي، بل يتعداه إلى بقية المحسنات الأخرى كالجناس والطباق وما إلى ذلك كما نجد عند الشيخ أبي العباس سيدي أحمد زروق بن صابر البداوي الجعفري (1244) في وصيتة[187] الشاملة التي لم يحدد فيها مخاطبا بعينه:

" عليك بتقوى الله الذي لابد من لقاءه، واحذر مخالفة أمره في شدته ورخاءه، وأحدث لكل ذنب توبة، ولكل إلتفاتة أوبة، فإن المرء غير معصوم من الزلل، وغير واثق بنفسه في دوام العمل. من عز عليه دينه هانت عليه الأمور كلها، ومن ترك نفسه دارت عليه الدوائر، فلا في الدنيا يفلح، ولا في الآخرة ينجح. ومن كان حبه من الدنيا ما يكفيه، فأقل شيء منها يكفيه، ومن طلب من الدنيا ما يغنيه، فكل شيء منها لا يغنيه".

4. الاعتماد على الشعر في إيضاح وتقوية المعنى:

ونجد ذلك خصوصا في فن الرسائل وفي ذلك نجد الأديب أحيانا يكتفي بالبيت والبيتين من باب الاستشهاد والتمثيل، كما نجده أحيانا أخرى يتعدى ذلك إلى نظم قصائد بعينها لتكون رسالة داخل رسالة (وهذا النمط جميل ويدل فوق جماله على معرفة الكاتب بأسرار الشعر البليغ)[188].

---

18. ينظر نص الوصية.

18. النثر الفني في القرن الرابع ج01 ص129.

ومن أمثلة النوع الثاني هذه الرسالة[189] التي راسل بها الشيخ سيدي عبد الرحمان بن علي التزلاغتي(ق12هـ) صديقه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم(1133هـ)، وطلب منه الحضور والرجوع الفوري إلى بلدته تمنطيط وذلك بعد موت أخيه الحاج محمد القاضي رحمة الله عليه حيث قال فيها:

"... فإن تفضلت عنا بالسؤال فنحن بحمد الله على خير وعافية جملة وتفصيلا، والسلام على من تعلق بكم من أهل وولد، وطالب لازم، ومحب دائم وحاصل الأمر قد هتف بي هاتف الشوق واللقاء ومؤانسة الأصدقاء الإخاء، وحرك مني الساكن، ونطق مني الكامن، وطفقت أقول منشدا بلساني:

بسم الإله أبتدي أولا وبه   توطية لقول في النظم أبداها

إلى أن قال في ختامها:

و ما عليك إذا ما جئتنا زائرا   تنل من الأجر لا خاب من نواها"

وقد جاءت القصيدة داخل الرسالة في أكثر من عشرين بيت أعاد فيها الشاعر صياغة مشاعره بلسان الشعر لما له من تأثير وقوة على السمع.

189. ينظر نص الرسالة.

ونجد الأمر نفسه يتكرر مع الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني(1221هـ) في رسالته[190] لابن عمه الشيخ سيدي عمر بن عبد الرحمان التنلاني(1221هـ) التي يقول فيها:

" وها أنا أقدم بين يديك أبياتا ليقوموا عني مقام معذرتي، فليطالعهم مولانا ببصره الحديد، وليجل فيهم فكره السديد وقد سميت تلك الأبيات باسم نسيب وهو تحفة اللبيب في طلب مرضاة الحبيب".

والشيخ سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمان وإن كان افتتح رسالته السابقة بنص نثري إلا أنه ضمنها قصيدة شعرية على وزن الطويل، وجاءت منه بروي الصاد بصوته الصفيري ليوقعها مدوية في أذن صاحبه حيث. قال في مطلعها:

سلام يدوم ما تلذذ بالرقص معن وما رنت بلابل في قفص

وجاءت القصيدة أيضا في أكثر من عشرين بيتا، وقد افتتحها الشيخ كما رأينا بمقدمة مزج فيها بين المدح والاعتذار ليشرع بعدها في طلب العفو مباشرة عن ما وقع منه وأوجب العذر والرضا.

وقد لا يكون الاعتماد مطلقا على القصيدة الكاملة داخل النص النثري كوسيلة للتوضيح والتأكيد، بل نجد الشاعر التواتي أحيانا يكتفي ببيت أو مقطوعة داخل الرسالة، لتكون عصارة نظمه وترجمان قلبه

---

190. ينظر نص الرسالة.

فـــي الموضوع كما فعل الشيخ سيدي المختار بن ســيدي بابـــا أحمــد الكنتي (1226هـ-1811م) في رسالته[191] لبعض تلاميذه ممـــن تثاقــل عـــن زيارته واعتذر بأسباب مختلفة حيث قال:

" حمدا لمن فتق عن حقائق الحكمة رتق قلوب أوليائـــه، وجعلهـــم يعسوب أرواح أصفيائه، والصلاة والسلام... متوجهان إلـــى حضـــرة المصطفى من أنبيائه، وعلى ءاله وأصحابه وعترته وأبنائه. هذا وإنـــه مـــن عبد الله المختار بن أحمد بن أبي بكر إلى سائر البنين والإخـــوان الذين قيدتهم عن كثرة الغشيان. أيد الزمـــان فصاروا بين باعث لكتاب، ومقتصـــر مجرد خطاب. وذلك غير قـــادح قــدحا فادحـــا إلا أن الشاعر قـــال:

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه سهل وأوعـــار
لا يمنعــنك بعــدٌ عن زيــــارته إن المــحب لمن يهــواه زوار

السلام والرحمة يؤمان ساحتكم، ويقبلان راحتكم. أما بعد:

" حققكم الله بحقائق الإيمان، وأقامكم مقام أهل الإحسان، ورزقكـــم العبودية الحاصلة عن الشهود والعيان".

191. ينظر نص الرسالة.

ونجد الأمر نفسه يتكرر مع الشيخ سيدي أحمد زروق البداوي الجعفري(1244هـ) في رسالته[192] التي بعث بها للشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي والتي جاء فيها:

" الحمد لله إلى الفقيه الرضى العلامة المرتضى سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي ألف سلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من اكتنفته دائرتك وخصوصا أبي فارس سيدي عبد العزيز(ق13هـ) أعزه الله وحرسه. وبعد... وما من صاحب خطة من هذه الخطط إلا هو هدف للقيل والقال ولا يسلم عرضه عند وضيع أو رفيع، أو شريف أومشروف ورحم الله القائل:

تسع أين منها أولو الأحلام و الهمم السنية

وهي الشهادة والحكومة و التعرض للقضية

وكذا الأمانة والرياسة و القبول للمرية

ثم الوكالة والخصومة و الوصية

إلا بحال ضرورة تدعو لها مع حسن نية

فسد الزمان وأهله إلا قليل في البرية

ولأجل هذا أقول بالله عليك يا سيدي الفقيه أخبرني لموجب ردك الشهادة مع قبولك لها سنين متطاولة. ألفسق طرأ علي وشهدتَ به عيانا أو أخبرك به شاهدان مبرزان أم لما قدر الله وقضى".

192. ينظر نص الرسالة.

وقد نجد الكاتب أحيانا يكتفي في رسالته أو الرد عليها بأبيات شعرية يمتزج فيها المدح مع الطلب، ويبرز فيها الكاتب مقدرته علـــى الكتابـــة فـــي الاتجاهين الشعر والنثر. وهو ما عبر عنه الشيخ سيدي محمـــــد بن أب في بعض ردوده[193] على طلبته قائلا: أتريد الجواب نظمـــا أم شعرا. وفي هذا الاتجاه أيضا جاءت بعض الرسائل في طلب الأجازات بين علماء الإقليم نصا شعريا كاملا كما هو حال الشيخ سيدي محـــــمد عبد العزيز بن سيدي محمد عبد الرحمان البلبالي(1261هـ) مع الشـــيخ سيدي أحمد زروق بن صابر البـــداوي الجعفـــري، (1244هـ) حيـــث توجـــه الشيخ البلبالي بطلبه للجعفري أولا قائلا:

إليك أبا العباس أنحو وأذهـــــب   ومنك أروم الوصل إذ هو أوجـــب

سلكت طريقاً واضحا تطلب العلا   فنلت مقاما شامخ الصرح أرحـــب

إلـــى أن قـــال:

أجزني جميع مارويت عن النهى   وما قد رواه مالـــك ثم أشهـــــب

و ما قد أجزت من كتب عـــديدة   بلا حصرها إذ ذاك أولى وأصوب

فرد عليه الشيخ سيدي أحمد زروق(1244) ببائيـــة مثلهـــا أجـــازه فيـــها إجازة عبد خائف يترقب نتائجها لأن الإجازة - كما قال- أمـــر فوق طاقته، مبينا له في الوقت أهم شروطها وبعض أحكامها:

---

193. ينظر بعض مخطوطات محمد بن أب. خزانة باعبد الله أدرار.

أجيبك يا عبد العزيز وأطنب تحية ذي ود من المسك أطيب
أتاني قريض منك يا خير فاضل بأخلاقك الحسنى يروق ويعذب

إلى أن قال:

و ها أنا ذا بعد اعتذار أجزتكم إجازة عبد خائف يترقب
تدور على المنقول عن سيد الورى وما هو معقول للأعلام ينسب
بما قد أجازني شيوخي بأسرهم سقى عهدهم من هاطل المزن صيب
بشرط اتقاء الله في كل حالة وفي كل قول تلفظنه فيكتب
وكن تاليا(والعصر) واعمل بحكمها فلله قوم بالكتاب تأدبوا

5.الاستشهاد:

لقد أكثر شعراء الإقليم من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهو ما يعكس ثقافة الشاعر التواتي وروحه الإسلامية، إذ لايكاد يخلو نص شعرا كان أم نثرا من آية قرآنية أو حديث نبوي لما لهما من أثر في التدليل على المعنى المقصود. ومن أمثلة الاستشهاد من القرآن ما نجده في وصية[194] الشيخ سيدي عبد الكريم بن البكري (1174هـ) إلى ابنه الشيخ سيدي عبد الحق(1212هـ) حين استخلفه على الناس في مرضه الذي مات فيه عام(1174هـ) حيث قال:

194. ينظر نص الوصية.

"... فاتق الله واسأله التوفيق لي ولك ولجميع المسلمين، وأوصيك بئاية منزلة، وحديث مروي، قال تعالى:﴿وقولوا للنّاس حُسْناً وأقيمُوا الصّلاة﴾[195]، وقال عليه الصلاة والسلام يا معاذ: حسّن خلقك للناس ففي ذلك إن شاء الله تعالى كفاية للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولائك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب".

وقد نجد الكاتب يعدد من النصوص القرآنية لتكون منفذه وحجته إلى سمع القارء كما نجده عند الشيخ سيدي المختار بن سيدي بابا أحمد الكنتي (1226هـ-1811م) في وصيته[196] لطلبته ومريديه حيث قال:

" الحمد لله الذي أمر بإتباع المرسلين، وحض على حسن الخلق واللين، والصلاة والسلام على أشرف العالمين، المقول له في الكتاب المبين، واعبد ربك حتى ياتيك اليقين، فخص بفهم الخطاب عباده المتقين، وصرف عن ءاياته قلوب الملحدين، فقال: ﴿سَأصْرِفُ عَن آيَاتي الذينَ يتَكبّرُونَ في الأرْض بغَيْر الحَق﴾[197]"

---

195. سورة البقرة الآية83.

196. ينظر نص الوصية.

197. سورة الأعراف الآية146. والآية كاملة:﴿سأصرفُ عَن آيَاتي الذينَ يتَكبّرُونَ في الأرْض بغَيْر الحَق وإن يَرَوا كُلَ آية لايُومنُوا بهَا وإنْ يَروا سَبيلَ الرّشْد لا يَتّخذُوهُ سَبيلًا وإنْ يروا سَبيلَ الغَي اتّخذُوهُ سبيْلا ذلك بأنّهم كذّبُوا بآيَاتنَا وكَانُوا عَنْهَا غَافلين﴾.

إلـــى أن قـــال:

" إذ ذاك أجدر بهم وأحرى أن يخلصوا أعمالهم ونياتهم لله ســبحانه وأصون لأحوالهم وأسرارهم مع الله، بانين أساس قواعدها على أربعــة أصول إذ بها الوصول، قوله تعالى: أنا عند المنكســرة قلــوبهم مــن أجلي.الثانية قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُمّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤتي المُلْكَ مَــنْ تَشَــاءُ وَتَنْزَعُ المُلْكَ ممّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَــدِكَ الخَيْــرُ إنّــكَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾[198]. وقوله: ﴿وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَــا لَــهُ مِــن مُكْرِمٍ﴾[199]. وقوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلّا مَا كَتَبَ اللهُ لنَا هُوَ مَوْلانَا﴾[200].

فدرجوا على هذا الأسلوب ومشوا عليه في المكروه والمرغــوب، على بصيرة في المرهوب والمرقوب"[201]

وقد نجد الكاتب أحيانا يؤخر الاستشهاد بــالقرآن ليكــون آخــــر ختامــه في نصه قصد التركيز على المعنى، وفي ذلك يتخير الكاتــب الآيات الأكثر وقعا على النفس كآيات العــذاب، والقيامة، ومــــا إلـــى ذلك كما فعــل الشيخ سيدي عبد الرحمــان(1251هـ) بــن محـــمـــد

198. سورة آل عمران الآية26.

199. سورة الحج الآية 18.

200. سورة التوبة الآية 51.

201. ينظر نص الوصية.

بـــن عبد الرحمان بن عمر التنلاني في خطبته[202] الدينية التي ختمهـــا بقوله:

" الله الله عباد أوصيكم بعمل الأبـــرار، فعســـى أن تنـــالوا منـــازل الأخيار. جعلنا الله وإياكم من الفائزين بطاعة الملك الجبار. إن أنفع مـــا خوطب به مؤمن، وأبلغ ما وعظ به موقن كلام مولانا ونحن له عـــباد. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الارْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الارْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الانْسَانُ مَالَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[203].

ولم يكتف الشاعر التواتي في استشهاده بما جـــاء فـــي كتـــاب الله وسنـــة نبيه عليه السلام–وإن كان هو العنصر الغالب– بل تعداه إلـــى الاستشهاد بالحديث القدسي أحيانا، وبالشعر العربي أحيانا أخرى.

6. الاقـــتـــبـــاس:

لعل من أهم الأشياء التي ميزت أدباء الإقليم في كتـــابتهم المختلفـــة هـــو حسن استفادتهم من الآيات القرآنية، وقدرتهم البارعة في استيعاب أهم المبادئ الإسلامية وتقديمها في قالب مشوق. ومن أمثلة ذلك ما نجده في رسالة[204] الشيخ سيدي مولاي علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج

202 ينظر نص الوصية .

203. سورة الزلزلة الآية من 01 إلى05.

204. ينظر نص الرسالة.

لابن عمه مولاي علي بن مولاي أمحمد(ق12هـ) بقصر زاوية كنتة حيث جاء في مقدمة النص:

" الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، الذي ميز نفسه بالواحدية والأحدية، وعباده بالبنين والذرية ".

وفي هذه المقدمة اقتباس ظاهر من سورة الإخلاص كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤاً أَحَدٌ﴾[205].

إلى أن قال في آخر النص:

" وقد هززنا بكتابنا إليكم جزع أدبكم كي يتساقط علينا رطبا جنيا... فجاد وأروى وأجاد فيما روى، وأحيا من قرائحنا ميتا كاد أن يكون حديثا يروى، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى.أحيا الله قلوبنا وقلوبكم بمعرفتة ونوامس رحمته"[206].

والنص فيه اقتباس أيضا من قوله تعالى:﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً﴾[207].

---

205. سورة الإخلاص.

206. ينظر نص الرسالة.

207. سورة مريم الآية 25.

ومن أمثلة الاقتباس من القرآن أيضا ما نجده في رحلة[208] الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب(ق12هـ) التي افتتحها بقوله:

" الحمد لله الذي أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض، فأخرج به ثمرا مختلفا العرض، والصلاة والسلام(على سيدنا) محمد الذي سافر إلى قاب قوسين فرجع.... وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته".

وفي هذا النص أيضا اقتباس من قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السّمَاء مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابيعَ فيْ الارْض ثُمّ يُخْرِجُ بِه زَرْعاً مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾[209].

ولقد شكل القرآن الكريم عموما المصدر الأساسي للاقتباس عند أدباء الإقليم وهو ما يعكس ثقافة الإقليم الدينية التي كان فيها – ولا يزال– القرآن الكريم في حفظه وفهم معانيه الرافد الأساسي والمحطة الأولى لأي مسيرة علمية.

208. ينظر نص الرحلة.

209. سورة الزمر الآية21.

الخـــــــــاتمـــة:

وفي ختام هذا البحث نقول إننا سعينا وقدر المستطاع إلـــى تســـليط بعض الأضواء على تاريخ منطقة توات الكبرى بأقاليمها الثلاثة (توات قورارة وتدكلت)، هذا الإقليم الذي كان ولا يزال بعيدا عن أعين كثيـــر من الدارسين والباحثين، رغم ما ينام عليه من مخزون ثقـــافي، وزخـــم تراثي عريق، وهذا كله من خلال الوجهة الأدبية وواقـــع حالهـــا إبـــان الفترة الممتدة من القرن السابع الهجري وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، بما عرفته من حركة شعرية ونثريـــة شـــملت أزيـــد مـــن سبعين(70) أديبا بمجموع ما يفوق عن الثمانية ألف وسبعمائة(8700) بيت شعري وعشرات النصوص النثرية إجمالا، وبما ارتسم على جبهة هذه الحركة من خصائص ومميزات فنية ثانيا. وقد أتبعنـــا كـــل ذلـــك بمجموعة من الملاحق والفهارس المكملة، والتي سعينا من خلالها أيضا إلى فتح مجال أوسع للتعريف بالإقليم وبتاريخه الأدبي والعلمي .وبهـــذا كله أخيرا أمكننا قول ما يلي:

* إن بداية الحركة الأدبية بمنطقة توات ليست محـــددة إلـــى الآن -على الأقل- بزمان أو مكان معلومين، إذ أنه ورغم الدخول المبكـــر للعنصر العربي للمنطقة كما تشير الروايات ابتداء من القرن الخـــامس الهجري إلا أن أقدم وثيقة أدبية بين أيدينا تعـــود إلـــى القـــرن الســـابع الهجري مما يفتح باب التساؤل طويلا أمام البداية الحقيقية لهذه الحركة وأهم أعلامها.

* إنه وابتداء من القرن التاسع الهجري(9هـ) وحتى بداية القرن الثاني عشر الهجري(12هـ) كانت وتيرة الحركة الأدبية تزداد كما وكيفا حتى بلغت أوجها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (13/12هـ) فكانت بذلك هذه الفترة الأخيرة تحديدا من أخصب المراحل وأغناها عبر مسيرة الأدب بالإقليم وصح تسميتها بالعصر الذهبي.

* إن الباعث الديني يعد من أهم وأبرز بواعث العمل الأدبي لدى أدباء توات إذ أنهم وفي ظلال الدعوة إلى الله والمحبة فيه دعوا وتوسلوا، ومدحوا ورثوا، وعاتبوا واعتذروا وفي ظلال هذه الدعوة أيضا نصحوا ووجهوا وأوصوا وخاطبوا. فكان بذلك أدبهم مرآة صادقة لواقع الإقليم في خصوصيتها الدينية.

* إن القرآن الكريم بفصاحته الراقية وتعاليمه السمحة قد شكل معينا عذبا، وموردا أساسيا لكل أدباء الإقليم، نسجوا على معانيه واستلهموا من قاموسه ألفاظا وعبارات ذات أبعاد روحية وإسلامية، وهو ما ساعدهم على تطوير معجمهم الأدبي وإثراء تجربتهم الإبداعية.

* إنه ورغم طابع التقليد الذي وسم جل مظاهر هذه الحركة شكلا ومضمونا إلا أن لنا في بعض مما كتب كثير من ملامح التجديد والابتكار وبخاصة على مستوى الوزن والإيقاع. حيث كانت لشعراء توات قصائد بوزنين وأخرى بوزن جديد وما إلى ذلك.

* إن من أهم وأبرز السمات التي طبعت النص الأدبي التواتي هي بساطة المعاني، والصور المفرغة في قوالب لغوية جزلة، وعبارات موجزة وواضحة، وهو ما عكس لهجة خطابية ونبرة موحية ورنة فاعلة على معظم إنتاج هؤلاء. يضاف إلى كل هذا خاصية التأريخ للنص الأدبي غالبا وذلك بوسمه أولا بعنوان محدد، ثم التعريف بمؤلفه وكذا زمان ومكان تأليفه. ويكون هذا في مقدمة النص أحيانا كما يكون في خاتمته أحيانا أخرى. وقبل كل هذا وبعده كانت سمة الصدق الفني علامة مميزة على جبين معظم إنتاج هذه المرحلة.

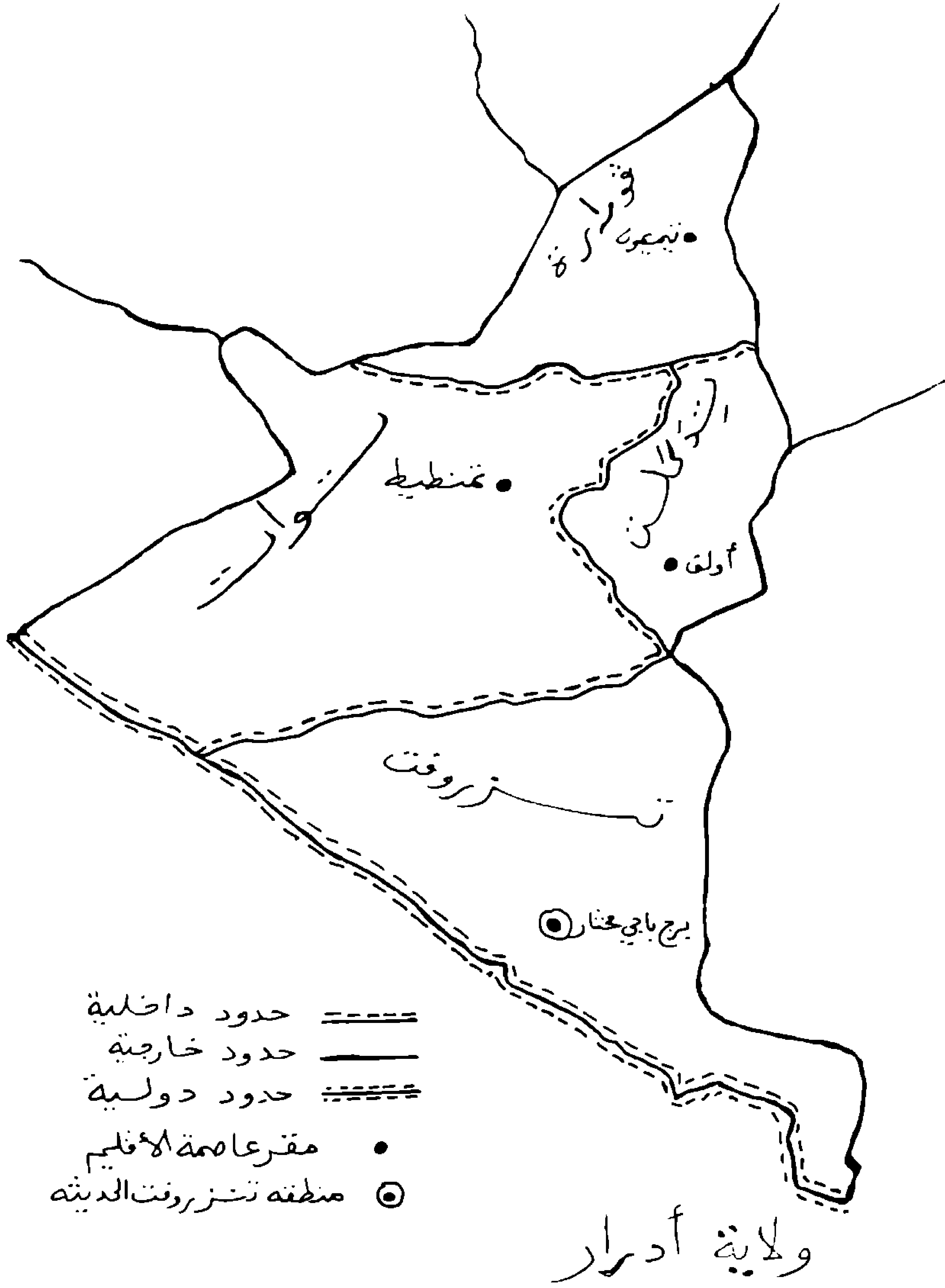
وفي الأخير ورغم أنه لم يتهيأ بعد لأدب الإقليم خاصة والجزائر عامة من الظروف ما يمكن أن يسهم في ظهوره ووصول الباحثين إليه قصد إبراز تجليات خصائصه وموازنته بغيره. إلا أنه أمكن القول إن الحركة الأدبية التواتية وبغياب العنصر النسوي عنها لأسباب كثيرة قد شغلت حيزا عريضا من المجتمع التواتي، وتُرجمت عمليا في كثير من المظاهر والآثار الأدبية، وكان لها في القرآن الكريم أولا وفي سيرة الرسول(ص) وأصحابه نمطا لسلوك الكثير من الأدباء بما تتضمنه من نماذج، فكان بذلك الدين والموروث أعظم مصدر لهذه الصور النفسية، كما أن مجمل هذه النماذج الأدبية قد جاءت في مضمونها وموضوعاتها بالإضافة إلى أبعادها الجمالية والإبداعية ذات اتصال مكين في النفوس وخاصة في نفوس أولئك الأدباء الذين شَدَوا

بها لأن مشاعرهم كانت أكثر شفافية من غيرهم، لأنها كانت تتعامل مع الروح بعد أن تطهرت من كل أدران الحياة.

هذا ما تمكننا من الوصول إليه في هذه الدراسة المتواضعة التي انطلقنا في مجملها من آثار لا تزال مخطوطة وهو عزائنا الذي قد يشفع لنا في غياب شبه كلي للمراجع الأدبية والعلمية المتخصصة التي عنيت بآثار الإقليم، ولنا كل الأمل أن نكون بكل هذا قد وضعنا نواة حقيقة لما من شأنه أن يشكل دراسة جادة ومعمقة مستقبلا في هذا المجال والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الملاحق

- خريطة توضيحية عن الإقليم.
- عناوين بعض المخطوطات الأدبية التواتيـــة ضمن فهارس بعض مراكز المخطوطات الأفريقية.
- صور لبعض المخطوطات المستعملة.



- أقاليم الولاية الثلاثة بالاضافة إلى منطقة (تنزروفت) التي ضمت للولاية حديثا

أقاليم الولاية الثلاثة إضافة إلى منطقة(تنــــزروفت) التي ضمّت للولاية حديثا.

عناوين بعض المخطوطات الأدبية التواتية

ضمن فهارس بعض مراكز المخطوطات الأفريقية[210]

210. اعتمدنا على فهارس مخطوطات. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. لندن1997م.

أولا : مخطوطات أدباء توات في مركز أحمد بابا للتوثيبحوث التاريخية بتنبكتو(مالي)(*)

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
879 ج/1	قصيدة في مدح النبي (ص)	المختار بن أحمد بن أبي بكر (1226هـ)		الشعر	4 ورقات 26 سطر	
880 ج/1	قصيدة في مدح النبي (ص)	محمد بن أب المزمري (ت 1160 هـ)		الشعر	4 ورقات 13 سطر	

---

* أنشأ هذا المركز بناء على التوصيات المنبثقة عن اجتماع الدورة الرابعة عشر للمؤتمر العام لليونسكو. إذ في23 يناير1970 أصدرت حكومة مالي مرسوما يقضي بإنشاء هذا المركز وافتتح رسميا في شهر نوفمبر1973م. ويضم المركز9000 آلاف مخطوط منها50 مخطوطا باللغات الإفريقية والتركية مع أنها مكتوبة بالحرف العربي. ينظر فهارس مخطوطات. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. لندن1997م.

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
1275 ج/1	قصيدة في بيان حزنه وعدم إدراكه للأسلاف من العلماء	محمد بن أب المزمري (ت1160هـ)		الشعر	3 ورقات 20 سطر	
2442 ج/2	منظومة في التصوف	محمد بن أب (أبو عبد الله)		تصوف	1 صفحة 12 سطرا	جيدة
2978 ج/2	منظومة في رثاء أحمد بن اعمر	محمد بن أب المزمري (ت1160هـ)		أدب	صفحتان 12 سطرا	تامة عليها آثار الماء
3145 ج/3	رسالة في شأن تكفير الفرق الإسلامية كالخوارج	محمد بن أب المزمري (ت1160هـ)				
3245 ج/3	قصيدة في مدح الرسول (ص)	محمد بن أب المزمري (ت1160هـ)		سيرة نبوية	6 صفحات 16 سطر	تامة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
3422 ج/3	قصيدة في الوعظ والإرشاد	محمد بن أب المزمري (ت1160هـ)		وعظ وإرشاد	صفحتان و 20 سطرا	تامة
3628ج/3	رسالة في التبغ	محمد بن أب المزمري (ت1160هـ)		فقه	14 صفحة 30 سطر	
1375 ج/1	مقالة في الأخلاق الدينية والوعظ	محمد بن المختار الكنتي (1241هـ)		الوعظ والإرشاد	44 ورقة 25 سطر	
875 ج/1	القصيدة الدالية في مدح النبي (ص)	أحمد البكائي بن محمد الكنتي (1281هـ 1865م)		المدح النبوي	05 ورقات 22 سطر	

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
885 ج/1	قصيدة في مدح النبي (ص)	أحمد البكائي بن محمد الكنتي (1281هـ 1865م)		المدح النبوي	03 ورقات 24 سطر	
886 ج/1	قصيدة في مدح النبي (ص)	أحمد البكائي بن محمد الكنتي (1281هـ 1865م)		المدح النبوي	04 ورقات 18 سطر	
755 ج/1	قصيدة في التصوف	محمد بن المختار بن أحمد الكنتي (1241هـ)		التصوف	03 ورقات 21 سطر	
757 ج/1	قصيدة في الرد على التجانية	أحمد البكائي بن محمد الكنتي (1281هـ 1865م)		التصوف	04 ورقات 10 أسطر	

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
758 ج/1	قصيدة في الرد على الشاذليين والتجانيين	محمد المختار بن محمد المختار الكنتي(1264هـ)		التصوف	ورقتان 33سطر	
1024 ج/1	منظومة في المنطق	محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ1503م)		المنطق	03 ورقات 16 سطر	
1191 ج/1	قصيدة موجهة لزين العابدين يعتذر فيها عما وقع بينهما وقصيدة يمدح بها السلطان التركي عبد المجيد	أحمد البكائي بن محمد بن المختار الكنتي الوافي (1281هـ1865م)	أحمد بن عبده بن المختار الكنتي	الاعتذار والمدح	03 ورقات 14سطرا	
2299 ج/2	منظومة في الاستسقاء	محمد بن أب بن أحميد المزمري (1160هـ)		فقه	صفحتان 19سطر	وريقات ممزقة غير مجلد

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
2174 ج/2	منظومة في المدح	محمد بن أب بن أحميد المزمري (1160هـ)		أدب	صفحتان 21سطر	جيدة غير مجلد
2774 ج/2	رسالة الاعتذار عن المكتوب إلى محمد المولود ومحمد الطاهر ابني محمد المختار بن محمد عالي	محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (1241هـ 1826م)		وثائق	صفحتان 18 سطر	تامة
2244 ج/2	منظومة في الدعاء	أحمد البكاي بن محمد بن المختار الكنتي (1281هـ)		دعاء	4صفحات 19 سطر	قديمة غير مجلدة
2505 ج/2	منظومة سلسلة الأنوار	محمد ابن أب المزمري(1160هـ)		تصوف	04صفحات 09سطور	قديمة وممزقة
3455 ج/3	قصيدة في مدح الرسول(ص)	محمد بن عبد الكريم بن المغيلي(909هـ)		السيرة النبوية	صفحتان 20سطر	تامة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
3359 ج/3	قصيدة في التوحيد	محمد بن المختار بن أحمد الكنتي (1241هـ)		توحيد وعقائد	6صفحات 17سطر	تـــامـــة
3567ج/3	قصيدة في مدح الرسول	محمد بن عبد الكريم بـــن محمد المغيلي (909)		سيرة نبوية	8صفحات 18سطر	تـــامـــة
4297 ج/3	قصيدة في المدح يجيب بها على قصيدة أخيه محمد	أحمد البكاي بن محمد بـــن المختار الكنتي(1281هـ)		أدب	صفحتان 20سطر	ناقصة الأخر
3300 ج/3	رسالة في التهنئة بفتح الجن إلى الخليفة الأعظم أحمد أب الفلاني	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)	المختار بن أحمد الكنتي 1226	وثائق	14صفحة 24سطر	تامـــة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
4757 ج/4	رسالة في عدم وجوب صلاة الجمعة في بوجبيهة	محمد المختار بن محمد بن أحمد بن محمد الأمين	المؤلف	فقه	06 صفحات 24 سطر	تـــامـــة
5048 ج/4	وصية	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)		وعظ وإرشاد	18 صفحة 22سطر	تـــامـــة
5056 ج/4	أربع رسائل إلى الحاج عمر الفوتي	أحمد البكاي بن المختار الكنتي (1281هـ 1865م)		وثائق	10صفحات 33سطر	تـــامـــة
5485 ج/4	رسالة إلى عيسى بن أحميد الغدامسي	أحمد بن العبيد التواتي		وثائق	صفحتان 27سطر	ممزقـــة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
5611 ج/4	رسالة إلى القاضي أحمد بابا بن أبي العباس بن عمرو بن زيان الحسني	أحمد بن عبد الله بن محمد البريشي التواتي		وثائق	صفحة واحدة 20سطر	تامة
5615 ج/4	رسالة إلى القاضي أحمد بابا بن أبي العباس بن عمر بن زيان الحسني	محمد الحسن بن محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك التواتي		وثائق	صفحة واحدة 32 سطر	تامة
6509 ج/5	رسالة إلى محمد المبارك بن علل	محمد بن أ ب المزمري		وثائق	صفحتان 19 سطر	متآكلة
7122 ج/5	رسالة إلى ميتضا بن أحمد بن عيسى بن أحميد الغدامسي	محمد المكيدي البحامدي التواتي		وثائق	صفحة واحدة 19سطر	تامة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
7820 ج/5	قصيدة في طلب العلم	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)	المؤلف نفسه	أخلاق	صفحة واحدة 08سطور	تــامــة
7822 ج/5	قصيدتان في التوسل	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)	المؤلف نفسه	أذكار	صفحتان 27 سطر	تــامــة
7778 ج/5	قصيدة في التوسل	محمد بن المختار الكنتي (1241هـ1826م)	المؤلف نفسه	أذكار	صفحتان 18سطر	تــامــة
8364 ج/5	منظومة في علم الرسم	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)		علوم القرآن	14صفحة 21 سطر	تــامــة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
8371 ج/5	نصيحة إلى أهل البادية	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)		وعظ وإرشاد	صفحتان 20سطر	تامة
6786 ج/5	رسالة إلى محمد الأمين بن أحمد بابا	عبد الرحمان الرحيم بن قادة التواتي		وثائق	صفحتان 24 سطر	متآكلة
6908 ج/5	رسالة إلى الحمد غلام عبد الرحمان التواتي	عبد الرحمان بن محمد التواتي	نسخ سنة 1286هـ	فقه	صفحتان 18 سطر	تامة
6269 ج/5	قصيدة هدية المسكين	عبد الرحمان التلمساني الرازي أبو زيد	عمر بن المكي	فقه	38 صفحة 12 سطر	تامة
6270 ج/5	نظم السر المغتبط في فتح المغتبط	محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم التواتي الزجلاوي		تصوف	40 صفحة 23 سطر	ناقصة الآخر

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
6695 ج/5	رسالة إلى أعراب بن أحمد أمير ديري	عبد الله بن عوف التواتي		فقه	01 صفحة 28 سطر	تامة
7495 ج/5	وثيقة في شأن بيع الملح	أحمد بن عبد الكريم التواتي		وثائق	01 صفحة 17 سطر	تامة
7501 ج/5	وثيقة في شأن بيع الذهب	عبد الله بن الحاج محمد الصمد التواتي		وثائق	01 صفحة 16 سطر	ناقصة الآخر
7080 ج/5	رسالة إلى عيسى بن أحميد الغدامسي	الصديق بن أحمد التواتي		وثائق	01 صفحة 25 سطر	تامة
7081	رسالة إلى عيسى بن أحميد الغدامسي	الصديق بن أحمد التواتي		وثائق	01 صفحة 19 سطر	تامة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
6509 ج/5	رسالة إلى محمد المبارك بن علل	محمد بن أب المزمري		وثائق	صفحتان 19 سطر	متآكلة
7879 ج/5	قصيدة في الاستغاثة	محمد بن المختار بن أحمد الكنتي (1241هـ)	محمد بن عبد الله (1391هـ)	أذكار	4 صفحات 09 سطور	تامة
7511 ج/5	وثيقة في شأن وكالة	أحمد بن عبد القادر التواتي	نسخت سنة (1288هـ-1871م)	وثائق	01 صفحة 17 سطر	تامة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
7754 ج/5	قصيدة في المدح	أحمد البكاي بن محمد بن المختار (1281هـ 1865م)		أدب	صفحتان 18 سطر	تامة
7762 ج/5	قصيدة في مدح شيخه	محمد بن المختار الكنتي (1241هـ 1826م)		أدب	4 صفحات 16 سطر	تامة
7774 ج/5	قصيدة في التوسل	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)	أحمد بن عبد الله	أذكار	صفحتان 13 سطر	تامة
7778 ج/5	قصيدة في التوسل	محمد بن المختار الكنتي (1241هـ 1826م)	المؤلف نفسه	أذكار	صفحتان 18 سطر	تامة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
8681 ج/5	مجموع في الأوراد و القصائد في الدعاء	المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ 1811م)		أدعية وأذكار	04 صفحات 29 سطر	تامة
8684 ج/5	منظومة في ذم الدنيا والترغيب في العقبى	المختار بن أحمد الكنتي (المختار الكبير) (1226)		وعظ وإرشاد	04 صفحات 16 سطر	تامة
2980 ج/2	منظومة في الدعاء	المختار الصغير بن محمد الكنتي (1263هـ1846م)		تصوف	01 صفحة 12 سطرا	تامة أصابها البلل

ثانيا : مخطوطات أدباء توات في مكتبة مما حيدرة جمهورية مالي(*).

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
45 ج/1	الخطبة الفائقة مقياس النص: 15.1 × 8.5 سم	المختار بن أحمد الكنتـــي (1226هـ—1811م)		فقه مالكي		جيـــدة جـــدا

* تأسست مكتبة ماما حيدرة في أواسط القرن التاسع الهجري(09هـ) الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي(15م) في قرية بمبا في محافظة بورم بإقليم غاوى وأسس هذه المكتبة الشيخ محمد الأمين الجد الأعلى لأصحاب المكتبة الحاليين. تحتوي المكتبة حاليا على ثلاثة آلاف مخطوط(3000) موزعة على موضوعات مختلفة(علوم القرآن والحديث، الفقه، التصوف، الأدب، النحو، الفلك والوثائق. تعرضت المكتبة في فترات سابقة إلى ضياع جزء كبير من محتوياتها وهذا بسبب حريق أصابها في سنوات سابقة أولا وبسبب تهدم بناية المكتبة على المخطوطات ثانيا وبسبب السطو والنهب الذي أصابها من مجهولين ثالثا) ينظر مقدمة عبد القادر مما حيدرة ج1 ص07 وما بعدها فهرس مخطوطات مكتبة مما حيدرة للمخطوطات والوثائق.

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
46 ج/1	الخطبة الفائقة مقياس النص: 12.7 × 7.7 سم	المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ-1811م)		فقه مالكي		ناقصة
58 ج/1	الخطبة الفائقة مقياس النص: 16 × 9 سم	المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ-1811م)		وعظ		كاملة
364 ج/1	مكتوب في التصوف	المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ-1811م)	حماد بن لكنتي بن الرقاد	تصوف		جيدة جدا

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
531 ج/1	أجوبة الشيخ المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ/1811م)	المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ 1811 م)		فقه مالكي – تصوف		جيدة جدا
631 ج/1	أجوبة في حكم الأموال المأخوذة من أيدي المحاربين واللصوص مقياس النص: 17.5 × 13.1 سم	المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ1811م)	عبد الرحمان بن سيدي عثمان التنبكتي	فقه مالكي		
1074ج/1	وصية النبي لعلي بن أبي طالب مقياس النص: 16.2 × 9.2 سم	محمد بن أب بن أبي بكر المزمري (1160هـ)	محمد بن عيسى بن محمد الفلاني	وصية		جيدة

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
1216ج/2	السر الدائم للمذ نب الهائم مقياس النص: 11.7 × 7.6 سم	محمد بن المختار الكنتي الوافي (1241هـ)	محمد أحمد الملقب كملا	مدح النبي		جيدة
1771 ج/2	قصيدة في النظائر مقياس النص: 17.4 × 12 سم	المختار بن أحمد الكنتي (1226هـ 1811 م)		فقه		جيدة
2357 ج/3	الدر الملتقط في الفتح المغتبط في المخمس الخالي الوسط ج/1 مقياس النص: 9.17 × 10 سم	محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم التواتي الزجلاوي	محمد بن عمر بن محمد بن علي الفلاني	أوفاق		جيدة جدا

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
2605 ج/3	قصيدةفي مدح للنبي والتوسل به ج/1 مقياس النص: 17.5 × 11.3 سم	محمد بن المختار الكنتي ثم الوافي (1241هـ/1836م)		توسل	4 أوراق 22 سطر	جيدة
2605 ج3	قصيدة لنفس المؤلف ومطلعها: أمن تذكار مية ما أرمي... وشب عقابلا من ذي سقام	محمد بن المختار الكنتي ثم الوافي (1241هـ/1836م)		توسل		جيدة
2606 ج/3	منظومة في مدح الأشياخ المتصوفة ج/1 مقياس النص: 17.6 × 11.5 سم	محمد بن المختار الكنتي ثم الوافي (1241هـ/1836م)		تصوف، مدح	6 أوراق 19 سطر	جيدة جدا

ثالثا: مخطوطات أدباء توات في مكتبات غانا(*)

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
1572	شرح قصيدة شغف الفؤاد بحب ذات الواحد مقياس النص: 15×18سم	المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الوافي (1226هـ ـ1811م)			92 ورقة 16 سطرا	واضحة وجيدة

*أعدت هذه القائمة بناء على فهرس مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن. إعداد بابا يونس محمد. تحرير علي عبد المحسن زكي 1421هـ/2000م.

رابعــا: مخطوطات أدباء توات في دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا(*).

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
704 ج/1	رسالة في أمور السلطة. مقياس النص: 17×12سم	محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)		سياسة ونصح	06 أوراق 18 سطرا	حسنة (طبع في بيروت) سنة 1932م
1117 ج/1	كتاب يتضمن ما للسلطان على الرعية وما عليه للرعية. مقياس النص: 13×19 سم	محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (909هـ/1504م)		سياسة، نصيحة للملوك	18 ورقة 30 سطر	جيدة

* تأسست دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا في سنة1957 تضم هذه المجموعة1652 مخطوطا في ميادين علمية إسلامية شتى وهي ترجع في معظمها إلى العالم العربي أو الإسلامي الواسع .مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. إعداد بابا يونس محمد حققه وأتم حواشيه جون هنويك

خامســـا: مخطوطات أدباء توات في مكتبة جامعة إبادان نيجريا (*).

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
400	رســـالـــة فـــي أمـــور السلطنة مقياس النص: 20×13 سم	محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)		نصيحة الكلام	28 ورقة 8 أسطر	جيدة

* يرجع تاريخ خزانة مكتبة جامعة إبادان بنيجيريا إلى سنة1900م وهذه الفهرس يصف422 مخطوط من مجموع ما يقارب 1500 مخطوط ومعظم مخطوطاتها حاليا في وضعية حسنة وهي عبارة عن جمع للمخطوطات العربية في نيجريا. أسس هذه المكتبة السيد (وأن كنزدايلw.e.n.kensdale) .ينظر مقدمة المحرر. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. إعداد بابا يونس محمد حققه وأتم حواشيه .د جون هنويك .لندن 1421هـ/2001م.

سادسا: مخطوطات أدباء توات في شنقيط ووادان(*).

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	اسم الناسخ والتاريخ	موضوع المخطوط	عدد الصفحات	الوضعية الحالية للمخطوط
828	قصيدة في الزهد . مقياس النص: 9 × 7 سم	المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (1226هـ)		تصوف	10 أوراق 12 سطرا	نسخة جيدة

* تأسست هذه المكتبات في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. تضم هذه الفهرسة1109 مخطوطا سجلت من 12 مكتبة من أهم مكتبات شنقيط ووادان. ينظر مقدمة المحرر. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. إعداد أحمد ولد محي الدين لندن 1417هـ/1997م.

سابعا: ما يمكن أن نضيفه إلى هذه الفهرست هو ما تلقيته مكاتبة(•) من عند أحد الإخوة الزملاء القاطنين بمدينة تنبكتو وهو الصديق أحمد الفقي الأنصاري قال إنه اطلع عليه شخصيا بهذه المكتبة ونقله حرفا بحرف وهو ما يلي:

الرقم	عنوان المخطوط	المؤلف	الناسخ	الموضوع	عدد الصفحات والأسطر	وضعية الحفظ
358	قصيدة في الهجاء المقياس: 18 × 22 سم	الحاج حمزة بن الحاج أحمد التواتي		هجاء	10 صفحات 22 سطر	تامة وجيدة
885	قصيدة في مدح الرسول المقياس: 12.5 × 15 سم	محمد بن أب المزمري		مدح	08 صفحات 13 سطرا	جيدة

•كان ذلك بتاريخ 2004/10/30م. كما أخبرني أن هناك خزائن أخرى في المدينة هو بصدد البحث فيها.

قصيدة البحر الجديد لمحمد بن أب المزمري 1160هـ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وللسيد مراد [illegible] الشنجيطي رحمه الله ونفعنا به

[illegible] في امتداح نبينا المكي

يا رب صل على المختار ما سجعت — بغصن سجع على الوكون ورشان

أكثبة موعد آل الجزع عنبان — بربع دار وما بالدار عمران

نبكي عليها وما بربعها أحد — من الأناس وأهل الربع قد بانوا

فبان منهم طبيب يقلب له — والقلب مني على الأحباب ولهان

أفلا بطيب في البلا وإبقا طب — من المنام وجفن العين سهران

وإن الوجد في الأحشاء نار جرى — فهل يبيت من الغرام هيمان

لما تذكرت أيام الوصال التي — مضت وشاهدت بعد اهواه أوطان

جنت جفوني إذ جن الجنون بها — زجر وفقدان الجنون طغيان

إن المحاسن [illegible] — إلا انا [illegible] بالثغر [illegible]

كم أصرم [illegible] الثغر [illegible] — وناحم القلب [illegible]

لو تعلم الشمس ما في القلب من شغف — لذاب [illegible]

[illegible] — [illegible]

لما وقفنا بدار كنا عهدنا من — أحب فيها ومن في الدار جيران

سألتها عن أناس كنت أعهدهم — وقد مضت لهم في الدار أزمان

ولم تجر جوابي [illegible] دارهم — [illegible]

والدار تشهد [illegible] — [illegible]

ما زال فيها لسان الحال يخبرني — أن [illegible] فيها مدة كان

وأنها قد عفت من عهد ما رحلوا — [illegible] الدار [illegible]

وأزججها من رياح الزهر عاطلة — وكان قبل بها [illegible] وسعدان

قصيدة في المدح النبوي للشاعر سيدي محمد بن المبروك "1189هـ"

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
هذه قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم
من قول الشاعر محمد المبروك رحمه الله ونفعنا به

أرى جفلة عند ما جدّ لي ... وأعدّ جداول للمجد ثابتة
أتروى راكبا بصفتها أنبدر الو ... المجيد رزق فضل شعر الحمراء
بلا تحتها الكبار ودنا عسى ... فلا ذو نسير جاء بالصلوات
بل نعتها بحد الطيب والعصم و ... النعم تتبعها صلاة العذراء
تنتهي للمختير أمرده مسودنا ... بدو قرجنتنا الزاكيات
تحتو فضلها قد أورج في العلم ... التي جاءت أمر الركعات
نبت أثر قلبه يتلو فيها الوحي ... من جمايل أن ثبت
ثم أرسله إلى الخلق كلهم ... وتحدى جاهليه كل عدا
جمعها له رسالة والنبي ... معتصم بغيره إثباته
جاء للمؤمنين وتمر بشيره ... ونذير للكافرين المعتدين
حفظه الله وحبه بانتشار ... الشعب والله رابع الدرجات
حرفت جهة ترومها استهزاء والقمم ... كل لا يلقى إلى الشكل حكاية
خلق الله خلقه كلهم شيء ... جوده كل جاحد ونبات
خلقه فيه شرحي أنا هو ... بتواجه الآله والواجبات
ثم الله مرسله بستوه ... فأتروى بالغمام والغمارات
دمعت أعين البلاد على العلى ... ولم يتغير بالعنايات
وأنت يتحيا العلو عليه ... بصوته معه موالي الولا

الحمد لله وحده وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

قصيدة الفقيه العالم الاديب السيد الجواد السخي

حاج الحرمين سيدي الحاج عبد الله بن الفقيه العلامة شيخ شيوخنا ابن عبد الرحمن

الله اكبر جل الخطب عنانا ... وقد تبينا وضاق الصبر اوانا

بل دار مصر عروس الملك حل بها ... امر عظيم لها الناس انحانا

اهل الروم اخزاهم الاله فقد ملكوا ... مصر العتيقة وحازوا سهلها فلا

وكم خبيث اعلام دينه ... ورد بنا فقد براه اليوم نعطانا

بل عمت البلوى دار الاسلام تابعهم ... بهذه النكبة الكبرى خسرانا

بلا حجة النور باطل احلوا بنا ... ماذا منا خشنا وخسرانا

للمساجد يا غوثنا ابعد ما ... مر للمدارس بنيت العشبا نا

للمطاحن والكتب التي جمعت ... بالازمن الرحب يعلنها بفقدانا

للمشاهد شيخ النظم ... لعشر السنة تجمعه اعلانا

تنبيه المشرح وما تجهلنا ... ويعني بهم اهل الكبر نشوانا

يعترف القلب بمساجدنا ... تلامذتها تجتهد الزمن نعشانا

لم نعان ونعتب يا رحيم من ... للمومنين مومنا ورحمانا

بلا منحنا به الله يا ناصر ... ما انت جمع العرب عرفوا مصرانا

قد نستنفعنا بالعرش الجبروت ... النبي الجليل وقد نعني من شانا

بالملائكة للمقربين وباللوح ... القلم يا سميع محمد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

هذه القصيدة التي [illegible] بفضل النبي والتوسل

والتوسل بأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

العلامة الفقيه الأوحد سيدي أحمد زروق [illegible]

[illegible]

إلاهي لك الحمد [illegible] بالشكر [illegible] الخلق والأمر

تباركت [illegible] اللطف [illegible] الدهر

وصل على [illegible] الحبيب [illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] رسول [illegible]

نبي رسول [illegible] رحمة [illegible]

[illegible] رسول [illegible]

[illegible] رسول [illegible] الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الله [illegible]

نص طلب الإجازة الذي تقدم به محمد عبد العزيز بن عبد الرحمان البلبالي من الشيخ سيدي أحمد زروق "1212هـ"

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

طلب إجازة بل [illegible] إما كتبه تقييدا محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي وفقه الله لنيل المعالي كاتب من العبد [illegible] الأديب البارع الحافظ الواعية سيدي أبي العباس أحمد زروق بن سيدي محمد بن [illegible] بن [illegible] آل سيدي يوسف ابن [illegible] أن يجيزه جميع مروياته وما حصله من أشياخه العباسيين والمكناسيين وغيرهم وهو ممن [illegible] من الفضلاء [illegible] الزاكي [illegible] كثيرا بالآثار [illegible] بالليل والنهار [illegible] مستحضرا للحديث [illegible] حفظه وتاريخ العلماء [illegible]

إليك أبا العباس [illegible] ... ومنطار [illegible] الوصل [illegible]

سلكت طريقا وإنما تطلب العلا ... بذلك [illegible] ما شاء [illegible]

وصفت معينا سلسبيلا زلالها ... لذلة طعم [illegible]

[illegible] ... [illegible] اللب ويطرب

[illegible] لعتقه ... و[illegible]

ولكنما [illegible] لهما لعطشها ... شربه ولم يصعد من هو [illegible]

[illegible] ... لشيخ [illegible] العدل [illegible]

[illegible] ... من [illegible] سناد [illegible]

وتحسب في أعراضهم [illegible] ... و[illegible] في إسناد [illegible]

نص إجازة ابن أب المزمري "1160هـ" لسيدي عبد الرحمان بن عمر "1189هـ"

ومن ما كتبت اليه يد فوا كل بتيم عبد الرحمن بن عمر التواتي اناله الله امله
ختم بالعسكر اجله قرات جميع هذا الشرح على شيخنا مولفه جزاه الله
عنا وعن المسلمين افضل الجزاء وجعله من راسه حفوفا ومحروزا في اواسط شوال
سنة احدى وخمسين ومائة والف في قرية سكناه زاوية الولي الصالح سيدي احمد بن
[illegible] كنت خاتمة المجلس وطلب منه ان يصلي علينا ثانيا بالرباط ولبعد
اخرت [illegible] بعميم مولفاته وفتاويه ومقطعاته من هو اهل لذلك طلبا للستر
لئلا يحتج به هذه الامة وايثارا للاهم وبما دام الله لنا النفع به كما ابين لجميع
المسلمين امين يارب العالمين وكتب رحمه الله تحته ما نصه الحمد لله وبعد
فقد اجزت للشاب النجيب الاديب الالوذعي الالمعي النجيب الطالح الحبشي الكوكب
النبيه الشاب زين السبير عبد الرحمن بن عمر التواتي نفعني الله وإياه بالعلم وجعله ورع
جعلنا من خيار اهله بحمد جوده وفضله ان يحدث عني بجميع ما النحص
فيه الاذن منا اجازة تامة وكتب عبيد ربه محمد بن اب المزمري التواتي وفقه الله ا حمد
تو بين رحمه الله [illegible] يوم الاثنين العاشر من جمادى الاولى الاخرة سنة ستين
ومائة والف بمدينة تمنطيط من بلاد الجزائر فائدة انكر شيخنا صاحب
الشرح على من ضبط باب التضعيف وقال لا يعرف الا بالهمز كقوله تعالى ولا
ولا منهم من خوف ضح وجوز تعويبه بالتضعيف في كلام المولفين كثير ا وضبط
المشكل الذي نسي عنه بزاديه عرة مواضع من الصحيح بلم ازل مخوف عنه
لكون ابن هشام في المغني حكى ان التعدي بالتضعيف غير مقيس وكذلك
القاموس ونحوا باب الكتاب ثلم يزل كذلك حتى وقفت عليه في شرح الشهاب
الخفاجي الشفا بانه نقل عن بعض الحلبي انه انكر تعديه بالتضعيف كذا
الشيخ باعتراض الشهاب بانه مسموع ومما سمعت منه ايضا
انه كان يخطئ في مصر رحمه ... ضربه حرامي من عهم الفنا مع ان النوي ... الالسنة
ضبطه بالكسر بلم ازل ابحث عنه ايضا حتى وقفت على حاشية الجلال السيوطي
لصحيح مسلم على انه وحر ضاتنا اشهر و[illegible] شيخنا العالم الصالح الحاج
[illegible] نقلا عن الاصل انه ضبط بالفتح وبالضم ايضا ... بضم الحاء وبفتح الراء على انه صح

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[illegible]

الوجه الأول من رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن دريـــس "1231هـــ" للجزائر العاصمة "

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

جدّ ملء حسبك الغفير بفضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يسبق نحو ذلك بقيام بمرضيهم ومرضي عنهم من خوال السيد
الجوام ولولا أن التشوف بهذا المجال والتشبه على هذا المنوال يقضي بنا إلى الشروع من موضوع هذا المجموع
لغشيتني الاستماع وامتنعت الطباع، بالاستحباب في هذا الاسلوب والاطناب فيما به تعلقت ارباب القلوب
ولشرحت الرسالة ثنا نيلا وثنا بتعبير ما شرحت به أولا وإن كنت في هذا على الأخص الشيخ معولا، وثنا
هبتك به معولا، والحمد لله والشكر آخرا وأولا، والصلاة والسلام على من نسخت ملته ودولته
ملل الجابرة ودولا، وكتبت اليه رضي الله عنه بما نصه الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه
وعبده، وعلى آله وصحبه وعترته من بعده وعلى التابعين والتابعين لهم على ذمته وعهده استفتاء وتشرح
حال تسيدنا اسعد الله بتسديدكم الانام وسود بسودد سيادتكم الاتباع والاشياع والاحشام
والقاد بإشادة مشيد عزكم فسطاط اهل الاسلام والاستسلام، وادام بديمومة دوامه من
عمركم الليالي والايام، ورفع من شرف شرفكم الباذخ رايات الخصوصية والاعلام، وأقام بقوام
تقدمكم قامة الشريعة والاحكام، وملأ بنافحة منبع ذكركم الملأ الاعلى والاقطار والمحلة
رمة والاكام، وحلاكم بسلام بما له التبجيل والاحترام، وبستلم سلامة الرضوان والمبرة والاكرام،
جاذبا اهل الجنة بما يبشرهم بسلام وإسلام، وعاتقوا حور الخصوصية بغبطة واحتشام، وافتتحكم
بتحيتها ابهى من حسن الغمام، وأشهى من برد اللثام، وازهى من مثلثة القراطيس للأقلام، تحية تعد زاد
المشافهة والمكافحة بالكلام، واكرمكم بروح من يد الاحترام وبجار ازدياد التوقير والاستسلام، نشر
خزي شرح الحال المحلى بالانتساب المعطل من حيث الجناية والاكتساب، اقتضاه تشوف بشر الهام وتبلبل
البلبال لتزاحم العوائق وتراجم العلائق، وسد باب المخرج لحسم وارتتاج فرجة السبيل المستحسن
بسد ارسال الممال البعيد وطول الاسارة للجبال من ترك الحزم ذا، وانت الحليم وانت الكريم وانت
المصوب وانت العرب وانت الحبل المشتمل لي بالقوم كما للعرب، وقد استبطنت احشاء العاجلة،
بتتبعه وكرب الحضر الاجلة، على سفر تخريبه، ومعيع توحيته، تخيلا القرب السلامة، وخوفا من الثور

بعوى

فهـــرس المصــادر والمراجــع

* القـــرآن الكريـــم بروايـــة الإمـــام ورش(ض)

أولا: الـــمــخـــطـــوطـــة

1. ألفية الغريب. الشيخ سيدي محمد بن امحمد الزجلاوي. خزانة قصر زاجلو وقصر أنزقمير.
2. تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلانـــي: العالم عبد الرحمان بن عمر التنلاني. خزانة قصر تـــنلان. ولايـــة أدرار.
3. ترجمة وجيزة لبعض علمـــاء تـــوات. الحـــاج محمـــد بكـــــراوي (المنيعة).
4. تقييدات مخطوطة حول العائلة الأنصارية بتوات. خزانـــة الشـــيخ الحاج محمد الشيخ قصر أنزجمير أدرار.
5. تقييدات مخطوطة حول العائلة الأنصارية بتوات. خزانـــة الشـــيخ السيد عبد القادر نيكلو أدرار.
6. تقييد مخطوط حول أجداد سيدي امحمد الونقالي. خـــــزانة قصـــر باعبد الله أدرار.
7. تقييد مخطوط حول حياة الشيخ سيدي عبد الكريم بن سيدي أحمـــد التمنطيطي. خزانة قصر تمنطيط أدرار.
8. تقييد مخطوط حول حياة الشيخ سيدي علي بن حنيني. خزانة قصر زاجلو أدرار.

9. تقييد مخطوط حول حياة الشيخ سيدي علي بن عبد القادر بن البكري خزانة تمنطيط أدرار.

10. تقييد مخطوط حول حياة ومناقب الولي الصالح سيدي الحاج بلقاسم محمد بن الحاج محمد البلغيتي. زاوية الدباغ أدرار.

11. تقييد مخطوط حول دخول أهم العلماء لمنطقة توات. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

12. تقييد مخطوط حول علماء الدغامشة وقورارة. خزانة قصر كوسام أدرار.

13. تقييد مخطوط حـــول نســـب الإداوعلييــــن. خزانـــة قصــــر اعبانــــي أدرار.

14. تقييد مخطوط حول نسب الإمام محمد بن عبد الكـــريم المغيلـــي. خزانة الحاج عبد القادر المغيلي أدرار.

15. تقييد مخطوط حول نسب الشيخ سيدي عــــبد الله العصنونــــي. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

16. تقييد مخطوط حول نسب وحياة بعــض العلمـــاء البكرييـــن. خزانـــة قصر تمنطيط .

17. جوهرة المعاني في تعريـــف علمـــاء الألـــف الـــثانـــي: محمـــد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.

18. الحياة الأدبية والنقدية في الفسطاط ومسجدها الجامع (30هـ/355هـ) علي اليمني دريدير ص1. رسالة دكـتوراه. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهـر. مصر.

19. حياة العالم مولاي عبد الله الرقاني(1207هـ) للشيخ محمد بن المصطفى بن اعمر الرقادي(ق13هـ) خزانة قصر كوسام أدرار.
20. خطبة الشيخ سيدي عباد(ا). خزانة زاوية الشيخ الحاج بلقاسم تيميمون.
21. خطبة الشيخ سيدي عباد(ب). خزانة زاوية الشيخ الحاج بلقاسم تيميمون.
22. خطبة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان. خزانة قصر باعبد الله أدرار.
23. خطبة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان. خزانة قصر باعبد الله أدرار.
24. خطبة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان. خزانة قصر باعبد الله أدرار
25. درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: العالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. خزانة قصر تمنطيط. ولاية أدرار.
26. الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية: محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.
27. ديوان الشاعر سيدي محمد الإداوعلي. خزانة قصر اعباني أدرار.
28. ديوان الشاعر سيدي محمد بن المبروك البداوي. خزانة قصر بودة.

29. رحلة الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري. خزانة قصر تمنطيط أدرار.

30. رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس إلى الجزائر المحروسة سنة(1231هـ) النسخة(ا) خزانة قصر باعبد الله أدرار.

31. رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس إلى الجزائر المحروسة سنة (1231هـ) النسخة(ب) خزانة قصر باعبد الله أدرار.

32. رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس إلى الجزائر المحروسة سنة (1231هـ) النسخة(ج) خزانة قصر كوسام أدرار.

33. رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر إلى الحج سنة (1188هـ) . خزانة قصر باعبد الله أدرار.

34. رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التواتي في طلب العلم خزانة قصر باعبد الله أدرار.

35. رحلة الشيخ سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر التواتي لطلب العلم سنة (1117هـ). خزانة قصر باعبد الله أدرار.

36. رحلة العائلة الرقانية . خزانة باعبد الله أدرار.

37. رسالة الشيخ سيدي أحمد زروق للشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي .خزانة قصر باعبد الله أدرار .

38. الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد. الشيخ سيدي محمد بن المختار.خزانة قصر زاوية كنتة أدرار.

39. عون القيوم شرح على كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم في النحـــو. للعالم محمد باي بالعالم. خزانة قصر با عبـــد الله. ولايـــة أدرار.
40. غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل .جمع مشترك بين سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان ،وابنه سيدي عبد العزيز وسيدي محمد العالم البكري بن ســيدي محمــد الجزولـــي. خزانة تمنطيط أدرار.
41. قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد دراسة تاريخية مــن خـــلال الوثائق المحلية أثناء القرنين31/12هــ. رســالة ماجســتير فـــي التاريخ الحديث والمعاصر. إعداد محمد حوتية. إشراف ناصر الدين سعيدوني. معهد التاريخ جامعة الجزائر1412هــ/1993م.
42. قصيدة (أتــيت إلى رب الــبرية مــفردا) الشيخ سيدي الحـــاج بلقاسم. خزانة زاوية سيدي الحاج بلقاسم تيميمون.
43. قصيدة (إلى سادتي الأخيار نعم الموارد) الشيخ ســيدي ابـــراهيم الواجدي. خزانة قصر باعبد الله أدرار.
44. قصيدة (ألا في سبيل الله فيما أصابنا). الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر التنلاني. خزانة البلباليين قصر ملوكة. أدرار.
45. قصيدة ألفية الغريب للشيخ سيدي محمد بن امحمد الزجلاوي. خزانة قصـــر باعبد الله أدرار.
46. قصيدة (الله أكبر جل الخطب عيانا) الشيخ سيدي عبد الله بـــن ســـيدي عبـــد الرحمان. خزانة قصر باعبد الله أدرار

47. قصيدة الله ربي. محمد بن أب المزمري. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

48. قصيدة (إلهي لك الحمد) .سيدي محمد زروق بن صابر البداوي. خزانة قصر بودة أدرار. نسخة (ا).

49. قصيدة(إلهي لك الحمد). سيدي محمد زروق بن صابر البداوي. خزانة قصر بودة أدرار.نسخة(ب).

50. قصيدة بحر المضطرب في مدح الرسول، محمد بن أبّ. النسخة(ا) خزانة قصر كوسام أدرار.

51. قصيدة بحر المضطرب في مدح الرسول، محمد بن أبّ. النسخة (ب) خزانة قصر كوسام أدرار.

52. قصيدة (بحمد الإله والصلاة على النبي) الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التواتي. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

53. قصيدة (بدأت بحمد الله رب مصليا) الشيخ محمد بن أب المزمري. النسخة(أ) خزانة قصر باعبد الله أدرار

54. قصيدة (بدأت بحمد الله رب مصليا) الشيخ محمد بن أب المزمري. النسخة (ب) خزانة قصر كوسام أدرار.

55. قصيدة (بدى للطويل الذوق تمثيل) الشيخ محمد بن أب المزمري. خزانة قصر كوسام أدرار.

56. قصيدة (بسم الإله الذي بالحق يقول). الشيخ سيدي محمد بن البكري بن عبد الكريم. خزانة قصر تمنطيط .أدرار.

57. قصيدة (بسم الله وبالله بدأت بذكر الله) الشيخ سيدي الحاج بلقاسم.

خزانة زاوية سيدي الحاج بلقاسم تيميمون.

58. قصيدة (بشراك ياقلب هذا سيد الأمم) الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي خزانة قصر باعبد الله أدرار.

59. قصيدة (الحمد لله الجزيل النعم) الشيخ محمد بن أب المزمري. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

60. قصيدة (الحمد لله الحكيم القادر). الشيخ سيدي سالم بن سيدي محمد العصموني. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

61. قصيدة (الحمد لله الخبير الملهم) الشيخ محمد بن أب المزمري. النسخة (أ) خزانة قصر باعبد الله أدرار.

62. قصيدة (الحمد لله الخبير الملهم) الشيخ محمد بن أب المزمري. النسخة (ب) خزانة قصر كوسام أدرار.

63. قصيدة (حمدا لمن ملكه توحدا) الشيخ محمد بن أب المزمري .خزانة قصر باعبد الله أدرار.

64. قصيدة (حمدا لمن منح أسرار الكلام) الشيخ محمدبن أب المزمري. خزانة قصر كوسام أدرار.

65. قصيدة (سمعت بأمر ما سمعت بمثله) الشيخ الإمام محمدبن عبد الكريم المغيلي. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

66. قصيد (صلاة ربي لم تزل متصلة) الشيخ محمد بن أب المزمري. خزانة قصر كوسام أدرار .

67. قصيدة (طاب الكلام في مدح طابا أنها) الشيخ سيدي عبد الحق. خزانة تمنطيط .أدرار.

68. قصيدة في أسماء البحور، محمد بن أبّ. خزانة باعبد الله أدرار.
69. قصيدة في أمثلة المتعدي واللازم من الرباعي المجرد، محمد بن أبّ. خزانة قصر كوسام أدرار.
70. قصيدة في فن البديع، محمد بن أبّ. خزانة قصر باعبد الله أدرار.
71. قصيدة في مدح مولاي عبد المالك الرقاني، محمد بن أبّ. خزانة قصر باعبد الله أدرار.
72. قصيدة (قال ابن أب واسمه محمد) الشيخ محمد بن أب المزمري. خزانة قصر باعبد الله .أدرار.
73. قصيدة (قال عبيد ربه محتسبا) الشيخ محمد بن أب المزمري. خزانة قصر باعبد الله .أدرار.
74. قصيدة (قد حكم الله بأمر فرضا). شاعر مجهول. خزانة قصر باعبد الله .أدرار.
75. قصيدة (قل للفرنسيين كبا جدكم) الشيخ سيدي أحمد زروق. النسخة (ا) خزانة قصر بودة أدرار .
76. قصيدة (قل للفرنسيين كبا جدكم) الشيخ سيدي أحمد زروق. النسخة (ب) خزانة قصر باعبد الله أدرار .
77. قصيدة (كيف اصطباري على خل شغفت به). الشيخ سيدي محمد عبد العزيز البلبالي. النسخة(ا) خزانة قصر تمنطيط أدرار.
78. قصيدة (كيف اصطباري على خل شغفت به). الشيخ سيدي محمد عبد العزيز البلبالي. النسخة(ب) خزانة قصر باعبد الله أدرار.

79. قصيدة (لك الحمد يا الله يا من تفضلا) الشيخ محمد بن أب المزمري. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

80. قصيدة (لله خطب مؤثر قد حل هذا البشر). الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

81. قصيدة نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن آجروم النسخة (ا): محمد بن أبّ المزّمري. خزانة قصر باعبد الله. ولاية أدرار.

82. قصيدة نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن آجروم النسخة(ب): محمد بن أبّ المزّمري. خزانة قصر باعبد الله. ولاية أدرار.

83. قصيدة (نستفتح باسم الله) الشيخ سيدي الحاج بلقاسم. خزانة زاويته بتيميمون.

84. قصيدة (ولما تغربنا) الشيخ سيدي امحمد بن أحمد الأنصاري. خزانة الشيخ الحاج محمد الشيخ قصر أنزجمير أدرار.

85. قصيدة (يا ربنا إنا ظلمنا يا قدير). سيدي محمد عبد العزيز البلبالي. خزانة قصر كوسام .أدرار.

86. قصيدة (يا ويح مبتاع الضلالة بالهدى) الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري. خزانة الشيخ الحاج عبد القادر المغيلي .أدرار.

87. قصيدة (يقول أعجز الورى محمد) الشيخ سيدي عبد الكريم بن سيدي أحمد التمنطيطي. خزانة قصر تمنطيط أدرار.

88. قصيدة (يقول راجي رحمة وغفران) الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد بن أحمد. خزانة الحاج عبد القادر المغيلي .أدرار.

89. قصيد (يقول عبد ربه العلي). الشيخ سيدي أحمد بن يوسف. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

90. مقدمة سيدي البكري بن عبد الكريم على مخطوط شرح التلمسانية في الميراث لعلي بن يحي بن صالح .خزانة قصر باعبد الله أدرار.

91. نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار تـوات: مـولاي أحمـد الطاهري الإدريسي. خزانة قصر كوسام. ولاية أدرار.

92. نقل الرواة عن من أبدع قصور توات: محمد بن عمر بن محمـد الجعفري. خزانة قصر بودة. ولاية أدرار.

93. وصية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف. خزانة قصر باعبد الله أدرار.

94. وصية الشيخ سيدي أحمد زروق بن صابر البـداوي الجعفـري. النسخة (ا) خزانة قصر بودة أدرار.

95. وصية الشيخ سيدي أحمد زروق بن صابر البـداوي الجعفـري. النسخة (ا) خزانة قصر بودة أدرار.

96. وصية الشيخ سيدي أحمد زروق بن صابر البـداوي الجعفـري. النسخة (ب) خزانة قصر باعبد الله أدرار.

97. وصية الشيخ سيد الحاج محمد الصوفي البادرياني. خزانة زاويـة قصر بادريان تيميمون أدرار.

98. وصية الشيخ سيدي المختار بن أحمد الكنتي. خزانة الشيخ الحاج عبد القادر المغيلي .أدرار.

ثانيـا: المـطـبـوعـة

1. آراء حول قديم الشعر وجديده. من سلسلة كتاب العـرب. (مطبعـة مجلة العربي). الكتاب13.15. أكتوبر1986م.
2. أثر القرآن في الشعر الجزائـري الحـديث 1976/1925. محمـد ناصر. المطبعة العربية. غارداية الجزائر1992م.
3. الأدب الجاهلي. قضاياه أغراضه أعلامه فنونه .د. غازي طليمات4 ط01. شوال1422هـ يناير2002م. دار الفكر دمشق سوريا.
4. الأدب الصومالي المعاصر. علي الشيخ عبد الله يلحو. منشـورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1408هـ.
5. الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي. دراسة وصفية نقدية .د حبيب يوسف مغنية 2002م. دار ومكتبة الهـلال. بيروت لبنان.
6. الأدب وفنونه. محمد مندور. دار نهضة مصـر للطبـع والنشـر. الفجالة. القاهرة1980.
7. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة .د يحي بـوعزيز ط1. 1995م دار الغرب الإسلامي.
8. أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر. بوسماحة أحمـد.دار هومة 2002. الجزائر.
9. أضواء على إقليم توات للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم. تحقيـق مقدم مبروك مقـدم، مؤسسـة الجزائـر كتـاب، تلمسـان، ط1. 1422هـ/2002م الجزائر.

10. أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي. تحقيق الأستاذ عبد القادر زبايديـــة، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة 1974.
11. الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى: أحمد بن خالد الناصري. الدار البيضاء.1997
12. إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين د: فـــرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1977م.
13. الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية. مبروك مقدم ط1. 1422هـــ2002م. مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان.
14. الإيقاع في الشعر الجزائري. د حسين أبو النجـــا. ط. ديســـمبر 2003. دار هومة.
15. البردة للإمام البصيري. ضبط أحمد علي حســـن. مكتبـــة الآداب 1998م القاهرة مصر .
16. البستـــان في ذكـــر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريمه. د،م،ج 1986م الجزائر.
17. البشرى شرح المرقاة الكبرى .عبد القادر الكسنمي. مطبعة المنار تونس.
18. البشير الإبراهيمي أديبا . محمد عباس. د/م/ج/وهران الجزائر.
19. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن11 إلى القرن14هـــ/17م إلى 20م. الصديق الحاج أحمد ط1، 2003. الجزائر.

20. تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلـــع القـــرن العشـــرين .أ. د يحـــي بـــوعزيز. دار هومـــة. الجزائر 2001.
21. تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ص15. تحقيق محمد خير رمضان يوسف .دار ابن حزم بيروت سنة1415هـ1994م.
22. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشـــر الهجـــري، أبو القاسم سعد الله، ط2، المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب، 1985م الجزائر.
23. تاريخ الجزائر الثقافي لأبـــي القاســـم ســـعد الله ط1، 1998م دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان.
24. تاريخ الجزائـــر العـــام. عبـــد الرحمـــان شـــيبان ط6، بيـــروت 1403هـ/1983م. دار الثقافة بيروت لبنان .
25. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي. طبعة هوداس، 1964م.
26. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش: كعتـــي محمـــود كعت بن الحاج. طبعة هوداس، 1964م.
27. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار صادر بيروت لبنان.
28. التسلسل الزمني لأحداث توات، برنارد سافرو،(مترجم) مركز البحث العلمي غردايـــة، الجزائر.
29. تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي. مطبعة المؤسســـة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، 1991م.

30. تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى،1381هـ/1962م، المطبعة الملكية المغرب الرباط.
31. توات في مشروع التوسع الفرنسي من حوالي1850 إلى1902، ذ: أحمد العماري منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. المغرب ط1988،1م.
32. الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من400هـ إلى1100هـ. في عهد المماليك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن4هـ و11م. أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة ط1417،1هـ1997م.
33. حياة العرب الأدبية. الشعر الجاهلي. عروة عمر دار مدني2004. الجزائر.
34. الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم، مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، ط1 مطبعة الواحات غرداية.
35. ديوان بشار بن برد تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي. دار الثقافة بيروت.1403هـ1983م.
36. ديوان طرفة بن العبد. دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1982/1402م.
37. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ج1و2. الشيخ محمد باي بلعالم ط2005،1 دار هومة الجزائر.

38. الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، الشيخ محمد باي بالعالم، مطبعة باتنة الجزائر.
39. رسالة في اليهود. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي. تقديم وتحقيق. عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة ط1،2005. دار أبي رقراق للطباعة والنشر.الرباط المغرب.
40. زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، دار الفكر الجزائر.
41. سكان تدكيلت القدماء والاتكال على النفس. الحاج التومي سعيدان. ط01،2005. دار هومة الجزائر.
42. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات ج1و2.الشيخ مولاي التهامي ط1، مارس2005. المطبعة الحديثة للفنون المطبعية. الجزائر.
43. شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة. الدكتور أبو القاسم سعد الله. ط03، 1984م. الدار العربية للكتاب. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
44. شرح الشمقمقية. عبد الله كنون الحسني. المغرب.
45. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. صفي الدين الحلي. تحقيق د نسيب نشاوي. ديوان المطبوعات الجامعية .
46. الشعر والشعراء لابن قتيبة .تحقيق أحمد محمد شاكر ط03. 1421هـ،2001م.دار الحديث القاهرة.
47. صحيح ابن خزيمة. تحقيق د محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت لبنان 1390هـ1970م.

48. صحيح البخاري، شركة الشهاب الجزائر 1990م.
49. صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
50. العالم الإسلامي في الإستراتجيات العالمية المعاصرة. د علاء طاهر. ط01. 1998م. دار بلال. بيروت لبنان.
51. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون. دار الكتاب اللبناني 1983م. بيروت لبنان.
52. العصر الجاهلي. الدكتور شوقي ضيف. الطبعة الثالثة. دار المعارف مصر.
53. علم العروض. فاطمي أبو سلهام. تحقيق عميار سيدي علي منشورات الشهاب 1996 الجزائر.
54. العمدة. ابن رشيق القيرواني. تحقيق د عبد الحميد هنداوي 1424هـ/2004م. المكتبة العصرية .صيدا بيروت لبنان.
55. الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني. الشيخ محمد باي بلعالم ط1، 2005 الجزائر.
56. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: تأليف أبي عبد الله الطالب محمد. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي. دار الغرب الإسلامي. بيروت1981م.
57. فتح الودود شرح المقصور والممدود للشيخ سيد المختار الكنتي، تحقيق مأمون محمد أحمد، ط1، 1423هـ/2002م.

58. فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا. إعـــداد بابا يونس محمد. حققه وأتم حواشيه جون هنويك. مؤسسة الفرقـــان للتراث الإسلامي. لندن1418هـ/1997م.
59. فهرس مخطوطات شنقيط ووادان. إعداد أحمد ولد محمـــد يحـــي. تحقيق أولرخ يربسثول. مؤسسة الفرقان للتراث الإســـلامي لنـــدن. 1417هـ/1997م.
60. فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحـــوث التاريخيـــة بتنبكتو. إعداد مجموعة من المكتبيين بالمركز. تحرير عبد المحسن العباس. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن1418هـ/1997م.
61. فهرس مخطوطات مكتبات غانا. إعداد بابا يونس محمد. تحريـــر علي عبد المحسن زكي. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. لنـــدن 1421هـ/2000م.
62. فهرس مخطوطات مكتبة جامعة أبادان نيجريا. إعداد بابا يـــونس محمد. حققه وأتم حواشيه جون هنويك. مؤسسة الفرقـــان للتـــراث الإسلامي لندن1421هـ/2001م.
63. فهرس مخطوطات مكتبة مَمَّا حيدرة للمخطوطات والوثائق .إعداد عبد القادر ممّا حيدرة. تحرير د. أيمن فؤاد سيد. مؤسسة الفرقـــان للتراث الإسلامي لندن1421هـ/2000م.
64. فن المديح النبوي في العصر المملوكي. غازي شـــبيب. الطبعـــة الأولى1418/1998 المكتبة العصرية .بيروت.لبنان.

65 في الشعر العباسي الرؤية والفن. عز الدين إسماعيل ط01 المكتبة الأكاديمية.1994

66. فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبد الرؤوف المناوي. المكتبة التجارية الكبرى. مصر ط1356،1م.

67. قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلــوم والمعرفــة والمآثر .الشيخ محمد باي بلعالم ط1، 2004 دار هومة الجزائر.

68. قصيدة الهمزية للبصيري دار الكتاب.الدار البيضـــاء المغــرب (د.ت).

69. قطف الزهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمــر. مطبعة دار هومة، ط2 ، الجزائر2002م.

70. قواعد الشعر. مصطفى حركـــات. المؤسســة الوطنيــة للفنــون المطبعية. الجزائر1989م.

71. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. أبو هلال العسكري. تحقيــق د. مفيد قمحة ط2. 1409هــ/1989م.دار الكتــب العلميــة بيــروت .لبنان.

71. كتاب مجموع المكنون في ثلاثة فنون. أبو القاسم بن عبد الرحمان البادرياني.

72. كنتة الشرقيون. تأليف بول مارتي. تعريب محمــد محمــود ولــد ودادي. مطبعة زيد بن ثابت دمشق .سوريا.

73. لسان العرب. ابن منظور. دار صادر بيروت

74. مـــاء الموائد(الرحلـــة العياشـــية) تحقيـــق محمـــد حـــاجي ط2، 1397هـــ، 1977م، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر.
75. محمد بن أب المزمري(1160هــ) حياته وآثاره. أحمد جعفـــري. ط1 2004. دار الكتاب العربي الجزائر.
76. المجموع الكامل للمتون، مكتب البحوث والدراسات، ط1، 1997م بيروت.
77. مخطوطات ولاية أدرار د: بشار قويدر ود: مختـــار حسانــــــي، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، وعلم الإنســـان والتاريخ. الجزائر1999م.
78. المساعد على بحث التخرج (دكتوراه، ماجستير، مذكرة التخـــرج) الأستاذ الدكتور مختار بوعناني، ط1، وهران1995م (د،م،ج).
79. المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله النيسابوري. تحقيق. مصطفى عبد القادر عطـــا ط1، 1411هـــــ/1990م. دار الكتـــب العلمية بيروت.
80. المستطرف في كل فن مستظرف. للإبشيهي. ت درويش الجويدي. ط1، 1416هــ1996م. المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
81. مصباح الأرواح في أصول الفلاح. محمد بن عبد الكريم المغيلي. تحقيق رابح بونار.اكتوبر1968.الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع الجزائر.
82. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي، ط4، المطبعة الأميرية القاهرة1921م ، مصر.

83. المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون، الدكتور مختار بوعناني، دار هومة 2001 م، الجزائر.
84. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصـــر الحاضـــر، لعادل نويهض، ط1، 1981 م.
85. معجم مشاهير المغاربة. أبو عمران الشـــيخ وآخـــرون. جامعـــة الجزائر .1995
86. المعجم المفصل في الأدب. د محمـــد التـــونجي ج1. ص27. دار الكتب العلمية بيروت ط1413،1هـــ1993م.
87. المعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي. دار الغرب الإسلامي. المملكة المغربية.
88. من تاريخ الأدب العربي. طه حســـين. مـــج01. ط04. ســـبتمبر 1981م. دار العلم للملايين بيروت.
89. منظومة العبقري في حكم ســـهو الأخضـــري: محمـــد بـــن أبّ المزّمري.
90. المورد العنبري على المنظومة المسماة بـــالعبقري: ســـيدي عبـــد الرحمن بن باعومر.
91. الموسوعة الشعرية للمجمع الثقافي بالإمـــارات، الإصـــدار الأول والثاني.
92. الموسوعة العربية الميسرة، إعداد لجنة من العلماء بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب1965م.

93. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، عبد العزيز بن عبد الله، المغرب1976م.
94. النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن9 هـ إلى القرن 14هـ. عبد الحميد بكري ط1، 2005. دار الهدى الجزائر.
95. النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله. علي بن محمد ط01، 1990. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان.
96. النثر الفني في القرن الرابع. زكي مبارك. المكتبة العصرية صيدا بيروت.
97. نضرة الأغريض في نصرة القريض. المظفر بن الفضل العلوي. تحقيق د نهى عارف الحسن. مطبعة طربين. دمشق 1396هـ، 1976م.
98. نقد الشعر. قدامة بن جعفر. تحقيق كمال مصطفى. الطبعة الثالثة مكتبة الخانجي بالقاهرة .1979
99. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. دار الكتب العلمية بيروت.
100. وفيات الأعيان لابن خلكان. تحقيق إحسان عباس.دار الثقافة بيروت.
101. واقعنا المعاصر. محمد قطب ط02. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر1989م.

المجـــــــــلات

1. مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دبي، الإمارات العربية المتحدة، السنة09، العدد34، ربيع الآخـــر1422 هــ يوليو (تموز)2001م، موضوع (مراكـــز المخطوطـــات فـــي الجنوب الجزائري، إقليم توات نموذجاً ص113)، للأستاذ د: عبـــد الكريم عوفي.
2. مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى 1414 هـــــ، 1993م وهران الجزائر، موضوع (التعريف بمراكز المخطوطـــات في الجزائر ص86)، للأستاذ د: عبد الكريم عوفي.
3. المجلة الجزائرية للمخطوطات. العدد الأول ربيع الثاني 1424هــ، جوان2003م في محاضرة بعنوان: (محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة ص34 وما بعدها) للأستاذ أحمـــد الحمدي.
4. مجلة القصر. العدد الأول يناير2004م. دار الثقافة لولايـــة أدرار. الجزائر. موضوع(الإمام المغيلي... أديبـــا. ص10 ومـــا بعـــدها) الأستاذ أحمد جعفري
5. مجلة رسالة المسجد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف –الجزائر. السنة الثالثة، العدد الثاني صفر1426/ مارس أفريل2005. موضوع (أضواء على حياة الشيخ سيدي محمد بـــن

عبد الكريم المغيلي أشهر تلامذة سيدي عبد الرحمان الثعالبي. ص86 وما بعدها) للأستاذ الحسين يختار.

6. مجلة طريق القوافل. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ2001. موضوع (مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط. ص63 وما بعدها) الأستاذ الماحي عبد الرحمان عمر.

7. مجلة كلية دار العلوم. مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. العدد22، شعبان1414هـ، ديسمبر1997م. موضوع (الأدب في المدينة المنورة في القرنين الثاني عشر الهجري – الثامن عشر الميلادي. أعلامه موضوعاته الرئيسية، ظواهره الفنية ص255 وما بعدها) د عاصم حمدان علي الغامدي.

الأبحـــاث والمحاضـــرات

1. أعمال جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لدائرة تيميمـــون. دون تاريخ.
2. أعمال جمعية الأبحاث والدراسات التاريخيـــة لولايـــة أدرار. دون تاريخ.
3. أولاد أسي حمو بلحاج والتواجد بتوات. الأستاذ مـــولاي عبـــد الله سماعيلي محاضرة ألقيت في الملتقى الرابع لتاريخ بلدية زاوية كنتة حول أولاد أسي حمو بلحـــاج تـــاريخ وحضـــارة. زاويـــة كنتـــة. جوان 2001م.
4. تاريخ المخطوطات، محاضرة للأستاذ حسن مختار (أعمال الملتقـــى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخيـــة أدرار1994م، ص65، وزارة الثقافة الجزائر).
5. التعريف بحياة الشيخ محمد بن أبّ المزمري، الشيخ محمـــد بـــاي بالعالم، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار.
6. التعريف بمنطقة توات، الشيخ محمد باي بلعـــالم، مكتبـــة جمعيـــة الأبحاث والدراسات التاريخية أدرار.
7. دليل ولاية أدرار (ج،أ،د،ت،أدرار)، ماي.2000
8. محاضرة حول حياة وأعمال الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي. الشيخ كنته ابا أحمد سيدي عمر دمة.

9. المخطوطات داخل الخزانات الشعبية بتوات وتدكلت، محاضرة لمبروك مقدم(أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية أدرار1994م، ص75، وزارة الثقافة الجزائر).

10. مسيرة التربية والتعليم في منطقة تيمي، فترة ما بين (1998/1996) بكراوي محمد بن سالم(د.ت).

مواقـــع الإنترنيـــت

1. موقـــــــع المجمـــــــــع الثقـــــــــافي بالإمـــــــــارات. www.Cultural.org.ae/new/default.htm،(2001م)

المقابلات الشفهية والتسجيلات الصوتية

1. مقابلة وتسجيل صوتي مع السيد أبا سيدي جعفري المشـــرف(حاليا) على خزانة زاوية سيدي حيدة ببودة للمخطوطات، وواحـــد مـــن المهتمين بمجال البحث في المخطوطات (أجريت المقابلة معه فـــي بيته بقصر زاوية سيدي حيدة سنة 1997م).
2. مقابلات وتسجيلات صوتية مع الشيخ الحاج أمحمد الكنتـــي شـــيخ المدرسة الدينية بقصر زاوية كنتة، والمشرف حاليا علـــى الزاويـــة الكنتية وخزانتها للمخطوطات(أجريت المقابلات معـــه فـــي مقـــر مدرسته بزاوية كنته سنوات: (2001،2000،1999،1998).
3. مقابلات وتسجيلات صوتية مع المرحوم الشيخ الحاج بومدين السلكة (توفي سنة2005) أحد المهتمين بمجال البحث في تـــاريخ الإقلـــيم (أجريـــت المقـــابلات معـــه فـــي بيتـــه بتيميمـــون ســـنوات 1997/1998/1999م).

4. مقابلات وتسجيلات صوتية مع الشيخ الحاج الطيب شاري المشرف على خزانة قصر كوسام للمخطوطات. وواحد من المهتمين بمجال البحث ونسخ المخطوطات (أجريت المقابلات معه في بيته بقصـــر كوسان سنوات: (2001،2000،1999،1998م).
5. مقابلات وتسجيلات صوتية مع السيد عبد الحميد بكـــري، الإمـــام والمدرس بمسجد النور بتمنطيط، وواحد من المهتمين بمجال البحث في تاريخ الإقليم، وصاحب خزانة للمخطوطات .من مؤلفاته :كتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن9هـ إلى القرن14هـــــ. (أجريت اللقاءات معه بتاريخ ينـــاير، فبرايـــر، مـــارس، أبريـــل، 2005م).
6. مقابلة وتسجيل صوتي مع الأستاذ عبد المالك صـــوفي. المشـــرف علـــى خزانة بادريان للمخطوطات، وأحد المهتمين بمجال البحـــث في تاريخ الإقليـــم (أجريت المقابلة معه فـــي بيته بزاوية بادريـــان سنـــة 1998م).
7. مقابلة شفهية مع الشيخ كنتة أبّا أحمد سيدي عمر دمة. مدير مركـــز الشيخ سيدي المختار الكنتي للبحث والتوثيق نيامي. دولة النيجـــر، وأحد المهتمين بتاريخ كنتـــه والأزواد، وصـــاحب خزانـــة كبيـــرة للمخطوطات.له عدة مؤلفات مطبوعة(أجريت المقابلة معه في مدينة أدرار. يوم الأربعاء 23 جويلية 2003م).

8. مقابلة وتسجيل صوتي مع السيد مبروكماينو حفيد الولي الصالح الشيخ الحاج بلقاسم بتيميمون، والمشرف على خزانة المخطوطات بالزاوية. وواحد من المهتمين بمجال البحث التاريخي (أجريت المقابلة معه بمقر زاوية سيدي الحاج بلقاسم بتيميمون أدرار. شهر ديسمبر 1996م).

9. مقابلات وتسجيلات صوتية مع الشيخ الحاج محمد باي بالعالم شيخ المدرسة الدينية بمدينة أولف حاليا. وواحد من أهم المؤلفين في تاريخ الإقليم، وصاحب خزانة للمخطوطات (أجريت المقابلات معه في مدرسته بأولف سنوات: (1997م، 1998م،1999م).

10. مقابلة وتسجيل صوتي مع السيد محمد بولغيتي بن محمد بن امحمد الإمام والمدرس بزاوية الدباغ، وواحد من المهتمين بمجال البحث التاريخي (أجريت المقابلة معه في بيته بزاوية. الدباغ بتاريخ شهر ديسمبر 1996م سنة).

11. مقابلة وتسجيل صوتي مع الشيخ الحاج محمد العالمي الأنصاري شيخ المدرسة الدينية بقصر زاجلو حاليا، وواحد من المهتمين بمجال البحث التاريخي بالإقليم، والمشرف حاليا على خزانة زاجلو للمخطوطات (أجريت المقابلة معه في مدرسته بقصر زاجلو بتاريخ شهر آوت1996م).

12. مقابلة شفهية مع الشيخ الحاج محمد عبد العزيز سيدي عمر. شيخ المدرسة الدينية بالزاوية المهدية. قصر مهدية أدرار حاليا، وواحد من المؤلفين في تاريخ الإقليم (أجريت المقابلة معه في مدرسته بقصر زاوية مهدية سنة(2000م.).

13. مقابلة وتسجيل صوتي مع المرحوم الشيخ الحاج محمد إداوعلي، حفيد الشاعرين سيدي محمد وسيدي ابراهيم إداوعلي. وراوي أشعارهما(أجريت المقابلة معه في بيته بقصر أعباني بتاريخ شهر يناير 2000م).

14. مقابلات وتسجيلات صوتية مع المرحوم الشيخ وليد بن الوليد (توفي سنة2004) واحد من المهتمين بمجال البحث في التاريخ والمخطوطات. والمشرف على خزانة باعبد الله للمخطوطات. (أجريت المقابلات معه في بيته بقصر باعبد الله سنوات:1999،1998،1997،1996).

فــــهرس مـــــوضوعـــات

الجـــزء الأول

الموضوع	الصفحة
* الإِهْـــــــدَاء	6
* مقـــدمـــة	7
* المدخل إقليم توات... الموقع والتاريخ	15
الباب الأول: الحركة الأدبية في إقليم توات منذ نشأتها حتى نهاية القرن11 هـ	25
☜ الفصــــل الأول: الأعلام... الموطن والمسار	27
◆ المبحث الأول: أهم أعلام الحركة الأدبية بالإقليم من القرن07 هــ وحتى نهاية القرن13 هـــ:	29
◆ المبحث الثاني : مواطن الدرس الأدبي ومساره	81
ا) مواطـــن الـــدرس الأدبـــي:	81
ب) مســـار الدرس الأدبـــي:	92
☜ الفصل الثاني: واقع الحركة الأدبية قبل القرن 12هــ/18م	97
◆ المبحث الأول: واقع الحركة الأدبية قبل القرن 12هــ/18م	99

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني: الحركة الأدبية في أقاليم توات خلال القرنين 13/12الهجريين	133
☜ الفصل الأول: الشعر وخصائصه الفنية	135
◆ المبحث الأول: الأغراض الشعرية	137
1. الدعاء والتـــوسل	140
2. المديـــح النـــبوي	161
3. المـــــدح العـــام	206
4. الفخـــر والحماســـة	238
5. الــــــــــرثاء	245
* الفهرس	277

فهرس موضوعات

الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
تابع الفصل الأول من الباب الثاني الجزء الأول	
* المقدمة	7
6. العتاب والاعتذار	17
7. الشعر السياسي	24
8. الشعر التعليمي	33
❖ المبحث الثاني: الخصائص الفنية	53
1. البناء الفني	53
2. البساطة والسهولة	68
3. الاقتباس	69
4. التكرار	73
5. طول النفس	75
6. التسميط	79
7. الإيقاع	80

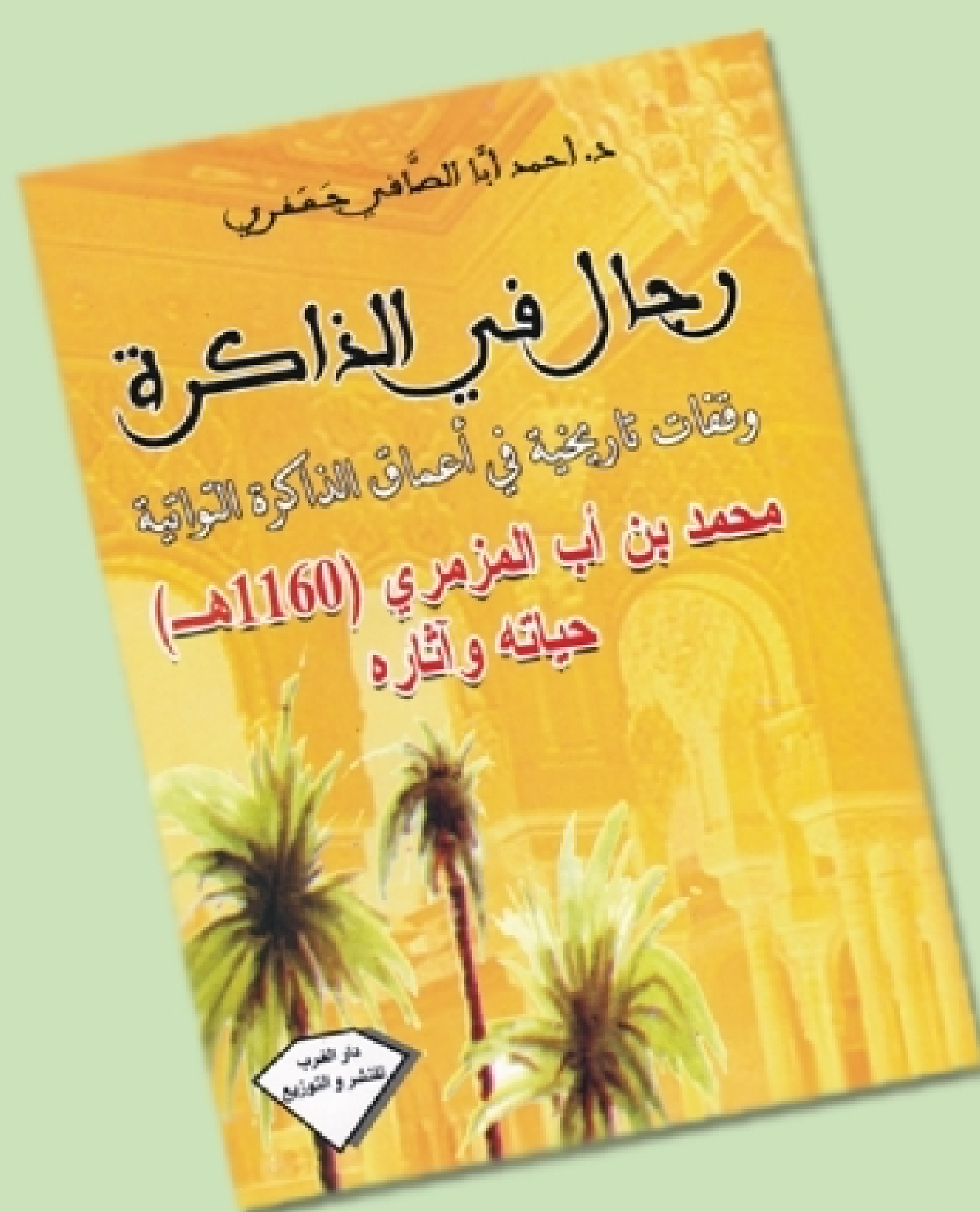
الصفحة	الموضوع
84	8. وحـــدة القـــافـــيـــة
85	9. التأريـــخ للقصائـــد
91	10. تسميـــة القصائـــد
92	11. تعريف الشاعر بنفسه داخل النص
95	☜ الفصل الـــثـــاني: النثر وخصائصه الفنية
97	❖ المبحث الأول: الفنـــون النثرية
98	1. الـــوصـــيـــة
118	2. الخـــطـــبـــة
126	3. الرســـالـــة
144	4. الرحلات
159	5. الإجـــازات
167	❖ المبحث الثاني: الخصائص الفنـــيـــة
167	1. البساطة والسهولـــة
169	2. التقيـــد بالبدايـــة التقليديـــة
173	3. الاعتمـــاد على البديـــع

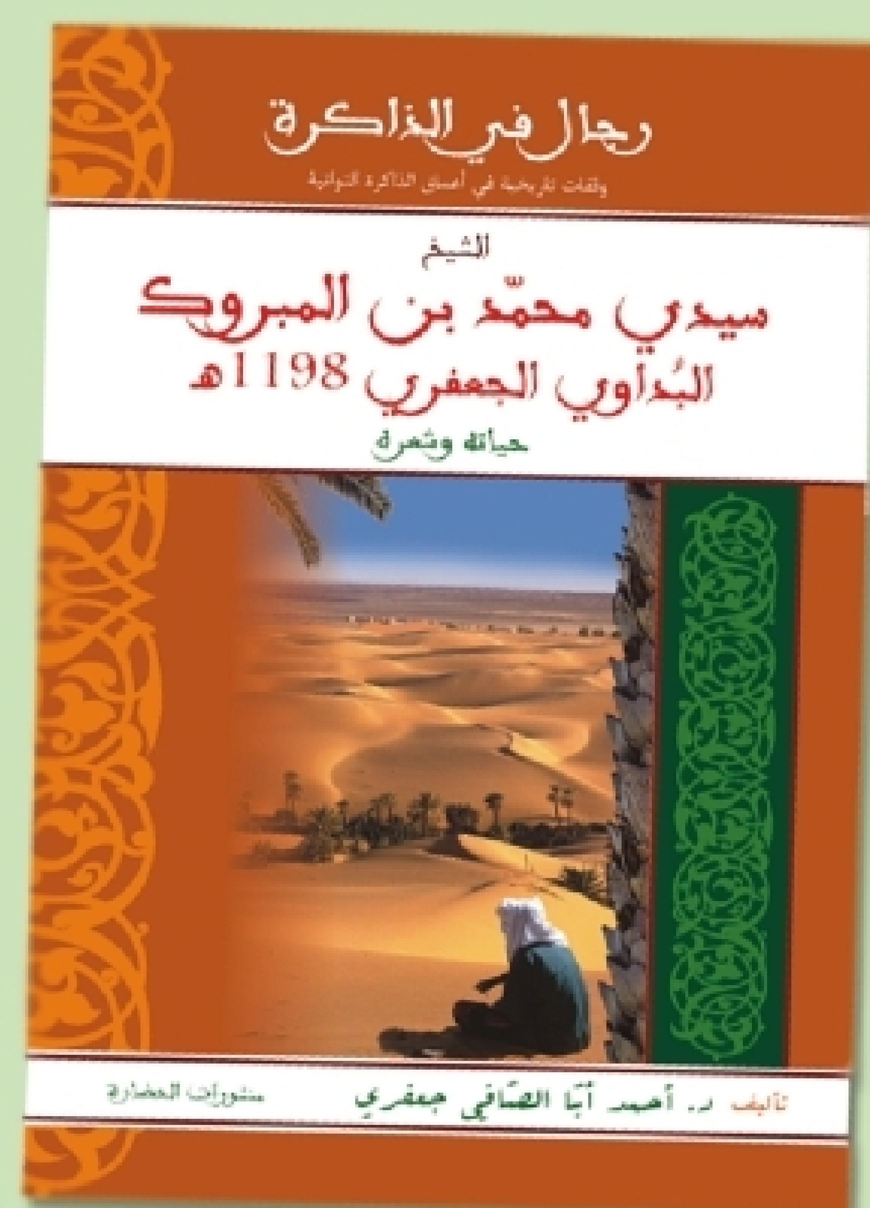
الموضوع	الصفحة
3. الاعتماد على الشعر في إيضاح وتقوية المعنـــى	175
4. الاستــشـــهـــاد	181
5. الاقـــتـــبـــاس	184
* الخـــــاتمـــة	187
* المـــــلاحـــق	191
* فهرس المصادر والمراجع	231
* فهرس موضوعات الجزء الأول	262
* فهرس موضوعات الجزء الثاني	264



د. أحمد أبا الصافي جعفري

صدر للمؤلف









الايداع القانوني : 764 - 2009

ردمك : 978-9961-767-71-9

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة